هذا الكتاب هو:

"الرسائل الكبرى"
لابن عباد

ملك لله تعالى في توبة عبد الله سبحان
وهو لسامحه الله محمد

شهد في توبة عبد الله علال بن عبد الله العباسي حسن
الله له بالشهادة أنه مع الشرفاء من ذكر أعلاه

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

بسم الله الرحمن الرحيم ١ وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

وبعد فقد بلغنا منكم كتب وذكرتم في بعضها مسئلة الخواتم والادعية التي اخترتم فيها توسلا بزيك الى بعض الغيب فالمزور بزيك من الامور الجائزة والله اعلم وقد تكلم الجناي رحمه الله في كتابه على محبة لهول العمى وادخل الحج بيت المذكور فيه صلة الرحم ولست انكر خواص الاسماء والحروف ومنفعتها في ذلك الطلب وغيره وانما المتبع حلال من يحل العمل به كالمواكرة الحروف وقصد عليه ويحل خير الله تعالى واسماؤه الى غيره وذلك غيب لا يراى ووكس في الخط وقد يكون بعض ذلك والتوغل في الاسباب القادحة في مقام التوكل كالاستغراء وغيره فهذا ما عندي في المسئلة والله تعالى اعلم واما ما طلبتموه من الكلام على مسايل البراءة فالذي ما فيها غني محتاج الى التكلم عليه الا الفصل الاخير وقول كاتبه ومن ظن بان عدم اخذه على يد المتصوف انما هو لجهل غني ما عندي عليها من هذا القبيل واعلم ان الحق في المسئلة ما لم يقل معنى التصوف وترد جايزته لان الحكم على الشيء رد او قبول فرع عن كونه معقولا وجماعة التصوف كسوى

بشتيس

جلسة التصوف

العبر

العبد على حالة توافق رضى مولاه عنه ومحبته له وذلك على فسبيل
علم وعمل والعلم يستفاد به معرفة عقائد اهل الحق ومفاصح المكلفين
والعمل يستفاد به قيام العبد بحسب الادب بين يدى رب العالمين
لتتحقق عبوديته له فى كل وقت وحين وهذا هو حقيقة ما جاء
به الينا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والحق القويم والصراط المستقيم
وهو دين الاسلام الذى لا يقبل الله سبحانه وتعالى سواه ولا يرتضى
من الاديان ما عداه ومعناه الخضوع والاستسلام لنوازل الاحكام
والانقياد والاذعان لمقتضيات اوامر الايمان ظاهرا وباطنا سرا
وعلانية من غير حرج فى الصدر ولا ضيق فى القلب ولا تلكؤ
فى النفس فاذا كان هذا معنى التصوف لم يتصور من احد
يؤمن بالله واليوم الاخر ان يهمله او يشتغل بغيره فمن
اهمل النظر فيه او تشاغل عنه بغيره فذلك انما يكون لعدم
معرفته به ومن هذا نقل ان اكثر طلبة العلم محرومون مغرورون
لانهم اذا اشتغلوا مثلا بفقه المذهب اعرضوا عليه الى هو اقرب
للعلوم فى الظاهر الى المقصود ولم يعتنوا قبل ذلك بتحقيق نياتهم ومقاصدهم بطريق التصوف كانوا بذلك متبعين لاهوائهم منفرين الاراهم
وذلك هو اللهو واللعب الذى لا حاجة له فى المنقلب وذر الذين اتخذوا
دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاذا ادعى احدهم انه تنبه
فى ذلك لحجة قيل له من اين لك هذا وانت لم تسلك طريقه
فما هنا لك الا حالة اذ لا سبيل الى ذلك الا اذا ضرب بسهم فى طريق القوم فان

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

في ذلك الطريق تظهر له خرق النفس وخفايا متابعة الهوى والطبع
وفيه يتراءى له خفي الشرك وجليه وخوافي الآفات وجلاياها فيكون
أداه الى أخذ الدنيا فيه بياعتا دينه غير مشعور بفرهوا وعند ذلك
لا يكون خارجا من طريق التصوف الى غيره لانا نحسب ذلك من جملة
أعماله المطلوبة منه في التحقق بمعناه وقد قررنا ان العمل اخر فسمي
مدلوله ومعنى ما ذكرناه مشمول لجملة التصوف ما ذكره ابو نعيم
بقوله الشيخ ابو نعيم رحمه الله حين يذكر السادات من الصحابة والتابعين
وائمة المسلمين رضي الله عنهم اجمعين وعلى كل واحد بجلبته ويصفه
بصفته بانه يقول وقد قيل ان التصوف كذا وقد قيل ان التصوف كذا اشعارا
منه بانهم وان اختلفت طرقهم ومذاهبهم وتباينت مطالبهم ومراتبهم
فرائشتركوا في مدلول هذا الاسم وضروا في مقتضاه باوفر سهم والحاط
وهذا ان الذي نعتني مقتد لانه لاحق وما عداه بالطرفان فلت انك حصرت
الامر في طريق واحدة وهي طريق التصوف وادخلت الاختلاف بين الناس حتى تو
خيت كل فرقة الوجهتها وارتضت مذهبا خلاف مذهب صاحبتها قافصل
لما حدثت البدع والاهواء كثر الخلاف وتشعبت الاراء وانظر هذا المعنى في الكتاب الذ
كورفيه البدعة واقليم من جملة الكتب التي عندكم فانه احب ان اريح نفسي من
التطويل الذي لا فايدة فيه مع انه الخصم وكل الخاصم ولبيب يجيء الاذعان بشيء
متى احتاج التسليم الى دليل فان قلت هل الاشتغال بالتصوف في زمن انتحا
بة والتابعين ووقع من السلف والخلف فيه ما وقع بين ايتهم لا سيما حول المتاخرين بما
قول مقالة بكماله عنهم ويدل عليه وجود ثرائه من دعوتهم الى الله واعلاء كلمته وجاهدة
من جاهده واشركه به وشغلهم بهذا السوا المنع والتي في علمه وانباء النظر فيه الرغبة ولا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

مستغنون عن هذا كله بما هم غرقى فيه من بحار التوحيد بلما قضى الله
تعالى بما قضى به من مذهب الجبر وخبو أنوار الإيمان والبغي وخرج الناس
من الدين أفواجا كما ذكرنا خلوا بيد أفواجا البغي أصحاب الخصوصيات بانيسهم
واعتزلوا بنيانهم جنسهم إذ لم يشتغلوا بالتشاغل بهم فتمغوا لما لم
ينفع له دأوا لوز من التحقيق في علوم التوحيد والتحقق بحقائق منازل العبادة
والتجرد عن كل ما من تربية وتهذيب وتصفية وتبرية وتنقيح وترتيب
وصاروا من الزاهد خلوة بالله من خلوة لما اشتغل على غيرهم استتار الغيرة
وابتلي به سواهم من استيلاء الجهل والغرة ومرآة رأسهم هم الذين سماهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم رويبتهم وأشتاتا النبع وبيمانهم إخوانه في
الغربة الصحيح وهم المعنيون بقوله صلى الله عليه وسلم إن لله عبادا ليسوا
بأنبياء والشهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء قال الشيخ أبو عبد
الرحمن السلمي رحمه الله سئل بعض أهل المعرفة عن قوله صلى الله عليه وسلم
يغبطهم الأنبياء والشهداء كيف يغبطهم الأنبياء وهم فوقهم في المحل
فقال لأن الأنبياء اشتغلوا بهم أمر الأمة بالبلاغ ومشاهدة الخلق وهؤلاء لما لم يكلفوا
ذلك لم يشغلهم عن الله شيء فلذلك يغبطهم الأنبياء وإن كان الأنبياء أعلى
وأتم وأعظم شبابا من هذا المعنى في أول كتاب الهادي المنزل أنهم يقولون
في كل زمان حتى لا يكاد يرى منهم استتار وهذا أوان ذلك فنسأل الله
تعالى حسن العافية وجميل الخاتمة فلما أتممت ما ذكرناه بعد معنى
التصوف ورجعت إلى ما ذكره صاحب البداية علمت منه أنه لا يتصل

يعني بتغيير الحديث
صوابه إن لله عبادا
ليسوا بأنبياء ولا

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الزمن كلامه حنيفة تنبه عليها بردا فيان قوله ومن طريقي أن يعلم أحدهما
بطريق التصور انما هو لرجحان غيرها عليهما يقتضي أن هذا
طريق غير موصل وأن أحدهما أقصر من الآخر وقد قدمنا أن الطريق واحد
بعد كما أن الزمن المحمود واحد **وقوله** كما كنى رجل منعه من
السعي بيد فكان رفيقه فصرفه الى ذكر الموانع لئلا من ذكر الطريق
التصور على الجملة ومن عرف مقتضى هذا الطريق لم يتصور في حقه
مانع منه كما قدمناه كان ذكر الايمان يحمله عليه كما حمله على سلوك طريق
غيره بزعمه لا سيما في الفهم العلمي منه وباعث الحرص على التعلم وذكر اجتماع
جماعة لا محالة الى الفهم العلمي ليتناول له ويتعرف به ولم يمنعه منه ما ذكر
وقوله اي رجل اتبع شهوات نفسه الى آخره هذا المعنى فصرفه الى
تفصيل الموانع التي توهمها موانع وليتذكر الرجل ما سبق له واعتقد ومستحثات
على التعلم أن الفراغ لعلم آلة التمرس وذلك واستحلى فيه نصبه وعناءه
وفر الخسران فيه من وجه وأسلم من وجه أما وجه استحسانه فيه من تهمة الغبن
وذلك لما علمنا بالذوق والمنة وأما وجه استقباحه من جهة غفلته عن
النعم التي عجزت هذه المساوي كلها واربت عليها ولعل من جملة النعم عليه
توفيقه للاعتراف وذكر افراز وعرم المعائن وذكر استكبار ولو أن رجلا
خلع على عبده خلعة عظيمة تشتمل عليه مفاخره وعيوبه ثم انه لم يعمل
بذلك ولم يرجع به واسابل الآخر يبرئ للثناء ما تشتمل عليه مواده لعد ذلك
منه سوء ادب واستهانة بالخلعة واحتقارا لها وانما يستحسن ذلك من

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

في حالة الداء عائشة من نعوت السيادة لذواتها التي تحيت تخشى من
نفسه وجوه أو تحية واهتزاز يتوهم بزلل وجوه مشاركة شابهن الرجل
يغضب لسيد ويبرء من نفسه ما يليق بعبوديته ونفسه وآفته
والله أعلم عائشة رضي الله عنها ما كان أعرفها وأشرفها بما الله استأثر
عليها ابن عباس رضي الله عنه في أن يزور ما أو يعود ما قالت ما اصنع به
يمدحني ويثني علي أو كما قالت فلما أذنت له دخل عليها ووقع منه ما
وقال لها أنت لكيعة وكيعة وأنت لزينة وزينة قالت يا ابن كنت نسيا
منسيا وذلك هو الذي بقوله صلى الله عليه وسلم احتوابي وجوه المراحيز
التراجيز على لحن التاويلات وهذا الكلام من صاحب البراهين يضاد
بعضه ... ولم يكن أيضا للاستدلال بمقالة غواة المتعزمة أهلا وقوله
بغرة الدولة ارزوصرز النجاء وحصن ذا ابتقار وخالصرا اضطرار فلينت
شعر أي النجاء وابتقار واضطرار لعظم من تحفه تلك الأحوال
التي ذكر مع مشاهرة عجزه وفاقته وقوله وما يظهر من حالي
إني مائل الركز فإن لم يبن على توهم وجوه لطريق وقد أشرنا إلى هذا الله
وقوله ووعيت أني حيزل أكن مع السابقين خلصت النية
في المقام مع مزعزع ويهم كذلك أيضا وقوله لا كني بقيت مزعزعا
لا من هواء ولا من هواء كلام سائغ في معرض الزم لحاله وهو في الحقيقة
غير المزح لما أنه إذا لم يكن من الفاء بقين في نحو سالم من البتة والرعون
أن البتة مع الحرى الطابقين والرعوى مع الحرى وقوله أني كلما ارعوت

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

النهر فمع من احب فصر جناحي وقمت على راسي هذا هو حال من لم
يات دار فمن يابه وافصده من وجه بل الى يغيبه حق المعرفة ولعله عن نظره
الرخيصة واقلاسه يرحمه من راه ويقيم له بناحال على اساسه من غير حول
منه ولا قوة **و** قوله ولما قالت النجم الى الغمام الثاني تشوفت الهمة الى
الفريق الاخرى فصح عزمها عما مالت اليه فهذا من تاييد الله تعالى وتاييده اذا
صرف عما يستضر به لو حصل عليه **و** قوله واما الفريق الاخرى
فانا منها في غاية الاقلاس هذا القول الذي ينبغي له في المقال ولا يسعه سواه على
كل حال حتى الله لذوي البداية الاقلاس ومعنى عن قلبه استيلاء الغفلة والوسواس
هو وكل من فصر بابا الكريم وطلبه منه هداية الصراط المستقيم
فهذا ما اردنا ذكره من الكلام على ما في البراءة وفي اثنائها
الرجوع الى ما كنا تركناه منذ زمان من العضو والعزاء ولكن
ونعوذ بالله منا بغتات كثيرة واستحياء كل امرئ بما نابه لهز فلان
واتباعا لهراء والله تعالى يغنيه عن هذا وامثاله بما يفتحه على قلبه
من هداية وينيحه لمن فصر وحمايته فانه على كل شيء قدير

أما بعد فقد بلغنا كتابكم الذي أخبرتم وفيه عن كثير
التشنيع الذي اصابكم مع العامة الجهلة وقد عزة الله علينا كثيرا وبلغ منا
وبعض اصحابنا كل مبلغ وقد حصل لكم بحمد الله اتباع بدون حول
احرما اصابتكم بتلك البلية وسلوك الله تعالى بكم هذه الغاية
المرضية وقد قال بعضهم الغيث احرى بصيد بلا في هذا المقام

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

أو كلاما هذا معناه. وانظر الى كلام ابن عطا حيث قال ليعجب ألم البلا
والمسئلة التي يغرها و ثانيها معرفتكم بالزمان واهله وهذا ايضا فائدة
جزيلة أن تعلم ليكن الحذر منهم وعدم الركون اليهم فيغروكم
ويمكروا بكم وتحتطون منه بوجوه فربكم وانظر هذا المعنى عند ابن
عطا رحمه الله انما الجزع الذي عليهم الآخرة وقد سأل أبو بكر رضي
الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان في صحف ابراهيم فذكر له
أشياء الى ان قال فيها وعلى العاقل ان يكون عارفا بزمانه مقبلا على شانه
حافظا للسانه. وكلام العلماء في مثل هذا اكثر من ان يحصر و ثالثها
خمول ذكركم وسقوطكم من اعين الناس بانكم لا تغرمون
في تلك النازلة من كان حالكم تلك يغرى منه ممن يعظمكم ويجلكم بعد
ذلك منكم غيره وهذا ايضا من الفوائد العظيمة. وانظر هذا المعنى عند
قول ابن عطاء الله من وجوه في ان خمول الآخرة وكلامه في
التواضع فريبا من آخر الكتاب و رابعها استيفاء نكم بالراحة فانكم
من استشعار كونكم مامورين بالنصيحة لعباد الله وأمرهم بالمعروف
ونهيهم عن المنكر وخوفكم عن ترك ذلك حصول العقوبة عليه وبراءة
الذمة منه لانكم لا محالة تكبون بعد هذه الفائدة عن آخر بما يمكن أن
يوقع الى مثلها وانتم تعرفون بالوضوء نقاء يا من هذا أم التسبيح
الذي حل بكم بان تكتبوا في ذلك الدار البيضاء والبيئة أفلح من العمل هذا ان كنتم
بيما فلتم وبعلتم صاء فيرتخلصيروان لم تكونوا على هذه الصفة بل

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فإن كان أحدكم على سبيل الاستشهاد على مقتضى الجملة ومتابعة الهوى
والشهوة يبعثكم على الخيانة التغير في عقله وذلك بما تستقبلون عن مثله
أن هذا من التكلف الذي نهى أمته رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك تقيا
من أمته و خامسها فيه نصرتكم من غروركم لتنزلوا الناس منازلهم وتعاملوا
كل صنف منهم بما يليق به من المعاملة فتسلمون مع كل الفاسقين من الظلم
مع الصديق بالتوقير ومع الغرور بالإفراط واشدائكم في هذه النازلة
تتعرفون في الدار تعرف على حسب في الدين من استقامة والتلطف والمناورة
والتألف و سادسها استبقاء تكم به حصول الجواب مني على كتابكم أنه
لما أصابكم ما أصابكم كتبتم إلي تسألوني فلم يتبين لي أن أكتب لكم جوابه ليحصل لكم به
التعريف بهذه الفوائد التي ذكرتها وبغيرها إغلاقا إياكم وذلك بأنكم أخطأتم
فيما فعلتم ومع هذا استأثر خطأه من أعظم الفوائد وخطأكم في هذا من وجوه
أحدها أخركم بما لا يعنيكم وعدم اهتمامكم بما أنتم عليه من
قبل الكلام فمن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه وفي علمكم من كتابي
وروى هذه الخريدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كان قبل ما لا يعنيكم
أن قبل ما لا يجب عليكم ومن عمل ما لا يجب عليه في هذا الزمان لا يسلم
منه فإن قال أبو حفص رضي الله عنه لا يصح الكلام إلا الرجل إنما
سكت خاف العقوبة على سكوته وإنما يجب قبل العلم من نصب نفسه لإرشاد
العوام ونصر لتبليغ أحكام الله تعالى في فيضهم يتعرف لهم
ويستجيب لتعريفهم تفهم على الدوام وتعاطي مثل هذا أول وأخر

ولكن الله تعالى لما أراد عصمة أكثر العباد وفتنتهم ولما سقاطهم من عينه أعمى
أبصارهم وأصم أسماعهم وطبع على قلوبهم فإذا أصاب الناس مغصلة
أو ابتلوا بإراهية ويجوا من ذلك البعض يجدون فيهم متمسكا بما يعتقدون بهم
الوطريق الحق مسلكا وفي رواية في فتن آخر الزمان أي الناس يصيبهم
فيه فتنة فيلجئون إلى العلماء بهم فيجدونهم قردة وخنازير
وممسوخ الصور الظاهرة لعبرة به وإنما هو اعتبار بأمور الباطنة وقد
وقع على حسب ذلك ما أخبر به الصادق المصدوق فإنا لله وإنا إليه راجعون
ولو افترضنا في هذا الأمر بسير سليمان حيث قال لأهل هذا الوادي ادخلوا فيه
لكان الحسن على الدوام بخل من خطاب في سكوته وتغافله عن مثل هذا
ولكن الغرض في بيان ذلك الخطاب وثانيهما أنكم لم تسلكوا الطريق
أيها المختار رضي الله عنهم في هذا الأمر الذي أنكرتم وهو أنكم لا تخلون
في هذه النازلة من التعريض بطريق التصدي ومحاولة الرجاء إليه
وكما شاهدته بين بعض الجهلة من العوام أصحاب الرسوم كان متبوعهم
هو الذي يعمهم منه كما انكار والفرح في أهله فلا تقدرون على الصبر
عن الرد عليهم حسبما أمر به منكم حين تشرعون وتضيقون خلافكم
ومن يبيع جوهرة نفيسة لو رآه حكيم لا ينبغي أن يسمح بنفسه بأن
يلقيها للبغال والحمير أو أن يعلقها في أعناق الكلاب ولم أر أحدا من
كبار الأئمة المقتدى بهم في زماننا الصالح وفعل شيئا من ذلك وكما أباه به ولم
نلف أحدا منهم اعتقد في كتم الرجاء لم يجد منه محيصا وكما خاب

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

بسببه مطالبة تقتضي معاتبة أو معاقبة بل نزلوا على حكم الله حيث أنزلهم
وكانوا فاطمئنوا لما عاملته معهم فإذا كان هذا في تلك الأزمنة حيث
كانوا في قلوب النار مشرفة متمكنة فكيف يكون الحال في هذا
الزمان الذي عم فيه وجوه الحرمان واستحوذت على القلوب جنود
الشيطان وخبت فيها أنوار الإيمان هل يسعنا فيه سوى الخجل والكتمان
ولغرابته في بعض التعاليق عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه سيد
هذه الطائفة وإمامهم أنه أوصى عند موته فقال من كان عنده شيء من كلامنا
فليدفنه وليكتمه وكان بعد ستة وثلاثمائة إلى ما بعدها يصيب الناس
كلامهم وعباراتهم لباسهم ومعبودهم يحكمون بما يقتضيه الله تعالى
بأعمالهم وللشيخ أبي طالب المكي رضي الله عنه شيء من هذا
المعنى في كتاب العلم أذكره وإن غلب أحدهم وخبر وتجاوز للغير
فتبقلت منه شيء مزجه لما استشكل اللغز ورضوا بالذي يجري
على أيدي البشر وإن وقع منهم في مشاهدتهم هفوة وثالثها مخالفتكم لسيرتهم
في أنكم لما أصابكم في الحرب عتم وضاقت عليكم الأرض بما رحبت بيقين
أنه بعد الكرب فرج وأن مع العسر يسرا وبشر منه على حال
غربتكم وعدم إعانة من يباح الركون إليه وكما أغيثوا فأغيثوا وإذا أن
سماعة وعودتكم منكم بعد صبر فرج وهذا من البلاء العظيم الذي
يعجز أكثر من على الصبر عليه وكيف إذا وقع مع ظاهر أمر
وأخطرناه لله على فلربنا على الدوام لا يكون لنا فيه راحة وكما سلوان

بل ربما زادنا غيظا لكم شرا. وعقبنا تعبا وخسرا ومطلوبنا انما هو ما
يبعد عن نار النار ويهون علينا بلايا الكبار. فلا يسعنا الا سلوك
سبيل هؤلاء الائمة رضي الله عنهم. والحذو على مثالهم. والنسج على
منوالهم. فانهم لما شعروا بحبوبهم ونالوا من قربه مطلوبهم لم ينسبوا
الى الخلق نبعا ولا صرا. ولم يجروا في معاملتهم اياهم باكراه وانتقام
بدءا ولا حرابل شاهدوا بفعل الله تعالى وخبره. وانشدوا هذا البيت
معلنين به ليبرأ من قولهم عذره.

وان جواء ارغته لطعامه ... وان مالجربة لم شاكر

بنعلي ولم تخبر بهم لعلنا نصل الريش من مرماهبهم. فيخجم منا
بمرانا ويطهر بذكر عن بنيانا واحزانا. وبنار الرياء نشتغل بانفسنا
ونهمل اتباعنا ونقتنع بما رزقنا الله تعالى من كثير وقليل مع ان
قليل الله تعالى لا يقال له قليل. ولا نحيل بمن برز وتعرض لنا بل يمن قام
ونغر ونستعمل الوصية التي كتبتها اليكم في الكتاب الذي قبل هذا وان
حلت بنا مصيبة لا ونزل علينا الضر بساحتنا اهلنا النصرة من نعم الله
وانتم جو لبهم بجهاد سوى الله. وتدرع بالكله بعز الله. وهذه الحال وان
لم نذكر من اهلها قبلا بد لنا من استعارها. ومعاودة تذكارها
ليصل الى قلوبنا شيء من انوارها. ويكون لها من اثارها. فان رفع منا
حزن على فوت شيء من حظوظ دنيانا أسناه الحزن على ما فاتنا من
مرانا. فيمنع الشيء في محله. ويقع الحزن على اهله. واعلموا انكم لستم

انظر هذا الكلام

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

تذكروا لي شيئا مما فاتكم أو فاتوه لكم في ابتداء أمرهم وانتهائه
ولم تعسروا لي شيئا من ذلك ولم تعلموا لي شيئا واحسبوا أنكم شاهدتموني
بالكلام لم تكونوا أحسن تستوعبون كل شيء يعز وجليل وتذكرون كل
عنت وعسير وتدركون شيئا مما تحتاج اليه أو ما تحتاج اليه وتعلمونني
به والعلم أعز اللسانين أما تعلمون أن في الحلاج على أمور الجزيرة
الحصول على الراحة الكلية وأن الزم على العبد عز طلب الراحة في بناه
اذ لم يخلق لمعاملة مولاه وتقريب ذا فلان يغني عن المشابهة
بالكلام يعز تاجرا وشجاعا وجسام وقد قلت عز في اختصار
الكتاب الذي هو اجود ما ذكرتم من استعجالي فيه مما قبل سائر
الكتب التي تكتبون أو تستوعبون فيها ما لا يعز به منكم من الأمور
الصغار والكبار وتذكرون فيها أشياء خارجة عن المضار وأكثر
هذا ناء منكم وإن كنتم تجدون من تشغلون به في الشوارع التي تتكلفون
في ذلك من المشقة ما لا يفصل به ما تدركون بغيركم في الزمن القريب
فما ينبغي أحق أن يتعب نفسه فيما لا طائل له وأما محصول قد قلت
لي في هذا الكلام يا أخي هذا مثل ذا لزام وأنت أحق في بالعتاب
والملام فإني كتبت لكم نحو العشرين كتابا بين كبير وصغير ولم يقع لنا
منكم إلا كتابان أو ثلاثة تعز النجاح كثير وطلبه عز يكاد فوقكم
مستغنيا وأكثر غفلتم عن العزوف بيني وبينكم أني في بلاد غربة وأرض
جدب وبرد قليل يكاد يوجد عندنا معنى تتشوف النفوس الى تعز به

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وطلب دار اختيارية وأنتم في حضرة المملكة ودار السلطنة وشان
تلك الحضرة والزار أن يجلب اليها كل شيء عجيب وتقصر بكل معنى
غريب وبعض ما تضمنته من الحالي والمطاعم كانوجن في عينها جميع
ذلك مشتمل على اسرار وانوار ينشرح الزار الاطلاع عليها ارباب البصائر
وذا بصار والخبر فريغني عن العيان واللبيب المختص فريقوم مقام
يوان وذا جل هذا وما اشبهه بعض منزل الى سكنى تلك البلدة
وذا كر الافلاك لنجيب فومتو وذا نعرف ان يطلق الله تعالى العقال ويباذن في
دار تجار وذا نتقال يجتمع من شملنا ما تصدع وتشاب أبصارنا ما
كانت اذا نا قبل تتسع ولكم في هذا الكلام على حسب ما رفع لكم
عن المصاب العظام كفاية ومنع ومن قدم له الزبد والشهد برا من
السيئ والمقرع بالقليل منه يكتفي وبالنفيه منه يشبع فتأمل ما
كتبناه هاهنا لتفهم ورود التذكير فيه حتى تتتبع به وتتبع فقد حملت
الرجيه عمل من حب لمن حب قلا تخشى ان استعماله عركا وذا تعرف فيه
التبيان البارزون الذي به تتوجع غائلة كل اسريعة سر واستوء يلسع
وهذا امور معتبرة بحزن بصر لكني تنظر واضغ ماذا ان تسمع
وافرد فرد هذي النبرة ما ارمن يغلمها أو يرسمها حلا بلفع واستودك
هذا الكلام وافول ما قاله بنو يعقوب الكرام على نبينا وعليهم
أفضل الصلاة والسلام وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين
وذا تظن أني اقف هاهنا واقطع الكلام وأختم الكتاب هاهنا بالرحمة

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

والبركة ومعاد السلام: وكأني أزيد من الكلام الجزل المشتمل على الجد والهزل: ما تجلي به عنكم بقايا الهموم التي علقت بكم من أعضاء الرسوم: والجملة العموم: عافاكم الله مما أصابهم به من بلاه: وحال بينكم وبينهم كما حال بين أرضه وسماه: وقولوا على هذا الدعاء آمين: أنتم ومن يتعلم منكم من أولاء المسلمين: الذين تسلموا من الترديد وسلم لهم في العيوب: وشملتهم بعزم تكليفهم رحمة علام الغيوب: لعله يستجيب هذا الدعاء ولن ضر من غير بغي صقعا فإنه إذا كان قد زال عنكم العناء والتعب: وحصل لكم الهناء والأرب: وفضيتم في بيتكم لما لا تستحقونه غاية العجب: ولينعم بأمر الله تعالى من يجب: قلوص شاهرا هل الحوجاج: ما وجه به يحيى بن أخضم السراج: لما توامن الهم والغم: وهو والوعر وصاحبه اليأس فوقه في اليم وأكرم الله بفضله ورحمته سلم: فاشكر الله تعالى على ما به أنعم: وتأمل هذا الرمز وتفهم واضح بسمح فليحمل الكلام على تمام المعنى الذي تقرر: فإني أقول وعبر الله تعالى المأمول: فانتم تروون ما اشتملت عليه نظم الكائنة: من النبع الغامض الباطنة: التي إذا استمعتم رأيتموها محفوفة لكم بصلة عنوكم: قبضا عما يزجى لكم من الثواب الجزيل في دار الملك الجليل: فإذا لعلمتم أن لا علم يغيب: وارد تم سلوكا أو لبا الله الموجب لكم تشكروا في أن الشكر أحق عليكم من الصبر: وأن لا استبشار والفرح: أولى بكم من الحزن والترح: فإذا أنتم بواجب الشكر: وصبتم الله تعالى بالذكر لم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

تعرّضوا من الله تعالى لمزيد الفلاح: والتوفيق والنجاح: قال الله عزّ وجلّ
لئن شكرتم لأزيدنكم: وقال عزّ من قائل فاذكروني أذكركم: لعلكم تفلحون
والشكر هو الصراط المستقيم: الذي نعرّف عليه العروة اللعين ليصدّ عنه
من تبعه من الضالين قال الله عزّ وجلّ فمن أعنه أعزّ لهم صراطه
المستقيم للوصول وما أكثر أكثرهم شاكرين: لم يقل صابرين وما فائزين
وما زاهدين وما محسنين: وما تائبين وما متوكلين وما غيره من مقامات
الأبرار والمقرّبين: ليعلم بأن مقام الشكر تنتظم جميع سائر المقامات
وتندرج فيه الأحوال والكرامات: فاحفظ كيف عرّف الله تعالى هذا
العروة اللعين منبع الخير وطريقه: وما يكون خرمه هدايته وتوفيقه وقد
أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه على نبينا وعليهم السلام حبّبني إلى
خلقي فقال يا رب كيف أحبب إلى خلقك قال اذكرهم آلائي ونعمائي
وإنهم لا يذكرون منها إلا الجميل أو كما قال ربنا عزّ وجلّ وقد
جعل الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه من عيوب النفس
أن يكون العبد في محل الشكر وهو يظن أنه في مقام الصبر أنه مأمور
بالترقي في المقامات: والكون على أحسن الحالات وجعل ذلك رديئة
العبد نعم الله تعالى في جميع الحالات ثم قال بعد ذلك بما سمعت
سعيد بن عبد الله يقول سمعت عمي يقول سمعت أبا عثمان يقول الخلق كلهم
مع الله في مقام الشكر وهم يحسنون أنهم معه في مقام الصبر: ولينت
شعر ما الذي حمل صاحبنا وأتباعه وأشياعه على التعرض لهذا الإخبار:

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

دون غيركم :: ومن المعلوم أن طلبة موضعكم لا يقدرون على السكوت على
ما هو أقل من هذا الذي كأنهم لم يجروا في تلك البلدة أجرأ منكم :: فإما
أن تكونوا زدتم على أبويكم في ارتكاب التفيض :: وإما أن صاحب الصنعة
التي صنعته عروة بغيض :: ولو كان في الدنيا شيء من الخير لكان لكم مجلس
فيالة مجلسه :: وكرسي منا لخير لكرسيه :: وأغير نقارة إليكم كنقارة
نقارة إليه :: فإن اشتغل بقراءة كتاب من كتب الحديث اشتغلت أنت بقراءة
كتاب آخر مثله :: وإن أخذ في شرح الحديث من تلقاء نفسه فسرته أنت
بكلام العلماء العارفين :: وإن اختصر حديثا أو حديثين أسترت أنت
عشرة أحاديث :: وإن أتى به من طريق واحد حررته به من طرق كثيرة
وإن اشتغل بسبب المستوعة من غير تغيير يزعمهم بعلة أنت مثل في الجمع تغيير
بزعمهم وإن انتصر عليكم بالعامة انتصرتم عليه بالخاصة :: وإن استعان
عليكم بأجل الدنيا استعنتم عليه بأهل الآخرة :: وما كان لم يبق في الدنيا
وكأنه أحلامكم :: تحرر بسط بيهم كالعين :: وكرسي حرر منهم كالقين
واشتغل بالجد في الشيء :: أخلاط تفنى عن كل كوز وغير فتكبى كل
كوز وضيع فإذا بلغت الى المطلوب :: وانكشفت لك أسرار العيوب
وتجلت شمس القلوب :: التي ليس لها أفول ولا غروب :: اجعلنا عن علمها لا نموم
واستحقت من مكاشفة أصحاب الرسوم :: وانخلعت من وثاق عالم
الغوالب والجسوم :: وتغولجين تحل بحضرة القدس :: وتحظى فيها بما تشتهي
من جمال ونفس :: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور

عبد الله بن السيد السراج

الذي أحللناه دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا
فيها لغوب حق الله لناهزة المنية وأنا لناهزة البغية وحجبنا
كل حي ضار وحال بيننا وبين كل جبار في استكبار ولنقتصر
على ما ذكرناه بقدر ما نقضي من النيل تلناه وكل اليسر والعسر وعمرت
بالخير المرجو من هذا الكاهر الجهتين عسى أن نرجع عن منصورنا بحتى
حنين ومنصورنا انما هو بناء حسن سيرتكم والخير على اصلاح
حالكم وذلك من أمر بيد الله وما توفيقنا إلا بالله

ونعم

فبشر سرني ما نال البلد أفركم من السلامة والنجاة من العلة فلله الحمد
كثيرا فالكم هو ما اشتهت عليكم بي الكتاب من السابقين فقد شرفوا وفزتم
بحسن في سياقة تلك المسئلة بالزور والتجاوز في نعرت منها أمورا
كنت فيها وأمم ما كان على بعد الهمم التي لصاحبكم اشكال
أمر من ذكرته لكم قبلها وصبتم الكيبية بأن لي غاية ومقرا له عند
بعض العرب أنكم أن خلتم أن نفسكم بي أشبا كنتم بي غنى عنها
من جهة سباء الوقت وإن كان بعضها حقا في نفس وأمر كان
يمنعكم السكوت عنها وترك العمل بها أجل ما ذكرناه مع أنكم
لا تجدون على ما تروه من ذلك معينا ولا ناصرا ولا نصرة عليكم لحتى
في قولكم زعم على أبيكم في منافضته ومع هذا لم يكن ينبغي له أن
يمتنع في هذا الأمر وان يتعاقل عنه لما يتضمنه من المغارم المثلثة
أنا ذاكرها قبل بعقل ولا الرفع عنكم وسر بالتفول عليكم والغامة

(أي نص هذا الجواب توبيخ الشريف)

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

إذا قالت بعلة: وتانيا نصرة دين الله: وحماية أولياء الله: والتصحيح
لعباد الله: فإنه لم يبق لهم من العزاء: وما يحصنون به من القلاع القعاع
إلا حسن ظنهم وسلامة عقدهم: فيما يرجع الى تعظيم من يفخ منهم
تعظيم الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم وأما بتعظيمهم وإعظامهم
يخطئون في إحياء: وأما تشاجر وأقل الخطأ في الزهو وأمر المنصور
منهم إذا ليس لهم من نفوذ وأمر الحق وكمال البصيرة ما يتميز به عندهم
الصاعي ومن الكاذب والمحق من المبطل فلا لوم عليهم في وأما خراع الى
من خرعهم بالله: بل إن الزهو المذموم منهم وأمر الخداع الى الله: فإن
شملته رحمته وأدركته عنايته لم يجر المراء وأما مذموم تنزيلا وأما تخويلا
وإن حقت عليه كلمته وأحاطت به شقوته بالله اشترياشا واشوتكيلا
مما يقاوله ولهم فليرعوهم يعيشون في سخط الله: ويتجرمون من رحمة الله
فلعل لهم أن يكون حظهم من الله: إذا ما يضيع لهم هذا العز ومن انتساب
عز الله فلم يمنعون مسيئهم من أن يكون في خيار محسنهم فلا يعلمونه
وأما يوفرونه: ويرعون محسنهم أن يمشي في مزلة مسيئهم فيستفيز
به ويحذرونه وهل أمرهم وأما مبني على التلبيس واختفاء الذام والخال وما
يتعاطونه من مخاز ومعال فلا جاء الله واضحة تنزل عليهم وأما مارة واحة
تجري البهم: وتزخرف الله وما بثه في عباده كما خبار ضاهية في ظاهرة
ومخطئة في معصيته فلا ينبغي لحر أن يخفر شيئا من هذا ولم يبلغنا
عن من تقدم وأما من تأخر من علماء الدين أنه تعرض لما تعرض له ذلك الرجل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

بن منزعه المعلوم وما جعلوا له لأكرامهم وما افتوا به مرة عنهم
وهم أعين على البرية وانصح لعباد الله المسلمين منهم بل فحاري أمرهم
السكوت حرصا منهم على سلامة منعفات عجايز البيوت التي هي
أزهز من خيط العنكبوت ومن العوام الزبراء فرق بينهم وبين بهائم
الانعام دائما لبس الثياب وفصاحة الكلام وان تكلموا فعلته من
غافل أو اجابة لمستشر سائل كل ذلك غيرة على جانب أولياء الله تعالى
أن تجعل عرضة للكلام وأن تعوز اليهم السهام ولله در امام
أئمة الفقهاء رضي الله عنه فانه لم يتعرض لأحد بذكر معايب
المتسببين الهزء الطريفة وان كان من اعظم النابر غيرة على الحقيقة
دائما غير أن جاز أن يعتقد محمدة نسبة ما ابلوا بها اليها وان ظهر بذلك فليزم
اثمها من ماتها وكل عليها وأراد أن يبين سنتهم الماضية وآثارهم
المرارسة العافية ليجتنب على منوالها وينتهج على منوالها وكان غرضه
حليفا اذ هو من أهله تحقيقا وأما الذي يشتغل عامتي بذمهم بحضرة
هذا الجيل ويذكر معايبهم بين الصحبة والمنزل ويجعل ما هو مأخوذ به
من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة الى هذه العامة
الكبرى وذريعة الى ما يصادم سنته المثلى ويروج ذلك على العامة لعامهم
ويرفعهم من حيث لا يشعرون الى مساخط مولاهم فيزداد من اكل الكباد
والبرع التي تعتري دائرا وبادا وآخر وقد كنت أعتقد انه ينهض
له في تلك البلدة كلام لما اختصت به من رياب وابهام وأولى العين

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

على غير دار سلام فمن لي بفلان هزارد اعتقاده وخفت أن يفسد علي كل
واحد وما هو دار علينهم وخرق الرجوم الشاه ولست أعجب من رجل غريب
قصر الرجل ليس له بصير على الحقيقة واحبيب فأظهر أهله خلاله
وبث فيهم فعاله وأراهم مذهبه كأنه ورقة مذهبه حتى أل المرهم في حر
نصرته والذب عن طريقته الى اتباع آثار العترة المطهرة والتصدي لقتل
التبصر المحرمة من غير ذاه ولا زاجر في موضع جمع الناهون زاجر والعاجز
والفاجر وانما اعجب ممن هو من أهل البدع موسوم بالشفقة على المسلمين
في جاهه وفر عن العامة والسلاطين حيث لم يتكلم في شأن هزارد انسان
بكلمة تسمع ولا انتصر لدين هزارد أم نتصر فليكون له مرفع وهو يعلم
ما تضمنه من المعاصي التي يعم ضررها كل قائم وقاعد مع أنه وجد
مفصلا للكلام لما بقصر واما تحد العوام ليكون لهم علينا من الكلام
واجب ما يجب علينا في هذه الحال أن نبلغهم بالعذر واغلاظ في المقال
ويفتح لهم حالهم فيما اعتمدوه من نصرة الباطل والمحال ولا يعرض لما ورد
عن الائمة مما يزخرفه في مرآة أزجرا ان بهذا فان ما يجب علينا في نصرة
الدين والنصيحة لله تعالى وللمسلمين وعن الائمة عليه من جميع ما يتقرب به
في حفظ الدين الغالين وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا
ظهرت في امتي البدع فليظهر العالم علمه فعليه لعنة الله وهذا الحديث ذكره
العقيلي وابو ابرهيم اسحاق بن ابرهيم التجيبي القرطبي المالكي رحمه الله
في مقدمة كتاب التصانيع له وجعله عمدته في كل ما يبنه فيه وفصله

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وأنى بزعمه أعظم مما نال الرجل بصدره من ابتهال فاعرة من فواعر البر
واضلال عوام المسلمين وتعميته عليهم الحق المبين حتى ابعز وابين غث
وسمين وليس بمستغرب مما وقع بنا في هذه الدار منذ من ضروب المحن وانواع
الرزايا والمحن بل الذي حقا قليل بل هو على ابتلائنا بما هو اعظم منه عنوان
وعلة ليل جم صارت اغراض اهل الحق مناخا ليتمسح بها جملة العوام وصار
أولياء الله تعالى على جلالة اقدارهم وشهرة مفاخرهم لثلبهم لزيه علكا في افواه
الماضغين على مر الليالي والايام وحمرت بيوت الله تعالى المشرفة بمثل هذه
المناكر وشهر امرها في المحافل وعلى رؤوس المنابر وشاع في النواحي
والاقطار والقرى والامصار وجوهر الحق تعالى بعصمته بل لله اتم جهار
واعظم العقوبات الواردة من الله تعالى علينا والموصلة لكل بضيعة وعقار
الينا تنوء قلوبنا وانما تزداد عن هذه المعاني بل يكبو في حصول ادراك
عرم تاثرنا بها وعرم ضرب همتنا اليها وذلك كله امارات وجوه منسوخة
الغلب التي مثال امرها الحمزة ناوبقرنا من خصائص الرب صرف الله عنا
عقوبته ورزقنا في كل اوقاتنا من ابتهاجه بمنه وكرمه على اولياء الله تعالى
هو يتولى امرهم وابكل الرغيم محضهم وفي الحديث عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم مما يروى عن ربه عز وجل من اهان لي وليا فقد بارزني
بالمحاربة وفي بعض الروايات وانا اشاء لهم او كلاما هذا معناه فهذا
ما ارى ان اذكره من الكلام في بيان ما وقع منه من الخطاب في هذه النازلة
العظيمة عافيلتمسا وهو بغيته مصورا ضان عن تحمله جلده واعجز صبره

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

عنه حزنه وكمده

والصبر يحمل في المواطن كلها ذا عليه والله الجمل

وكان المشير له سؤال السائل ولو انه لم تسمح النفس بإذاعته في الرسائل

ورجونا ممن يقف عليه من إخواننا المسلمين الناصر لله تعالى في الزمن الحرج

الحيرة بإمانيه على الشيعة على ذمة المحمدية فينتصر لأنبياء الله تعالى

ممن فعل سببه من أسبابهم ووطئ بقرميه على رقابهم فنعيم ما هم فيه

تلك العلة الصعبة وينقلب لغير الله تعالى بالحرمان والخيبة وإما أن

فإن كان فيهم عنهم بري بالضر واللهم فضوا واصل النعم إن شاء الله تعالى

بالكتب والرسم وجمع المغل يستحسن ويشكر وانساد المكرمة يجب

تبكيت أن يعقر وإذا شارفت عن العبارة كان لمن يتكلم مزور السيارة

وقد أحسن كلام فلان وزاد في تلك المعطية به ولو كان سناد أربعة مثله لحصل

المقصود من الفسح والرسم إذا بزل كل واحد منهم غاية الوسع وإكرام

الله تعالى سلب منهم البركة حتى لم يقدروا على نظم واحدة والله تعالى ولي

التوفيق لنا ولهم الرضا بحبته وبرضاه والذكر الذي تضمنته تلك الرؤيا

هو من اسمه ذا الجلال والإكرام في استجلاب الأنوار وهو ذكر من انفتح له في سلوكه

من أبواب المعارف وفنون اللطائف ما ربما يحمله استعظامه وإيثاره

عقله فيه على البقية في السلوك والوقوف عن التسليم الرحيم ملك الملوك

فإذا استشعر السالك ذلك لزوم تشاغل بهذا الذكر المخصوص على الوجه

الذي رسمه له مشائخ هذه الطريقة لم يزل في مزيد في خير وكان

23

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وكان له تعطشا لازم وشربا دائم. فإن كنتم على هذه الحال فتشاغلوا به
إن وجدتم شيخا يرشدكم الطريقة ويكفيه العمل به وقل ما تجدونه وقد
كنت نعرفت من كتبكم السالفة أنكم رجعتم الرأس في الرواية وأنكم
شغفتم بها وأنكم بعثتم كتب التصوف ومطالعتها والنظر بها. فحدث
عني تغير في باطني وانكرت ذلك من أجل أني خفت عليكم مما يلزم الطريق
التصوف من الزام أهله محامين عليه وذابين عنه من طعن طاعن وانكار
منكر فلما رأيتكم حببت إليكم شأن هذه الطريقة التصوفية
لم يرض قلوبكم كل الرضوخ وأن يكون عندكم كالثوب المعار وثوب العارية
لا يسخن بضلع إن تفصل به منعة أو زينة. فإن كان ذلك لم يرضكم رأسا
لم يلبثكم تغيير الأحوال وتقلب الأمور عنه حتى ضاع صبركم بسبب تفكر
الأنوار منه. وحصل عندكم من الوسواس وضروب الجهالات وفنون
الباطنيات ما تقرون بأنفسكم على التنصي والانفصال عنه حتى انتهى
بكم الحال الى استيلاء المنة السوداء فصرتم تزورون بسببها في علم النوم
أمورا. وزعمتم أن حصل لكم منها الخير حسبما ذكرتموه في كتابكم
المتقدم وكان الكثير عندي تقلب أمركم وتغير حالكم ما فضيت منه غاية
العجب أني لم أعهد منكم أنكم قلتم في بعض كتبكم وقد بلغتني الكرامة
فنور الكرامة التي بعث بها من الرأس ولم تزيدوا على هذا حرفا
من أنكم هل فهمتم بما كتبت بها من التنبيهات على تلك الاشكالات
التي تضمنتها أم لا. وبعد نظركم بها هل وقع لكم منكم مرتفعا التفت عنكم

التعبير في التصوف

مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

بسببه شبهة أو التبست لكم جادة أم ما بال الرضى عن جميع ذلك صفحة
ولم تعرجوا عليه بتلويح ولا تصريح مع أني في غاية الرضى فصرتم فصركم واعتمد
بعضكم أنكم فلتم في بعض كتبكم ما معناه أنكم إذا خطرتم تلك الكراسة في
قلبكم وتغير حالكم بتباطئ أجلالكم والشيخ بسوء الظن مولاه
تعريفكم من كتابكم أن الله تعالى من عليكم بالانقاذ مما كنتم فيه ومن التبكيت في علم
بما أحدثه لكم من مواضح البرهان وعظيم التبيان وبسط اليد عنها بحمد
زال عنكم لذة الكرب وليتكم حيث من بالرضى عليكم تركتم وأخرجتم بالكلية ولم
تستشنوا منه بقية أجل ما عرض لكم من الشبهة الخيالية والكرابة الشوهة
أن تفارقكم وكأنه لم يتن عليكم من فروض الكفاية أن تكون حاملة الراية
الرواية بين أهل السقامة والغواية ليتصل بزلالها من ربقة الغرر في نياط
وأخراك الغاية فأين من غشيته وانتعش من حميته فيراح الضال
ويكون لك من حجج الله تعالى ما ليس لك منه انفكاك ولا براح والله تعالى يحملنا
وإياكم على ارشد الأمور ويحمينا عن مسالك الجهالات والغرور فضله
بالفضل جدير وهو على كل شيء قدير **وسلام** في كتابكم
زاجر عن المسئلة التي ذكرها صاحب المقامات رحمة الله ورضي عنه
وتلك المسئلة اشارة الى حال الخضر مع موسى عليهما السلام سامحه
الله كالدليل على ما هو بسبيله من تقرير أن ثم أمورا يقصر بها الخواص
فرجاورتها أحوال ومقامات وعارفت النعوت والعلامات وغلط أن
أول الخلق كما قرر في بابه وصف العبودية وحقيقة التصور والجعة

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

انه باجماع من أهل هذا الطريق وكل ما هو من نعت العبد فمحمول
بالفعل ولذلك ابعد ذا بدا من هنا كما قال وذكر هنا ان جماع
الكلام فيه يدور على ذهب واحد وهو نزر المجهود وكثرة اي
واكثر ما جرى في نقط الفضة خارج عن مقتضى ما قاله بل جميعه
الخلق ليس منه بشيء بل التأبي على المتعلم والمستشير ومن موسى عليه
السلام حين قال له الخضر عليه السلام فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء
حتى أحدث لك منه ذكرا وهو انما اتبعه متعلما مستشيرا ومن
التعاسر على المتبع والسائل وهو موسى عليه السلام حين قال له الخضر
عليه السلام انك لن تستطيع معي صبرا الى قوله من اراد ان يبني ويبطل من
خرق سفينة المساكين وقتل الغلام غير البالغ فانت ترى هذا المسائل كيف
جاوزت مقام الخلق الذي هو محل امر التعبد حتى ليتشتت منه بي
شيء واسبل أحرى ان يستنكرها ويستفحشها وان لم يفهم وجهها فاذا
تقرر هذا لم يستبعد أن ينبعث الخواص بأمور جاوزت هذا الحد والمقامات التي
من جملتها الخلق وهو ما اراد رحمه الله أن يفرده وانما لم يذكر من مسائل
الخضر عليه السلام امامة الجراري ليس من هذا الباب وقد ذكرته في باب
الخلق في الدرجة الثالثة من الخلق بجاوزة الحد الخلق وهو الخاصة الخاصة
وهو ما اشار اليه هاهنا ولما كان الخلق من نعت العبد وضعه كان
ما جاوز الخلق ليس من نعت العبد وفي بعض نعت العبد حاله مالم ينقطع عن نفسه
فاذا انقطع عن نفسه زال عنه النعت ولم يكن له اسم ولم يصح

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

جنس من أهل الغيضة وأهل الغيضة لهم خاصة الخاصة المشار إليهم
بقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل
من قوله فإذا أحببته كنت سمعه وبصره وكذا وكذا فخبرهم تجري
على أن يريهم أشياء مستنكرة في ظاهر العلم وباطنها حق محض
ظهره وجهه أغر في بهجته وحقيقته كمسائل الخضر عليه السلام بعد
تسليمها أنهم معذورون عن بعوبهم ما خوذون عن معتصياتهم رسومهم
فكانت التصرفات الجارية عليهم غير منسوبة إليهم وكل ما لم ينسب
إليهم لا سبيل لأحد أن يسئل عنه سؤال اعتراض وانتقاء فليس إلا
التسليم وجميل الثناء لله الملك اليوم لله الواحد القهار لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون وقد نبه الخضر عليه السلام على هذا المعنى بقوله وما فعلته عن
أمري وقوله في إقامة الجدار فأراد ربك وإنما استعار إرادة الربوبية في
مسئلتي السفينة والغلام دون المسئلة الأخرى فأتى بالباء في ظاهر مما من
الشناعة واحمل على هذا أسلوب الذي ذكرناه في هذه المسئلة كل
ما ينسب إلى الأكابر من أخوال الشيعة وجوز أن يكون ذلك من هذا القبيل
التظلم بذلك من التهمة وسوء الظن بالأكابر الذي تقال في مثل هذه المعترة عافاك
كقول النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره الشك عند بعض الناس أما بقط
غير من عيون الله وما أشبه هذا بهذا ما لهم لي من الكلام على هذه المسئلة
التي سالتم عنها على كل نية القوم بنعنا الله بهم وهنا انتهى تبييض المسئلة
المذكورة وقوله لأكرر إرادة أهل التخصيص الراسخ ما فلتم

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

هو منبر أبناء كرم من لغوا الغوام بالعثرة بما فيها على ما هو عليه من
بيان أو اشكال ولا تكلفني الكلام عليه بالنفي مما الى هذا كله
بعد أن بابه واشتغل الثبر وابتدع بمنعتك وسلسلتك على طريقة
رباب الحرية لتسارتتمم في هذا الزمان الفاسد الخبيث. ولتكون مبلغا
للشريعة المحمدية في العترة الجاهلية. الى من نبذها خلف ظهره بالكلية
لتصلح بذلك أحوالهم الفاسدة. ويبنوز أمورهم فيهتدي بهم على الصحيح فاعتبر

وتأمل يصلح العطار ما أفسد الدهر

ولزنا مثل هذا استدعى حاله بعين البصيرة وكان له حظ من عدل وانصاف لعلم
أن جميع ما ينتقد به مما تميل نفسه اليه من طاعة وفريضة بضاعة مباحة
ومعصية باعث له عليه سوى الهوى ليتوصل به الى حظ دنيوي حاله
أو يتوهم نيله ثم لا ينال ولا حظ له منه بل وراءه وعلى التصرف والعمل
يحتاج لا محالة فيه الى تعب ومقاساة نصب فيا ليت شعري والله تعالى العبد شيئا
من الصناعة وتأتى له من وجه لا يزعم علم ما يحتاج فيه الى تكميم مؤونة لحمة
وخرزة وكوة بضلعها ورأى له من اتساع الخال وكثرة المال ينبغي
له أن يقتصر على ذلك وينفح به ولا يتشوف لغيره يقتصر به ينتصح وجوه
تعب وشغل قلب فزال ذلك شر ظاهر وأعظمه ثم أو أشره في العاقبة ضرا
كل ما ينبغي به لا ستجلاب ذلك من ينتصب الى الدين من أهل العلم والعمل
مع اعتراف به بفتح حاله. وأعظم من كل عظيم وأشر من كل شر إذا لم
يجتهد بزال عن عزه ويتنافر بما. وصار لها مستفيما. وهذا هو حالنا

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

عبد الله عنا: فإذا التزم العبد ما ذكرناه: وفقه به وفتا صالحا
في دنياه: حصل له عند الله من حظوظه الربانية أنفى ما أمله وإن تنى غاية
حصوله على الراحة الفلسية وخروجه من حيز الغرور وكونه ضحكة للشيطان
الغرور بفتح الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ: فأقبل هذه النصيحة
ممن هو أخوج الى الانتصاح عنا منك:

وقل لي يا نصيح أنت أزلي بنصيحة إذ علمت بما انتبعنا

وإذا رجعنا الى حرية أخرى بيعنا ذا الصمت: والتزام أدب الوقت
خشية حلول المقت: أعاذنا الله من تخطيه ومقته بمنه وكرمه: والمراد
منكم أن تجمعوا مع فلان وتعتذروا له عني بأني لم أكتب له جواب كتابه
وكان مما أمرني به أن أكتب اليه وأوصيه وكنت قبل هذا كتبت له كتابا
بمثل ذلك كما طلبه مني وبعثته به على الطريقة المالوفة مني وهي طريق
الشكر إذ هو الطريق فصرح بثبت له وجوها من النعم هي ملابسة له وانثنا
له الركيبة الشكر عليها ليتصل بذلك الرمز عوده وتحلو به من غير تعب
وأمونة بلما وصل اليه الكتاب لم يفتح بذلك لأنه وفد مع حال نفسه وفتح
نصرها وشكى اليّ غلظ وقال لي أنا أعرف بنفسي وتوهم اني مزحته
واستحسنت حاله وأنا لم أمزح لحرا الله تعالى ولم استحسن الا بعلة معه
وذعه هو يكون ما كان وسر هو حالي معه ومع غيره لو رأيت رجلا في
غاية الصلاح وآخر في غاية البشاشة لسلبتهما عن حاليهما وبقيت مع
مراد الله بهما: وبعله معهما: كما كان هذا الحال يكيف يستقيم مني

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ان الخاطب احرا بما ان يجري عليه نفعا مما اعتاده الناس في وصاياهم
ومواعظهم من التغريب والتحذير والمبالغة في الجد والتشميم مع التغافل
عما هو عليه من شوء دائب بين يدي الله تعالى من رديء التفكير وغلبة الزعوى
وصاحب مثل هذه الحالة لا يفلح أبدا ولو بلغ في الجد والاجتهاد كل مبلغ ومن
لم يجعل الله له نورا فما له من نور والجاهل أبدا لا يستقي راحة بيده هذا كله
ولا يشعر بذلك وكيف يروم مني ان ارفق فاقارفا على حال ما انا عليه
الا ان من تكلف الكتب من اجل العلة التي بي قصر ولو امن لتكم عفو وحسن
بكم عني لم اتنازل لهذا التنازل كله ولم اذكر شيا من هذه المعاني ولكن
الذي هو الذي حملني عليه وحقق عني مؤونة كتبه نفسكم تؤيدونه على هذا
وعلى ما ذكرته لكم فقبل هذا على وجه النصيحة وتضيفوا الرغبة
من عندكم ما تحسن مؤونة عني لعله ينتفع بذلك هو ومن شاء الله من عنده
والله تعالى يهدي الجميع الى طريق الرشد ويوفقنا للجميع بمنه وفضله

وبعد فقد وصلني كتابكم ونعم فقد منه حالتكم في تلك النازلة
الشنيعة وكان مثال أمرها الرحيم وما شاء الله تعالى أعظم والحمد لله تعالى
على السلامة وارتقبوا منه جزيل الكرامة. **وأما** ما ذكرتم من الكرب
الذي كان أصابكم بسبب فقد الكتاب فلا تفعلوا ذلك فالحزن لا يعمل
في شيء من حيث انا نعلم وقد جاء ذلك على مقتضى الخاطر وسرت
بذلك لأني تراركت من أمره ما حفظته الذي في الكتاب الذي فقد وفات ما
لا يحتاج اليه أو يوجد الرفوع ضرر بسببه **وما** ذكرتم فيه من

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

أمر الشيخوخة وأنكم أتيتم أهليتكم الرجل وحلفتم على ذلك بالله تعالى
العلي فأنا أحلف أيضا بمثل ذلك اليمين على بقية ما أتيتموه ونفيض ما أنتم
وكلانا إن شاء الله تعالى في يمينه بار أنه حلف على مقتضى ما عرف
وأنتم فمما يجب عليكم من تهمة أنفسكم ورؤية عرم استحقاقكم للتهمة
الغالبة الذي ذكرتم حين قلت لكم مالك ولهذا عد أن يأتيه بالآخر وادعيتم
أن الحرب مكاشفة بحالكم ثم تبين لكم هذا النظر بما ذكرتموه ولم أفصل
بكلامي سواه مع ضرب من الرعابة والمزاح اللذين ليس على بهما جناح
وقولكم قول عن الميل الرابع رأيته بالكلية ولم يتوجه إلى الركون
إليها بقية صحيح لو وقفتم عليه ولم تستعجلوا مقابلة ما بقي لكم من ألوانها
وعلل المقابلة دالة من بقايا ذلك وكأنكم إذا تركتم مقابلة ذلك الكتاب
تنصرم سارية في جامع الغرويين كنيف وهي بلاد السلام والبلاد التي
استولى عليها عبدة الأصنام إذا وقفتم من نسخ ألوانها وتفصيلها
في غاية الصحة وجودة المقابلة وعامة ذلك فرسخ عليه العنكبوت
وتغلغلت به زوايا البيوت وما تشاغل به الناس منذ أكثر صار شكة
للمنام ومصيدة للحمام فأي بنية صحيحة تبقى لكم مع هذا التهمم
بإتمامه بالمقابلة لولا وجود السومة التي انتهت إليكم بها وإن كنتم
لم تجعلوا ذلك من همكم بل جعلتم ذلك عوضا من البطالة التي أمرتكم منها
بحيث يظهر به وما طلبتم من تبيان ما بقي من المسئلة التي يرتفع الكلام
عليها وهو قول صاحب كتاب المقامات إذا كان إرادة أهل التخصيص الراغبين

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

من فهم الكلام الذي رسماه على الكلام الذي تقدم تلك المسئلة لم يشكل
عليه شيء منها وأما قلنا فيه ان الخواص مقطوعون عن أنفسهم معزولون
عن مجانتهم فإذا نظرنا الى صيغة ذاك زاد منسوبة الى العبد وجرباها
متغيرة ومتعلقاتها متغيرة إما مراده فيه وهو ايضا منبعة له او مراد
له وهو الجاذبة المنبعة أو تكون ذاته مراده فإذا نظرنا اليهما منسوبة
عن العبد بالنظر والشهود الجمعي لم يبق له منها شيء وهو معنى فناء كره
من التجرد وحينئذ يشاهد ما كان متجردا من مراد الله مرادا والحق مرادا
من حيث التجرد والتغاير والعبارات في هذا المعنى ضيقة المجال وهي وان
جرت الخلق امر تمام ما هو بالحال ومحال ان يفيد ني منها وطيبوا انفسا
عنها فإن الحاجة بكم البيان وايلين كثيرة بعد زمان وقد
قدمت لكم من كلام سهل بن عبد الله رضي الله عنه التعبير عن مثل هذا
واما الذكر الذي طلبتم مني ان اعلمكم به لتداوموا عليه وتتفرغوا
وردا فإن ذلك ليس من شأني هو من شأن الشيوخ المربين وقد تقدم مني
على عدم اهليتي لذلك الحداد والبيع واذكر الذي اذكركم عليه من انواع واذكار
ما كان منها عاما وهو الزعاما بتصحيح حمراء ونقاء ويقتضي من اداء الزعونات
شعاعا ولم يجز لك ذاك في المواظبة على سير واستغبار الذي جاءت به
صحاح واخبار لما تضمنه من المناجات والحضور واذكار بربوبية الملك
الغفور ثم اخلاص الوخزانية واذكاء ابيات الخلفة وعلة العبودية ثم
اضمار الحاجة في تكاليف الحرمة الى المعبود والمعين والاستعانة بالله

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

تعالى مما يوسوس به عدوه اللعين ثم الرجوع الى الله تعالى بالنعم وتحمل الزيب
المحترم ثم سؤال الغفران والمتاب والاختتام بالثناء الحسن على رب الارباب
فاذا جعلتم ذلك هجيراكم في أكثر أوقاتكم حصل لكم بذلك الخير الكثير مع الغنائم
الحسنى والمواهب التي يتمنى الملك الغفور والتحرز الكبيرة من الصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم فانها من أقرب الوسائل الى الرشد في المقاصد والتزموا فيما عين
لكم من الحالات والاوقات ولجعلوه عوضا مما فاتكم منه عند تشاغلكم بالاحاديث
التي تزوروها عن الثقات وغير الثقات **وأما** ما استغنى تموني فيه من لبسكم
للثياب التي تظهر النادر فلا زال يأتيكم ما فاتكم فيه مع نعم ضمكم بذلك
للغر العامة وشتمهم وفروع المضرات من قبلهم **وأما** الخاتمة بدعوة
مبنية على مراعاة حالكم وتقيته وأيضكم فلا زال اذا صرفت فيه النية
فلا زمان فريد الغاية في النساء وشملت العين جميع الاعداء ذا من عصم
الله تعالى منهم والله تعالى يعيذكم من شر ذا شرار وتسلط الجبار
وأما ما استشرتموني فيه ايضا من تشييع النادر كالي وحملهم
بذلك على اتباع مقصود مرامي فلا زال غلب عليكم حال يحملكم على الكلام
فلا عتاب عليكم ولا ملام اذ لعله يكون في ذلك الحال مراد منكم ذا
بالسلامة في نزاع الى الجملة ذا أن تقرروا أهله ومحله **وأما** ما ذكرتم
من الرمز فليس ذلك مما يرمز على الخفية وانما أوردت لفظا محتملا لمعنيين
كل واحد منهما صحيح فلو ذكرتم في المعنى الذي فهمتم منه ذكرتم لكم
المعنى الآخر ان شئتم الى وانما فصرت بذلك التسلية لكم عما كان

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

أصابكم من الكرب فعزت فيه لك الكتاب أن تكتب كل معقب وغ لول
وأتفنن في العبارات والإشارات التي تستحليها الأسماع وتلهج بمعانيها
العقول وما من حرف منها والكلمة والتمتها طائل وفضول لينس في شيء من ذلك
زيادة ولا فضول وكل ذلك في سائر ما كتب به إليكم ولا كتبكم التي تستعرون به إذا لن
تقع تحت يد ذلك الكتيبتم بالقليل منه والكثير لما علمت منكم أن الرخص أكثر
الكتب وأضع اليها مراضع النعب والناصح في كتب الرسائل المبعوث
بها الى البلدان ينبغي أن يدع شيئا من البيان والذي تعرفه بينها وبين
مخاطبة المشافهة والعيان بل ربما كانت تلك أكثر ايضاحا وأبلغ تنقيحا
وأبصاحا كل ذلك ليخلص المقصود من كتاب واحد ولا يحتاج معه الى
مراجعة توجب طول انتظار ولا تشوف الزوار سيما بما تباعد من البلدان
وتناءت به الديار وطال انتظار يشيب من لم يشب وينشب من لم ينتشب
ويكون ذلك في جملة من ينتسب الى من ليته انتسب فافهم ذا اشارة
وأجب عن كل ما ينطبق بنضر بحج أو تلويح حلل فإن بعلتة لك تصب
وإن لم تبعله أحقاب ما تجب لكن لا يصلح عتابا من علم ذلك عيب
أن يغض ولا مزيد عنه فترغيب وترهيب وقل حينئذ ما كذب صاحبنا
ولا كذب ولا وهم ولا حسب بل شرد وهرب وبذ جهده وحرب
ولسان الحال أفصح من لسان المقال بما خبر وجرب وليس عليك بعزيز أن
معتزا محتسب وسيعلم كل من ظلم أي منقلب ينقلب والسلام
ونعم فقد وطئت كتابكم وذكرتم فيه أنه حصل بأيديكم

تأليف البعد فلان في نصرة طريقته بالأحاديث الصحيحة وبالأثر لو يعتمد
ويعتمد به أو الأحاديث النبوية مضمنة الغوامض من غرر تأويلها والطلسم فيه
أيضا فيان ما ورقع في كتابيتا من العبارات المسجعة كما طلبتموه مني في كتاب
قبل هذا وذكرتم فيه ما تضمنوه بيتا وسألتم هل وافق بعضكم ما نصر فيهما أم لا
فأما ما تضمنتم في الكتاب الأول فبعد ما بعض وصاة بنم الغرض في أكثر منها
وفي بعض منها قاربتم ولكنت نبهتكم على هذا في كتاب كتبته اليكم قبل هذا
وأما ما تضمنتموه في الكتاب الثاني فقد زعمتم
فيه أنكم حملتم بعيرا وحملتم بعض الكلام حملا ثقيلا وذكرتم في
تأويلها أشياء من الفعل الغالي من مسائل التوجيه والعفيفة والجمع والتفرقة
وغير ذلك مما عدتم بدة وكذا وكذا وغير العبارات الذي قلتم من هو مثلي واقف
مع النظر الى نفسه وكذا وكذا وكذا يفهم ما يعني به أولياء الله بنصه فكيف
ما يذكرونه باشارة أو تلويح وأنا لم أفض قدما تقريبا ذا بشارة ولن
تعنت في العبارة في مقاصدها أو وزن ذلك بحسب ما يليق بالكلام
المتكلم عليه والذي أوجب ذلك لكم حتى لم تعرفوا على المقصود بأول وهلة
والله تعالى أعلم ما تحمل في اثناء ذلك السجع من الحشو والحزو والكلام
انما ارتبط بعضه ببعض على تقرير بقاء ذلك الحشو ثابتا بالمعنى وفي ذلك
تفكك الكلام وحصول الاشكال والابهام ومن أول الكلام المنحو الى
آخر الكلمات المسجعة إنما قصرت به الكتاب الذي كتبته في شأن الرجل
الذي كان عندكم وأردت بذلك أن يفهم أمره المتأمر ليتيقظ عليه وينهل

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الغرض الذي قصد إليه. وكان إذا خاط بيده فرغ منه تامّة وأهاج غيره
مني بغير إن كنت تعاملني عن غير طلب فلان ومني بيان الخطأ في تلك
النازلة فاغتممت لذلك وكتبته كتاباً مستغفلاً بنفسه لم أخلف معه عيناً
فلما رأيته أن لم يجب شيئاً وأنا بيده بمنزلة غزيون في أرض خالية مع
أنه لو وقعت كراهية فلان لزلة أني عرضت به بيده وأنا أحبّ أن يصير
مني له ذلك ما يوافقه مصيباً كنت في غير ذلك أو مخطئاً عوّدت غيره الكلام
وقلت لا أنقطع عليه أحرّ سواه حتى أعلم لكم بهذا هو الذي أوجب
انقطاعه عن الكلام حتى لم تحصل منه فائدة ونصّ ما أعني منه وافتتح ما
أعرج عليه وكتب. وشبّه سوء الرمز في الخبز رغيف. وقول الجنيد ما
كذّب صاحبنا ولا كذب. الأخيرة بهذا ما قصرته بهذا السجع. وأما
السجع المتصل به من قبله فهو من تتمّة أغراض مفهومة مما تقدّمه
من الكلام فقوله كذلك لا يحصل المقصود من كتابه واحرص أن تحصل لي
المقصود من جوابكم عن كل ما يتضمّنه كتابي بنصّ أو قريب من كتابه
واحرص أكتب به إليكم والمحتاج الرمز راجعة بكتابه أخر أطلبه منكم فيه
كذا وكذا مما لا يحصى ولا يعدّ فنحتاج في غير ذلك إلى طول الانتظار
وتشوّف لا بيّن بما بنا عن الجواب لأن انتظاري لك يشبه من لم يشب
وينشب من لم ينتشب. أي أجر لك المثابر فلعلّ أني تشوّفاكم
ما يبرد على من جهتكم من كتاب تخبرني فيه بأشياء مما يظلم أن يتغاوص
فيه المتجاسر من أمور واقعة بكم أو نعيم كم وما قيل فيها وما خرجت إليه الى

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

إلى غير ذلك مما ينفصل به بل لم يقصر أنفسهم على ما هنا بحال غريب وأجر
من آخر خاصاً تناسب حالي وأمزجتهما بأن مزجه فتجدني أشتوحش لذلك
وأتألم من قبله فإذا ورد علي كتاب منكم كثير الجزم فيه كلام كثير
أعجبني ذلك من قبل أن أقرأه وقلت لعل فيه نشقاً فإذا فرائد وجرته عيني
مورد بغير فاوذلك كان على خلاف ذلك وهم أولى كنتم تعلمون
الغيب فقد أطن أن حبركم بكثرة الإشارات والتلويحات ومغربها
الغوامض والمقاصد وقلي ويكون ذلك في جميعة من ينتسب إلى من إليه
انتسب هذا الكلام هو الذي حملكم جملة على الكتابة كرتة
لكم لأنكم إذا عنيتم أنكم لا تغرون تأويله وإنما فصرت بذلك أن
كلامكم الذي أجرى في ذلك انتظار لكتابكم الذي أطمع أن يكون مرفيا
بغرضي تجدونه مكتوباً في صحيفتكم وإنما غيرت العبارة لأجل القافية
أو ما يشبه القافية ونعني بالانتساب النسب الذي اشتركنا فيه حسبما
كنتم ذكرتموه لي وقصرت بهذا الكلام نزعاً من المزاح الله حنيفة
أني أحب أن يكون في صحيفة لحرتباعة من قبلي فضلاً عنكم وهذا
أيضاً ليست بتباعة وإنما تشتهما في القاهر والتعيم الذي فتم به
هذا الكلام لا يحتمله ظاهر اللفظ أني عنيت فيه بمن الذي هي لمن يعقل
فقلت لمن إليه أنتسب ولو أردت ما ذكرتم لقلت لما إليه انتسب
ثم إن ما ذكرتم يبنوع من دعوى انتساب الطريق العزوم وأما
أنا فدرأ دعوى انتساب الزلل إلى القاسم عليه وأبقع من على من

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

بقولي في مقدمة التنبيه - رحم الله ابن كمال - ومن علينا بالانتماء إلى
مذاهبهم: وبالانتساب إلى كريم مناسبهم: بأن بالانتماء وبالانتساب
هنا إلى كبير عضاب إلى إضافة محضة بيكون ذلك دعوى وإنما استند
ذلك إلى الله عز وجل واغتررت في هذا بأشياء ما الحقير علي وعلى غيري
من الاعتقاد تلك النسبة وبحوث من الله تعالى لما الحقير من ذلك ما ألهم
أن يكون محققا بأن ينفع بأمر كذلك حقيره بالكريم إذا ادعى عليه
شيء مما في يديه: ويكون المدعي أو من ادعى له مبتغيا إليه:
بصرفه في دعواه: ويبسوغ له هبته وجرداه: فما الحقير من ضرر
منه تلفيق تلك الدعوى: وكان عالما بالسير والنحو: فيما ذكر نعم المولى
وقولي بافهم إذا شاء وأجب ليتنع منكم الوجوب بالغرض الذي
تقرر ذكر ذلك وقولي فإن لم تفعله تلك تصب أي تنع على المنصوص
عنه: وقولي وإن لم تفعله أخذا مما يجب من جواب فاجب
عليكم ولزم بعلم كما أفعل أصنع وذلك أني أخرت كتابكم وإجابته
بليا بحيث لا يشذ عني منه شيء مما يقتضي مني جوابا لكم فإن تركت
منه شيئا فإنما تركته لتعذر الغرض أو أني أرى لكم فيه مصلحة
وإذا قدرة ويستقيم ذلك مني لم يزد الشيخوخة التي أدعيتموها
في كما شاء الله تعالى وقدره: وقد وافقتكم على جواب جميع ما
أردتم ذيل به وإن شئتم به هذا الحرف فإن قلت شأن الشيخ
أن يطالب تلميذه بشيء من حقوقه وأنتم أصدروا بتقدم ذلك منه

مفتاح
الشروح مع التلميذ

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ولا ينعبه ولا يكدر عليه عيشه وإنما يسعى فيما يعود عليه بالمصالح
الدينية والدنيوية وذلك أن الشيخ فرقرخ من تأديب نفسه وتهذيبها وأنت
يا أيها المتكلم لم تفعل شيئا من ذلك لأن هذه المكالب كلها التشاغل
بها مما يشتت الهم ويعرو القلب وأنت تدعوني الى ذلك وتحرضني عليه
تحصيلا لغرضك الذي تعود علي منه مصلحة معتبرة مما يفصل
به الشيخ تلميذه ومربيه بل ربما أداه وشق عليه **فاقول**
هذا كله مما ينهال عواكم في مقام الشيخوخة وجميع ما استرلتم
به على ذلك المسافة لا يقوم على ساق ولا يزن ضئيلا بشيخوخة نضحك
عليها البتة من الشيخوخة الحقيقية في شيء بحيث يقع فيها ما ذكرتم
مما لا يقع في الشيخوخة الحقيقية من طلب الحظوظ وذلك أغراض التي
لا تخفى بشيء منها المرير ولا تجر عليكم في ذلك وذاك ضلالات لا يقع
عليها سوال والبينة من فرض المريض ومن لا سبيل له الى النظر بعينيه يقع
بغير عين وفي حق بعض والبينة التي قيل في شهود بغض وذلك زمنه
وفاضحها لا كبر تغير بل ما به من أنها بهم يقال لي:

مريرط والزمان وأنت شيخ ... فريب غير فريب في فريب

وكان في البنية شهود ط عوضا من مريرط وفاضربرا من شيخ ولا
ترضوا بذلك احتجتم في هذا الزام الذي الزمناكم على لسانكم جوابا
مفحما ولن تجدوه ... فلم وجدتموه بغيره ... وقولي لا كبر لا يضحك عتاب
من على ذلك عتبا ... اي إن لم تصادف عرضي وعاتبكم على ذلك معاتب

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

بما نزل عتابه اياكم لا يستفيم ان تكليمي لكم فهم تلك الاشارات والتلويحات
والاجابة منكم على حسبها تكليم بنقط. يقع الاحالة فيه الغلط
فلا يستفيم فيه العتاب. ولنرجع الى قولنا في تعليله أن لام فيه عنه فرسخ
وجب. وقولنا يقولون حينئذ ما كذب صاحبنا والكذب هزام تنبئ
على المحو قبله والفوز هاهنا خالية. وليس كذلك. ولنرجع الى قولنا بعده ولسان
الحال افصح من لسان المقال فيما نحن وجب. ونعني بنزلنا أن تكونوا
عنوانها لعلمكم بالكتاب من ذكرته لكم في قولي وبنته من الرمز
في الخبر رغب على حال نقابه بمعنى الى الكلام فان رابكم من بعض من
تقرؤونه عليه بعض انكار. او ظاهر عما له بينه من الاتصال
فلتم في انفسكم الى الكلام ليلا يقع منكم في بنته لمن ذكرته لكم تقصير
او اجحاف. ومعنى ما كذب صاحبنا والكذب أن فيما ادعاه فيه. ومعنى
وما كذب أي ان العلم الحاصل له بنزلنا يقيني يشبه العلم المتلقى من
الفم المباشر في المتانة والقوة. بحيث لا يقع فيه وهم ولا احتمال. ولنرجع
قلنا بقوله ولا وهم ولا حسبة. واقتربت في تلك العبارة بابي عبد رضي الله
عنه حيث قال في قصة وفاته المشهورة للنفر الذين قولوا امره بشارة
لهم ملكوتية ولا كذبة لما أخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان قال له انكم تموتون بعلات من ذا المرض وتشهرد عصابة من المسلمين
أزكما قال صلى الله عليه وسلم وقولي شجب وكذب. وبنزلنا حينئذ وجب
صاد بفتح الغين في بعضهما ان المناصحة التي ذكرتم أني بنزلت بيننا

اصل علم

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

جُعْدِي هِيَ مَا تَضَمَّنَهُ عُنْوَانُ الْكِتَابِ فَقَطْ وَقَوْلِي وَلْيَسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِي مِنْ
دَأْمٍ مُعْتَرِضًا وَمُحْتَسِبًا أَيْ لِيَسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِي التَّكَلُّمِ بِهَذَا الْكَلَامِ مُعْتَرِضٍ
مِنْ عُقُولٍ وَمُحْتَسِبٍ مِنْ شَرْعٍ أَنَّهُ مُرَادٌ لِلْخَوْضِ فِيمَا مُخْتَرِعٌ عَنْهُ وَقَوْلِي
وَمُتَغَلِّبٍ كُلُّ مِنْ كَلَامٍ أَيْ مُنْغَلِبٍ يَنْغَلِبُ فَصَرَّتْ بِهِ خُصُومُ تِلْكَ
النَّازِلَةِ أَيْ يَتَغَلَّبُ مِنْ كَلَامٍ يَنْغَلِبُ دَأْمُورٍ وَضَعَ دَأْشْيَا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا
فِرْقَةُ الزُّورِ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَاصَّتُهُ أَيْ نَابَ يَطُورُ عَلَيْهِمْ
بِالْفَتْحِ وَدَأْنَابَ الَّذِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِمْ ثِيَابُهُمْ وَبَعْضُ عُقَلَاءِ أَوْلِيَاءِ
اللَّهِ تَعَالَى كَلَا بِضَمِّ رُوشَا يَتَّبِعُ مِنْهُمُ الْكَلَامُ وَتَصَرَّ مِنْهُمْ دَأَحْكَامٍ
وَمُضِلٌّ سَبِيلًا مِنْ بَقَامِ دَأَنْعَامٍ أَيْ مُنْغَلِبٍ يَنْغَلِبُ إِذَا انْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَبَرِحَ الْخَفَاءُ وَكَاوَزَهُ الشِّفَاءُ وَانْقَمَعَ مِنْ بَرِّ حَنَّ الرَّجَا هَنَالِكَ
يَفْرَحُ الْبَرُّ مِنْ بَرِّهِ وَيَقِفُ مِنَ التَّحَسُّرِ وَالتَّنَاسُفِ عَلَى بَرِّهِ وَيَوَدُّ لَمَا مَرَّ
مِنْهُ مِنْ عَظِيمِ الذَّنْبِ وَسُوءِ دَأَدَبٍ بِيَرِيرِ الرَّبِّ أَنْ يُرَدَّ الْأَمْرُ
فِيهَا تَهَيَّأَتْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ وَيَوْمَ
تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُسْرَانِ الَّذِي
لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ وَلَا جُبْرَانٌ وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَزِيدَنَا مِنْ خَشْيَةِ دَأَدَبِهِ وَالتَّعْظِيمِ
وَالتَّوْقِيرِ دَأَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِينَ تَعَهَّدَهُمْ وَكِيلًا وَرِضْوَانِهِ كَفِيلًا
وَلَمْ يُوَجِّهُوا لِمَنْ سِوَاهُ تَأْمِيلًا وَلَمْ يَزَلِ الْعَمَى عَلَى غَيْرِهِ تَعَوُّلًا وَاتَّبَعُوا
مَنَ الْوُفُودِ عَلَى فَرْعِ الْعُبُودِيَّةِ لَهُ تَبْرِيلًا وَتَحْرِيلًا مَا يُوجِبُ لَنَا
مِنْهُمُ الْقَبُولَ وَيُحَقِّقُ لَنَا شَفَاعَتَهُمْ فِي الْيَوْمِ الْمَهُولِ وَيُنْظِمُنَا فِي سِلْكِ

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

في سلك محبيهم وبجعلنا ممن يجيب دعوتهم ويلبيهم
يا عباد الله إن رسول الله من جاءكم بترك قسوة
فاقبلوه بقبول وارحموه واتبعوا به إلى الله العلي
فهذا ما أردت أن أذكركم في بيان ما اشكل عليكم وتبهتكم في عمله
على أشياء كنتم غافلين عنها لتعملوا على حسبها إن شئتم ولم يكن
في غرضي ذكرها حتى حركتموني لها وذكرتم في كتابكم أنكم
تركتم الرواية بالكلية وعلمتم فيها لذلك حتى نعتم كتاب الموطأ
وحرمتم أنفسكم بغير ذلك وما تحتاجون الركل سترا بل الستر أمامكم
أن تجعلوا ذلك من همتكم كل الجعل والله تعالى يصلح منا القول والفعل
ويعاملنا بالمنة والفضل إنه بما نحن له أهل

وبعد ففز بلغني كتابكم وأنتم تركبون
فيه وفاة سيدي الحاج فالله تعالى يرحمه ويبوئه ثم بحمده ويجزيه
عنا أفضل الجزاء فعز كان لكم نعم الصاحب والنجيب ولقد استراح
من متاعب الزنيا وفتنها وبقينا بغيره عز ما الزلال

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

وأعظم الفتن التي هي الكبائر تهافتت الزبر أزرا أم فيها يقول
الرسول الخاتمة والعياذ بالله وسبيل نجاتنا منها في عادة العموم
وداء اشكال والتراوز عليها كعنقاء مغرب أو جرجال ولزلة الفضوة
التي عمت فلربنا من آثار هذا كله لمتنا كمد الباء هنا بين المصائب

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

التي سترت علينا أبواب الرحمة . وقطعت عنا مواد العصمة . فانا
لله وانا اليه راجعون . وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم
يخافون من القبض الفاجئ في أديانهم فيبرؤون أن يقولوا على ما هم
عليه من الصفا والزكا قبل أن ينزل بهم ما يحولون به عن حالهم . وأي
شيء حالهم هي ما ذكرت صحة إيمانهم . وصفا يقينهم بسبب أنوار
النبوة التي فاضت عليهم من فيض هم للدنيا وايثارها خرجت عليها
وبذلهم الجهود اجتماعا فيما يوجب لهم الرضا المقلب الشريف وكانوا
في هذا الأمر منذ ظهر باكيين يتوصل به الى كل كبير بشفع
بوجود الحرية ازعة فيه ويغالبه عليه بكيف ترى يكون حاله
في التحرز والتحفظ . وفي حديث أبي جحيفة رضي الله عنه
أنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متنعم اللون
فقال ذهب صفو الدنيا وبقي الكدر فالموت اليوم تحفة لكل مسلم
فارتاع هذا الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أو أحد من أصحابه
رضي الله عنهم في زمانهم الصالح . فما أعسى أن يكون قولنا
نحن وأكثر مثل هذا القول انما يضر من قلبه حي بالايمان . متيقظ
للزيادة والنقصان . عالم بالصفا والكدر وما بقي منهما وما بان
وأما نحن فغرنا تنا منا الفلوب . واستولى عليها ران الذنوب . فضعف
بسبب ذلك ايماننا بالله واليوم الآخر . وصار حريتنا بزلك الحرية
مستنكرة بين الناس . فركنا الى قشرة الدار التي فيها نعتني ونعيش

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ع أنا لم نخل منها دارا على أطراف الريبة وقررنا بها عينا وإن
كان خاطها زورا ومينا. بحيث أنا نغر البغا بيها ولو ساعة ولحرة
غنيمة بارة. مع ما نلقى فيها من أنواع البلايا. وضروب
الرزايا. حتى إذا نزلنا أمرنا نفوسنا أن يكون في ضمنه الموت قامت
علينا القيامة. وانقلبت الرئيا بنا على عروشها استعارنا لها
فأين نحن من زمان يتمنى فيه الموت. ومن لنا به لو أدركناه لكنا
من الفائزين. ولكنا أخرنا إلى زمان ماتت فيه القلوب. وعدمت
فيه القلوب لما سلب منها من أنوار الإيمان. واستولى عليها من جنود
الشيطان. فما أحقنا بالبكاء بغير الدموع بالدما. وما أجدرنا
أن نكون على حال انقلنا أرضا وظلنا سماء. وأعظم المصاب
علينا أنا لم نجد أحدا ينبهنا على مثل هذا وينعش قلوبنا بحاله
أو مقاله. وإنما نجد من نزداد به قوة على الباطل ورسوخا
في الضلال وهم الرجاجلة الكذابون الذين خاف علينا منهم
الناصح لنا والشفيق علينا صلى الله عليه وسلم أكثر مما خافه
علينا من المسيح الدجال. ولعمري لئن ظهر عن قريب ليجدن ظمأ
الناس فيه أحوجها عنه. واستجابوا الرعونة من غير أن تحتاج
الركيبة مونة. وإنه لأن أولياءه كثير كما لا يخفى كفايته. والكافر
إذا ساء على المؤمن الذي لا يكفر جهارا لم يقبل منه ولم يستجب له فيما
تلقاه به من الرد واحتال عليه بالتلبيس بأمور تناسب حال المؤمن

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

يستقر وجه بذلك استقرارا جاحفيا ويستقر قد استقرارا فاما يشبع به
فجنبين تختص على قراءة أجمع وفي حديث الفتن والتعريب باظلما
حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم دعاه على أنواد جهنم
من أجابهم فرقوه بيما وما جاء به خريبة رضي الله عنه حين
سأله عن صفتهم فقال صلى الله عليه وسلم منهم قوم من جلدتنا يتكلمون
بالسنتنا اشارة الى المناسبة والمقاربة التي ذكرناها والله أعلم
وابليس لم يقدر على اغواء الى العابر من بني اسرائيل حتى بنا منجرا
فبالله منجره وزاء عليه في اجتماعه وتعذر وحيسر تمكن منه
والضال قد يحصل بعض ما به تنفع القرابة والتوفيق بيد الله من سبقت
له من الله العناية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا **وعند** كتب
هذا الكتاب وصل الي كتاب منكم تضمن أخبارا بأمور من جملتها
السؤال الذي سأل عنه الشريف الذي ذكرتم أن رؤيا اشكال عليه في ذلك
انما اثارة ما توهم من أن الروح اذا ارادت تغرغر وجها مضروبة
بالمشقة ومن أين له هذا فان قاسه على المحموم في النوم فلا مشقة
في ذلك وان قاسه على حال الموت فلا رؤيا هناك
تقارن فيه المشقة وانما تشاهد المشقة حال خروجه عند الموت
وفيما خروجها في الريح على خروجها عند الموت يستقيم
أن موجب وجوده الم منعي هنالك يعرض وجود البشرية التي
تشعر بالآلام واللذات الدنيا ويد والمشقة التي ذكرها تابعة

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

لزلل وهذا الفرق كاف في ازالة الاشكال والزيادة عليه وتحقيق القول
في كيفية هذا الأمر فصول يتسع الوقت أن يقال والأدب كيف يخفى هذا
على الفقهاء والصالحين الذين ذكرتم أن السائل سألهم فلم يجد
عندهم ما يشفيه فاما ان تكونوا احق ذكرتم ذا اشكال لم تحرروا
محله واما ان الامر حقيقة ما له أن يمر ببالك فهو **وما** ذكرتم في
هذا الكتاب والكتاب الذي قبله من أنكم أردتم المجيء الى هنا برسم الزيارة
ومقابلة الشرح وتصحيح بعض ما تضمنه وتسألوا هل لكم في ذلك زيارة
أم لا فالجواب والله الموفق للصواب أن السفر في هذا الزمان صالح
انه معتبر في حجره وفيه ان الزيارة فيه قليلة لا تفي بمتاعب السفر
وتشتت الحال وفراق الأهل في هذا الموسم وتعلل الخاطر بالاوزاد
والمسير وغير ذلك مع أن الامر يسير لا يفتقر في مثلها تشبث ولا
استمداد لمحالفة ولا كلام
اهم فتاحوا قلما اجتمعنا كان تسليمه علينا وداعا
مع أن نزاور ذا اخرار بالاسرار والليل يقوم مقام لسان يكتم سرهما ان
ومقابلة الشرح هي مقتضى السوسنة التي تحبتكم بزر وابذ اثنين
وتصحيح معانيه على وجه البرار والكرم خلع العذار وقطع
الزنار وعدم الوقوف مع جنة أو نار هذا الذي يلوح ذا ما اوذ ظهر
على نفسه فليتحل مرفات محمره وليتحر له فيها نصيبا وافرا تتمم
وتمثيل قبل ارسله ذلك الشخص بالتعبير ليستقيم بما يظهر لي ان

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

النفس مما لم للقبح في أخلاقه وأخراجه وكل ما لم القبح معلوم
أنه ألم فيه وإما مشقة وأما خول الروح وخروجها من الجسد
بأمر غريب ليس فيه تشاكل ولا مناسبة فوجد ما لم في هذا ليس
بمستبعد ولو أمثاله رتنا حال النوم واليقظة وما يجري في خول
الروح وخروجها في هذا من وفور الألم وعدم المنافرة للزمنا ما
أشكل على هذا الشريف طوخ وحمام: وبغير علم رسول الله أفضل
الصلاة والسلام: **وقد** تفقهتم في مسئلة الشيخوخة ورددتم
الكلام في حفظ النفيس وعدم حفظ النفيس والخلاف في هذا بيننا
خلاف في شهادة أنتم تقولون حفظ نفيس محمود وأنا أقول حفظ نفيس
مذموم: ورفع الخلاف في هذا بيننا موكول إلى الحي القيوم يرى الكل
خير تفقهتم في تلك المسئلة وأخرتم وأغلظتم فيها بقانا الله ورد عليكم
سوءاتكم أشغل به بالكم: واتحف بجوابه من الحظ النفيس في مقرار
ما نالكم: ليفتح لي الفرح ورد استبشارك إذا صاء فتم فيه الحزن والصواب
ورد اكتئابك ورد انكسارك إذا فاض منكم عن هذا الجواب: **ومنه**
أن رجلا ممن ينتحل الطريقة البغدادية جاز نزل الروم فلم يرمنهم
إقبالا عليه فسفلوا من عينه وجعل يبكي على ثوب طريقة البغدادية
وخلا الدنيا من أهلها وتبرأ مما لابد منهم واستحالة ما عهم فلم عليه
فلما سمعت بذلك قلت لو يفهم هذا الرجل في قلبه ولم يشغل بزيارة
الخير وكان يوفر على نفسه العناء والتعب في فقد المنافقة الخبيثة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

برنم ذلك مع ضيق الوقت وتشوشه وخوف القريو وقلة المضغة
كان أول به وأسلم له في منقلبه. فأخبروني أي سبب هذا وما الذي
يلزمكم فيه وما كان حق هذا الزائر أن يكون في قضاء الزيارة
فإن أجبتموني عن هذا الجواب شافيا سررتموني بذلك وعلمت أن
سعيي معكم لم يضع من كل الوجوه وإنما قلت من كل الوجوه أن
بعضه قد ضاع من جهة منها وذلك من جهة ما يرجع إلى من تحسين
نيته واخلاص عمله وإنما هي ذلك كما شاء الله عز وجل وما انبنى على
مثل هذا مما يحمل ذا هبة أن ينفع عليه يقيم أكثر هذا الكلام منع من
حصول الخير على يد من شاء الله عز وجل لصحة قول النبي صلى الله
عليه وسلم إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا يستقيم أحد صلح على
يديه أحق أن يزهد في صحة حاله فيما يسند ويزري به أن هذا الحديث
يرد عليه ويرجع في ضره والنفع في هذا عند والله أعلم أن من
أحتاله حيفة من الخلق ووجد محلا قابلا لما فيما به لم تبلغه
وما أن يذكرها ولو نشر بالمناشير وهذا على ذلك بالبلم الغراب ودع
نيته هي ذلك تصح أو ما تصح أن يحج الله تعالى أن يتقبل وأبى من أن يفيض
الله لما فيها من شاء الله عز وجل من مؤمن أو كافر أو صبي أو مجنون
واعتبر هذا المعنى بقصة الراهب الذي اجتمع به ابراهيم بن أدهم
رضي الله عنه في صومعته وأعطاه من فوقه وباعه من فوقه
بخال من الثمن وعتابه له على عدم بيعه منهم باضعاف ذلك

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdelaziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

واحتمار له عزته عليهم وعلم أخره في قلوبهم مع اعتقاده على
نفسه بالكبر بين يديه وعبادته اياه الى خلوص التوحيد وابطال كل
معبود سوى الله عز وجل ولم يعتم في ذلك ما يخاف على نفسه من
ابرهيم بن أدهم من هتك ستره وتبيين أمره وآخذه اتباع حتى
يبدو انظرهم فيه ويصفوه في وجهه وكنه كان مفهوما على
ذلك لم يجد انفكاكا وما سبيل الى أن يتكلم بذلك الكلام الخفي في
ابرهيم بن أدهم مع مشوره فيه أهليته ذلك ولذلك قال ابرهيم
بن أدهم في ابتداء تلك القصة تعلمت العربية من راهب وما تعلمتها
منه الا من هذا الوجه أنه رأى عجزه ومسكنته وعدم تمالكه بيما عساه
يعتريه بيما أراد اليه ما هو عليه من حال الكفر من الخيانة والغدر
أو ما يضاد اتباع الزنديق يتوقعه ويغتفر وزر ريبته أو ما
يشبه الريبة وما ذلك الا أن الله تعالى أقام حجته على لسانه
وجرى بكون ما كان وعلى هذا المنهج خالي جار غير محمود في ذلك
ولا مشكور ولا مثاب ولا ماجور والحمد والشكر لله رب العلمين
وانظر ما ذكرناه هاهنا لم يكن في خاطري منه شيء حتى
قلته وعلمت أن سعيي معكم غير ضايع من كل الوجوه ثم تسلسل
الكلام وجرى القلم بما تروز وهو الفاهر فوق عباده وان لم تجيبوني
على ذلك بجواب شافي فانتم تروز ما أريد أن أقول والله تعالى يعلم
من العبد ما برز فانه النبوة ويبلغ المأمول واتباع سبيل الرسول

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

المبرا من الغوى بما يفعل ويقول عنه وكرمه

وبعد فقد بلغنا كتابكم المشتمل على المسائل المتنازع فيها وطلبتم منا فيه بيان ما الحق فيها **أما** مسئلة رؤية الله ولياته للملائكة على وجه الكرامة أما الجواز فلا ينبغي أحد أن ينكره وإذا كانت رؤية الله تعالى على وجه الكرامة جائزة في الدنيا على أحد فولي شيئا أي الخمس فجوازها في حق الملائكة أولى وأما الوقوع فقد نقل أن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم رأوه كما كثر على صورهم التي هم عليها وبكفي في ذلك الحديث الصحيح الذي ذكر فيه الإسلام والإيمان والإحسان وفي آخره فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم **وأما** عائشة رضي الله عنها فهي بغضها أحاديث أنها رأت جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي وفي بعضها لم تره وإنما قال ذلك النبي صلى الله عليه وسلم هذا جبريل يقرئك السلام فقالت عائشة وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا نرى تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم **وأما** عمر بن العاص رضي الله عنه فلا علم له برؤيته لهم وإنما المنقول عنه أن الملائكة كانت تزوره وتسلم عليه ثلاث مرات في بعض طرق خبره وكانت الملائكة تسلم عليه من حيث لا يراهم فالاحتجاج بخبره على رؤية الملائكة لا يصح والله تعالى أعلم وأما جزوي في ذلك بين الصحابة وغيرهم مما يتهم لي

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وقول من قال انه لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح ولا
أن بركته لا تختص بالصحابة بل اتباعه كلهم تشملهم بركته وسائر
كراماتهم معجزة له صلى الله عليه وسلم لما هو معلوم من رؤية الملائكة
من أولياء الله تعالى الغارمين على هذا الوجه لم ينبغ ذا انكار عليه
فإن قيل إنما حصل العلم للصحابة رضي الله عنهم بكون الزبير
رأوهم الملائكة من جهة اخبار النبي صلى الله عليه وسلم اياهم
بذلك وهو الصادق المصدوق فمن أين يعلم ذلك من بعدهم قلنا
لا يستحيل في مقدور الله تعالى أن يخلق الله عز وجل لهم علما ضروريا
بذلك إذا قامت رؤية النبي صلى الله عليه وسلم واخباره والعلم
الموهوب لا ينكر وقد ذكر الشيخ أبو طالب رضي الله عنه وتبعه
الشيخ ابو حامد العزالي والنص له عن تغض الغارمين فالطف لي
الملك عسى أن أملي عليه شيئا من ذكر الخضر الحكاية الى
آخرها. وقد نقل سيدي عبد النور في الكتاب الذي الفه من كرامات
سيدي ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وجملة من علومه وكلامه
حاكيا عن الشيخ أبي العباس المرسي عن ابي عبد الله الفرديس قال
سألت سيدي عبد الله الحبيبي وكان من كبار أصحاب سيدي ابي الحسن
وقلت له يا سيدي اخبرني بشيء مما رأيته من احوال سيدي ابي الحسن
رضي الله تعالى عنه فقال لي نزلت معه وفتى من جبل زغوان وهو
راكب وأنا اسير خلفه فقال لي يا عبد الله اذا ورد علي حال

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فاترك الرابة تسير حيث توجهت وانعم صباحي شيء فيما تحن
تسير وإذا به قد كساه من الغيب بهيه وإذا بسحابة طيبة
سرت ما بين السماء والأرض فزالت ظلمته وإذا بأزهار من القيم بيض
يفرمها طيب كثير فاكتب على القيم العظيم للشيخ بالجنة وجعل
منارة في قمة الشيخ وبقي دائر كذلك مرة وارتفع ذلك وذهب القيم
ورجع الشيخ الرحيم فنظر إليّ وقال يا عبد الله رأيت شيئا فقلت له
نعم رأيت كرامة كرمت لك ما ذكرت لك فقال لي أما سحابة القيم
فبقي أرواح كل ولي لله تعالى وأما القيم الكبير الذي يقوم الطيور
البيض فهو الملك عند رب صاحب ذلك القيم سألني في علم نختص به
وأسبل الرتبة أحد من هو دائما يمنة وتكبير فهذا ما خصني به
وكان من التعلق في هذا المعنى أني كتبته مستعجلا **وأما** رؤية الملائكة
على الصور التي هم عليها فلم ينقل عن أحد من أولياء الله رأى كذلك
والذي فهم أن ذلك من خواص الأنبياء عليهم السلام ولعل ما وقع للفقير
عياض في ذلك إنما هو في إعارة ربهم على هذا الوجه إنني في هذا
الوجه فربح وجود الاجتماع ومن ادعى ما يخالف الاجتماع فهو
يكفر بذلك وكلام عياض لم أقف عليه ولم يتسع الوقت استعارة
الكتاب الذي هو فيه فهذا ما خطر لي والله تعالى أعلم على أن
التشاغل بمثل هذا بضول الخ هو شيء لا يتعلق به عمل **وأما**
المسئلة التي جرت بينكم وبين فلان في السلوك والحزب فالذي يفهم لي

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

أن السلوك ابرله رجز يتقدمه والجزء الذي يلزمه أن يكون له سلوك
يتقدمه بل يكون الجزء ابتداء ثم يأخذ في السلوك ثانيا فان معنى
قوله ابرئ في الحزب من سلوك السلوك الذي في ثاني حال يصح و
أما في ابتداء فلا يصح للزوم التسلسل وقد ذكرت هذا المعنى
في بعض طرر تلك الكراسة: **وأما** المسئلة التي تنازعتم فيها
مع فلان قبل اختلافكم على الحقيقة أن الولي إذا فعل فعلا منكرا
في الظاهر أمكن له تأويل يسوغه الشرع كمسائل الحصر فإن الفعل
يفهم جواز فعلها ثم عفا وإن ينكر ذلك وإما ما لا يمكن فيه تأويل
يسوغه الشرع فإن الشرع لا يجوز ولا يقع من الولي إلا على سبيل
الغلبة والهفوة والفعل بياعز على هذا أيضا بما الحزب هو
من اعتبار نفي الفعل صحيح وإنما أخطأ في أحاد الجزويات وما
أخرجوه أنتم من اعتبار التأويل صحيح وإنما أخطأتم في الغاية
نفي الفعل واذا عاتبكم أنه معزول عن الولي وليس هذا من المواضع
التي ينفي فيها نفي الفعل فإن الأحكام الشرعية يدار عليها نفي
الفعل إنما هو أمر من موضوعة لبيت بات المكلفين وتفعل لهم أو
لازم وإنما يكون الفعل معزولا في مسائل الاعتداءات وذلك بمعنى أنه
لا يتصرف فيها بفعل ولا تكييف **وأما** مسئلة السالك المجذوب
والمجذوب السالك وتقدم أحدهما على الآخر في استعفاء والشيخ وقد
فالذي يظهر لي صحة ما قاله السهروردي رحمه الله تعالى أن المجذوب

المجذوب السالك
أولى بالتقديم

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

السالك أنجح تربية من السالك المجذوب فيصل به الى ربه في أقرب مدة
لأن سلوكه كان على بينة وبغير تقدم مشاهدة فالسالك على يديه
يتم إيابه منه ما ينتهي به مرارة سلوكه ويوجد حلاوة فيه لأن سلوك
شيخه كان على هذه الوتيرة وكان ارتباطه بين حال الشيخ وحال
التلميذ أمر متعذر بهذا النظر يتجه للشيخوخة من ذكرناه
على ذاكر وأما ما رجحتم به من كون المجذوب بمنزلة من أخذ المنديل
وخلع عليه خلعة عناية به ومحبة له والسالك بمنزلة من قيل له سر الى
موضع كذا وأعطيك كذا فليس بمناسب لما ادعيتموه وهو
ناقص حتى يتم بما ذكرناه وما احتج به المناظر لكم في تقديم السالك
المجذوب فهو بعيد المناسبة بما يرجع الى الشيخوخة والتلمذة لأن
ذاكر الذي ترتب للسالك المجذوب على مجاهدته ومكابدته كما اشرنا له
في ترجيح حاله على حال ذاكر في ذكر الذي ذكرناه وذكر
ذاكر هاهنا ثقيل لا ينبغي أن يتكلم به كل من ينتسب الى طريقة
التصوف لأن القوم لم يألفوه ولم يتحملوا عليه بل يعدون ذكرهم
اليد بناء من الزهو بأن الراجع الى حقد النفس وهم انما يحملون
في طريقهم على أن الله كل حقد لهم حتى تتحقق بذلك عبوديتهم وهذا
هو حال أهل الغرب السائرين الى الله تعالى بالقلب. وأما ذاكر التبعات
الى ذاكر بهو شان ذاكر الابرار العاملين بهو اهر الفاعلات الموظفة على
الجوارح المحسوسات. وكان من دخل الجزاء في هذا ذاكر وقولكم

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

في الرد عليه ليس من شأن المتصوف النظر في مخابراته ومكاتباته
وما لا يصح له علمنا صحيح مليح. ومن أين لكم هذا الزمان مساعدة
الريح. فاحمدوا الله تعالى الذي هو أكرم. واشكروه على ما أولاكم.
وتهيئوا بإذن الله لاستقبال أيام المعارف وإضاءة أنوارها. وتهنئوا بما
آتاكم الله من فضله وعوا الشمعة تحمي نارها. **وأما** المولد
فالذي يظهر لي أنه بدعة من أعياد المسلمين ومتوهم من مواسمهم
وكل أمر يفعل فيه مما يقتضيه وجود الفرح والسرور بذلك
المولد المبارك من إيقاد الشمع. وامتاع البصر والسمع. والتزين
بلبس فاخر الثياب وركوب فاره الدواب. أعم مباح إنكاره على أحد
فيما سوى على غير من اعتاد فيه الفرح والسرور بذلك المولد المبارك
والحكم بكون هذا أو شيئا بدعة في هذا الوقت الذي ظهر فيه
سر الوجود وارتفع فيه علم الشهود. وانقشع بسببه ظلام
الكفر والجحود. وأما قولكم أن هذا الزمان ليس من المواسم
المشروعة لأهل الإيمان. ومقارنته لذلك بالنيروز والمهرجان
أمر مستقل تشمئز منه القلوب السليمة. وترفعه ذرا المستقيمة
ولقد كنت هنا فيما خلا من الزمان خرجت في يوم مولد الرساحل
البحر فاتفق أن زرت هنالك سيدي النجاح بن غانم رحمه الله
وجماعة من أصحابه وقد أخرج بعضهم طعاما مختصرا
ليأكلوه فلما فرغوا من ذلك أراد أن يمشي مشاركتهم في ذلك وكنت

اذا ذهب الى صائما فقلت لهم إني صائم فتكلم الذي سيبرح الصباح فظهر
منكرة وقال لي ما معناه أن هذا اليوم يوم فرح وسرور يستقبح
في مثله الصيام بمنزلة يوم العيد فتأملت كلامه فوجدته حقا
وكأني كنت نائما فأيقظني فأنكر المناكر التي ألفت في العامة
من اجتماع الرجال والنساء وتزاحمهم وتضاممهم وداء ضعفاء
بالسنح وارتسال البصر في المستحسنات المحظورة المسموعة
والمنكورة عن تشاغل الوزراء بالهاذ كارود اشعار وقبل
اشتهار ضو النهار هي التي نكر وصفا هذه الحالة المرضية وتجب
للمتربص أن يتشاغل بما يؤنع في هذه البلية وأن يسر هذا النباب
على نفسه بالكلية فإذا تركتم العمل بذلك الأجل ما يؤول اليه من
البضاع والأجل كون نزعة يوم يتركه في كل حال من الأحوال
كانت نيتكم فيه صحيحة وأبصركم نوم النائم وقيام الصالح
بسبب ذلك واحاجة بكم الزوم النائم بتقرير رجوعكم الى الحالة
الاولى وسركم المسير في ذلك الوقت واوجد له مع أن ذلك لكم يقوم
منفعة واداء الزمن حرف العادة بانخالهم في ذلك اليوم المكاتب
لا سيما الذين يتسافرون بالبور والقبل وانواع القرب والشبكة
فلم ينصفها صاحبها للصيد في مكنة وقوعه فيها لم يفهم منه
بقابل وأما مرتبة ضيا في المسير في ذلك اليوم المبارك بقرفة
بينه وبين عشرة من ذا يام وتجعلون فيه اربعة مصابيح أو خمسة

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

او ستة أو سبعة او عشرة وان كان له شمعا فقوا خمس
وبتنا على دار اهله فاخذوا ما لوا جهم واحرابهم اشيا غيم
له الرفاء الشمع التمار فاطلقوا دار اهله واسلكوا في عمل
مسلك اغنياء وحكم ما يعطاكم فيه حكم ما يقطاكم في
أغنياء المسلمين اذا لم يقصر بن له عرض فاسرف في البر وأما
الحكم بن له والقضاء به فوظيفة امراء والسلاطين وعليهم النظر
بما يجوز من ذلك وما لا يجوز فاذا التزمتم هذا كله وانشرحت
صدوركم له ولم تجدوا في أنفسكم زعونة من ترك محالفة الناس
بما اعتادوه او ترك موافقتهم على الفرد فاقصا ما اراده
وطيبتم نفسا عما عساه يتعطل لغنم كم من متاع التجارة
ويفوتكم من ذلك بسبب ما عملتم عليه من التجارة التي كانت
كانت حالكم صحيحة ليس فيها سقم ولا علة وهو معيار صاف و
تمتعون به حالكم وتتعرفون منه صوابكم ومحالكم والله تعالى ولي
التوفيق **وقد وصلنا**
كتابكم وأنتم تذكرون فيه اشيا من جملتها انكم سالتم عن العلة
في تلك المسئلة على طريق الناصة والذريعة فيما علتم عنها وهي
مبنية في كلامي على أول مسئلة من مسائل ابن عكاشة ولما كان المعنى
في ذلك يعمهم كل جزء فاقرة فيه أكثر الناس قبل ما اضر
ذلك بهم لم أذكره ولم اسبط الكلام عليه واكتفيت في ذلك

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ما لا يعنيه وكما شاء ﴿ ومنها أنكم ذكرتم أنكم حاولتم الجواب
على تلك المسئلة التي ألقيتها عليكم وأشرتم إلى أن جوابها راجع
إلى ما تضمنه الكتاب الذي فيه جواب فلان وأن فيه كذا وكذا إشارة إليه
وكأن تنزيلها على غير النازلة هو المقلوب ﴿ وما ذكرتم من
فوزكم وبالجملة فأنتم تقلبوني وترشدوني للأدب بين يدي الله
إلى آخره كلام مجمل لا يفهم كل أحد بعضه أيما من تلك النازلة
كل المماسة ومقلوبه إنما هو ما ذكرته من التنزيل الذي يحتاج
فيه إلى التهويل وكأمر بالتشاغل بمثل هذا ووقع الوقت فيه
أي أحق الناس من نفسي أني إذا بقيت بلا شغل يصيبني فتك
وضيق فتعرضني لشيء أعتذر أنما أتبعني كل السبعة
في حالة مثال قبل زيما ضربته لك وأحسب أن جميع الناس مثلي
والله تعالى يلطف بي ﴿ فإن شعرتم بمثل هذا الحال التي من أنفسكم
فردوكم وما تتشاغلون به وإن لم تجدوه فحينئذ ألقوا بما عليتم
فتقابلوا عن جميع ذلك فقد أغناكم الله عنه وعن غيره ﴿ وذكرتم
في الكتاب الآخر أنكم أردتم حضوري وأنا الموجود فحضرتم ثم
وارد تم مني وكما شاء لكم بما تفعلون هل تستمرون على الحضور
أو تقتنعون لذلك بالحضور والنور ولم نفهم لي ما أشير به
عليكم وحضور مجالس العلم بركة كل ما تتعطل الذي كانت له
فيه نية صالحة محفوظة ﴿ قلوا أخبروني بالذي فتح عليكم منها

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

لكنت أنظر معكم فيها وخير لغير مخبر ونبي بشيء من ذلك إذا رأيتها قول لكم
وقد كنت بعثت إليكم جواب الكتاب الذي بلغنا قبل هذا وتحققت
وصوله إليكم لأن العامل لا يقصر موثوق به وله فيه منفعة وقد ذكرت
لكم ما فهمته في تلك المسائل وكنت استعجلت في كتب ذلك الكتاب وبقي
علي بسبب ذلك أمور هاأنا أنبهكم عليها أما مسئلة رؤية الملائكة
فذكرت لكم ما فهمته فيها ولم أذكر في ذلك نصا آخر من أيمتنا
ولم يخطر ببالي ذلك والمسئلة فنص عليها أبو حامد الغزالي
رضي الله عنه في كتاب عجائب القلب وذكر نحوا مما قلناه وابلغ منه
فانظروه هناك والإمام أبو حامد عظيم القدر.

إذا قالت حذام فصدقوها ... فإن القول ما قالت حذام

وما يقبل عن القاضي عياض ما يخالف ذلك لم أقف عليه كما تقدم
أنتم عليه ولعل مذهب ذلك البعض هم فيه والله تعالى أعلم وفي
الكلام على السالم المجزوم والمجزوم السالم استرسال أوجبه
عزم التأمل فيما كتبتم به وذلك أنكم لما استرسلتم على تقرير
ما قررتم على آخر ما ذكرتم من الكلام قلت لكم إن ذلك الكلام غير
مناسب لرعوا كم تقريره من ذكرتم من الكلام قلت لكم أن ذلك غير
مناسب لتقريره للمشيخة وقلت لكم انه ناقص حتى يتم بما ذكرناه
لكم وذلك لأن كلامه صحيح بالنظر الذي لذلك أعني تقريره للشيخوخة ومع
قطع النظر عن ذلك وإعادة ما أفضى بنا آخر ما في نفسه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ربما نفهم بتاء في الراي ما ظهر لكم من تقديم المجذوب السالك على
السالك المجذوب وليس نفهم له فرقا بينهما من جهة الحقيقة انهما
اشتركا جميعا في كون كل واحد منهما غير ناظر لعمله والطالب
به حظا لنفسه وحاصل الامر هما ان المجذوب السالك وجد بالذهب
وهو تعرف بوجه الى المعرفة التامة بما يترادف به من السلوك وآخر
فوز بالعنف وهو ايضا تعرف يتوصل الى معرفة تامة بما يترادف به
من الجذب وكلا مما مجذوبان فقد خلع عليهما خلعة العناية والمحبة
والمكابدة التي لزمت أحدهما وزاد آخر بعد آخر بتخليصه وصوله
الى تنغيصه كما ان الراحة التي هي من شان آخر بعد تخليصه وصوله
الى تكميله بمشي أين يقع تفضيل أحدهما على آخر فاذا تقرر
هذا ظهر أن ما مثلتم به حال الشخصين غير موف بالغرض في
تقديم المجذوب السالك على السالك المجذوب وكلام الشعراني
لم أذكره ولم أقف عليه ولم يقع بيدي كتابه وهذا كله في
فضول الله تعالى يختص منه وقد كنا في خلاص لو ان الفقير
الذي ليس للعبد منه ملجأ ولا مناص

وقد بلغنا

كتابكم وذكرتم فيه أنكم وقفتم على جواب المسائل التي سألتموني
عنها ومن جملتها مسئلة المولد المبارك وحكمتم بأن ما ذكرته
فيها في غاية الحسن وأنه لغسكم انشأت من اجتماع وقد
الشمع مع فراغ الراح وتفرغ القلب عليها ولم يعجبني هذا الكلام

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

منكم أني تعرفت منه إليكم ما ارتضاه من سلوك مسلك الناس فيما يعلونه
ذلك اليوم بالكلية وبراءة وذلك الزي مخصوص أو عفا عنهم بالكلية
حتى تكون علما بين الجمهور كما أردتم أن يكون آخر هذين
الوجهين على وجه لا ينكره شرع ولا يتوجه قبل من يعمله زجر
ولا رادع وخصوصا الوجه الأول فإذا لم تجدوا ما يمنعكم منه
كما بينت نفوسكم بعمله وانشرحت صدوركم به آخرا وأولا وهذا
المسلك الذي سلكتم في معاملتكم لربكم في هذه النازلة ليس بمرضي
عند أرباب التوفيق الذين استضاءوا بأنوار المعرفة والتحقيق أن
العبد من شأنه أن يكون له غرض يراعيه ويوقع أن يوافقه مولاه
عليه وأدبه في هذا حينئذ له من وقوع موافقة مولاه له وامتثال غرضه
وذلك بأن يكون غرضه تابعا لما يأمر به مولاه فإذا ورد منه ما يكون
له به غرض فذلك هو الزبر بالشعر وإذا كان غرضه ملغى البتة
به وأنتم في هذه النازلة جريتم على طريق الأدب وإن كنتم عازمين
على القيام بما عليكم وجب والله تعالى يغفر لنا ولكم ومن هذا
كله من قولكم إنا إن ذكرتم لي ما ينافضه فأنا راجع إليه فلو لا
تشوفكم الزائد لما نصصتم عليه وكيف إنكم لو لم ما ينافضه
والحال هذه لجاز لنا الرجاء كرتم لكم حتى لم نجد محيطا عنه علما فإن
جمعنا بين وقوع النهي وذلك المقال المعروف لم يخل الأمر المتوهم
من وقوع المنكر المألوف فشتان ما بين مراتبي وما يوجب الزجر

كيف يستحيل عاقل أن يفعله أيها العالم ضاق الناس من غير الجزو
آخره فإذا أوفرتم من المطابع ما تيسر واشتغلوا واحد منهم في
كل يوم اعتبروا تكرر لم يقع هذا الشيء ما يخزوا وينكروه وجعله
لكم العامرة المالوفة ذلك اليوم من مجيء الصبيان اليكم وانشيالهم بالتحف
والظرف عليكم ولم أقل لكم أن فروا عليكم الباب فتزيل حتى يوجب
الرأي التخلص من المنكر سبيل ولكن سلكنا طريقا وسطا بين
التكثير والتقليل والرمي بغارب التقليل أميل كذلك يجتمع لنا القيام
بحق المولى واغتنام البار المجرد والسلامة من المنكر المتيقن والله
تعالى الموفق والمؤيد ذلك أن تدعوا رجال متولي أمر فيزيلوا عن
المنكر بالضرب والقهر ويرتفع الشر بما هو منه أشر فأنتم
أعلم وذلك أحكام السلطانية أخل فيها **وأما** المسئلة التي
وقعت بينكم وبين فلان فلم يقع منكم تحرير لها وإنما تعرض هكذا
هل يقع الولي في شيء من شأن العقل أن ينكروا أبرا ويقبلوا أم أبرا
سؤال جوابه أيقع ذلك ويضر منه أم على سبيل العلة والصفوة
وينبغي أن يفهم خلاف هذا في عرض المسئلة وجوابها وقول القائل
ما يفهمه العقل باطل فإذا بين له ظهر للعقل صحته فكان صحيحا
كلام محتمل والله تعالى أعلم أن الباطل باطل أبرا والصحيح صحيح أبرا والعقل
ليس له حكم وإنما ذلك إذا رأى الحكم أعني أنه يرى كون فعل كذا حسنا
في نظر الشرع أو قبيحا في نظره والعقل الحكم بحسنه وقبحه

هل يقع الولي في شيء من شأن العقل أن ينكروا أبرا ويقبلوا أم أبرا

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وإذا تصفح العاقل الشرع وعلم أن بيده أمورا ظاهرة وأسرارا باطنة
لم يتجاسر أن ينكر على أحد شيئا تم فيه الخير وغلا فربما وقع في
غفلة يوما ما موافقة للشرع ظاهرا وباطنا. وكل أمر مبني على أن
الله عز وجل إذا أن يكون عقله موترا بنور البصيرة فحينئذ يلوح له
الباطل من الحق ويستبين. وبهذا المعنى الذي ذكرناه من كون العقل
يردع ويحكم لا يصح الزام الذي الزمتموه. بهذا الزام في نفس الأمر
ومن يصح الزام على المعنى الذي فهمتموه. **وقد تلقيتي**
كتابكم وذكرتم فيه أمورا منها أنه وصلكم الكتاب الذي وجهت إليكم مع بلال
وذكرتم أنه لاح لكم تعنتي ما اشكل عليكم من تلك المسئلة التي تضمنها كتاب
بلال لما عاودتم النظر فيها وليتكم كنتم بعلتم هذا أول مرة فلم تحتاجوا إلى
سؤالي ولا مراجعة. **وأما** ما كتبتم في جواب تلك المسئلة بعنوني غاية
الحسن ونهاية الاتقان وفرصاد بتم الغرض وعثرتم على المقصود المعتبر
والأمر على كلا مكم بيها بالحمد لله الذي وفقكم لذلك وجعلكم ممن حقق
بحقوق الأمور ولم يحد بها قبل بشيء منها فقد اهذا الوقت ولم يجدوا
منها رائحة مع جريهم في الطلب وتعلقهم بكل سبب. والله يؤتي فضله
من يشاء. **وأما** ما طلبتم منا من بيان المسئلة التي ذكرت بيها وقصة
الراهب مع ابرهيم بن أدهم رضي الله عنه من قولي أن بعضه ضاع من جملة
منها فإني لم أتذكر هذا البعض ولم أشعر بشيء من سوابقه ولواحقه التي
منه تعرف توجيه فكري فيه بالكلية وإنما لمحت من ذلك أمرا جملياً

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

لم اترك شيئا من تلخيصه واختصاره ثم منذ لم يغب عن بالي ما ذكرت فيه
كل المغايبة وان كان كلامكم فيه حقا وقد بحثت على شيء من المعنى
الذي ذكرتم فيه في كتاب فلان **واما** مسئلة فلان في
المسائل التي ذكر فيها حصول الحامل فحتة واما حصول الاذا يتعلق
بها حمل واما بحثي منها عسل وفرك ازتبع منها واشكال الذي
اعترانا اما بالتمثيل بالروح او بالنفس وهو لا هو المقصود الملتمس
ويفي عليكم واشكال في الحروفين وامرين ولما اخترت التمثيل
باحدهما وذكر واما اخترت التمثيل بالروح وعن النفس لان النفس
امر يقتضيه القبح بمعنى انه يقوم وجوه واما بدا بالملائمة منه فيه
تابيد واما مور الزائبة انتصور معارفنا بحال كملائمة من الطعام
والشراب للبدن المعتدل المزاج السالم من الخراب والعوجاج
ولذلك اقتضت الملائمة فيه على نفي الالم جل وذكر مقتضية لوجود
اللذة بيان مثلنا خروج الروح وخوله عن الموت وبقي بخروج
النفس وخوله لم يستقم هذا التمثيل واما بليكن خروج الروح عن
الموت كخروج النفس في عدم الالم لان نسبة خول النفس وخروجه
نسبة واحدة والمخروج من الحال خلافها هذا واما ملائمة الروح
فليست مقتضاة للقبح بالمعنى الذي ذكرناه بل هي ملائمة معرضة
بواسطة ما جعل هنالك من التهيوء والقابلية واما اي مناسبة بين
امر العلوي واما السفلي حتى يقتضي احدهما الاخر اقتضاء

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

اللازم فإذا مثلت خروج الروح وخوله عن الموت ونفور خروج
الروح وخوله عن النوم وأستفاد استفهم هذا التمثيل ولم يلزم
في خروج الروح عن الموت من عدم الموت ما لا يفوز منه عن خروجه
بالنوم كما لزم ذلك في التمثيل بالنفس فالملائمة التي ذكرتها
في النفس حتى أوجبنا بسبب وجودها نفور الألم والمشقة إنما عنيت
بها الملائمة الزائدة التي ذكرتها لا مطلق الملائمة التي اغتر عليها
بسببها ولم أرد بها بل غلطت في الخلافة والغلط يرجع من التلبيس
ومن لحن من نفسه منا العصمة من الغلط والخطأ فهو من اتباع
إبليس ولية كل ما تكلمنا عليه يكون غلطنا فيه فكر والله
ولي التجاوز يرحمنه على أن المعترض فرع منع هذا الكلام ولا يسلمه ويدعي
استواء الأمرين في أمور الزائدة والعرضية فلنسلم له ما ادعاه
ولنوجبه على الغرض الذي فصروناه وهذا ليلان على مسئلة واحدة
أقوى من ليل واحد وفي بلغ الغرض وحصل المقصود بالأول وأما
ما ذكروه من كلام السهروردي رحمه الله على مسئلة السالم المجروب
والمجروب السالم بهو كلام مزاوج وجرد ثم اعني وقرب فكانت
عبارته عن مشاهدة وعيان لا عن تخمين وحسبان كما عبر نابه عن
والمعول إنما هو على ما ذكره أرباب الشهود المتضلعون بالوجود
الذين حازت عليهم أنوار الكرم والجود وأما من هو غريق في بحار
الغفلة والجهل مزموم بالرعونة في القول والفعل كحال المتكلم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

لكم في هذا المحل فلا عبرة بكلامه ولا تعول على نقضه وابرامه ولينتا
حكمنا بالعفو عنهم وحسن التلقي منهم لا كنا لغير مقرارهم وانتباعهم
جاهم عن اراهم تجاسرنا على ذلك في المعاني التي فيها يا حزون
والحزون على امثلتهم التي يرمون والقبيلي مقبول عند الكرام مقابل
بالبر والاكرام يأكل عندهم اطايب الطعام ويتعاطى بينهم
كؤوس المدام وتمتثل اوامره هناك المتصلون والغرام ثم ينقلب
عنهم مشكورا والتمام معمورا الاكمام مشيعا بالتحية والسلام
لهم القوم ليشفي بهم جليسهم **وأما** ما ذكرتم من حالكم وما
انتم عليه من عيوب وذنوب فاصرين بالنسبة ما نفيتموه عني من
الحال السيء اليكم وتمنيكم أن لو كان ذلك حالكم فلم تصادفوا في شيء من
ذلك العرض كيدا وأنتم تعتذرون مني وانا اعتذر عليكم وكمال المعرفة
بكم وانا أعلم بنفسي منكم وبالله الذي لا اله الا هو ما جميع ما ذكرتم
في انفسكم من الذنوب والعيوب من حيث تعرضكم بها الى استحقاق الله
تعالى وعقوبته في جنب ما عندي مستغفر منها من حيث التعرض
المذكور والا فهو اهزاتا بها واغضا من النفس كما ألف في العادة وكما
ونع من ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين قال ولیتكم ولست بخيركم
وانما فلته حقيقة بحيث لو انكشف الحجاب عما أثبت من ذلك
في ام الكتاب لكان موافقا للمنهاج فباح بفلاح وما ذكرتم
لكم حال الراهب مع ابرهيم بن ادهم في التعرف من ذلك الحال مع حالكم

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فإن كان هذا العلم ذا فضل عند الله عز وجل وأنا خير منكم به وبمن
يكون به الراهب خيرا من إبراهيم إذ أنتم وإذ لم يفضل هذا العلم عند الله
عز وجل كنتم خيرا مني بالنسبة التي يكون بها إبراهيم خيرا من
الراهب والقاهر أنه لا ينبغي لكم أن من أولى بالرعاية بالتوبة وما ذكرتم
معها من المطالب التي بدأتم أنا أو أنتم هذا كله مع أني لم أنكر صحة جميع
ما نسبتموه إلى نفسكم وأصحابه وأضعاف أضعافه مما تملؤون منه
عيوانا بل وأوبروا أكثر منه وأكثر فيه وما أنتم عليه وأكثر
كلمتم مني التكلم على السبب الذي من أجله خمنتم في الحال السبب الذي
ذكرتم حتى منكم إخبار بذلك وأن العلم سبب ذلك أضعف البغيض الذي
ينشأ عن الجهل المركب وما يشبه الجهل المركب وإنما قلنا إنه مركب أو ما
يشبه المركب من قبل أنكم لستم عندي من جملة العوام الذين يجهلون ما تتضمنه
العبادات والقاطعات من البوائر والخراوبة فإذا علموا ذلك بادروا إليه
واعتمدوا الثواب الموعود عليه بل أنتم عندي جاوزتم حال العوام فصار
جهلكم مركبا أو يشبه المركب وذلك أنكم لما علمتم ما شأن العوام أن يفعلوه
كنتم مثلهم فيما ذكرناه من المسارعة والمبادرة فلما تفقهتم واطلعتم
على أشياء غيرهم وأحرى ولم تفعلوا حالكم بالتحقق في مقام اتهام
التقصير بما علمتموه وعرفتموه صار ذلك العلم داء دويا عندكم جهلا
أو كالجهل فلما حصل عندكم هذا النوع من الجهل حرشفكم بسببه الكسل
عن العمل بواسطة ما نشأ عنه من ضعف البغيض وهذا النوع من الجهل

34

وأو سكتتم عن
ذلك لكان أو
إذ لا تريد وسكتم
علما بكم
أصل

جملة

وأبو

٣ ١٣ ١٨

67

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdel-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

مرا والله صعبة المرام مغلوبة بالمكاره والكلام ان المتصف بهذا
يفتقر وجوده في نفسه فيزيد بالتعلم وان قصر ان يعتقد
وينشوف الى ان الله لوجوده شيء من التهمة لنفسه كما لكم ولرسله
قلنا اوما يشبه المركب ان صاحب الجهل المركب والعياذ بالله تهمة
له لنفسه البتة لم ينهض في ذهنه ان الله يقول بالوجد الذي
انغلبه عليه وهذا وان جعله يغلط هذا الغلط الذي اريد ان اتعلمه اصح بالعلم
وهذا ايضا جهل مما يزيد على هذا الغناء والتعب والمشقة والنصب
ثم يثور عليه ما هو فيه من التحير وتهمة النفس فيزعجه الى التعلم وفي
اثناء هذه التمرينات والمجاهدات كيف يستقيم له عمل او يصلح من
هذا اجتماع في الطاعات امل وهل هذا الا محال لا يستقيم وقد اشار
الحق تبارك وتعالى الى هذا المعنى على ما فهمته بعيني القاصر في قوله
في قصة اصحاب الكهف انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في
ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا فاذا هؤلاء القوم لما هربوا بدينهم ولبثوا
ما لبثوا في كهفهم واحتاجوا الى سبب تستعين به بشر بنفسها تغلغل
هذا الغيبة ولم يكن لهم بد من الرجوع الى الاعيار بسبب ذلك
حذروا اعز رجوعهم اليهم من اطلاعهم عليهم فاما ان يقتلوهم
قتلا حسيا بالرجم او معنويا برعاتهم الى الرجوع الى ما كانوا عليه
من الكفر والظلم ثم لا يفلح منهم بعدها فلاح انهم رجعوا الى الفساد
بعد الصلاح والى الخراب في سلك الجهال ومكاوعة الاغراء

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الضلال بعد ما كانوا فيه من تولي النبوة وراء قبال والزيب في البعد
ليس كالزيب في الغرب فإنه يرجى له النفع ان وهذا يحزن به على صاحبه
الحرمان والخسران وهذا كله من مقتضى الغيرة وراء الهية فإن العبد
إذا انصرف عن باب مولاه بغير أن يبدو واراه لا يبعث المولى وراءه
رسولا ولا يلاطفه في استدعاء ما يوجب له رجوعا وقبولا بل يخلي
له حالته التي اختارها لنفسه وتحسن له ظنا لتدارك وان حلو له
في رمسه ٥ أرض لم تغب عنك غيبة بزلزغ تب عفا بد فيه ٥
وإذا كان المولى سبحانه يتقرب غراعا من تقرب منه شبرا وباعا من تقرب
منه غراعا وباتي هرولة لمن يأتيه مشيا وبضرائر يفعل مع من تباعد
عنه واختار بدا منه سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم وانما يرحم الله
من عباده الرحماء فهذا هو البشر بما ذكرناه ٥ وكان الاستاذ
ابو علي الرفا رضي الله عنه يقول ان اصحاب الكتل عن عباءة تهم
الزبرجد الخوبا فراديهم مشغلة الخزان فاختار لهم البعد وأخرهم عن
محل القرب ولربما تأخروا وبهذا يتبين لك ان الانسان كلما عظمت
مقامه في علم أو عمل ولم يحفظه بإتمام التبجيل وعزم وفوته
مع عظمه وحزمه يخشى ان الرماهو متأخر من حال أدنى التامين
مقاما وليته لو ساواه فبئس ما اشعر ولبئسه واعتبر هذا
المعنى بقصة بلعام وبرصيص ولهذا المعنى كان العوام خيرا من
المتبحرة والمتفرغة ربما فاح وافرب من الحر والمتبحرة والمتفرغة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

والفلاح فتراميتهم وابعد من الخير وعنه بالفلاح الذين يتعلمون
شيئا من علوم هذه الطائفة لأن تعلم شيء منها ولو الشيء اليسير قد
تملكه مراوده نفسه فيعود الى صحبته من مرضه ونكسه. واما من لم
يخض منها بشيء فما امنوه بشعر وما أفلسه من معونة ورزق
وما اعز تجارته. وما أعظم خسارته. خسارة وأي خسارة خسارة
لم يخسر بها مالا ولا جاها. وانما خسر نفسه التي لا يرجو منها تعويضا
ولا ابدا. خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون. واذا تقرر
هذا فلنرجع الى ذكر احوال التي ذكرناها ولنبين سببية هذا النوع
من الجهل لها مستعينين بالله تعالى ونقول أما القماشات والعباءات
والتمتع بالشهوات فإنك ما تفقهت في هذا الطريق لاح لك أمور
فرتوجب في نظرك ان يكون لشيء من العباءات المتعلقة بظاهرك
وضع عنك أو نزاعها محبوبة بالعلل والاباب وفوقا أو احتماما وانتفع
بفسط بالتعزز من ابائها ولئن سمحت بذلك ربما لم تنزعها في التعزز وتنتفي
عنها العادة في نظرك فتتكاسل عنها لأجل ذلك وقد تفلت في ذلك
اناسا كثيرين ممن يتشاغل بعباءة ولم يزهد في شهوة ولم يبلغ
الى ذلك عنان عناية. وترى ذلك من أحكام أهل البداية. او يغلب
غلبة في التمتع بشهوتك ما قاله ابو يزيد في كتابه في الورع
عن أن المباحات لا يتعرض فيها لورع. وتتأول له على خلاف ما يجب له
أو تحمله على غير موافقة الاهل والولد والاخوان والاصحاب. وترى

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdelaziz à Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

أن موافقتهم في غير مزوجوه الغرب او ترك النعم لما علمت للتنبه
بها وقضاء الوطر منها. فاذا وجرت لرتبتها وتروقت مفعمها
الشهي شكرت الله تعالى على غير كليته فليحكما يفعل غير الرجل
الذي كان يبغض الماء وينكر على من اختار شرب الماء البارد وتناول في
غير قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق
وان وامّا تزيد امرا بالمعروف والنهي عن المنكر فانظر تتبعه
في غير وتعتبر سعته في العلم بحيث يوقع بعض غير الوجه بان ما هو
منكر غير منكر بعض بما من التاويل ويغلب عليك شهوة توجيه
ان يعجبه شيء وان يوبخ ورع فتعزير غير الم تكب له وفريضة مثل
غير المنكر مبتدا لا تبالي به وان تعجبه نظر الى ما نكرناه وقد
تقدم في غير الرجل من رآه خيرا منك حتى يرى المنكر قبل يغيره او غير
هذا من الوجوه وامّا استغراقه في طلب الرزق الذي هو مذموم
على لسان اهل العلم فانظ تتبعه وتقول انا مامور بالكسب والتوكل
ان بنا فيه السبب. ولو تركت السبب اثم اجتهد فيه كل الاجتهاد
ان شئت لهم في العلم وان فرانتفع عنهم بما انا متشاغل به من امر
الرزق وايضا انا شخص معيل فان تكاسلت عن غير ضاع عيالي
ولم اقم بالواجب لهم علي ايما في هذا الزمان الفاسد الذي استولى فيه
الشح والبخل على الناس وغلبة الاشعار واشتعلت نيران الفتنة او تقول
في غير من تراه على الزينة في البر او غير غير ممالم يحضر في دكان

من الوجوه الفقيهة التي توقع صاحبها في كل محنة وبلية لأنه لما
رأيت أنها وعوقت عليها كسلت عن العبادات والطاعات وحرصت
على التمتع بالشهوات وتركت النهوض لتغيير المنكرات واستغرقت
في طلب الرزق والفضول في جميع الأوقات فإذا استمررت على هذه
الأمور أغضبك ذلك استمرار عليها ما أخذ كونه من الغفوة فإذا أيقظت
بعض تيقظ وأردت أن تشتغل بما طلب منك من ذلك كله وجدت في
نفسك من الفتور وعدم انشراح الصدر لذلك ما مر يذكر عليه فإذا أنت
الرعاية أو نويت ذلك اشتغال بمجاهدة ورياضة لم تساعدك فورتك
على ذلك لأن النفس إذا استحلت حال الكسل بعزم فاسات ما فاتت
من شأن العمل فلا أزيد قوة صاحبها إلا المثل ويكون حالها في
ذلك كمن لا يزيد أن يقفز فاقارغا أو يغمس فاه منفوخا في ماء غم
فكلما غمسه واطلوبر منه رجع إلى وجهه وإذا أردت أن تترك
ذلك استغراق في السبب أو تخرج عما عساه يكون في يدك من مال أو
نشب مع أنه ما في يدك من ذلك لم تقدر على ذلك لأن النفس في
الغفلة فضاء وظلام والتوصل بالمال إلى مغارم الكبار فإذا وجدت
نية في بذل البعض إن كان أو قدرة على ذلك إذا وجدت عقد على ذلك وفعل
ما يظهر فيه لم تعرف بالبذل ولم تقدر على المضاء عزيمة ولا نية وكان حال
في محاولة ذلك كمن لذ صاحب الزرع الذي كلما أراد أن ينبو أو يتصرف
تقلصت فإذا أن سلعا لم ينتفع ولزمت كل حلقة فكانها من حجر

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

[illegible] عنه حيث قال في وصيته أن يقرأ آخر قصصها عنه في جهنم خير له من أن يخوض في عمرات الدنيا: فنعوذ بالله من هذه الخاتمة السيئة التي حذر منها الصريون رضي الله عنه ونسأله أن يلطف لنا ولمن علم بها ممن كان أغلب النائم لنا واشرهم ميلا إلينا حتى لعبنا بنا أمواج الهوى وغرقتنا في بحار الدنيا ونعرضنا للفتن وكنا عنها في عمى. **وأما** عدم تغيير المنكر بقلبه فينتهي حاله فيه إلى ما ذكرت من أنه لا ينكره قلبه أصلا ولا يعلق عليه ولا على غيره بل يسقط عن قلبه موقعه ولا تجد له مرارة ولا كراهية وتستمر به الأوامر والنواهي واعتبر بجميع ما ذكرناه له هاهنا كل ما أخبرنا عن ذكره من ذنوبك وعيوبك التي إذا عينت أنك لو ذكرتها لملأت منها بيوتا ولا تخفى عليك وجدها اعتبار مع ما قررناه له من وجوه الاستبصار فإن الصاحب سبب تتوقع فيه نزول المقت بك ثم أردت الاشتغال بها استعراله بالتقوى والقاعدة واخترت فيه لم تلزم عليه كل الذوام لما تعودته في طول عمرك من الخلل والنقص والغرض الشارد لا يتعلم الرفض وما سبب هذا كله إلا مسامحة النفس في ابتداء أمرها ومساعدتها على ما تقتضيه وتأولت في اليسر والعفو حتى أعدمك الرقة التي لا يبقى معها للخير حركة ولا قوة والقسوة حالة يتكيف بها قلب

العبد عن تعاطيه لتلك الأعمال التي جرى إليها ما ألبد من التبعات
والتأويلات بسبب ما كان أخذ فيه من العلوم والمعارف المكتسبات
ومرادمته على ذلك وسواه مع استصحاب غرضه وهواه
فيبرأ من يأخذ الحبل بعزيمه ونعني بذلك الذي يبرأ أن يحصل له المقام
الأعلى مع مصاحبة للهوى وهيمات هيهات

رجل يشاكل الغول أو بطانه مسافر يصحبه هواه

والى هذه المعاني كلها الإشارة بقوله تبارك وتعالى الذين آمنوا
الآية فقوله آمنوا حكم لهم بالإيمان والتزام أوامره ومقتضياته والإيمان
يأمر بالليل فقوله تعالى فليبعدها يأمركم به إيمانكم ثم قال تعالى أن تخشع
قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق وخشوع القلب ليست وتابته
الى الانقياد الى مقتضيات العبودية وهو ضد القساوة التي
هي الصلابة وخشوع القلب للذكر وما نزل من الحق إنما يكون
بسقوط الهوى والبراءة من الدعوى فيعامل العبد مولاه حينئذ
بما اقتضاه ذكره وتنزيله معاملة صحيحة خالصة صافية
عن الشوائب والكدرات ثم قال تعالى ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب
من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم يبين في هذه الآية الكريمة
ان سبب قساوة قلوبهم انما هو طول الأمد بعد اتيانهم الكتاب الذي
نظم الحق والرشد وذلك انهم لما اتاهم الكتاب اقتضى منهم
المبادرة الى العمل بمقتضاه من غير تعد ولا تاويل كما اقتضاه من هذه

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

دائمة الحمرية ما أتاهم من الإيمان وما نزل عليهم من القرآن ولا
يتأتى لهم ذلك بعض الهوى جملة فلما لم يرفضوا هواهم ويفوا عهد
ميثاقهم بالأعمال واستشعروا نور الإيمان فأعقبهم هذا الرأي الفاسد
منهم أن قست قلوبهم بسبب ما تمرنوا عليه من الضلال والتضليل
الذي فعلوا فيه عمهم العويل بسبب ما البسوه من التعقيد والتأويل
فانسلخ الزهد من الدين انسلال الشعرة من العجين ولهذا كان
أكثرهم فاسقين كما قال الصادق الفاضلين في حق ذا الآية وفي هذه الإشارات
عن الله سبحانه عبر عما قاله أمير فكر كالنار ولما أن خلقت النار
يعني بزهد والله أعلم المباعدة الزهد مشتق من عين زهر وهو الطعم والنتاج
لأنه لما انتزاحي ولو أدنى شيء ملكته نفسه واسرة هواه وأنى
لزهد الفلات من أين يعما بسهولة **واعلم** هذا المعنى بمثل هذا
الرجل الذي قصد الرفع من الشجرة التي كانت تعبد من دون الله
بنية خالصة وعزيمة جازمة فلما تمثل له إبليس وأراد أن يصد
عن ذلك لم يسمع منه ولم يجبه فلما صارعه الشيطان لم يصرعه الرجل
فلما ركن إلى ما بثه الباطلة ومواعيده الكاذبة وأخلد في ذلك
رام قلع الشجرة ثانيا فلم يقدر فلم يخله وذلك فلما صارعه الرجل
صرعه الشيطان وخر الشجرة مثارا فقد مثل بها الإمام أبو
حامد الغزالي رضي الله عنه هوى النفس وشهواتها وأمانيها
وأغراضها وجعل ذلك بمنزلة شجرة أربت في بعض النواحي فقطعها وقلعها

فصل تعلى

مؤسسة الملك محمد العزيز الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ولو

وشط أن استعمل ما تكون لزلة ممتحى لخزيه لك يا بحر والبراءة
أعز الطلب وهي ضعيفة فإن تراخى عزك لم تشأ يسيرا ارتداد
قوة ورسوخا وازداد هو في جسر ضعفا وهنا وعلى هذه
النسبة كلما تباطى عزك وهذا مثال مليح ومعناه صحيح
فأول الأمور هي التي ينبغي أن يراعيها المريد والله ولي التوفيق والتأييد
انظر الى الرسوم اذا تقدمت

فإذا كانت التفقهات والتأويلات ضارة لكم هذا الضرر
العظيم مع أنكم متشاغلون بالعلوم الحقيقية والمناهج التصوفية
فكيف تروق يكون حال غيركم من أصحاب الرسوم إذا تفقهوا وتأولوا
فلا تسل عما يلوذ به من المصائب المشيبة ذكرها للنواصي والذوائب
فترى الواحد منهم إذا تعلم مسئلة أو مسئلتين أو مسائل فقهية تنتعش
نفسه وتنتفخ ريشته ويعظم في نفسه ويتكبر ويتقدم في الغرار الرأي
بين يدي سواه ورأيه ويستحسن حال نفسه غاية استحسان
وينظر الرمز عراه وإن علاه بمنزلة الحشرات والذبان وقلما ينتبه
لمزيد فطنه أو يصغي لسماع الوعظ من يعظه أعاذنا الله تعالى
وإياكم مما بلي به من شيء من هذه الحوال وعافانا من جملة المركب الذي هو
داء عضال ومنشأ كل ظلم وضلال

ولا يبلغ داء عزا من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

والكلام في المتعبر والمتزهد كالكلام في المتعلم والمتبعة سواء
بسواء فإن قلت جميع ما ذكرته هاهنا من أول

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الرابع مشعر بأن القلب قد طبع عليه. وضرب بينه وبين التوبة بسراد واحيط به واقيم حواليه. فكيف يتأتى منه الرجوع الى الحق من حاله الاول. وهل تتصور له ردة من المحال الذي لا يعقل. كيف الوصول الى سعاد ودونها. قلل الجبال وقد نهز حتوف الرجال حافية. وما لي مركب. والكد صعب والعزيز مغلوب بأي شيء يتشبث من هز لحاله. وبماذا يكون استغاثته. فأقول ما دام العبد يحن الحر من نفسه. والتأسف على ما فاته من انيسه فانه مرجو ان يرى وامل ان يتوصل به الى سني دار رباح في ثاني حال وانما يخاف على اصحاب الرسوم الذين ماتت قلوبهم. ولم تستشعر منهم الهموم ولا الاحزان معاصيهم وذنوبهم بل يكتفي شغل هذا العبد الالجاء والافتقار والتحزن في حال الاضطرار. وما اخذه بهذا الامر وكل ما كان معتمل عليه. وانما اليه في سالف امره من علمه وعقله وقوته وحوله فزحزله واشغله ولم يغن عنه شيئا بما فضره وهمه. بل كان جميع ذلك معينا الاعداء عليه. وجارا للبضائع والمخازي اليه و من امثال العامة ذا انت عنتر بسيفي. برز عيني وبزعني وهذا هو يا اخي حال كل من عمر الكون من معاز او اغنام عوام او خواص. بار فض جميع ذلك رفض النواة. وانبز بهم نبذ الفزاة. وحقق رحل همته بالمقام الاعلى وانخ ركائب طلبته في البساط الاسمى. وناج بلسان حاله ومقاله وقلبا ارحم الراحمين

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

يا معيث المستغيثين ارحم من لم يزل له حبيبا وناصرا من جميع العالمين
فاذا افتح لك هذا الباب الكريم : حصلت على الثواب العظيم
وحللت في جنات النعيم : واتيت الله تعالى بقلب سليم : وفلت حينئذ
بسم الله حكيم عليم بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وهذا هو الكلام
الطيب الذي يصعد اليه من بين سائر الكلام : والعمل الصالح الجاري
على مقتضى هذا الذكر يرتفع اليه من غير أن يتوجه على صاحبه
عتاب أو ملام : الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات : قيل
يعني بذلك الدار أعمال والعمال فانما طابت اعمالهم بشهود التوحيد
وانما طابوا هم بانتظارهم الرب العزيز الحميد فلا جرم تتوفاهم
الملائكة طيبين ويجتمعون تحت شجرة طوبى أمنين ويقال لهم سلام
عليكم طبتم فادخلوها خالدين : جعلنا الله منهم برحمته آمين وفوق
واشكر لا من عصى أني على هذا الحال السني ثم انني الجمع ان أنال درجات
اهل الكمال الآخرة فلا اذري درجات الكمال التي تخيلتموها الى
شيء هي وما درجات الكمال : دار التقلب في عفو الله تعالى كتب
ما دارت به الحال فان تخيلت منها شيئا غير هذا وجعلته ما شاهدته
لا نبسط من الغيب لي جابيا بينك وبين ربك حتى تزيح عنك لا نبسط
وحرط وجفرط وحينئذ تقضي اليه ما اعظم الجهل الذي
أزاط اليه ما فرع شمعط متركزا كزاسنة من علوم اهل التخيل

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ولعمري لقد اشتمل عليه من فوائد ما توهمته محالا ومغربة بفرعينا
حيث يقول انه متلبس بما هو اشر منه ومن أمثال العامة
قيل للمجذوم اغسل يدك قال يغفر الجرام علة. فانتبه يا اخي
من نومك واسمع العتب عن مقلتك وارم ببصرك اقصى ما انتهى
اليه نظرك وحرقه وحدقه فانك حينئذ تشاهد في الرد جيادا
وتنظر الى الخط العزيز يتصرف في ملكه كيف يشاء بلا منازع ولا
معارض وتستفيد من هذه المشاهدة والنظر ان تعرف ان جميع
تصرفك وتقلبك وتصرفك وتشوفك وكرامتك ومحبتك شان من شؤون
الخط الذي هو كل يوم في شان. وان الحال التي كنت عليها قبل هذا
النظر والشهود بشار في خال وتورط في هلاك لا ينجيك
منه عم ولا خال وحينئذ تنقطع من نفسك غما من راح له شيء
توهمه عزيزا تلزعه فبينما هو اخذ في محاولة ضربها وقتلها وفر
اخذا اجل لك نقله من محلها. ان عاجلت العزيز بعزمها وكانت النعال لها خاضعة
اذ تنزل فيه نظرك. وضع عنك حينئذ. وجرى عزة عظيمة. ينال منها
تملكة جسيمة. لا يرى لها ندا ولا فيه. او ضحك من راح له بين يديه
شيء يتوهمه عزة نفيسة. فبينما هو ماد يده اليها ليأخذها
يجعلها في يمناه او يرفعها عنه. فإذا بها عقرب في يده
عتت وزعفرة. فالمثال الاول وزانه ما كرهته وابغضته مع
مشاهرتك لبغيضك فإذا اشاهرت اقامة الخط فيه يقوم عليك

مؤسسة الملك محمد العزيز الدار البيضاء Fondation du Roi Abdel-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

برءا وسلامة. والمثال الثاني وزانه ما أثرته وأحببته مع مشاهرتك
لنفسك فإذا شاهرت حرف الجر إياك عنه تعوذ بالله منه لفظا
وأكرامة. وبمثل هذه المخاطبات والمقالبات اخاطب نفسي
والطالبة دار فيزورا لي بالمعروف. إياك أعني واسمعي يا جارة
بعذراما أراه فالذي نذكره لكم في بيان السبب بيما طلبتم وأجر الكلام
لما نرى والنيط بغرهذا النظر. في هذا العذر. هل صادفت فيه الغرض
ووقعت على حقيقة المرض. وقمت بالواجب المفترض أو حدت عن
المقصود. وقصرت في بذل المجهود. ولم أوف بالأمر الموضوع.
فاخبروني بما الذي يظهر لكم من حالكم عند قراءة هذا الحرف
وتأملها. والنظر في تفصيلها وجملها. فإني نظمتها نظما
عجيبا. وسفتها سفا غريبا. فاما ان افرح بالصيد الذي يقع
في حبالي. وأما ان أحزن لما ضاع من تلقيبي واحتيالي. وتقول حينئذ
ما قالته المرأة لابنتها كل شيء عملته بعد دار الشعر. والمرجو
من فضل الله تعالى أن لا يضيع سعي بيما طلبتم. وأن يكون جائزي
الكلمة النافعة التي ذكرتم. وأول كلمة وآخره بل كلمات مجتمعات
ومفترقات. هي في الفم مثل تمرة تجر حلاوتها في يدي أبدا الدهر
والعيش طري بعجز عن تركيبها ومغرية أجزاؤها أطيب هذا العمر
وحبيبا لا يفهم عليك من مقالي اشكال. وتعرفني وتعلمت كيف
تعامل من والى في كل حال. وعد بغرهذا تعيش أو تموت. بفرحصل

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

لذة الكسير والنافوت. وزال من يريد التعلق بخيوط العنكبوت.
وما كنا لنقترح لولا ان هرانا الله **وأما** ما حكيتموه عن
سيدي أبي العباس المرسي رضي الله عنه من أن صلاته كانت مؤجرة
في تمام فجر صحيح وهو من الزاي الحسن اذ بوجازتها تسلم من زلات
وعجاغبة الخواطر. وبتمامها يكون فيها أهلية التقرب بها الى الرب
الغافر. وكون صلاة زائر الخبيئة في المغرب هل هو لما ذكرناه
أم على أن الثقل والخفة أمور نسبية فرب صلاة خفيفة بالنسبة
الى ما هو أثقل منها وان كان فيها طول والناس يغلطون في هذا
فاذا سمعوا أن تخفيف الصلاة مطلوب في الشرع نفروها نفور
البريء ولم يعتوا باتمام ركوعها وسجودها. وكم اعانة خرودها
باطلا ولو ان يرجع في تقرير الخفة والثقل الى ما ثبت في الشرع وفوض
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بي واخر عمر صلاة المغرب
من اقصر الصلوات فرأة فاذا اعملنا على هذه النسبة كانت الصلاة
التي نصليها اليوم المغرب وغيرها خفيفة جدا وقد استرسل الحافظ
أبو نعيم رحمه الله عن ابرهيم التيمي قال كان أبي وهو يزيد بن شريك
فرقد الصلاة معنا فلت ما لك تركت الصلاة معنا قال انكم تخففون
قلت فاين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فليؤم بكم الكبير والضعيف
وذا الحاجة قال فلقيت عبد الله بن مسعود فقال له ثم صلى
ثلاثة اضعاف ما تصلون فانظر رأيي هذا وكم أن يتلخص من أحوال

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

من أحوال السلف في الزمن المتقدم ما ذكرناه هاهنا وغالبهم كانوا
لا يختارون في صلاتهم الا تسميع مسبح كيف وقد رأى بعض العلماء
بطلان صلاة المسبح والمصلي بتسميعه ولم يشترط الحنفي في الامام
أن يكون صيتا وان يبلغ رفع صوته زايدا على الجهر به وقد كانت
صلاتهم مع هذا كله صحيحة تامة لا اختلال فيها وما ذاك الا لان
صلاتهم كانت أطول مما هي بدعاء أهل زماننا فكان في الامام
إذا دخل في عمل من أعمال الصلاة افترى به في غالب الزمن يلونهم
ثم اتبع الذين يلونهم ثم اتبع القوم ثم اتبع الذين يلونهم هكذا
الى ان يفرغوا أجمعون من ذلك العمل ثم ينتقل الى عمل آخر هكذا الى
تمام الصلاة بسكون وسكوت وخشوع وهذه الحالة تحتاج الى تطويل
أما اذا لم يكن ذلك لا ان سنة على المأموم من سبيل فترى الامام في جميع
أفعال الصلاة ولزم من ذلك أن يكون الامام في ركن والمأموم في ركن
آخر بلا فواصل في قيام لقراءة أو جلوس لتشهد سيما ان كثرت
الجماعة المطلوب بصلاتهم ومثل هذا تخليط في الصلاة وان وقع من
الامام سهوا لعبت ابريهم وحزجوا بلا صلاة فما حرمت التسميع إلا
بعد أن زوق البرس وصارت الصلاة على المأموم بمنزلة الحمل الثقيل الذي
يسر منهم الا طرحته عن ظهورهم واستراحتهم منه فتوطأوا بالتسميع
الذي يفترق المأمومون بامامهم في جميع أفعال الصلاة دفعة واحدة
في الزمن الذي يفترق به فيه من يليه يفترق به فيه من يليه الى آخرها

المشجر الكبير لا سيما إن كان المسمح صبيًا ويتعرّف المسموح بحيث يكون
واحدًا إلى الإمام وآخر عن الثريا الكبيرة وآخر عن الأصبع وآخر عن
الخنصر ولو كنت رأيت سلا لمثلث لهما وبرج المشجر بالأضواء فإن حدث
للإمام سهوٌ أمكنه تلافيه حينئذٍ إما بالتسبيح أو بالتصفين كخبر الغمام
من اثنتين يقوم الإمام خلفه ويقول بأعلى صوته وقوموا الله قانتين
من غير خضوع وخشوع وكذا إذا خرج وإذا لم يعلم
صلاة القوم كذا لم يحصل لهم عرضهم من التعذيب مع سلامة الصلاة
من النقص في إذا كان مع الحال التي اعتاده وهذا من التباعد بين الصفوف والتباعد
الكثير وما أمر النائم بستر الفرج إذا ليذهب النائم من الإمام فجاء وما
عن السنة: فسلط عليهم البلاء والفتنة: وبالله التوفيق والعصمة

وأما ما ذكروه من الكلام وهو قول القائل من اعتزل في ذكره
إلى آخره فصحيح المعنى أما إذا اعتزل في النظر وهو أن يكون نظر العين
مستترًا إلى الشرع وذلك بأن يجعل الشرع حاكمًا على عقله وهواه
فما يرى إلا ما أراه: فتجري بذلك عقيدته على الصراط المستقيم الذي
لا ميل فيه ولا انحراف وهذا أحد الأصول في محاولة الوصول وأما التحرز
عن جملة الخلق فهو أن يرجع العبد إلى نفسه فيراها في غاية الزلة
والعثار بحيث لا يرى فيها أهلية استحقاق شيء من الأشياء وإن تفضل
بذلك عليها وهذا هو الأصل الثاني وأما التمييز للقبول فهو أن يباشر العبد
في السعي والسير المقصود بالأعمال والطاعات والمجاهدات والمكابدات

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

حتى يصح بذلك لغير حضرة العزة له. ويتحقق بما ذكرناه في الأصل
الثاني فيحتفي حينئذ بالمعرفة والمشاهدة والمجالسة والمحادثة وهذا
هو العلم بحقائق الوصول الذي جعلناه للفاضل ثمرة الثلاثة الأصول
فالأصلان الأولان علمان فقهيان فالأول علم يتعلق بالله تعالى والثاني علم
يتعلق بذات العبد والأصل الثالث عملي فقهي وهو كيفية معاملة العبد للرب
هذا ما يهتم الإنسان في هذه الكلمات **وأما** حضوركم عند ولاة الموطأ فلا
حرج عليكم في حضورها فإذا سمعتم فيها ما يكون فيه موافقة لما بأيديكم
من علوم القوم فاقبلوه وإن سمعتم ما يخالفه فتأولوه إن قدرتم وإن لم
تقدروا فسلموه ولا تردوه ولا تقبلوه. واشترط الخاف عليكم أن تقوموا على
ذلك مسارفة لطباع أهل الرسوم وظواهر العلوم المتعلقين بهذا
الوقت المشوم. وفرائض ما في هذا الكتاب الذي أنا بصدده وما آلت إليه
وقد كتبتم في كتابكم الذي هذا جوابه قول الله تعالى وذكر فإن الذكرى
تنفع المؤمنين واشرتم بذلك إلى أنفسكم وهذا مشهد الرعوى أزيد إيمانا
مقام شريف وفرد الله تعالى على المرء عن ذلك وإن كانوا متفاضلين في قوله
تعالى قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا كما
ذكرناه في المقال الأول خرج ذلك مخرج استثنا مستحسنا فيه في قول
القائل أنا مؤمن إن شا الله قبل تعوذ وإلى مثله وكذلك لا تعوذ وأيضا
فكل تخليص بالله تعالى في شيء من الأشيا فهو فلتم مثل هذا في كتابكم والتعليق
بالله تعالى عظيم ولم ينه في كتابكم ما أنهاكم عليه غير هذا والله تعالى ولي

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

التوفيق برحمته وفقنا لكتابكم وذكرهم فيه أشياء
من جملتها أن قلانا قام مقامكم فيما كان غرضكم فيه وفرغ وفرغ ببنائه كل
ذلك وطمع له مني أني أشاغل به لما طلبت منذ أن يستعير لي كتاب البخاري
ولم يكن غرضي في استعارته إلا رجاء الحسنة بكتبكم بذلك فيتعلق
بالهوى خاطركم مما لا ينفض منه شيء وأما زيد أن العلم بصحة ظهر الصورية
في مجرى العادة لا يستدل به على فضيلة ليل من دلالة السعيدة والعقلية وإنما
يوجبه ما يليق الحق تعالى في أسراره من اختصه من عباده بحيث يفهمهم
ذلك ويعلمهم على ما أعدوا به بحيث لا يستعمل التشكك فيه وهو علم الغيب الذي
لا مساغ فيه لتهمة ولا شك ولا ارتياب وإن كانت ظواهر النصوص في تخالفه
ومثل هذا لا يرد بالمنع ولا ينال بالهوينا فلا مطمع لأحد أن يكون مقيما
في حوزه فيزاحم الغيب ما يفيده البت من دلالة المذكورة لأنه لا بقاء
للنص قاطع لا يحتمل التأويل وهذا أعني فوجوه البتة ولو كان من وجوه
لم يقع بين الطائفتين أعني أهل علم الظاهر وأهل علم الباطن ما وقع
من الاختلاف الذي لا يفرد أحد على رفعه والغيب أعز شيء نزل من السماء إلى
الأرض وعز وجوده لم يقع له اشكال في شيء من النصوص الشرعية
ولا يفيد له بما تعارض وتناقض واختلف في ظهر الشريعة والحقيقة
وصار من أمره على أوضح طريقة فمن عكس هذا أمر وراء نظره هذا
الطريق بما تقتضيه القواعد لم يجد شيئا يخلصه من المقالات ولم
يأت بشيء يوجب له فتح مغاليق غلبة متنازع وربما يوهي ذلك له

تعريض الطريقة للانتقاد. وحمل الداخل فيها على سوء الاعتقاد. ثم
ان الغرض المزوم بزلزاء تما هو ماء كثير من الزعاء الله تعالى والجاء له
بالتي هي أحسن وذلك إنما ينبغي في حق من يبيه على ذمة وزكا بطرة
وهو كان بهذه الصفة كان محتاج التحرير ليل على طريقة علماء الشام
بل يكفيه أدنى شيء من الرمز وذا مشارة وهو الذي يجي اليطا المنتجي
اليه كما جاء في الحكم أعني على بسط بكثرة السجود وأما من كان غاهمة
غبية. وبطرة رعية. بفرض ربت بينه وبين هذه الطريقة بحجاب.
ينفره نفر العير. وجعل في وجهه سد كسرة الفرس بعرم وأخذ مد
في هذه الطريقة وأزا تزكر بين يديه لحاعة لله وجماعة بالشيب
على اقامة ظواهر الشريعة فهو من غنم تعرض لما وزاء ذلك نضال عن
غير الله ولمثله من أهل الكفيان. أنزل الله تعالى الخرير الذي هو ثالث
الكتاب والميزان ولهذا كانت هذه الطريقة مخصوصة لمخصوص
يدخل معهم طبيلي. وايوم حولهم فضولي فهذا هو الذي أوجب لنا
التفاول عن ذلك. مع أن الله بحر لحرام يمتنا سلم تلك المسالك وذا تباع
خير من ذا نتراع. وذا أولى أن يتخار اسه من هو مثلي فصيم التباع.
ولما رتبنا في صحة ما ذكرناه فيما أذا ذكرناه لكم دليلا على صحة
الخرير الصوفية على الجملة وذكرنا ما عرض له على أهل الرسوم لم يقبلوه
وكان فرحهم فيه أقرب من جلوسك على كرسيط والذي برا على ذلك اجماع
ذامة على ذلك قبل ظهور هذه البدعة المنكرة أزا ذامة بهم فزفتار

وفي على الاعلى
الجهة اليمنى الصفحة
عن يمين الصورة نقرا

وفي على اليد
اليمنى مريع الاهوى

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فرقة واقفة ورضية. وفرقة سكتت وسلمت والساكتون منهم اسبل الأمر
أن يقال بهم أن سكوتهم تقية ومداهنة لأنهم أعلم على الدين وانصح للمسلمين
من أن يختلف عليهم على السكوت على باطل لا سيما وجاههم عند ملوك الأعصار
فالله أعلم وأحكم فكان ممتنع في العوائد. فصار سكوت من سكت منهم كنطق
غيره ولا يشترط في الاجماع على الشيء أن ينقل القول به عن كل فرد فرد
فان ذلك متعذر أو مستحيل بل يكفي في ذلك أن ينقل عن أكثرهم. مع سكوت
الباقين وعلمهم. وهذا كله مفلوم عند من مارس الكتب وتفقه على السير والاخبار
ولم يقتصر على البحث على ما ذكره اللخمي في تبصرته. وابن رشد في بيانه
والقاضي عياض في تنبيهاته. وهذا كله بين لمن أراد الله توفيقه. وهذا
طريقه. ومن لم يوفقه الله تعالى لهذا اعترض على ما ذكرناه وفرح به
وقال كيف يصح هذا اجماع ومن نقله وفرع عكسه ويدعي الاجماع
على نقيض هذا المقلب هذا كله اذا استدل بالاجماع على طريق الصريح
على الجملة. وأما التحصيل فلا ينكر عند أولي الاجماع فيه أن الخلاف بين
القائلين المذكورين بين عينين وباسمهم بينهم شهرين. وكنا اذا تلقينا
وجدنا بنظر آخر يكون فيه نوع من الاشتراك على أن الحق في جانبهم لم يقبل
وضرب به وجه من جانبه وتفسير ذلك النظر أنا اذا تأملنا ما
اختلف فيه الفريقان من المسائل لم نجد تغاير أحد الأمرين أما شيء
يرجع الى الاعتقاد. وأما شيء يرجع الى تكاليف العباد. وهي المسائل
الفقهية أما ما يرجع الى الاعتقاد فلا ينكر أحد أن بين عقد من يقول

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdel-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

أنهم يزعمون أمرا دون أطوار العقل فكل ما ينتحلونه مزريا عنهم بالعيان
وخصومهم إنما يظهرون ببضاعة عقولهم وأين آخر مما مر آخرا سبيل
آخر أن ينكر عليهم عقوهم النكال كما أسبل آخر أن ينكر على مرتكب
النبوة عواها في زمان يصح فيه دعوى الأنداد على أمر إجماعي في حكم الله
واجتنابه تعلق فرد النبوة بفرد من أمر بين مما يرجع التكذيب كان واجب
من الغير فيه كان النبي مأمورا بدعاء الخلق إلى معجزته قبل أن يزجر من جريان ما يصرفه
في عواه على يد من اعتاد خرق العادة وذلك هو المعجزة وآخر عنهم مأمور
بزلزلة لا يزم في حيفه ما لزم في حق النبي. وأما المسائل الفقهية فهم أحق
بإصابة فيها من آخرين إذا رجعنا الورع انتصاب. وتجنبنا الاغتصاب.
فإن الهوى منهم معفو. وباب الغرور عليهم مغفور. وهم أقوام مر أول
برائتهم لأحكام التقوى والغلبة بالغلب على باب المولى. وهو آخوال
مقتضية لوجوه العلوم الحقيقية والتوفيق على العثور على أسرارها بخلاف
غيرهم في جميع هذا. وانظر ما قاله الشافعي في شأن تثبيت الزاعي
رضي الله عنهما لما عوتب في سؤاله له قال إن هذا وفق لما علمنا ومثل
هذا النظر احتج بعضهم على ترجيح اجتهاد أهل المدينة على اجتهاد
غيرهم من قبل ما نالهم من التزين ببركة مجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأفاضهم في أحب البقاع إلى الله عز وجل وفز خار تملأ وحمد الله من هذا
الخلق دائما وهو أعني بركة المجاورة والبقعة. ولم تزل أئمة أهل الشام في
أعصار الغالبة بينهم كوزيصوفية وفيهم وينجمون عنهم ويجلونهم ويلتفتون

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

منهم بفهم الكلام ويعترف بفضلهم على جميع الأنام كان الشافعي رحمه الله
يجلس بين يدي شيبان الراعي وكان سفيان الثوري يقعد بين يدي رابعة العدوية
ويقول لها علميني مما أفاء الله من كرامة الحكمة فتقول له نعم الرجل أنت
لولا أنك تحب الدنيا وكان حماد بن زيد يستلقي في حوانيت البصريين
فتقول له يا أبا إسماعيل أما تستحيي من الله أن أهل الدنيا من يملكها فكيف من لا يملكها وقال
أحمد بن حنبل أخبرني أبو الحوراء حدثني بحكاية عن شيخ أبي سليمان الداراني
تم كلامه نور الله ومستهل الذهب من كرامة الحكايات التي ذكرناها في أول
التنبيه ولما صنف أبو داود كتاب السنن رآه سهل بن عبد الله رضي الله
عنه فأعجبه وأحب سماعه فبلغ ذلك أبا داود فبادر من فوره إليه وقرأه عليه
وقال له ما كنت بالذي تشغني أنت إلي حتى أن بعضهم كان إذا قرأ له سماع
كلام أحد من أقرانه أو زهده خال من أحوالهم ينزل عليه من آثار ما
يظهر به كل من رآه أنه ممن لم كان تاما تم استيفاؤه وبقيته بسبب
ذلك تعليم وعظ ونشر بعض العلم في علومهم فرأيت أن أنظم الرسالة
ذكر عنهم رأيت أبو القاسم القشيري رضي الله عنه في أول باب وصيته
العلم بين في آخر الرسالة وأما أبو القاسم القشيري فعظيم من علماء أهل
السنة وممن يتهم أهل الظاهر بنقل كلامه في مصنفاتهم وهو من أئمة
هذا الطريق رضي الله عنه ونفعنا به وكان لا يغرب رأيا أمثال هذا وهذا أيضا
وقع بينهم فيما وحدثني لم نزل نسمع خلافا قديما حتى جاء هذا الوقت الذي
كلنا لله وإنا إليه راجعون ولقد كانوا إذا اتفق بعضهم لغيره أشير من

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وما بعد ذلك بينه وبين عقله من السرور والفرح وما غاظه وما ساءه له من ايثاره وانصافه وسلامة الصدر واحتقار التبعة والبراءة من الكبر والعجب هذا من اخلاق الخمسة. وليتأمل المتأمل في الحديث المذكور فيه أويس القرني رضي الله عنه إذا دل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمره واشار على خيار الصحابة إذا قرأ أن يلتمسوا منه الدعاء والاستغفار وما ذاك إلا لسر باطن اختص به وبالخصوصيات التي ذكرت فقد ذكر من عرفنا عنه الله تعالى اكرم وأثر كثيرا من هذا الوجه المقرر الا ترى الرمادي يغمض كثيرا وحديث الخضر مع موسى عليهما السلام لما قال له انا على علم علمنيه الله لا ينبغي لك أن تعلمه هذا وموسى حبيب الله وصفيه. وكليمه ونجيه وانكر الرجل له واتباعه إياه واحتماله غلظته وتعنته عليه وقصة الخضر التي نص عليها القرآن وجاءت بتفصيل حالها صحاح الاخبار مما يحتج به على اثبات هذا القرين لكن قبوله وتسليمه لا يتصور الا ممن أيده الله تعالى بالتوفيق بعلى ما ذكرناه. فرج السلف الصالحين رضي الله عنهم والحاح الا من عزله المنع والسائل خلافه له المسلم الذي يتلج صدره بنور اليقين ولا يعدل عما كان عليه اعة المتقين. فهذا هو تفسير هذا النظر لكن لا يسلم من اعتراض من زاغ قلبه في الجمل والنعم. وأذكر لك قولا لا تجد له أمثال لا امثال ما رواه الشعبي أن عمر بن حاتم القاضي لما قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له لقد نظرت فيك وكاد والله أعلم توهم منه عليه شيئا فقال له عمر رضي الله عنه وكيف لا اغرب وأول صرفة بيضت

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم صرفتكم أعز فيه أمتاعه كبرر
وافيلتاه اخبروا ورفيتاه غدروا ن فالواجب على من ابتلي بامثال
هاؤلاء المنكرين أن يعرض عنهم ولا يلتفت اليهم ولا يذكر حديثهم ولا يلتفت
ولا يريهم عليه لما يخاف عليهم من الانكار على الشارع وعزوف المقاصد لهم عن
العقلاء من جلب المصالح ولا ينبغي أن يغتر بهم لانهم مطبوع على قلوبهم
مغفور عن بصائرهم مطرودون عن باب الكريم مصروف وجوههم
عن الصراط المستقيم ولا قوة الا بالله نعوذ به مما اشتغل به ولا شاء امثال
هاؤلاء حسن أو عظيم وعذاب اليم والتماس محال لا يستقيم كاستماع
الرميم واستيلاء العقيم وليس مرادنا أن يكون في هذه الطريقة لئيم
وانما المراد أن يكون واحد من ألف من كامل يحصل به الغرام ويحصل به الغلام
ويستسقى بوجهه الغمام ويكون محل نظر الملك العلام ومثل هذا
الشخص لا يخلو منه زمان ولا زمان منه المتقدمون ولا المتأخرون بفضل الله عز وجل
ونحن والله كنا لا نريد فيما يركبه واطئ الينا وانوار عامة علينا لما جعل الله
بيننا من التضريب بقريبه ومواساة حريبه وبريبه وما كنا لنقترض لولا أن
هرانا الله فهذا ما اردت ان اذكركم لتزيحوا به ما عساه يعرض لكم
من الوسوسة وتكتبوا به عما طلبتموه منا فصار المراد فاصبح
في فياء الشياطين رمادا بالسر ونحن ما مرادنا ان نعبأ بهم ولا التفتت اليهم ولا نرجو
منهم صلاحا ولا فلاحا ماداموا بانفسهم عن ربهم بخلا شحاحا واما نحن فلان
اجتماعهم في طلب الرئيل فاذا ارضح لهم الذيل السبيل فابلوه بالرغم بمستكره

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

التأويل ولم تزل عليهم بذلك جبريل وميكائيل فأعرض عنهم ولم يزل عنهم كرما
وكم يرد ذكر الحياة الدنيا فلا مبلغهم من العلم وقد بلغنا
كتابكم وانتم تذكرون فيها أشياء كرهنا لكم الله بالوقت وذلك لما اشتمل عليه من الضعف
والبقت نسئل الله تعالى النجاة من المهالك والكون في كلاءة الواحد المالك ويا
أخي أريد أن اذكر لكم أمرا كنتم تعرفونه فإن كنتم نسيتموه عرفوه فاختم
على هذا المكتوب وان لم تنسوه لم يزدكم اعلامكم بذلك الا خيرا وهو ان تذكروا
نعمة الله عليكم في أمر الزرع وفقكم الله من أنكم لم تجعلوا الحرير الغوم بينهم
منكم كما جعل غيركم بحيث اذركم الله عليه في شر ابن الزمان يرحب الزرع واتساع
العطن حتى ربما يضيق عليكم الذي أنزل وفات وأحايز عزيز عظيما الوكيل طلبه
أوه بعدم الراستجلاب بحيلة تبتدعون بها من قبل انفسكم لم تقدروا على غيره
من ذلك وحصول هذا الخير أمر متعذر الشط فيه فان علمتموه موجودا لكم
بحسن وان لم تعلموه موجودا فغير يكون ذلك الخير لكم من علمكم به بانتم لو خيرتم
بين سلب هذه الحالة عنكم وبقائكم عوضا عنها ملء الغراز أو تبقى لكم مع ما
يلزمها من تلك الآفات التي يكون عنها الرماء كرهت لكم ما الحكم
تعرفون بقاءها شيئا وهذا كله من غير استغناء منكم ومن ابن لك ان يذل
وانى لديه لك افضل الله تعالى عليه وجعله ذخرا عنايته به وفتحه له الباب الى فيه
مولاه فتحه وعطاياه لديه فاستذكروا هذه النعمة العظيمة ليحفظ
لكم بعد بها الشكر عليها بيعدكم ذلك الخير منها وأي شيء الخير منها هو ان
يرجع الخير تعالى الوساد بينكم وبينه فاتروا من أحد من ذلك الغيار فعلا ذلك

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

جعلا. وتحوز بذلك الممالك التي حطت لذلك الرجل الذي ذكرت أمره. وفي
أثناء التنبيه على قول ابن عمها رحمه الله الفاضل إذا الصبح تظهر بما يفعل
حاكيا ذلك عن كتاب الصفلي رحمة الله عليه بيا لثا ممالك ما أعظم فرها
وأجل خطرها. لو انقلبت السما على الأرض والفرش على العرش لم يكن عن
صاحبها خسر. فذلك أنه يرى نفسه مصرفا في قبضة الحال ومن الذي يعترض
عليه في فعله. أو يعتقد خللا شيئا من ذلك من نعمه وطوله. ذلك الجاهلون الغافلون
الذين عمي عن التفكر في العبر والتبصر للحكم معزولون. وهذا كله كلام يتضمن
التعزية لكم بما أصابكم على يد بعض النواصر من ذلك الجسيمة والمعنوية
وقد ابتلاهم الله تعالى بذلك وعاقبكم من مثله. بارحموا أهل البلاد. ومنظوا الله
الغالبة. فلو كنتم مكانهم وكانت أفعالكم أفعالهم. أي شيء كنتم تصنعون
وربكم وربهم. واحذروا أنتم وهم في تضريب الفرنج. وافتضاح المشيئة شيء
سوا. وقد كان السلف الصالح إذا ظلموا بظلمهم نعمة الله علينا إذ لم
يجعلنا ظالمين وجعلنا مظلومين أعظم مما بأيدينا من القلامة. وفي بعض الآثار
أو الأخبار إذا أراد الله أن يصب عذابا من عباده سلطه عليه فيقتله.
وأما ما يعلم في المولى وما لعلكم بسببه ذلك من أمور راجعة إلى أحوال
الناصر فذلك كله مظلوم. وفوقه. فلو كنتم أعطيتم لكم ذلك الصفاء لكان
في ذلك أعظم الرجوع لكم وأحكم بعلم ذلك وكون ذلك لم ينصحوا
في قراءة الواجب وتفاقلتم عن ذلك هو المطلوب منكم ومنكم ولو أمكنكم
في ذلك الوقت أن تأخذوا لهم في ذلك اشتغال بلهو مباح أو لعب لنصر عليكم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فيه جناح مع أنكم من الحرث عن ثم أو عن غيره بغير بأس النساء في عفيرة
أعز ربي قاني حال الكلام لم منكم حسنا جميلا وإذا كنتم لا سبيل لكم إلى الرد لما
بهذا الوقت وأشباهه هذا أترى أنكم لم تسلموا من الناس عن تشاغل أداء
بقراءة كتاب الله تعالى وقالوا أي شيء منعه من أن يأذن لهم في الصلاة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وإذا تعجبوا من هذا الكلام الذي ذكرتكم فيما ذكر له في
السنة مستنبط يمكن أن يبين وجهه وهو أن امرأة جاءت إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن فبوله من بعض غزواته فقالت له إني كنت نذرت إن
رد الله تعالى سالما أن أضرب على رأسك بالدف فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم
وفي بنذرك أو كلاما هذا معناه والحديث إذا ذكر من خرجه من أيمة
الحديث وهو عندهم ثابت مشهور وإذا ثبت أن الضرب بالدف من أنواع اللهو
والنبي صلى الله عليه وسلم أمرها بالوفاء بنذرها لما كان سببا لإذنه لها برجعها سالمة
التي يجب عليها الفرح بها ولم يجعل ذلك لها من نذر معاصي أو معصية في عدم
لزوم الوفاء به فكيف إذا لم يحرث لهوا مباحا عند فرحه بزمان وإذا ثبت صلى الله
عليه وسلم من عدم التزام وإذا تبين أي شيء يمنعه منه لو أن النبغات المباركات التي
نوه بذكرها وأعتاها هاهنا لعظم البدع في الدين وكون هذا إذا لم يكن
في الصدر الأول واجبة إذا يمان راسخ في القلوب وشرائع الإسلام مطوية على
تعظيمها والانقياد إليها وإصلاح والجنوب لينصر بدائع الله والمغيث في وجه
حيث لم يبق من الإيمان إلا رسمه ومن شرائع الإسلام إلا الرسم وهيهات أن يذهب
من الدين هذا والله المستعان وعليه التكلان ويسلب عنهم مع قبته وعلمه محل بين اليوم

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

بأيدي النّاس من الزّور وإنّهم إذا سمعوا بذكر النّبي صلى الله عليه وسلم تقرّبا له أمرتهم وتهلّل بالصّلاة عليه أسنتهم فهم يتزيّنون له بالتّعظيم والتّشريف ويمرّفون شيئه أي تمزيق بالعامل اليوم لا ينظر إلى ما أخرجوه مما يكون موافقا لأهوائهم من تعظيم من عظّم الله حتى يأتي وجه يزيّنه تعظيما وإنّما ينظر إلى ما أخرجوه من الخراج أو أمره وإذا استحالت بنواهيه وزواجره الّتي يستحقّون عليه عذابا أليما وإذا جاز أن يحرث النّاس أرضه بقدر ما أخرجوا من العشور جاز أن يزرعوا على رؤوسهم فيستولوا على حفايفها الرّؤوس والذّنوب فإذا انتزعت منهم أي شيء ينفعهم يأيديهم وما كان سبب جواز تحلية المصاحف بالذّهب والفضّة وإليه تحلّى به أيدي الجاهلين وتعليق أثواب الحرير والدّيباج على الكعبة المشرّفة إنّما استحسن ليذهب تعظيمها وهيبتها من قلوب المفسدين وإذا كان حاجة للحجارة والكور إلى تعليق الحجب والسّتور لهذا الغرض المذكور ولمّا كتب حجبة البيت الحرام بعض العزيز رضي الله عنه يستأذنه كتب إليهم إنّي رأيت أن أجعل ذلك في أكباد جائعة أولى من البيت أن كما قال رضي الله عنه بل المتعبّد في مثل هذا الوقت لو لم تحبس النّاموس ويتعلّل بالاتّقاء والعبود ويلزم هيئة مستحسنة في الملبوس لم يتمكّن أحد منه فتوى وإذا قبل الدّعوى وإن كان في علم ملبس النّاس مثل الغوّاص يأتي بالمحسوسات المنظورة والمسموعات والملموسات وأمّا أمور الرّوحانيّات فهم معزل عنها

ولمّا استولى الجهل والغفلة على بني إسرائيل بحيث جوّزوا على العجل أن يكون

رسمهم ويضربوا اليه تعظيمهم وحتمهم أمروا أن يخزنوا حبوطا زرقا
في ارض يتم لكني إذا نظروا اليها تذكروا بذلك زرقة السماء وينظروا اليها
كلما نظروا الى السماء تذكروا عظمة خالقها فمن طمع في محاولة
اصطلاح العامة بغير هذا المرتع فقد طمع في غير مطمع والعبد يرحمه الله
وكانت له نية صالحة في ذلك رأى أنه يرجى له بها من مزاولة جزيل الأجر وهو
وان كان لم يبلغ كلية غرضه في ابطال الأمر النيروز والمهرجان معتمل
مقصرا تنشرح له صدور اهل الايمان باعتبار ما اليه في الغاية من الفخار
والعز وان كان النار يصطخرون في هذا اليوم متجملين متحلين متنعمين
الى أن يفرغ منهم فارغ من ذكرانهم بنيهم وحسبهم يلبسوا بذلك
فرحا وسرورا وينتعلوا بذلك استلذاذا وحبورا ويتمتعون بذلك اليوم
يجعلونه متاعا للمهمات أشغالهم ومختانة أطفالهم وغير ذلك من
أعمالهم ومثل هذا لا يضيع لهم عند ربهم في مرجعهم ومآلهم وغير
مستبعد والله اعلم أن يكون عملهم على هذه النية مكفرا لما اكتسبه من شيء
عمل لا سيما إذا كان لم عن غير فضل منهم وراحة و فقد روي في ذم ابليس
أن رجلا عصى الله تعالى مائتي سنة في كلها يتمرغ ويتمعك عليه فلما مات
أخذوا الماء بيل برجله والقوه على مزبلة فاوحى الله تعالى الى موسى عليه
السلام أن اغسله وكفنه وصل عليه في جميع بني اسرائيل فعل ما امر به فعجب
بنو اسرائيل من ذلك وأخبروا الله تعالى فكر في بني اسرائيل أعفى على الله منه
وأكثر معاصي فعل ذلك وأكل الله أمره الى بذلك فالرابط لنا ربط بسال

موسى ربّه فقال يا رب فرعلمت ما قالوا فاوحى الله اليه أن فرصرفوا
أنه فرعصاني ما تتي سنة وانه يومًا من أيام فتح التوبة فنظر الاسم
محمد مكتوبًا فقبّله ووضعه على عينيه فشكر الله له فغفر له
ستون ما تتي سنة و روي عن العباس رضي الله عنه أن ابا لهب لما مات
وأخبر الله عنه ما أخبر حزن عليه واهمه أمره فسأل الله تعالى حتى
أن يريه اياه في المنام فقال فرايته يلتهب في لظى يسأل الله عن خاله فقال
صرت الى النار في العذاب لا يخفف عني ويرفع عني كل ليلة اثنين في كل
الليالي وذلك يوم فلا يرفع عني العذاب فلت وكيف علم ذلك وليس في تلك الليلة
محمد رسول الله جاءت بني أميمة تبشر بني بوداء ة أمنة اياه فرحت
بولادته واعتقت وليدة لها فرحا فيه به فاثابني الله بذلك ان رفع عني
العذاب في كل ليلة اثنين لذلك قيل أذكرت رحمة الله تعالى كافرًا
فقطع عمره في عذابه وانما نيته بسبب فرحه بولادته ما ظنك بمن صرفه
في مقابلته ولبابه في عقوبته جعلنا الله تعالى من امته برحمته و ما اطلعتم
عليه من الرؤيا للمسلمين بما اصيبوا به من البلايا أن يفرج عنهم ما نزل بهم
واشر من ذلك اعراضهم عن ربهم قبل أن يأتي ما قول لكم انجلى كلهم
مشتركون في هذا البلاء قبل ينشرح صدر أحدهم الرغبة واما قبل ان
ينشرح لكان له في ذلك أعظم العزاء ما هيئا به من فنون الرزايا وقد
قال بعضهم أنا من أن أخرم الرؤيا أخوف مني من أن أخرم اجابة وهذه
صحابة ستنفتح اما عاجلا واما آجلا فيتمثل الله تعالى القلب بين اصبعين

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وأما ما ذكرتم من كلام سيبويه عند الفاء والذي يفهم لي فيه
خلاف ما فهم لكم ولهم ومعنى قوله الكلم الطيبة أو المنقل من الكلم
المكتسب أي هو افضل ضرورا وأخبث شرا من ورا خبر أن الكلم الطيبة فلم
يخرجوا الى معنى التعزر المحمود الذي أشار اليه في ابتداء الكلام ان صاحبه
إذا صرد وجهته الرد لم تمكن مشورة فيه عليه بل يكون كما وصف الله تعالى
به الصحابة رضي الله عنهم في قوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم وان لم
يضرد وجهته اليه لم يؤثر فيها كثيرا بالنسبة الى ما يوثر وراء خبر
واقتصر وأمر فيه على حد لا يتجاوز ولا يتعداه والكلم المكتسب ابلغ في الضر
وابقر عورة في الشر لان صاحبه قبل تعاطيه أسباب الكلم احقر شيء واذله وأقله
فاذا وجد شيئا يتكبر به لم يقدر أحد أن يلحق الرأس كما قيل لا بد في السما
واست في الما فلا تسل عن العسام الذي يغرق بسبب تكبر وتجبر
واعتبر ذلك بحال الخساء النامر واذا لهم اذا تولوا ولا بد أو تقلدوا حكما
من الحكام من المتنبهين والمتحضرين فانظر تحولهم في وباينهم بعد
أخوال ربما النامر من ذوي أنساب السلاطين والكبراء من بني مرهاوا
يحشرون من الغار والا يعلا يخابون من عار وانار وقد قالوا الشريف
إذا تسفل تواضع والدني إذا تسفل تجبر واعتبره أيضا بحال
أغنياء النامر وقد رأيتهم إذا استغنوا تجبروا بغير احتمال فلقيهما
وبابنا كثيرا وقد قالوا خير الرجال من زهد من شبع ثم جاع وأما خيرها
من زهد من جاع ثم شبع وما أشرتم اليه من ارتفاع الخلاف في مسئلة

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الغني الشاكر والفقير الصابر وعدم تفضيل أحدهما على الآخر بالنص
التوحيد الذي ذكرتم وتسويتكم بين الفقر والغنى بما ذكرتم متعلقا
من المنع والعطاء والشدة والرخاء في كون كل واحد منهما حالا ينبغي أن يستحب
كل من اتصف بها خطأ منكم أصابتكم فيه غفلة لأن الفقر والغناء اللذين وقع الخلاف
في أفضلية أحدهما على الآخر إنما يمكن اكتسابهما وتصور الفقر في الغني
أحدهما على حسبما تقتضيه الشريعة والطريقة وكذلك الفقر عرفا في نحو
التوحيد والجمع أيضا في هذا التصرف المذكور فيستقيم بقاء الخلاف فيه مع عدم
النص بخلاف المنع والعطاء والشدة والرخاء فإن الفقر لا يدخل له في شيء من هذه
الطريقة إلا بمعاملة اكتساب بهذا لا تستوي عندها أحوال الفقر بها بقدر
واتباينا فإن كان أراد القوم حكم لهذا الذي قلناه لكم بحسن وإلا أعرضوا عما
قالوا وإياه استرشدوا **وما ذكرتم** من المشي إليكم وزوري يا الرجل الصالح
الذي ذكرتم والله تعالى يصرف علمه ويديم استبداد القاهرة والباطنة أن
التنقل من حال إلى حال مما تستريح إليه النفس وتحب بسببه الانشراح والأنس
وإلا كيف يبني وينزل مفسرات وتغلفانا من وجه تقول معتمات ومن
وجه تقول غيم معتمات وبالجملة فإنا شيخ قد استولى على الضعف في الغلب
والبرد والوقوف على ما تعلمه من الظلمات والغيث والمناصر التي تروم منها
الإنسان غير مخففة حصول الفوائد الدينية أو الدنيوية فيها فإذا اتفق
للإنسان في هذا أمر يغني منهوتا لا يزعج أن يتوجه وإما إذا يفعل قال راحة بعد
في الحال وإلا راحة يفرحها في الانتقال فعله مفعل وشغله مصرع حتى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

يبلغ الكتاب أجله. ويروى كما وجدتها ما قرأته: هذا حالي في الجملة وأما التفصيل فالحديث فيه طويل. **وأما** قولك: لقد كنت ذكرته في الكتاب الأول الذي بعثته به إليكم فليس هذا موضعه لأنه فيه بتمام الراحة والعوفاء الرأي الوطن مصحوبًا بالراحة والسلامة وقد عوفيت فيه أيضًا لم أقم بأمره. وعافاه الله في شرته وعقبه. وقد كنت لما وجدت عليه من الشدة على ما الطبع من المرض في بلاد الغربة وقلة الكتب فيها أتسلى له فيما حدثته به نفسه من الحج إلى البيت وكنت أذكر له شدة علينا وجلبا للمضرة إليه. وكان أقدر في علمي من حاله شيء لم يجبني وتغافلت عن ذكره لما تعلم من حاله. فلما وقع منه تشوف إلى أن أسأل عن حاله حسبما فلتم في كتابكم اغتممت هذا منه ووجدته مفصلا للتنبيه له كنتم ذكرتم لي فيما تقدم من كتبكم أنه جاء إلى هنا إليكم ثم كنتم وأي شيء يفعل بكر أو بكر حتى يشبه حاله ويقارن فعله ووطنه وزكب البحار. ويفتخم الأخطار. ولو تعرض في موضعه وتشاغل بنجيبه والنظر الذي تعلق به ويسعى عليهم بكسب يدره وصحة بدنه ولم يتعرض للتأمير ولم يتصرف بالقلب والخرص ويرفع نفسه عن ذلك في بلاد هو في غنى عنها وكفاية منها لا سيما في هذا الوقت المسكين الذي لا تغني فيه حرة عن حر ولا يغلب ما يملك الصعلوك. لكان أجمل به وأبلغ في الوصول إلى مقاصده. فالقناعة مال لا ينفد. وفي الحديث استغنوا عن التأمير ولو بشوص السواك. وخرج مسلم من طريق يعود بن ملك الفقعسي رضي الله عنه أنه بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة وذكر حديثا طويلا أسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا فلقد رأيت بعض أولئك النفر

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation King Abdul-Aziz - Casablanca

يسقط شرف الحرم ولا يسئل الحرام ولا إياه وقد كان بعضهم
انظر الفاضل يسئل منه أن يسئل فلا يسئل ويعطى فلا يقبل. وروى أن سالم بن عبد الله دخل
البيت الحرام فضاء فيه هشام بن عبد الملك فقال له هشام سل حاجتك فقال
إني أكره أن أسئل في بيت الله غير الله. وفي كتاب أبي عاوة المسائل كدوح
يكدح بها الرجل وجهه فمن شاء أبقى على وجهه ومن شاء ترك إلا أن يسئل الرجل
ذا سلطان في أمر لا بد منه بدا ولفرصة الذي يقول

ما العثار بذي وجه مسوأله ... عوضا ولو نال الغنى بسؤال

ورئي بعضهم في يوم قار وهو يعرم الزرع فسئل عن ذلك فقال

قطع الليالي مع الأيام في خلق ... والنوم تحت رواق الهم والقلق

أولى وأجدر بي من أن يقال غدا ... كنت التمست الغنى من كف مختلق

قالوا فما نعت لنا فلك العنوع غنى ... لنيل الغنى كثرة الأموال والورق

رضيت باليد في عنى وهي بيضاء ... فلست أسئل إلا واضح الغرر

فهذا ما أردت أن أنبهك عليه وأذكرك له فإن كنت فيه مصيبا فالحمد لله
وإن كنت مخطئا فيه فبما استعجم الله. ولو أما حرك لي لذكر ما حكيتموه
إلي عنك أذكر لك من ذلك كله شيئا وأمر المغضوب وقت يمضي ولحبة
تنقضي. ومرورا بها البغتة والحساب. والثواب والعقاب. والله تعالى
المسئول أن يصلح لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين. وأن يطهر نفوسنا من دنس الفسق وكرهه

أما بعد فقد بلغني كتابكم وتعرفت منه أمورا أبرز الكلام عنها
على حسب العادة منها أنكم قلتم عما كان أصابكم من الغيض من فيض الكلام

الزيد

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الذي صدر منكم بقولكم فبركته لكم لتعلم وبني بالسبب فهل كنت عالما بذلك
انقطاع عن التصميم عليه ذاك اني رأيته ذلك الكلام القويل الغريض متضمنا
له فاكتفيت بذلك وقولكم ذاك أن اخباري كان على جهة أني لم أر ضرة ذلك
الكلام منكم ولم استحسنه واعتقدتم فيكم أنكم فلتموه عن هوى الزاخرة فلم
تروا أنه وقع منكم شيء من ذلك حتى تحتاجوا الى تنبيه أنفسكم منه في كتابكم
بقولكم حاشى وكلا كيف ولو قلت لكم الملح بالنعال لاعتقدتم أنكم تقولون هذا
هو السحر الحلال فضلا عن أن تنسبوا الى ما ذكرتم من التضييع والاغفال
والغادر الامثال وقولكم وما قصرت ذاك الفرج فابرة فقد خرجت بوابر كثيرة
وانكم لم تعوها لقولكم ذاك انه ظهر لي من كلامكم أني خرمت بوابر كثيرة حتى
قلت يا ليتني لم يضرني ما ضر ولم يمنعني من علم ما وقع منكم وانما منعني
منه أن التكلم على ذاك اخاء بيته وذاك اخبار بما يؤمن فيه من الفضاء والعثار لا سيما
من حيثية ذلك المفصر الذي فصوا وانه الفوم أنه يستدعي تطويلا زائدا على
المقدار وتاويلا لا يتجاسر على ذكر مثله اليوم ذاك من يفرد بالاحجار
ولك أن تضبط هذا اللفظ بفتح الياء وكسر الزاي وتعني به المجنون أو الاخمر
أو بضم الياء وفتح الزاي وتعني به المزجوم كالكرا بالخوز وما عسى أن يعرى
الفارس العرمرم الجواد فكيف من هو مثلي راكب على أبي زياد فرأيته ذاك اما
عن علم أولى نعم وهو من جمة زاخرة النفس من تعب الكتب في العمر لخلي
وأجوز باء كنية الحمار اقتضى سياقها في المعنى المستعار الغافيه
والمضمار والمعنى الذي استعيم لذلك هو النظر والفكر والتصفح بعيون

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

العربية في حق الحق قرار ثابت فاعلم ذلك

وأما قولكم في دعوى استعمال منهم بعض بالي قبل لكم فكيف بغير بعض منذ أكم استعملتم أمر الغيبة وزعمكم استعمالها ما كتبت به إليكم لعوالم وكتب ينبغي لي أن استعمل منهم بعض بيانكم في ما تضمنه كلامي من الرعاية إلى الله وكذلك كنا ثم فلم فإن بعلة شيا من ذلك لم استعمل أن بيانا من بكتبي حقيقة فإن كنتم تعتقدون أنكم برآء من تباعة ما وقع منكم من الغيبة فخلاصكم من مقصر اعتقادكم لذلك بعيد وافترادكم في ذلك لا يفيد لأني معترف بقلة الدين فمنح في عن السبيل المستبين وإن كنتم تعتقدون انتهاكي رقتكم كصيام العام وأنكم تعرضتم بسببها للعقاب والملام وإنما وقع منكم التساهل فيها بالقياس إلى ما وقع منكم من دعائم على الغدر والخروج مما أخذ عليكم الزاجر المشترط فغرتم تسلمون بهذا الاعتقاد وتستوهبون لكم تباعة ظلامتكم في المعاد بشرط أن لا تعلقوا قلبكم بسلامة ولا استيقان ولا يكون لكم بقدر تناضلون عنها باستدفاع ما تعرضتم له من العقاب ولهذا الشرط شرط آخر وهو أن لا تعتقدوا في أنفسكم كونكم على هذا الحال يكون هذا الاعتقاد عليكم زيادة في الوبال والنكال وخافوا عليكم من الدعوى التي هي أعظم البلوى فإن شاهدتم سلامتكم من هذا الاعتقاد الآخر وسكنتم إلى هذا الشعور القاهر فغرتم في الوحل والطين بعد أن أشفيتم على التخلص من الضلال المبين وإن لم تسكنوا إليه ولم تعولوا عليه بل كنتم بين الرجاء والخوف وشاهدتم اللطف في عين العنف فقد سلمتم من حيث لا تشعرون وتخلصتم من تباعات ما تأتون وما تذرون

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وقوله وهذا هو اللطف في غير الغيب وهو بيّنة الفصل أنه إشارة
الى الحال التي بها تكمل عبودية العبد فان صاحب هذه الحال لا يسمع بأذنه
ولا ينظر ببصره ولا يتكلم بلسانه ولا يبطش بيده ولا يمشي برجله ولا يغفل
بقلبه فاما ان يجتمع معتكفا في مارستان او يجلس على منصات أهل العرفان
وكلتا الحالتين اسارى فيهما ذلوان حيثيتي ولا خروج لي ان صاحبها
مشاهد قرة العين وقد قيل في معنى قوله تعالى في حق موسى عليه السلام وفتناك
فتونا فبعينا طه من الغم فأريناه عين الجمع حتى زال الغم عنه ما داخله من الغم
وهذا كله كلام تمج به الخواطر الذي ليس بعاطر فحذروا أنفسكم منه البادرة
وعوا صاحبه ان تعلى منها عزوى ولا غادرة نحن نحكم بالظاهر والله يتولى
السرائر **وما** كرموه عن قال وقال بقي علمت أن التغلب المنكر
يئول بصاحبه الى ما هو أعظم من ذله ان المغلوب منزلة أعمى التي تتحاماه
عصاه ذاتي وقومه كونه اعمى البصر أعمى القلب لا يهتم الرجال من له يتبع
وبه يهتدي والغالب في هذه الأزمنة الغاشمة انما نفع عصاه ذا بصر أعمى
مثله فاما ان يقعا جميعا في وحل أو يتهافتا في بار من فتنة جبل اعاذهما الله تعالى
من هذه الحالة **وأما** الكتاب الذي أردتم أن تكتبوه له ثم اعرفتم
عن ذله من شراء العمل أنه لا يعين بل انه يزيد في حزن اليتم عنه فعين
أنكم تطلعون فيه وتهبطون وتقولون فيه ما تعتذرون وفيه تصيرون وتغلطون
ولو كتبتم له بهاء النص لكان اقرب الى اصابة الغرض من التشعبي مما علق
بقلبكم من جنة المرض فتقولون من قال الى قال أما بقي بقي بلغني أنكم لم تقرؤا الكتاب

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الذي بعث به الي فلان وامرني أن اكتب به اليكم وفرغ علي ما يعلم من ذلك
أني أعتقد أنه لا يكتب الا يكتب آخر ذا بصحة يلقيها اليه وكم من كتاب
كتب به الي زال عني بسببه شبه وانكارات في عقايدي واعمالي والكتاب
الذي وجه الي وطلب مني أن اكتب اليكم بنسخة منه وان كان متضمنا لخشن
الكلام والكذب لا يخلو من فايدة ونصيحة ينبغي ان يبلغ وكما يحمل الغم عن علي
رد كم له واكرهني ولوره ثم كتابي علي لكان أهون علي من رد كم الكتاب به
أن له من له بقلبي ايصالها غير فلذلك تجاسرت على الكتب به اليكم ولزلة كم
كتبتم الي بمثله وامرتموني ان اوجه به اليه لبادرت الى ذلك ولم احتشم من
ما الذي يمنعكم من قراءة كتاب فلان مع أنه لم يبلغني عنه ذا محبة الخير لكم
وتكرار ذكركم وهلا اخرلت قراءته بمن له تاهمت أني اعهركم
تذكرون في بعض اوقات التي يخلو فيها منكم وتنعمون من شغلكم
أو تسمعون من يذكره ما يجري بين الفيابل من المعارك والحروب وغير ذلك
فلا أقل من أن تجعل قراءة كتابه ممن له لفرضوا له على كثير اقال فلم
انه جاء عن طريقة سيرة الحاج بن عامر رحمه الله ونفع به فان الله حليم
لا يعجل وعن الذي يقفي على طريقة سيرة الحاج حتى يتقفى هو علينا وقد
كنتم مواصلين له قبل وداته سيرة الحاج ونحوه مع علمكم بأنه لم يتبع
طريقة اتباع غيره بل كان في أكثر احواله أمة وحده ثم من لكم اليوم
بمثل سيرة الحاج أو من يشبعه حزو النعل بالنعل في حزه كان منه الجاسر
لو يتشمر بالفضيلة لم يحزه فينبغي أن يقفى لكل زمان رجاله واحملوا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

العطف حمل الجمل وإن ظهر لكم أن لم الكتاب إنما بعثه على باعث الهوى
فلله لكم ينبغ لكم أن تقرءوا الكتاب فإن الرجل العزيز بيد انصافا إذ يفعل لم يبق
في كتب كثيرة يعلمني فيها علما أو يأمرني فيها بأمر فأجري بتحري في ذلك غاية التحري
وبحتاط غاية الاحتياط ويقول لي هذا ما جمعت وانظر أنت لتبسط وأنا قائم
في ذلك وليلي في ذهني أو ما معناه هذا يفعل هذا مع في كثير من المسائل فإن
شئت أن تطلع على ذلك فاطلع وإن انصاف في الناس اليوم حال الكمال
وأي الرجال المهذب ولو طلبته اليوم وجدته فإذا عرفت هذا فاعرض لي أن
أقوله لكم بغرة ما جاءني فلان وأكرمني بذلك الكلام ولكم البعض في تتبع
ما كتبته لكم وعجاوبتي عليه والله تعالى يلهمكم على أرشد الأمور والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته بعد هذا كله هو الأمر أن تكتبوا إلي إذا أردتم ذلك ما كنت
ما صرت هذا ومن عجز لم أبالغ ولم أعنف به ولا أقول العامة كل شيء يقوم
إذا الغزل المغزول وإنما كان يعز علي ما ذكرتم من حال فلان أني كنت
رأيت عنه لطيفة في الكتابة وأول الذي كنت كتبت له أول مرة وعجمت
عنه حانوتا حتى حملته على أن وعدني بموعد رايته فيه فسألت عليه
لعبتي وهو إن شاء أخبركم به أخبركم فلم أمن أن يشي الرجل أن يذكر له
فيرده عما كان نواه فعدت أن أذكر له فيض فيه فعزله بلسان
حاله ولسان الحال أفصح من لسان المقال هذا كله إن يفعل اعتفاءه في نفسه
من عينه وإن لم يفعل اعتفاءه واستغنى عنه من عينه بل كانت له عنده حالة
ليعرفها بأمر فيشاشيتان استعان في أمر أن فلانا تمطط بأشياء أطلقها

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

أنا من زيد وتمسكت انا بشيء مما اطلعه من زيد أو لم يقترب اليه ولم يعثر عليه
وعلى كلا التخيير أعني ان يكون الاعتناء أو ان يكون لا يصح له انجاز موعود
ولا انلاغ مقصود ومن هو قليل الشعر ما عنده ما يقول وهذا كله مزاح معكم
ومعه اذا فرأموه عليه ولم تعرضوا عن مجالسته ولا اتيان البيت حبا أعرض هو
لما وقع عنكم من التخليط وفاتكم من البليط حتى أنكم الى الرجوع بما
يعني ما حكيتموه عن قلة اغتباطه أمرا يتعوذ بالله منه ويستبين به انكم على المزاح
مثل هذه الأشياء فان لم يكن من عادتكم التي تعودتموها معكم ومرادكم الغاية صعب
ومن اتبعها بما يجوز ويستحسن ليس عليه عتب ولا أبعد ذا أخوال التي نقلت
عنه وعن غيره أو يمكن أن يضر من التغلب والتلوز والتخليط والسقوط من العين
وعدم انجاز الموعود وتعويق المطالب لم تقع في الرجوع ولا كان لا لائق القوم
على التغليس حرج بل كان لهم في جميع اعتناء حسن وحال مستحسنة فإنه
يكون أحب الي مما قاله عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لتابع مولاه لوجهه
عني كما تجدون عكم من عند ابن عباس لكان أحب الي من أن يكون لي عدلهم رابعة
قيل له أفلا جعلته جيرا فقال قد كان في نفسي ويكون ان شاء الله أحب الي
مما قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لرجل دخل عليه وعنده بنون ثلاثة
كأمثال الرتائم يجعل ينظر اليهم فقال له عبد الله فقال كأنك تعطشني
بهم فقال له وهل يغبط الرجل بمثل هؤلاء فرفع عبد الله رأسه الى السقف
فبيت له فصير فرعشر فيه خطاف فقال أي الكوز نفضت بيدي من تراب
قبورهم أحب اليه من أن يقع بيض هذا الخطاف بيتكم وبينما هو

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

يوما يدعه له وتحته فلانة وفلانة امرأتان زوجا تا منصب وجمال وله
منها ولد كالخنزير الوليد اغشمش على رأسه عصفور ثم فزع آخر بطنه
فكنته بيره فقال أتزعم أن الله تعالى أنعمهم أحب الي من أن يموت هذا
العصفور فإذا كانت أعمالهم المواجفة وصفاتهم المرضية ومعاملتهم الحسنة
يجب بتلك المثابة عندي من الورع الزاهد وتكسر البيض وموت الطائر على ما
غالبا هذه وأخوالها منهم يكون عندي من تلك النسبة فلا جرم لا أفيح لهم فوزا
ولا بغلا ولا أعاتبهم جزاء كبر مزحا وهزلا وهذا كله مما تقرونه عليه
وأرده ثم سلامتي وسلامتكم من التباعات والذيلات وذرا بفوهرى الوفاة وما
والله سبحانه ولي العفو والمعافات ولما ما ذكرتم أنه سبب الورع
أو ورع من اعتفاء أفضليته موسى عليه السلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فهو من أمور الشيعة وذا أحوال الطبيعة التي تشيم الغلو باعن سماعه كما
وتشرئب الى تعظيمه عوارها وهتمها ولعل ما اتهم به مزعلة لم يضر منه ورع
بنقل الثقات أو غير الثقات عنه أن هذا مذهب ركيك يشبه الكفر أو قال
هو هو أو قال هو لم يصح فإن اعتفاء مثل هذا موجب لتعفير وجوه الشمة
لنبينا صلى الله عليه وسلم في أمر يزكي لا ما هو منزه عنه أحرى أن يقع منه توضح
غير أنه بتلبيس حاله والثاني أن لا ينصح أهل غوته في تبليغ رسالته وإذا
أخذ هذا المذهب الروفرع هو من المحزور من قطعا كتب يلتبث اليه سوى
موحد مصر ونبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأنه يكفر على الإسلام
وتصريفه بالبطلان فيكون حينئذ بمنزلة ما قيل ساق حرا زوعلى حماره

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ثم إنه إذا طولب على صحة مذهبه بدليل صحيح أو سقيم كما يجري وعادته أنه
يحتج على ذلك بآيات مغلقة تحتمل التفسير أو عامة تقبل التخصيص كما تفعل في
أكثر منها وأن دلالتها على أن موسى عليه السلام شريف المنزلة رفيع الرتبة بحيث
لا يلحقه في ذلك كثير من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ولم يكن في ذلك
ذكر إذ ذكر في العزيز وسورة قصصه وأخباره في مواضع كثيرة
منه وهل أحب شيئا أكثر من ذكره أن يبيح استعارا بأفضليته على محمد صلى
الله عليه وسلم حاشى وكلا ولبئس صاحب هذا المذهب إن صح عنه توقف عن
التفضيل بينهما أو رجح لعرفه ما على ذلك في كثير وقليل ومع ذلك لا يسلم من
الوقوع في الضلال والتضليل لما فيه من الطعن في نور الله وتغيير خلقه وكفر من يعتقده
وما أشبه هذه النازلة لو وقعت بمسألة رجل يفهم يتعلله وقع هنا بين ما سلف
كان يفضل علينا على أبي بكر رضي الله عنهما كما كان يصرح بذلك
كثير ممن كثير إذا سمع أو ذكر عنده شيء من أخبار علي رضي الله عنه
يلم عليه من العزة والسرور وما استبشر ما لا مزيد عليه وإذا سمع أو ذكر له
خبر من أخبار أبي بكر أو غيره على شيء من ذلك كنت أنت عليه رأيت البغضة وشبه
هذه السلة بالتي ذكرنا ما أشبه سورة بسورة وآية بسيئتها بون بعيد في المعنى وما
أحسن ما دعى بلال بعيد ذكر له تلك الغصة بقال نسأل الله العافية فإن
ارتكاس المرء في ضلاله وجهله أقرب إليه من شر إلى نفله فنسأل الله
العافية بمنه وكرمه والله ولي الخير والمرتجى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين فإن قلت ما فرضت
ذكره من ذهاب صاحب المذهب إلى المحذور المذكور من أمر مجمل لا بيان فيه لم

تفضيل علي على أبي بكر رضي الله عنهما بدعة

خ دعابه

معالج

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

بعضاكم تبينون علما ربانا شافيا تخرج به من التخليط الذي هو عندكم من تلجج
الصدر يعين فيما في هذه المسئلة التي يقع فيها الذكر ويكثر الصدر
وقد كنت أظن أن أمرها علما يبلغ الى البساط في الاعتناء به ولم يقع لي لهذا
المذهب أحد يعتد به ضرورة انتفاء وبرأيت أحمد بن حنبل الواقف
على بيان خلة بنت في الله ومعونته أما المحذور أولا فمن الغش للأمة والتلبيس
للحالة ثم جهل الخلة الحامة التي تذكرها وهو ازم عن هذا المذهب لهوف
حمام أن النبي صلى الله عليه وسلم من أن ينعته الى أن استأثر الله به لم يزل
يمسح على لسانه من ذلك بخبار وما أنزل عليه من كلام الجبار ما يوذن ظاهره
باختصاصه بالمرتبة العليا وأفضليته على جميع من أبناء الشيء الكثير
الذي لا يحصر ولا تفتر ووجوه هذا مفهوم به فلو كان هذا
المذهب صحيحا لكان بيانه صريحا مما ذكرنا فاشا لأمته وملبسا عليهم أنه
يكون حينئذ أبطن خلافا ما أظهر وستر ما كان يجب أن يشهر وهذا مما
ينزه عنه آحاد العقلاء الفضلاء فضلا عن خيرة أنبيائه ثم أنه إذا اطلع
مطلع يوما على أفضلية موسى عليه السلام ربما نسبه الى الحسد له
والنجاسة عليه فيكون حينئذ من مقتضى شفقته على أمته أن يخفي
منهم موضع هذه الفتنة بأن يشهر أمر موسى عليه السلام ويشيع بينهم
أفضليته عليه وهو صلى الله عليه وسلم لم يفعل شيئا من ذلك ولو كان لنقل
ولو نقل لبلغنا كما بلغنا حديث الرجلين وانكاره للذي رفع النبي صلى
الله عليه وسلم موضع التفضيل فلو بما وقال لهما انها صبية وهو حديث

فصل

أو فضليته صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء

مؤسسة الملك محمد العزيز الدار البيضاء Fondation du Roi Abdel-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

مشهور وليس ما نحن بسبيله بأفل موقعا من هذا وما يؤول اليه هذا من المحذور
بأشر مما يؤول اليه ذلك وغاية ما وقع منه صلى الله عليه وسلم قوله في قصة
اليهودي الذي قال لمحضر رجل من الانصار والذي اصطفى موسى على
البشر ثم لطم الانصاري وقال تقول هذا ورسول الله بين اظهرنا ثم رفع ذلك
اليه فقال لا تفضلوا بين انبيائي وانا خير ولكني على موسى وهذا يدل على ثبوت رتبة
لموسى عليه السلام عليه والله تعالى أعلم بالحكمة في نهيه عن ذلك هذا كله
إن صدر منه كلام يقتضي لظاهره وجود فضيلة له صلى الله عليه وسلم
ويكون بالجملة خلاف ذلك وأما ما صدر عنه من كلام تكون فيه نصوصية
على رتبة فضيلة فينضاف الى هذا المحذور فيه نسبة وقوع الخلاف في القول
البتة في إخبار بذلك إما لمصلحة أو لغير مصلحة فيوقع ذلك الان يوثق
بقوله وأما ما يأتي به عن ربه من أمر أو نهي أو خبر لتجويز وقوع ذلك فيه
وهذا أمر عظيم وليس لقائل أن يقول نحن بأفضليته ومرتبته وثبوتها له
لم يستجب له لحق الرتبة الأخيرة أبدا أنا نقول بعد تسليم أنه يجوز وقوع مثل هذا
منه لأجل هذا الغرض مع أنه ليس كذلك وحاشاه من ذلك المقتضي للاستجابة له
واتباعه وعوالة النبوة مع ظهور المعجزة على يديه فقد وأما اخبار
بالمرتبة والفضيلة والمرتبة قبل أن يدخل الذي هو وليته منصب رتبة المتقدمين
عليهم الصلاة والسلام ما عدى موسى عليه السلام على مذهب الخصم لما الجميع
امهم بحال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأفضليته عليهم هل أثر ذلك في حط
من يتبعهم من أممهم عن اتباعهم ومعلوم أنه لم يؤثر ذلك في حط واحد لو

اثر في علم ما لتحم وهم به واخبارهم بشاشة معلوم على القطع واي فرق بين
اخبار النبي بأفضلية مزيانة بعرو واخباره بافضلية من تقدم قبله فلما لم
يوثر اخبار السابق في الزمان بأفضلية اللاحق فيه في عزم اتباعه واستجابته
لم يوثر اخبار اللاحق بافضلية السابق في علم التابع في اخبار السابق
بافضلية اللاحق لو تصور لكان أضر ان من حجة المزعور أن يقول انما اخبر النبي
بزعمه أخبرني أن زيدا افضل منك يا تيه بعمرو فزعمي انه على حال فاطع
الحمد والبعد والحاجة في ذلك الى اتباعك مع ان تم من هو افضل منك
وانما أخبر اللاحق بافضلية السابق أي حتى يقول المزعور فيحمله الخيال
الى أن يتبعه شأم أبى لانه مطمع له في الغاء من تقدمه وبانه فتبين بما
ذكرناه أنه لا يصح لقائل أن يقول هذا القول بل نزيد ونقول الذي يناسب
اخبار النبي بأفضليته أن يتبع ويستجاب له لان أهل الرياسة
من أمته ينصبون دونه الى التكبر والترؤس عليهم قبل ان تسمح نفوسهم
بما هم فيه من التكبر وتنوخ دونه أن يتنازل والى من يشاركهم في
الرياسة والتكبر وعزم اخبار النبي بأفضليته أو رجوء اخباره
بافضلية غيره عليه هو الذي يناسب اتباعه ودون استجابته لانه
ينصب في علم الى التواضع وذل الانقياد ومخرجة الدرر لذوي الاقدار
ألا ترى أن اهل الرياسة من قريش انما كفر من كفر منهم بنبينا محمد صلى
الله عليه وسلم وحسد من حسد منهم عجزه سماعهم لقوله انا رسول الله
اليكم حتى قال أبو جهل تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف أطعموا واطعمنا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وكذا وكذا حتى إذا كنا بكرسي رملة فالوا منا بني يوحنا اليه
من الذي يلقبونه فالوا كيكوز يتيم أبي طالب رسول الله لو أنزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم ثم رموه بالعيوب ونسبوا له أنواعا
من النقائص وذكروا قبائحه فقالوا شاعر وساحر ومجنون ومعهم كتاب له لم نقرأ
بصر بهم ما أنزل وحي صلى الله عليه وقد كان عزم بن أبي رغبي
هذا الرغوي ويقول هذه المقالة صرفا مقرما أميتا معهما فما لحظ
لو قال لهم أنا سيد ولد آدم أو أنا خير ذا بنيا والرسل أو ما أشبه هذا
فلو وجد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى رغوتهم سبيلا من غير أن يقول لهم
أنا رسول الله إليكم ما فال لهم ذلك ولا جاء بدا كان سبيل الله ذلك ولما فال ذلك
الغلام الذي قدم إليه الغصن في الكلب أنا من أهل نينوى ذال له النبي صلى
الله عليه وسلم فريد الرجل الصالح يوسف بن متى فقال له الغلام وما علمك
بيوسف بن متى فقال صلى الله عليه وسلم هو أخي أنا نبي وهو نبي ولم يزده
على ذلك وهذا كان شأنه في ابتداء الإسلام والله تعالى أعلم أعني
كان اقتصاره على الرغوة والإخبار بالرسالة فقط فلما تحكم الإسلام
واستحكم أمر الإيمان وتطمئن به على جميع ما أتى به صرح بما لم
به من الإخبار بفتح الرحمان وهبات المنان ولم يجعل لأحد عليه فضلا ولم
ولم يقل بمن قام وقعد وأما بنعمة ربك فحدث فهذا آخر الكلام
على الحبر الوجيه المحمود بن أبي المحمود رضي الله عنه وهو كونه صلى الله عليه وسلم
لم ينصح في غوته وتبليغ رسالته فهو لازم من هذا المذهب السديد

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

أن ممن جاءه وشاهد مواصبه الحروب وكابده بالمكابدة وبز أجمعين في المعاداة
والمباعدة والمضادة والمعاندة اليهود لا سيما الروساء منهم ككعب بن
الأشرف وابن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وغيرهم ولو كان هذا المذهب
صحيحا لم يبلغ بهم ذا من هذا المبلغ قال تعالى أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون
كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا
بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون
أي أن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان يمكن أن يستالفهم ويستميلهم
ويستدنيهم بما يذكر لهم من أفضلية موسى عليه السلام عليه لما لم
يقع منهم موقعا عظيما ولا ينسبونه إلى الزيادة والإضافة لما يسمعونه
منه من الإقرار والاعتراف ومعلوم من حال النبي صلى الله عليه وسلم أنه
كان يتلطف في الدعوة ويستالب القلوب النافرة بكل ما يمكنه مما لا
يبعده حتى أبان إليه جنبة لم يعوات حظوظه التي لا يتغاضى بعلمها
من مر تبته الرفيعة جنبة خرق أو بلغ على حزمه على هذا هم مبلغ العقلاء
والسماحة بالنفس قال الله عز وجل لعله باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين
أي قاتل نفسك وقال عز من قائل لعلك باخع نفسك على آثارهم وقال إلى
غير ذلك من الآيات وكان من أمرهم ما ذكرنا له كيف يعمل على بعض
أهل عمرته بكلمة يأخذ بها من قلبه ويقبل بها من غربه ومعلوم أن شيئا
من ذلك لم يقع له صلى الله عليه وسلم بل تراهم تتلظى صدورهم من الحقد
والحسد وتنفتت قلوبهم من الأسف والكمد ولم تزدد عليه الصلاة والسلام
بسببه إلا علوا وشمخا وكثبة عنهم بكلمة توافقهم ويرضون بها عنه

بكران ؟

(إن كان عليه الصلاة والسلام يغيب سوافعة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه فيه وحي لاستيائهم والله أعلم)

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdelaziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

عمة : بل واجمعهم بالتفبيح والتغبيح . وقال لهم يا اخوة الغربة والحنان
ثم بغرة لم حكم فيهم السيوف . وجزعهم كتوم الحتوف . وقد كان صلى الله
عليه وسلم بحث موافقة اهل الكتاب فيما لم ينزل عليه فيه وحي وليس فيه لما
ذكرناه من استيلاء . والمناظر ابدا اذا وقف خصمه على شيء من قوله
وما قال لم يبلغ عنه كل التبليغ وأمكنه أن يستنتج بذلك الرأي يقول بقوله
ويتبعه في رأيه و يشبه مسئلة المناظر ولو كان من خوف ذاء أي اذا تذكر
في هذا الموطن معجزة عن الاعتذار أو مسئلة الصنيع لم يمكنه أن يدعي
ذلك استدلالا بالنبوة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فتح لنفسه
بعد واحتج لدعواه بكلمة قالها النبي صلى الله عليه وسلم في جنين
إذا كان قروم عليه في جملة من وقع عليه من قومه وإنما قصد بذلك
أن يستنتج الرضا له من أمر محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه به والنبي
صلى الله عليه وسلم لم يفعل شيأ من ذلك بل لم يزل يراضاه عما نخصوصيته ويجمع
بأفعليته منا من شاء ولي من ربي . فكان يقول أنا سيد ولد آدم وأنا سيد
الناس يوم القيامة ومن وقف تحت لوائي ولو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما
إلا اتباعي ورحم الله أخي فلانا ورحم الله أخي فلانا ورحم الله أخي فلانا
وأعطيت خمسا أو ستا أو سبعا وكم من هذا وكم ولم يرغب عنه في شيء
من احاديث الشفاعة الطويل لكان في شيء مما يشبع الغليل ولا جرم فلما ثبت
باخبار بذلك صدور المؤمنين ووافقت على الشهادة له بذلك بصائر
العارفين رأينا ما خصوا به من الشهود . وما اجتلاع على اسرار الوجود

قوله عليه السلام انا سيد ولد آدم

MS
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

علموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو لباب اللباب وأن سببه من الله تعالى أقرب الأسباب فسلكوا إليه الصراط المستقيم ولم يحتاجوا إلى تقلب حدقة عين ولا سبع كما احتاجه أئمة القوم حسبما أخبرتم به

ولينصح في ذات الله ما لأحد شيء متى يحتاج النهار إلى دليل

وهذا ما ارتأيت أن أذكره لكم في شأن غلط من تمذهب بهذا المذهب الردي ولعل صاحبنا من غير بر وإنما طولت الكلام في هذه المسئلة وإن كان من وجهها أن يسئل فيها مسئلة المتباطئ في أمور المشكلة وأن يقتصر مع كل من صح أن له مزية مذهبة عقوبة وأدبه على ما هو اللائق به بأن هذه هي عادتي معكم في كثير من الكتب أتفنن في العبارات الكثيرة وأذكر الكلام الطويل في الحاجة الحقيرة فاقبلوا إني له العزيز وأسئلوا الله تعالى العفو والغفر

وأما الوسوسة التي ذكرتم أنها تصيبكم في جانب الربوبية فلا أدري من أين تجيئكم الوسوسة في ذلك أن الوسوسة إنما تعتري أصحاب الرسوم الذين لهم عن أنفسهم معقول ومفهوم فلا يجوز الوسوسة المنوعة والجنسة أنهم يغارون التوهم والتشبيه والتمثيل وأما أصحاب الحقائق وأهل السلوك لطريقهم فلا يصيبهم شيء من ذلك لأنهم في نظرهم أشباح خاوية لا يعبؤون بها ولا يهتمون بها ولا يبرزون لها ما أراهم رقيهم الذي ترقوا هم وليس لهذا الخوض الصريح والعرفان الصحيح فلا يحوم حولهم وسواس ولا يصيبهم شطط ولا التباس

وما ذكرتم في مسئلة الأولياء وأنكم تتشكون منهم في كونهم

(الوسوسة أن تعتري أصحاب الرسوم دون أصحاب الحقيقة)

مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

لم يسوفوا لكم شيئا وانكم لا تغلبون منهم وان زال اضطراب لم يزايلكم
لاجل ذلك فوله منكم دليل على ضعف كثير واستيلاء حور وجبن ثم
لي منكم في كلامكم انواع من الجهالات لم تخف عليكم منها كونكم عالمين على ان
تغلبوا منهم شيئا وليس هذا بمقام يليق بحالكم على ما انتم عليه من الضعف
وقولكم مرة ارجع القلب ليس كل اضطراب جهالة ايضا فان زال اضطراب
لا يشكر بالقلب وانما يشكر باللسان بالثقة بالله عز وجل وهو كلمة لم تقلب
وقولكم ومرة اخرى لا كلمة قلب فيه رد وبد ان يرجع الى جهالة ايضا
مثل ما اول وقولكم فتغلب هذه الحالة على الكل اضطراب ايضا فان
جهالة ايضا ان غلبة هذه الخيال لا تكون الا بوارد قوي يستتبع العبد
ولذلك لا يكون له اضطراب ولعلكم تعنون بتلك الغلبة انه يخطر لكم ولا
تعملون عليه وتتغلبونه ولذلك لا يشكر معه اضطراب انه ليس لكم
بمقام وكذلك شكواكم الى من تشكون اليه جهالة ايضا اذا كانت
على ظاهر اللسان من غير ان تعلم على ذلك بباعث قلبي ان مزاولة هذه
العلوم وترداد ها على الخاطر يغير القلب سرورا ويكسبه نورا فلا
يكون حينئذ فيه مساغ لشكوى ان منشأ ذلك انما هو ما يصيبه
من الغمة والظلمة وقولكم فاي الحالتين اولى القلب منهم وكاجتماعهما فيه
مع السكوت عن التشكي او السكوت مع التشكي جهالة ايضا واي اشكال
في هذا حتى تسئلوا عن اولوية بين هاتين الحالتين واحكم في كل واحدة
منهما والوجه ان يقلب اتباعا للسنة وفرارا من الدعوى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

بي ترك الطلب وتسكت عن الشكوى اما انها ابقيت واما ان فيها نوع
تستحي به افرار الرب المحيين وقولكم وقد يعصم مع السكوت في بعض الاوقات
الجماعة حتى اسكت عن التشكي وليس هذا من مواضع المجاهرة في شيء
والمجاهرة انما تكون محمودة اذا اثارت النفس بشهواتها وهو ولعيها
بعرفان العبد ما يجب عليه من احكام الشريعة والحقيقة فان مات في
جماعة هذا مات شهيدا وان مات في الجماعة الذي ذكرتم مات جيفة
وقولكم وبتبين لي فيما حال صحيح انه فيما بان كان تبين لكم فيهما
من الروح التي اشرت لكم اليها فعرفتم الصواب وما فلا امري عليه
وقولكم فاخروا استحي ولخزي نفسي جملة ايضا واكرا على مذهب
عامة الناس وقد اشرت لكم الى ذلك في مواضع من كتبي. وقولكم
مع اني اقول ان جميع هذه الجماعات التي انا فيها لو كان هنا فلان لكنت كذا
وكذا من اعظم الجماعات اراني لو مات فلان قبلي ما الذي كنت تصنع هل كنت
صانعا اذ ذاك باصنعه الان ثم ان قلنا لو كان عندي حاضرا وبايتنا
واجبا لم تظهر منه ان يذكر له معشار ما يذكر له في الكتب والكتب تزيفا
وتخفيفا منه وله ان تقول للحضور معنى زائد اين تصور وجوده في حال
الغيبة. وخبر له من شان الحجة مع الغيب ولما كتبت ما تقدم
ورد علي كتاب منكم تخبرون انه بمور منها فصت عنه الرجل وكتب
فيه خبرا وعنوانه وما الذي قاله له وقد وجدتها في خاطري غلبة ظن ما
نسب اليه ذاما ذكرتم عنه في هذا الكتاب من قوله ان ذا بيتا كلهم ما

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

بعض بعضهم على بعض فإن هذا خلاف ما هم عنه وهو أيضا ضلال أن ينبغي
أن يلتفت إليه كيف وقد أفضلية بينهم ثابتة بنص القرآن وقوله أن منهم
والحر فيكون ذلك الكلام عبثا وكذا يقتضي نفي أفضلية وقوله
كذا لا ينبغي له أن يقول أنا أفضل من الذي قبله ليحفظ المتبعة تعظيمه وقد لم
يتبعوه كلا وكيف يساوي سماعه وفرقته وقد اشتاق الوجد بساعه وقد
بامرأة وقعت المعاوضة معه في هذا أن تتطلعوا إلى اطلاعه على كلام
في ذلك إما من جهة قلبي أو غيره أو ما الذي يجيب به وقد اطلاع على
كامور يعبد احتج **ومما** تعرف منه ما ذكرنا من سؤاله عن تقسيم
الشرط في إمتى الخفي من مذهب النمل وتقسيمه هو بقوله من حكاه عنه الشرط
فيم أتم به وقد نفي هذا التقسيم أحمد فإن كان أشار به إلى المذهب المذكور
وأن يقتدي بإتمام به والتعليل له ثم الخفي من مذهب النمل الثبوت وقد أفضلية
لغيره فهو تقسيم منكر وقد قال الغزالي ما هو وإنما المفهوم في تقسيم أن
كون الشرط في إمتى الخفي من مذهب النمل إنما هو من حيث علم مقدارهم وهو
أنواعهم بخلاف غيرهم من الأمم فإن الشرط فيهم جلي أو خفي كما لين باحتمال
من مذهب النمل ويكون ذلك الكلام مسوقا في معرض المدح لهذه الأمة كما
يحتج به أكثر النائمين ويسوقونه في معرض الذم وإنما وجه هذا النوع
من الشرط فيهم وهم على هذه الحال أو الواصلين منهم إلى مرتبة التوحيد فليبل
وقد له هو الذي يوجب اتباعه وجود الشرط الجلي والخفي وما هو الخفي
من الخفي وهو من الصفات السنية التي ينبغي أن يسعف من يفرها من

انظر تقسيم الشرك

الهيئات

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ترجمة الخصوصية هذا هو الذي ينبغي أن يفهم في معنى الحرية. وفرنسة
بعض علماء الصوفية على أن هذا الحرية مسوق في معنى المزح وكل هذا
هذا التحرير الذي فلناه **وأما** ما سألتم عنه من كلام أبي يزيد وذكرتم عن بعض
الرجلين أنهما سمعاه في الحلبة فإن ذلك الكلام لم أره في النسخة التي يسر
من الحلبة ويعز أن يغفل عنه فيها لأنه اشتهر أن ما يذكر من كلامه مما
ما ليس بعيد عن الفهم أو ما معناه هذا وهذا الكلام الذي حكيتم عنه لا ينبغي
أن يفهم على ظاهره بل يتأول ويحمل بأن يقال عجبت لمن عرفه كيف يرى عباده له
لأن المعرفة تبطل هويته وتمحو إنيته والجمع ما يأتي لذلك الكلام أو نحوه
في المجموع الذي الذي من كلام أبي يزيد رضي الله عنه. **وأما** ما سألتم عنه
من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابي عرفت فالزم معناه والله أعلم
وصلة الرعين البغيز الذي تنبني عليه أعمال المتغيز فالزم فلان أعمال
وتم عليها واعلم أنه ما جد حقه وما تطلع الرقاوري أنه فلان حتى يكون الله
عز وجل هو الذي يتولى فلان كما تولى فلان فيما قبله وحينئذ يكمل له مقام
العبودية ونيل الرتبة الحرية

وقد بلغني منكم أن بعضكم كتب ذات يوم إلينا عامة ما فيه
مكرر فرتقرم منا لكم التكلم على ما احتيج إلى التكلم عليه من وصوله
ذلك لكم لما أخرتم في تقرير بعض المسائل التي تكررت في غيره استعدت
من سيافتها أمور لم استعدها من الكلام المتقدم لكم منها الوصية التي
وصى بها فلان فلانا ولدي عند اشتداد مرضه وتلك الوصية والنصيحة

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

لم تجر بها تاريخ بل هي من أعاجيب الزمان وغرائب الأيام ومنها
ما ذكره فلان من أنه على بغلته شيء من مذهبه فلما رآه الرجل الكندي بعد بأيام مع
ومنها جوابه له لما قال له هل رأى شيئا استحسنه فقال الكلام فلان على أبرعها
وهذا مما لعله يوجب لي حصول الفرج إذا استحسن كلامي وكذلك ما ذكره
من جواب فلان لفلان الرجل لما سأله هل حصل عندكم أو بينكم شيء من كتب العلوم فقال
له لا غير أن فلانا وضع كذا وكذا فينبغي لنا أيضا أن نفرح بذلك فرح كتابي
بكتب العلوم واستشاره من جملتها ومنها ما ترى عتم فيه من معنى عرفت
فالزم إذا فلتم ما عرفتم وما تبحر والزمه بفهم وما ترجح من اليقين الرفيع هذا
هو نصر كلامكم وهذه الوجوه كلها ضعيفة وما ذكرته لكم في جوابها فربما
أضعف منها إذا نظر فيه محقق بصير وكر عليه بالزمان وخلا المكان من
السكان فوالله وعصره كما شاء الله تعالى وحكم ومنها أن فلانا
لم يزل في شرقه مرضه مشغوفا بالذكر وأنه لم يترك عباءته من قيام الليل مع تمني
من تمناه عز له وفرزاء في كلامكم هذا فيه غفلة وتعرية منه ومن أمور
أخر اطلعت عليها من غير كتابكم أن بينه وبين الله تعالى جانبا مريبا محفوظا
بالله تعالى يزيده من فضله وقد بلغني أخوكم سلامه بعسى أن تبلغوه سلامي
ومنها جوابكم على قولي لو أنا ولاكم تلنا ما الكتائب العابرين إذا فلتم فيه أما
أنتم فلتمونا والحمد لله فزلكم من حسن ظنكم وزورتكم لي بعين الكمال

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

وذكر لي قولكم في جواب قولي لكم لما وقع مني ومنكم اعتماد على هذه الأسباب

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

أما انتم فمبرؤون من ذلك وانا ارى من نظركم ايضا بغير الرضا ولو انكشف الغطاء
لا ادري ما الذي كان يكون من عذرك لو استكثر مني ان اناديك بالسيادة ..
بل لو ملجت به العادة .. ولو اخشيني مما خافه عمر رضي الله عنه على الذي
سأله أن يأذن له أن يتزعزع بعد صلاة الصبح فقال له اخاف أن تتبع حتى تبلغ
الثريا ازكلاما هذا معناه لبيئته له ولو كان دخل الخط على غطاء .. ومثل
الله تعالى العقول صاحبها عما جاء .. فلا حول ولا قوة الا بالله وهذه الخشية
التي عكرت عيشتي متوهمة لا محققة لقاء وما كنت اظن بكم ذلك **واما**
الكتاب الثاني فهو الذي سافذ اليكم وقد تعرفون منه امورا منها وصولي الى
الكتاب الكهول اليكم وقد كنت متشوفا الى رأي يقع بعثه الى الرجل الذي معه
هو الرجل غير انه رجل اخر أن يبعث له الرجل الرقصير بن بعثه له الشخص
اليكم وفي علمكم انه اذا كثرت الوسائط في اثناء كل امر كان يكون مظنة
للفرح في صحة الحديث المروي وان الحريص يحرص على تقليل الوسائط
ما امكنه **ومنها** كلامكم الذي لم يتله وبلغ مني التعجب منه كل
مبلغ وضحكت لما فرانه ضحكا لم اعلم بنفسي فيه وهو سؤالكم لموالكم أن
يمن عليكم بالجلوس على منصات أهل العز فقلت في نفسي أي شيء اختار
فلا زهد الحالة على الحالة الاخرى مع تساويهما في المعنى المقصود
الذي ذكرته له فلم أعد رماء الجيب نفسي عنكم وخفت اذا اعينت
جوابا ان يكون مخالفا لما عنكم ثم قلت وأي شيء ينفع في الوجود اذا اعينت
ما ليس بمقصود .. ولست مأمورا من أخطاء ولا من غلط .. ولا من كان اغرك به

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

في أعلى عليين ثم هوى وتسفل. أظنكم استثقلتم الخوض في الحار بستان
وقرفتم بينه وبين الدخول إلى البستان. وقلتم إذا كان ذا أمرا بالنصبة الوفرة
الله تعالى شم قاموا قاما أولي أن تقلب الحالة التي فيها الراحة واللذة والمتعة
دون ذا خرو ونعني بقولي والمتعة أي تتمتعون عيشكم بالا زشاء والهداية أنكم
تتمكنون من الدخول في هذه الحال فإن كان هذا مقصركم فقد ظفرتم أما إذا وإلا أجل
سؤالكم مقام ذا كابر وهذا قيد ما جيد. وثانيا أن هذا النعم الذي ذكرتم إنما
هو في حال الحجاب الذي بيننا وبه فلو قد ارتفع الحجاب لأهل هذا النظر ولكنت تقول
إذا ذاك أي شيء عملت بنفسي كلمتني من ربي ورغبت البدا أن يبلغني من نعم
الرحمن وهل الحالة التي كنت عليها والحالة التي استحسنتها ذا سيان
ما عندي إراءة واختيار فإن كان ذا الذي أعطيته لذا رأيته مصرحا به في غير
منبعي فما كان أولى بي أن أسأل الله تعالى أن يختار لي لحرا من أن
يكون اختياري مدخلا في تلك الأمور كلها وكان أولى بي إذا سألته أن يختار لي شيئا
أن أسأله مفروغا منه فإني إذا رد اختياري لي حاصلا قبل سؤالي الخيرة فأكون
حينئذ قد أعطيته ذا أدبا حقه في عدم سؤال تحصيل ما هو حاصل وهذا
الكلام كله وإن ظهرت حقيته ليس له حاصل أيضا إذ معانيه كلها إنما
تفهم في عالم الحجاب وإنما ضرورة التغيير حملت عليه إذ هو في محل الشهود
لا يتراءى له شيء من التوهمات التي توجبه سببا فتذهب الكلمات التي لا يظفر
حقيقتها من له إذ ني نصيب في الغرفان والله المستعان. ومعنى هذا
الكلام كله سواء لمعنى له الكلام الذي تقدم لي معكم حيث كنا

سئل السيد الرئيس الله تعالى
أن يطلعه على حقيقة
أهل الغرفان بين على
جملة من وجوه.

سئل الفقراء الكمل
وهذا الجيه ما جيبه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الزرة والعفر وإن اختلفت العبارات فيهما فإن شئت أن تسوق ذلك إلى
هنا أو تحمل ما هنا على ما هناك أو تزعمهما جميعا فإما كتمان والبتة فإن
اللزاز يقع التفرج والنشر بهما فيما يضر في حصول هذه المنفعة بهما
كونهما متباعدين كما أن ذلك حاصل فيهما إذا تجاورا وتقاربا وأنبأ هذا
الكلام كما قبل حمد الله وأثنى على نفسه وإن كان مقصرا خلافة ذلك إلا
علم لي به وذكرتم في كتابكم أنكم فراتم على قلان بما كنت أشرت عليكم أن
تقرؤوه عليه ولم تفهم ونبي بما فهمتموه عنه ولم تشر إليه بكلمة ولم يكن ذلك
بعادتكم وذلك كان المقصود وما مثلي في ذلك إلا كمثل مزاء إذا رأى بيضا في بيض
ليخرج به ما فيه وهل هو عزب فيتم به أو لجاج فيجتنبه وهو
عطشان فبينما هو في مكانه إذ أخرجه بغر أن عفر من الماء ما يحتاج إليه
وقرب أن يأخذ الذي يريد إذا انقطع وسقط في البير فيحتاج الحالة
من قبل الرتعة أخرى في استخراجه أو تطلب إذ لو أخر يفوم مقامه وقد
ينقطع عنه من العطش قبل أن يصل إليه وإن العجلة في الكتب مع شغل
الخاطر تحملكم على مثل هذه الأشياء لا سيما إن كان الكتب لضوء السراج
وفوزكم وفرتسبغت لي هذه الجملات التي عمرت قلبي الآن فلله حتى عمرت
افتبس منكم ومن علومكم ما يزول به عجب الوشواشي ويغربني من ربي ويبعدني
من الناس وأي شيء عمل لكم الناشئ مساكين حتى تحب البعد منهم ولو أما
قصرتم من مراعات التبعيم الذي فوقكم الوشواشي والناشئ لكان أولى بكم
أن تقولوا النبقسر بدل من فوقكم الناشئ أن العساء كله إنما يجيء من قبلها أن النفس

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

رأمارة بالسوء **و** قولكم في مسئلة أبي يزيد والجواب الذي جاء ويتمونيه فرأيت
جاء بتمامه بنصه مع تأويلات أخر كلها راجعة الى أول المعنى وما منعني من ذكره
ذاك خشية كثرة وكذا فلا تتعلوا على أبي أبدا لم ذكرت لي كلاما منهم فان كان
عندهم صوابا صوبته وان كان خطأ بينت خطأه وان كان عندي زيادة زدته وما
ذا يمنعني كلامكم فيما من التكلم عليها والكلمة تجر الكلام وسلوك هذا المسلك
يتضمن تكثير الفوائد من غير شعور منكم بذلك وأنتم فصرتم الى استجلاب
الفوائد من غير وجهها. **و** قولكم وايضا منعني من ذكره أن مثلي لا ينبغي
أن يعلم كلام العارفين خشية حلول المقت من رب العالمين فانا هو أمر الحمار
الذي يتجاسر على ذلك من غير أكثر اعتنى بالعقوبة التي توعد الله وأهله
وسهلا بذلك اذا كنت مصغيا الى كلامي مستحسنا له ولعلي في ذلك خير أمن
حيث لا نعلم **و** أما المسئلة التي وقع بيننا النزاع بينكم وبين من ذكرتموه
وانكم فلتم أشيا أشرف من مقام العبودية وقال هو مقام أخر أعلى منه
وقلتم أنتم الحرية والعبودية مقام واحد أو احدهما راجع الى الآخر
وقال هو انهما شيئان وقلتم أنتم التسمية باسم عبد أتم وقال هو التسمية
باسم نبي ورسول أتم وطلبتم مني ما يظهر لي في ذلك والذي يظهر لي أنهما
شيئان وأن مقام الحرية أعلى ولئن كانت اشارات القوم تدل على أن مرجعها الى
شيء واحد أن مقام العبودية لا يخلو من تعرفة ما ولم يكن في ذلك ما لحظة
المقامات. وذاك لقاب والكرامات. أعني ملاحظة وما يخرجه ذلك من مقام
العبودية. وأما الحرية فيفرح ذلك بها فلا يسمى حرا ذا المتمحض

عبد العزيز
125
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

في التجرين المتحفون في الجمع والتوحيد الغريب الهمد فيما بين العينين فلا
مقام له ولا حال ولا همة ولا اعتدال ولا حل ولا ارتحال فهذا هو النوحان
مقام الحيرة .. لم تقع عليه هذه العبارة ولم يستقر فيه شيء من آثار الكونية
الظلمانية ولا النورانية .. وكل عرج على من يقول التعصب في العبودية هو
حقيقة الحيرة ولعلها العبودية التي يشير إليها القوم وأنها الرفع من مقام
العبودية كما قال ابن العارض رحمه الله

وكل مقام عن سلوك فطعنة ... عبودية حققتها بعبودية

وأما قولكم تسمية النبي صلى الله عليه وسلم باسم عبد الله وقوله هو تسميته
باسم نبي ورسول الخ واستدلالكم أنتم على مذهبكم بما قلتم واستدلاله على
مذهبه بما قال وعلله كله والله أعلم فصور في النظر والحق عندي فيه له
أن نرجع الى تسمية الله عز وجل له فنعتبر أي كل اسم سماه به من اسمائه أي اسم
كان في غاية الشرف والجلالة ينبغي أن يبعض بعض أسمائه على بعض أن
المواطن التي تناسب أن يسمى باسم مخصوص غير المواطن التي تناسب
أن يسمى فيه باسم آخر وكل اسم يقع في مواطن المواطن كأشياء اشترك فيه
والمواطن التي تناسبها أسماء أو أسماء التي تقتضيها المواطن ليس لنا
علم بجملها وتفاصيلها وعلم ذلك الى الله سبحانه فإذا سمعنا قوله تعالى
يستحيل الذي أسرى بعبده وقوله الحمد لله الذي أنزل على عبده وقوله وأنه
لما قام عبد الله وقوله وما أنزلنا على عبدنا وما استبان لنا علمنا
منه أن هذا من المواطن اقتضى التسمية بهذا اسم كان يناسب أن يسمى

فعلوا به
تبضله صلى الله
عليه وسلم

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فيه نبي ورسول وكذلك إذا سمعنا قوله تعالى يا أيها الرسول يا أيها النبي
ويا أيها المزمل ويا أيها المدثر ويدل على فوات النجم على فوات البحر على فوات وما
أشبه هذا علمنا منه أن موطنا من المواطن اقتضى التسمية بهذه الأسماء
فالمناسب أن يسمى فيها بهذه الغرة بتسمية الله تعالى له بتسمية غيره فإذا
سمى الله تعالى من اختصه بخصوصية باسم أي اسم كان وهو اسم واحد
فلا ينبغي على هذا أن يقال أن تسمية الله تعالى نبيه يونس عليه السلام
بنبي ورسول أشرف من تسميته إياه بذي النون وصاحب الحوت وما وصفه
إياه بالصلاح واجتباه ووصف به عم عليه السلام بالصديقية واجتباه
والعرابة بأعلى من تلك من وسمه عم عليه السلام بسمة العصيان
ووسمه يونس عليه السلام بسمة ذنبه وعلى ما ذهب إليه الفراء ونجري
مجرى دائم والوسم فيما أثبتناهما من الشرف والجلالة جميع ما يصدر
عنهم من أقوال وأفعال وحركات وسكنات أن الخصوصية تنافي
أن يكون صاحبها في مرتبة منحطة فأرباب الخصوصيات كلهم
في غاية الكمال ونهاية العلو في المقامات وأحوالهم أتم أحوال
وإذا كانوا أحباءه كانوا مهيبين عنده وإذا رضيهم أخذهم
عنهم وسلبهم منهم فكانوا إذا كلهم متصرفين في قبضته بتولي
الله تعالى لهم له وكانت أحوالهم كلها في غاية الكمال لا مجال فيها
لوقوع شيء من الخلل والنقصان وكل ما يظهر منهم من خلل ونقصان
فإنما هو عزلة الخيال في الوجود الحسي لا تراءى معها كما

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وكما أنا وإن لم يظهر لنا له ولعل الكمال الذي ننسبه إليهم من هذا القبيل
أعني أنه كمال في نظرنا لا في نفس الأمر وحال كمالهم أجل وأعلى من أن له
ينبغي لنا أن ننزههم عن تنزيهنا كما ينبغي له في جانب الربوبية لا أحصي
ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وفراغ محت له في هذا البعض ما يزيد
على جميع ما الحنب فيه الفاضي أبو العضل وهو وإن كان خالي المأمر الزليل
والحجة. فهو سلكنا من التحفيز فيه أوضح المحجة وبالله التوفيق وإليه عيسى
ولعل تتلمح من مسا وهذا الكلام مذهبه له الرجل في تفضيل بعض
الأنبياء عليهم السلام ولعمر الله لتلمح "قريب" إن لم يباعد في العزو الرتبة
وتغطية على الخاطر وارتقاء في كل غيب عقل قاصر فنقول
بأنما وقعت الأفضلية بينهم بحكم الله تعالى بأفضلية بعضهم على
بعض لأمر اقتضى علة موجبة لذلك وجرت في الفضل وقعت من المفضول
والسير أن يفضل بعض عبيده على بعض وإن كان كل واحد منهم كاملا
في نفسه بالغا من ذلك الغاية التي تليق به من غير أن يحمله على ذلك ومنع
يكون فيهم وذلك مما يجب له بحسب مشيئته. والتمثيل بالسير أمر
تقريبي إذ لا يخلو من البواعث والأغراض والله تعالى منزه عن جميع
ذلك. ثم إن الله تعالى أعلم بما يقتضيه هذا الحكم منه بالأفضلية فهذا
هو الذي يظهر لي في سبب وقوع الأفضلية بين الأنبياء عليهم السلام وقوع
ولا يتصور عند انكار ذلك إلا أن يعتقد في سبب الأفضلية اتصاف
الفاضل بصفات هي مفقودة في المفضول أو أن صفات الفاضل

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ناقصة وصفاتها أفضل كاملة بعفو عفو تكلف وتعسف وابسلم من الرفوع
بي سرد وأعب **وما** زلت قد استغرما تواطأ عليه الجماء الغفير من العلماء
والمحققين حيث يقولون أن ولادة من دانيا حاله كذا ومحال بينا كذا وشتان
ما بين الحالين أو يقولون إن كان اختصر بكذا وغير بينا ما هو أعظم منه لم
كما قالوا في انفجار الماء من الحجر لموسى عليه السلام وانفجار الماء من بين
أصابع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يعرفوا بينهما سوى أن الحجر
ما لوف منه انفجار الماء وأصابع لم يولد منها ذلك حتى أن بعض أهل
العصر الذي يلي عصرنا نظم فصيدة طويلة مليحة استنبط فيها
من أخوال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزاته ما وازى به جميع
معجزات دانيا عليهم السلام وشريف أخوالهم ومسلك فيه مسلك
ما ذكرناه من التباين بين فرد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره
من دانيا عليهم السلام وفر أخصر في ذلك وأما أحصر من حيث ذلك
من دانيا استنباط وأما لما يفهم عنه من الغض ودانيا نحاط بل قالوا
ذلك مما تقتضيه أفضلية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قلنا لهم مزايا
الكمال والذي تقتضيه أفضلية دانيا هو من نزاهة أنفسنا جملتا
دانيا تفاصيلها وإنما نعرف ذلك من قبله ثم انا نعرف من قبله دانيا أمورا
جملية دانيا نعلم حقا بعضا دانيا من فضله وأمورا تفصيلية دانيا نعلمها
كقولك أعطيت كذا وأعطيت كذا وفضلت بكذا وفضلت بكذا وما معناه
هذا فإذا اعتبرنا أفضلية بأخبار ايانا بذلك ورفعنا على ما الجزنا

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

به من بعض النعم مما يقتضيه حكم الله تعالى لذكر أفضليته ومن لنا بالاطلاع على
كنه ما يقتضيه تعالى الحكم منه ثم افتقرنا على تقدير تسليم أن نتجاوز الى أن نتعرض
لالتماس ما يوجب وجود أفضليته من قبل ذكرنا الى ما العلم من ذكايات وما طبع
عليه من محامد الصفات وما انتصب به من محامد الخاصات وما يفرغ من ذكا بنيا
من بعض هذه ذكا شيا كنا في عالم مصيبين سالمين من سوء ذكاء مع خواصه
وأحبابه وذكا فإن سوء ذكاء به والوقوع في النقيصة كان لنا الزوما ضروريا
ثم تعميم عند كما بعلة أيمتنا رضي الله عنهم وكما قول النعم في عالم عمر لذ من
هرم فضا او من مضا أو بني فصا او هرم مصا او كنعم عمر لذ من هرم بما جميعا
فإن ذكا فضا كا يجب أن يقضا بشيء لم يجعله مولاه سببا في وجود افضليته
وكا يجب ايضا أن يعقلها فاضل عن مرتبته كما قال كا تفضلوا بين ذكا أنبياء
وكا تخيروني على موسى وكا يقول لخضر كما ناخيم من بين نمرتي والمفضول
أيضا كا يجب أن يجعل المفضولية علة لم يجعلها مولاه وهو فقر ما انتصب
به ذكا أفضل وكا يجب أيضا أن يعرى بينه وبين ذكا أفضل وهم جميعا رسل الله
عز وجل وعرم محمد كل واحد منهم لهز اكلد إنما هو لي الله اللهم قال
سوء ذكاء بهم الرسول ذكاء بامع الله وهز اعيهم فهذا كلام جز اليد ما
كنا بصدده من بيان أن ذكا نما التي سمى الله تعالى بها نبيه محمدا صلى الله عليه
او احرا من أنبيا به ورسله كا يقال في بعضها انه اشرف من بعض من حيث
تسمية الله تعالى بذلك وأما من حيث تسمية غيره كما اذا سمى عالم الشخص
المنتقص نفسه فلا ينبغي له أن يسمي نفسه ذكا با نم العبر واختار ذكاء له كما

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdel-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فالله صلى الله عليه وسلم خير تا بين أن أكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاخترت أن أكون
نبيا عبدا ولو خير صلى الله عليه وسلم إنما يتضمن التواضع والعدم أشرف ما
يتصف انعم العبد لتحمي به واختاره ويكون انعم العبد من هذه الحيثية أشرف
أسمائه كما قال الشاعر ٥

٥ ما تزعني ذا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائه ٥

أي اشرف انتمائي عنوا عبدها إذ ما عدها ما تقيم لذ قيد والعبرة بما عدها
ما ما عدوه وقد اسلم من سياقة الدليل واجتمع بوزيد ولقيه وتظرف
بسبب ذلك الخلل الذي معناه وعلم انكم انشدتموه على هذا النحو

ما تزعني ذا بيا عبدها فهو اشرف انتمائي عدها

ومن أين يزعم انه أشرف أسمائه عدها ولعلها ما تسمية بذلك وانما تسمية
عدوها ومنان عمتا وما اشبه هذا مما تسمى به كل مدع مغرور وبالجملة
كان هذا الكلام كله مناسبا لذلك الكلام الذي تقدم منا في بيان غلط
ذلك الرجل أن تلك العوده مع الكلام الأول فلن كان في معتقده ذلك موافقا
مذهبي أعني أن يعتقد وجود الكمال في كل واحد من أنبياء عليهم السلام
مع اعتقاد بلا فضيلة بعلم الله عز وجل فهو صاحبي وعند كون انا
وهو بصيرا أو اعميين فإن كنا بصيرين فنعم الله تعالى على ذلك وان كنا اعميين
فنسأل الله تعالى أن يهدينا الى أشرف المسالك وان لم يوافق مذهبه مذهبي
فليس لي بصاحبه على الحقيقة لكوني أنا وهو مقتفيا لنبي الطريقة والله
تعالى الموفق ولا رب غيره ٥ ولا معنى عند لغوا من قال في معنى قول الله

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر بالسيادة وإنما الفخر لي
بالعبودية أن الفخر أم زمزم مطلقا وهو الذي نعاه صلى الله عليه وسلم
ونزه نفسه عنه فقال ولا فخر أنه لما قال أنا سيد ولد آدم خاف أن ينسبه
بعض من يسمع غلوا أن أنه افتخر بذلك فبين صلى الله عليه وسلم موضع
الفتنة من قلوب السامعين فقال ولا فخر أي إنما أعلمتكم بسيادتي ليعلموا بذلك
منزلتي ومكانتي وليقوموا بواجب حقي ويعملوا بأمري في التحدث بنعمة ربهم
أمرها وإشاعة ذكرها ولم تقصد بذلك ما اعتز به يا أصحاب النفوس
المتكبرة والمتعززة من أن من ساء منكم ما يرعه تجبره وتكبره من أن يفاخر
وبما هي بذلك من لم يسر وأخبر أنه أشرف قريش من اتبعه وآمن
به وحسبوا الله تفاخر عليهم بإعلاء الرسالة والنبوة كما قلناه في
الكتاب الذي تقدم وإذكرني هذا المعنى الذي ذكرته الغباوة والجهالة
التي أصابت وقريبة تميم فإنهم لما وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا له حقنا نفاخرك فلما تكلم خطيبهم وشاعرهم بما تكلما به من
ذكر مآثرهم التي هي عندهم مآثر وقام خطيب النبي صلى الله عليه
وسلم ثابت بن قيس بن شماس وشاعره حسان بن ثابت وفاما فاخرهما
حينئذ المنافق والمعاند كعبد تكور ولم يزيدوا على أنفسهم بما تفاخروه
من المفاخرة سوى التسبب في إثارة مفاخرهم وابرأ قضاضهم
حتى قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما كان أغناكم عن هذا وكما قال صلى الله
عليه وسلم إذا ذكر وإن نصر الغريب وقوله إنما الفخر لي بالعبودية

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

التي هي حالة ومقامة فلنا انما يصح الفخر بما يرفع من حيث كونها منة من الله
تعالى عليه وإن رفع الفخر بها من هذا الوجه فلم يرتفع افتخاره بالسيادة وهي ايضا
منة من الله تعالى عليه فالظاهر أنه نفى التباهي النفي المقلوب الذي يخص حاله
بسيادته وتاهيها كما قال انا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة
ولا فخر وانا اول من تنشق عنه الأرض ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر
وأنا اول من يدق حلق الجنة فيفتح لي فيدخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم
الأولين والآخرين ولا فخر فبان له بهذا كله أن الطلاق الولية والاشتراك هي
بعض الاسماء وان بعضا من غير ذكر الباقي كما ذكرناه من تسمية الله تعالى
وتسمية غيره فصور في النظر وأن ثم وراء مقام العبودية مقاما أعلى منه واما
ما فيتم من تحمل التقسيم فعرفا العبد وايته وفهمنا من قوله في الكلام
انه كلام رجل متأخر لاح له شيء من هذا القرين ثم تعاطى تقسيم كتاب الله
عز وجل على حسب ما يفهم له وأداه على ما يرى أنه غير مغفل أحرانا الله لم يوف
بما التزم من شروط القرين وأسقط بين أقراط المتطفلة الباحثة
وبين تفريعه الحشوية الظاهرية فإنه فهم قوله تعالى وإذا خلوا
هذه القرية وقوله تعالى وإذا قيل لهم اسكنوا هذه القرية وذكر في كل أن المراد
بالقرية جنة المعاد يفهم هذا من قوة كلامه ونص على أن دار المفرسة
هي الفهم في الكتاب وأن الشعر الذي ورد ابتناع في التأويل وهذا كله
نوغل في الباطن الزعم برتضه وجعل معتمده في القاصر أعور بالعين
اليسرى ثم تعاطى في تقسيم قوله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا وذكاية

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

التي بعدها معنى القاهر وهو الظالم بزيادة وجعل معتمده في الباطن أغور
بالغين المعجمة أي كثير الكفار متغير منهم أجسامهم فيها وأن المؤمنين هم الذين
من شأنهم أن يكونوا في الدنيا زاهدين وفي الآخرة راغبين وعلى الله تعالى واثقين
أغر محذوف مع أن كلامه في ذلك التقسيم ناقص أنه قسم الذين كفروا بالكثير المتغير
أجسامهم وقسم الذين آمنوا بالصفر في قوله الرزق وهذه جزئية والجزئية
من جزئيات انتصب بهما الكافرون والمؤمنون ثم قسم قوله تعالى والذين
اتقوا فوقهم يوم القيامة بالتقوى للدنيا ثم ذكر آية أخرى وهي
قوله تعالى إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وقال فيهما فيم أنتم
يا أكثار من متاع الدنيا وزينتها ولم يقسم ذا بيمان فيهما وأكل لما قسم
ذا بيمان في آية ذا وكل بأيمان يجب الرزق علمنا منه أن تقسيمها عنده
كذلك فخصها أيضا كما خصص ذا وكل ثم ذكر قوله تعالى وإذا تتلى
عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما
وأحسن نديا ويفهم من سياقة هذه الآية أنه آخر منها التقسيم المتغير
الذي نحن التخصيص المذكور أنهم افتخروا عليهم متاع الدنيا وهذا
كله اجتماع بآيات ويحتمل تخصيصها بآيات التي تحتمل معنيين فأكثر
فلا ينبغي أن يقتصر في تقسيمها على بعضها بل تتتبع تلك المعاني ويبين
تناول الآية لجميعها ويبقى حكم الآية على عمومه فتكثر بذلك الفوائد
والآيات التي تحتمل أكثر من معنى واحد يقتصر فيها على ما دل أن يستقيم
تأويلها ورد بها المفتصر الآيات التي تتضمن المعاني الكثيرة فهذا هو وجه

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

التبعيض والتأويل ثم انه أخبر اشارة الى ما قصره من تقسيم ذرايتين مما
ذكره من قوله صلى الله عليه وسلم يسبق بعض أمتي الجنة وفريق منهم الثامن
صحيحا ثم أنه أتى بأمر مستقبل جزاء بكاء لتفعله بتمزق الكاغد الذي فيه رسم
وبتكسر القلم الذي به كتب ورقم وهو ذكر عبد الرحمن عز وجل رضوان الله تعالى
عليه في هذا المعرض أعني من تقرير كون الحياة الدنيا مزينة للكفار ثم جمع
الكفار بالمكثر من الدنيا ثم ذكر الخمر ميز وميسر بذله ثم ذكر الكافر
مرة ثالثة والمراد بهم عنزة له ثم ذكر أغنيا من هذه الأمة وسافهم
مساواة الذم وانهم مستوفون الى الجنة بخمس مائة عام ثم اخرج عبد
الرحمن عز وجل في جملتهم وهذا عندي أقبح ما يكون ويزيد هذا القبح منه
قوله باثره وهو معروف عنه لنواب المسلمين يعني ماله أنه في غير الرجل
من جرح انسانا جرحا بالغا ثم أخرجه بالصفة التي تقبل كرامته
بجناية ومنبعثة بمضرته قبل أجرى ذرايات على ظاهرها والغاها على
عمومها أو لحلاتها ولم يخصص شيئا منها ولم يفيده ولم يأوله لكان ابلغ له
فيما قصده واسبب لما اعتمده ولو انتزع آخر الرأي يعرض ان ينزل
هذه ذرايات على خلاف من ذكره من المتميز ويستنبط منها معاني اخر
يكون فيها تمام ما ذكره من مقتضى التبعيض الذي اثره مع كونه مخالفا له
في الظاهر لساغ له ذلك لأنه يعني عليه من الدنيا التي زينت للكفار العظمة
والكبرياء والتبجح واستعلاء وهذا هو أعظم لذات الدنيا وحظوظها
التي لا من دخل التنعم أجسامهم فيها ذرايا بالعرض ثم ينظر ويسبب ذلك الى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdel-Aziz - Casablanca

إلى أن يأخذ منه ذكاة الرمق بلى به عوام المسلمين وخواصهم من هذا النوع
من الزنا ويتدرج من كثيره القليل ومن كثيره الفليل حتى يعلم من هذا أن
هذا فاتن التكبر التي من جملتها الزهد به التعظم واستحقار أمرها كما يتصور أن يسقط
عنها صريح لفظ الزنا من رحم الله تعالى وهي أعظم من زينات الزنا لمن زينة له
فتكثر بسبب هذه الفواحش التي لا يعتبر مثلها في تعظيم يتعظم به كثير من أمور
الدنيا الفانية التي يعرف أمثالها صبيان المكاتب كما بعلمه كل من هذا الصاحب

فيقول أعني هذا المنتسب المذكور قوله تعالى زين للذين كفروا
الحياة الدنيا أي الرياسة فيها وحب الجاه والمنزلة فيها لم يتوصلوا إلى
هذا بما أمكنهم حتى يتركوا في هذا تعاليم الأنبياء بجملتها كما يفعله الفيسوف
والراهب وهذا زهد فيه فإنه ذكر عنهم أنهم لا يتزوجون النساء
ويتركون كثيرا من شهوات الدنيا ليتوصلوا بذلك إلى الرئاسة الدينية على أتباعهم
بيتغاء وجه الله ويتبعونهم ويتخذونهم أربابا من دون الله وهذا هو
الذي أباهم التي زينت لهم فإذا رأوا من ليس على طريقتهم من أهل ملتهم سخروا
بهم واستخفوا بهم وأشباههم من أهل الإيمان أعظم سخرية واستخفافا
أنهم بيناهم يتعبدون عبيرا متغايرين للأوامر والنواهي فإذا أنزل آية
على هواهم الكفار المخصوصين يقولون على مذهب أرباب الاعتبار ويا خزي
وأين من معنى ما ذكرناه أنا من المسلمين قليل علمهم بفرع النقير وقطمير
الشيطان إذا علم واحدا منهم مشتغلا أو صلى ركعة أو تركها لغفلة أو حسبة
واستمتع بعمله على حصول مكانة ووجاهة عند الناس معه ما خوا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

نزلة من الفوز والنجاة في الدار الآخرة رأى في نفسه عظمة وخيلاء
واتصاف بصفة الكمال عنده وهذه هي دنياه التي زينت له فإذا رأى
أحد من عامة الناس مشتغلا بطلب الدنيا بها أو بما تشاغل هو به
من التعلم أو التعبد أو التزهد تكبر به واستخف به مع أن هذا العامي مؤمن بالله
عز وجل وعلامة إيمانه خوفه على نفسه واحتقاره لها ورؤيته أنه
هالك وغيره ناج ويرى أن هذا العالم أو العابد أو الزاهد فز فاز فوزا عظيما
وأن شأن نفسه خير من شأنه وأن من مثله أين من مثل هذا العامي
ومعلوم أنه إذا كان يوم القيامة يكون لهذا الرجل المتكبر الذي لعله
التقوى والخوف والحزن وجهل بينه وبين عامي النفس ودواعي الغرور
بداية فوية كاد يصل بسببها إلى من يضرب وإلى من يخرج فوز هذا العالم أو العابد
أو الزاهد انكشف له حجاب جهله وبان له سوء عاقبة فعله والله
يرزق من يشاء بغير حساب أي يرزق الرزق الحقيقي وهو رزق الآخرة
من يشاء أي من يريد من غير أن يكون لذلك موجب من علم أو عمل إذ لو وقف
فيه صاحبه وحوسب عليه صار هباء منثورا فلا يحاسب هذا
الرزق وأيضا البد لما حسن حاله بإيمانه ويقينه ولذلك يسلم هذا
المسلم في نفس الآيات الآخر فيقول قوله تعالى إن الذين أجرموا الآية
أتوا بالجزم العظيم وهو التعرض لمنازعة الربوبية بالتكبر على الناس
والتعظم عليهم بما اتصف به من علم أو عمل أو زهد كانوا من الذين آمنوا
بالله تعالى إيمانا ناشئا جازما من غير تكلف دليل أنه خال عن التشبيه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

والتمثيل وهذا هو حال عامة النابر إذا رأوا هم مشتغلين بطلب المعاش
من وجه يصور الرزق الرزق والجنة الجنة ليصونوا بذلك وجوههم
عن المسئلة ويستروا بها الشر آثار المعضلة يضحكون منهم ويتخذون
بهم مع أنهم متصفون بصفات الكمال كما يشفقون لهم فيها عبارا تما تقرّ
به وإياه وأخرى ثم ينتهج هذا المنهج في تمام تقسيم قائم يقول قوله تعالى
وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين يتكبرون بعلومهم وأعمالهم آياتنا
بينات في حال كونها بينات كما يخفى ما فيها من المواعظ والزواجر عن
تلك الأحوال الرديئة التي اتصفوا بها حيال بينهم وبين ربهم ولم يعلق
بعلومهم شيء منها سا ضرب عن آيات الذين يتكبرون في دار غير
الحق فيدخل لهم من آخر ويقفون على حالهم السيئة
من التباهي والتفاخر يقولون للذين آمنوا كذا وكذا وكم أهلكنا قبلهم
من قرن كانوا على منهاجهم وسلكوا على إدراجهم فمن أحسن أثاثا
وريا أي أكثر علوما وأعمالا فابتلاهم بالعزل وحرمانهم المزية
والفضل جعلنا ذلك كله سببا ولم يجتزوا من ثم سعيهم دا شفاء وعنا
ثم صيرنا هم عبرة للمعتبرين ومثلا للآخرين كما جعلنا بابليس ولبلعام
وبرصيصا بعض من التجسيم مما قيل في قوله تعالى ووجوه يومئذ
خاشعة عاملة ناصبة وبا حذف إشارة منهم وبين لنا على العزم الذين
ذكرهم بهذا الأسلوب من الكلام على سبيل الكناية التي تولى من الرجل
تقسيم ما حملنا على بغض مشاوئهما ومنوذا ما استكثار من المال

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

للتمتع والنفع وله أيضا أن يتكلم على تلك الآيات بما هو أعلى من هذا كله على طريقة أرباب الاشارات **فيقول** قوله تعالى زين للذين كفروا أي الذين كفروا بنعمة الله تعالى عليهم بالايمان الذي مقتضاه أن كل شيء هالك الا وجهه وأن كل ما خلا الله باطل الحياة الدنيا أي الفنون والحسبانات التي يتنعمون بتذكارها ويستضيئون بأنوارها وهو توهمهم أن منهم فضلا أو جعلا وهذا هو الذي زينت لهم ويسخرون من الذين آمنوا أي آمنوا بطلان ما يتوهمونه تحقيقا لمقتضى إيمانهم والذين اتقوا هذه الأماني فوقهم يوم القيامة حتى ينكشف الغطاء ويبرز الخفاء ويعلم أن الرائج في صفقة والخاسر فيها أنتم الذين أشركوا أو من استهزؤا به وسخروا منه وهم الذين كفروا والله يرزق من يشاء بغير حساب أي العلوم والفهوم التي لا يحيط بها حسبان ثم يجيء الآية الأخرى في التكلم عليها على منوال المنقول فيقول قوله تعالى إن الذين أجرموا أي بفعل الجرم العظيم وهو عدوانهم أن لهم خوانا أو فرقا كانوا من الذين آمنوا يضحكون أي آمنوا بالله واعتقدوا وحدانيته ولم يشركوا به في مقام واحد يضحكون أن حوالهم مباشرة الخوالي التي ارتضوها لأنفسهم من التمسك بالخيال والتشبث بالمحال الذين آمنوا بهم لعلمهم بحقائق وإنما انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين أي إذا رجعوا إلى الأعمال التي اتسموا بها والأحوال التي استحلوها مالوا إليها وفرحوا واغتبطوا إذا تبرزوا بأيديهم من الزخارم والنفائس ما ليس عند غيرهم من أمثالهم الفاسير

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

والبغي عنهم. ثم يقول في دار الآخرة وإذا تتلى عليهم آياتنا على سواء
الذين كفروا صفناهم ثم يا أيها الناس إنما بينات لأولي الأبصار خفيات على
عمى الطاهرين الذين تمسكوا بالفتح ولم يعثروا على اللب. وكفروا
بنعم الرب قالوا الغرض جمعهم بحقائق الأمور للذين آمنوا أنى أجل
الذين آمنوا أنهم يرونهم بعين التفضل أي الغير خير مقاما وأحسن
نديا نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار كانوا يوقفهم ونسلم لهم ما أعمرهم من
الخيرية وما أخسنية بما ذكروا أن من شاء من سواء الذين تفاخروا عليهم
أنا نقلم أرضا ونظلمها نماؤا بمعنى الغير فيهم كثيرا من أولياء الله وخواصه كيف
لا يوافقونهم ويرافقونهم وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا منهم
أخوانا وأزكى أعمالا فأخذناهم عنهم وافتطعناهم عن روية أعمالهم
ومشاهدة أخوالهم وتركناهم أشباحا خاوية. وهو مما خالية وغير
مما تقتضيه عزتنا وما نحن عنه فزرتنا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
ثم يا خذ الله إشارة إلى هذه المعاني مما قبل في قوله تعالى يا أهل يثرب لا مقام لكم
فيها فالجئوا كله مما يمكن أن يتم به كل شيء له الرجل فيعلم من قوله أنه
لم يأت بزيادة تجعل في السعد. أو يشير عليها البر والجرم لتعرف.
وعجبا كيف سأل من هو آله أن يبصره الحق من غير واسطة ميراث
كتابه وصحيح ما جاء عن نبيه وابن تجربة في الصحيح حربة يدخل الجنة حبوا
أو حربة وبل لمن فواهر دابة ثم مسح بما سبكته وما استحسنوه
من كلامه في التغليب ليس بحصر وما محفوظ أن كل ما احتج به على أبطال

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdel-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

التغليب ضعيف ثم أنه جعل التغليب يسوغ في بعض الأحوال ونحو التغليب
مذموم على كل حال ولو أن تطويل الكلام الذي أيعيب لذكرنا لكم على كلامه
ما هو أوسع من هذا ولكنا نقتصر على هذا القدر ونحن نستعين الله تعالى
من جميع هذا كله أنا مع هذا كله مُحِبٌّ أن أرى كلامه في تفسير الآيات
على أي حالة كان وقد فرغ لي في أثناء هذا الجواب من حين الشعور لي
بهذا الأمر الذي كنت بينا في الوصول إليه **وفراغ**

التغليب

أن أذكركم بنزهة خطرت لي في التغليب تكون تتمة لهذا الكتاب. واسوقها
مساق سؤال وجواب. لتتم لذة الكاتب في المسئلة التي استحسنتها من كلام
هذا المصنف بمنوال ونعوذ بالله من الفضول **إن قلت** أراك
قد مقت التغليب في كل حال وكنت أعرف منكم الحكم بالضلال على كل من اتهم
بمعرفة الجواب بالرجال. فيلزم من هذا أن يكون الخلق كلهم ضالين في تغليبهم
إلا الأنبياء والعلماء. ثم أنك تعرف مني أني أتلقى كلامك بالنيرين. وأجعله
على الرأس والعينين. وأتقبل كل ما تقوله لي من صدق أو مين. بحيث
أنك لو قلت لي الزاجر أكثر من الآمر. لقبلت. أو صل الرغم الفعلة لبعلة
وأي تغليب أعظم من هذا. فلم كانت هذه الحالة مني معك مذمومة. بلم
أفرق بين علمها. وأتبعت لبعضها في كل جواب جاء بنفي به ومن أسئلة
راسلتني بها فأثرت على إشكالها عليّ. وشوشت على معتقداً كان
في نظري صحيحاً مستقيماً. فلا بد لك من بيان سر هذا الأمر العضال. وأن تتكلم
عليه بكلام يطفئ الفضول. حتى لتعرف بزلل ما الذي تشير إليه. وتقوم عليه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

مسافول منزلة هو الشرك الذي ابتغى لذاته تعظيم والمقال الذي يجب
عليه ان تعظم لانه افضل من الاصول كان التفاضل بغيره فضله نوع
من العقول وقيد مع عند منزلة الاشكال بان تعرف معنى التغليب
غير والتغليب عبارة عن اتباع الغير واعتقاد صحة ما يقوله من غير دليل
ولا حجة ومن اقام منزلة وفاز بالعبودية لرب العالمين منزل الرابع
المسلمين وانما كان ذلك لان الله تعالى لما اوجد يشتد ميا لهم لسبيل الهدى
بما شاء من مراتبه ولم يجعلهم بالغا الى غير كل مولود يولد على الفطرة
فلما اعطاهم منزلة الهداية قسمها لهم ان يعرفوا كونهم غير ام يوبين لرب
واجب ومن مقتضى منزلة وتتمم تعجيزهم وقفرهم وشهودهم لنا اهليتهم
فلو فرض تعقلوا منزلة الكمل لهم ان الغير ولكانوا منها على يقين وبصيرة
ولم يكن يقين لهم بغير تقرير حصول منزلة الاتصاف لهم على مقتضى العبودية
كيف يكون ولكما اراد الله تعالى ضلال من شاء منهم فتح لهم باب التغليب
للاباء المتعودة والمتبوعة والمتجيشة فاتهم فوائد الدهر التعقيب
في عقتاء الوحدانية التي التعدد والاثنينية واخر هو ابتداء الدهر من
العبودية فابعث الله تعالى الانبياء والمرسلين وايدهم بالمعجزات والبراهين
ليقرروا لهم ما فسوا من امر التوحيد وينعوهم عن التمسك بحبال التغليب
وليسيروا من اتبعهم كيف يتصرفون على مقتضى العبودية لرب الجبر
اذ لا بد من فعل لذلك يعلمهم جميعهم في التغليب ويفهمهم بابلغ وجوه
التفهيم ومن ضروريات ذلك وجود العصمة لهم على ان يكونوا مجال الحالة
حال العبودية وكمال الخصوصيات اذ لو كانوا مجال لحالة الدهم يتمتع

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

بهم دعاء اليها ولا عرض عليها قط الا عرفوا انها كانوا على ميزان الحال كانت انوارهم
وافعالهم وتقريراتهم وحركاتهم وسكناتهم الصفة بينة يدل ذكرها
فكمل التحليل بدينهم الى ملك منهم ولا حتاجهم السبل باتباعهم الرسل ولم يبق
لهم ما يتطلعون عليه ان يتصرفوا في الدين الا ان هؤلاء المعلمين المقربين
انما كانوا ليتسوروا من المحاربين كان يطلب حاجة الزمن فيوب منابهم ويكون
خلفاؤهم عالمين عارفين واجابهم ومرضيين ومرضيات منزلة النيابة والخلافة
ان تكون موروثة يكون صاحبها انموذج من مثال الاول ويكون كاملا
فيه على حسب ما يقتضيه طور وقته الذي يكون على وصف العبودية من
غير ان تكون له محمدة رياسة ولا يكون فيه كبرياء ولا جبرية ويكون مخفوضا
في حاليه مخفوضا منزويا وهذا الذي تستغيم متابعته من غير خلل ولا اعوجاج
وهذا افترض الله تعالى على الخلق كافة الانبياء وورثتهم من العلماء اذ لا يستغيم
لهم حال العبودية الا بذلك فحاصل الامر انهم انما بعثوا ليعبروا الخواطر واحد
بعد واحد من سوء الحق فاحذروه عنه واتبعوه فيه فاستروا وهذا سر الاستبصار
الذي ليس يخرج مع التغليب وهضاربة الاكابر امير لاحت لهم وانوار اشرقت عليهم
وسر الاسم الشعراء واما الاشقياء فهم الذين رفعوا عن المرآة وبقوا في الظلمة
والغواية فلما بعثت اليهم الرسل وجروا التغليب للباطل والزور وضاء
فزرع فيهم وضاء ذا الكمين منهم سوى وازداد الداخل ما يلوح به من دعوا لهم
الاستغلال بعفو لهم التي كادت ما جاريا بما يحبون فاروا بهم واستكبروا على انبيائهم
فالحاصل ظلمة ذا الكمين الشر والنبايم بما جاء به النبي الذي ارسل اليهم فلم يبصروا
فلما لم يبصروا لم يؤمنوا بما جاء به وان كانوا قد امنوا بالنبي الذي قبله لان

المعاصي

مؤسسة الملك محمد العزيز الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

المعاهم جمع معهم وهو المعاهم مثل ما وقع من اخبار يهود وغيرهم وكذلك
من كان ذا رياسة تزيلها عنه نبوة الخ الشيخ كمال عبد النبي ابي رملول
المنامي وابي عاصم النزامب العامري وزمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولعلهما لو لم يكونا معاهم له بحيث يامنان ويزوال رياستهما لامنا بي
واتبعاه ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم عزم الخيرية ببغض بعض
المعاهم يرجوا ان يكون يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا
وكذلك كان حتى بلغ من ايمان بعض ابنائهم بدا ان قالوا لو لا ذكرنا بعض
النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكرنا احد على الارض وحملنا على اعناقنا او
ما معناه مبالغا لاجل هذا الذكر لانه كان اتباع الانبياء ضعفة الناس
لضعفهم كما قاله لهم قال ابو سفيان عمر بتبع النبي صلى الله عليه وسلم
لان التكبر والتعفف موجود منهم فاستقام لهم من اتباعهم ما لم يستقم لغيرهم
وبغض الاصفياء لهما مما مر وامر عليه افراد الرسل عليهم السلام وعلو كلمتهم
فاما مر واجوزوا ان يكون فوائد بغضهم اياه غير ما قالوا لهم بغض الميل
الا ان الحزازة لم تغادر من قلوبهم فاخرجوا عليهم من الايات ما عساه يقنعهم
جميع آية واحدة تكفي وتشفي لو شاء عز وجل التوفيق ومن كان ذا عناد وتنير
يرى منهم التجاء الى التعليل كما فعله كفار قريش حيث قالوا لهم اليهود عن
امر محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا انهم امثل كتاب عندهم ما ليس عندنا
فتبعوا واستفتوهم عنه فلما سألوهم عنه واجابوهم بما اجابوهم من
اختيارهم له بتلك الاسباب الى الله الامر لا نعلم والتعريش عليهم وانتفاء
الشبهة والريبة عنهم فيما جرى يوم بدر والخبر بذلك معلوم ومكرر

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

سنة الله تعالى فيمن لم يقبل الحق اول ومثله جبريل لما برهانه فميز اكله
مرشوم التغليس الزادى النيد النعاسة والكبرياء ومتابعة الاهواء ومعالة
هو الاوزاد لهم تبع لهم فيما يأتون ويذرون وان كانوا لا يتعلمون وهم
يستكبرون ويجدد منزاكله وعوام المتغلبين فمع علمنا بهم حزوا النعل بالنعل
فهم وان كانوا مومنين بالماضيات الماضين ومتبعين للعلماء المتقدمين الا انهم
للتكبر والتعلم مانعهم من متابعة الحاضرين والانقياد الى المعاصرين
ولو كانوا من العلماء الراسخين والاصيا من كان منهم غير عزيز ولا مكرم وهو
مزبوح بغير سكين فاذا مات وانقرض ذكره وعمره او حرمت له وجاهته ومكانته
عند من يمتثل امره او كانت له عند نفسه وارباعه وشموخ انفه وكبرياء مجيئهم
يعزمون له المزار ويغتفرون له بكمال الاستبصار ويصير عندهم علما
وراسهم نارا فيغتمرون عليه بالتصحيح والابطال ويرجعون اليه في
الحكم على من شاء وبامراته والاضلال ولا يغفرون ان يغفر منزلا او وضاء
التي قد مرت بها مبنى التي توجب تاخير عند الله تعالى وزيادة الى اضعافها عليه
وبقاءه في لعنة اللاعنين ومنزاكله من ركاكة العقول وسماجتها وعمى
الابصار وآفاتها فمنزا التغليس الذي هو من المزايا والزاحر بعيدا
يتملى العجار جلية الابرار ويفوزون بجملة الناظرين باقباعهم في مذاهبهم
يفوزون بالجنة ويزحزحون عن النار الا العامة لم يروا من ملا بهم ليتلطف
الملا بس المغاير يغتفرون ان تعم الرتبة والغزية في الزاد الاخير وان
الغراب النعوس في سلة منوا مما مغتبر وان تهميرها من ذفافي ذا نارها
غير معتبر وان من خالف لم يغتم فيه في ضلال وفز يكون عند الله تعالى من

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الصعود الابزال فاعتل بسبب ذالك الحمام الزير واصل النام من منا فضلا
الشعر من العجين لانه الكبير باب العبودية لله ويرفع
الاستغفار عن من اولياء الله ومن كان في ابتزاله هذا كيف يكون
في اقتمائه فلما جرم لما جعلوا الهوا امم اضلا فيون عليه الاتباع
والاقتداء كان المتبوع منهم كل من يستحسنون حاله ولا يميز فيما
يستحسنونه بعزم اذ الجهل فاتبعوا من ليا ذا الله في اتباعه من
الرؤساء واصحاب الاهواء مضلوا اياتباعهم عن طريق العبودية في بعض
كما ضلوا منه فاذا كان يوم القيامة وقال المتبوعون للاتباعهم انا كنا
لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قيل الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا وقالوا لهم فما فالله متبوعهم الا عقوا وما كان في علمكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ويقولون منه لو هدانا الله لهديناكم
فبزا من التغليب الذي اقتضى الحال ان يكون محرما مذموما الله عاري
عن العبودية معبر في وجه الشريعة المحمدية ما الضلال كله متضح في
التغليب لان الهوى فيه عنيد والمزاية كلما متضح في الاستبصار
الله من روح التوفيق والغوان وانتصار وعز علمت بزا الاتباع
الذي يتبرى فيه من يتبعه لابد وان يكون على احوال المريد واي شيء
احوال المريد لا يكون الا تبعا منهم عند من عز اراولا فيمة لما اشتمل
على الضرار من التعليلات الوخيمة متولا من الزين يعبدون الله وبغير
بهم عن الله يتخذون عباد الله ولا صيتو منزا تغليزا اذ للايتا ولة رسم
التغليز الذي ذكرنا اولا الا ان العلامة على صدق حاليه ومقاله لا يحتوا الحجة

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ممتابعته وان خفيت عن اعين العميان والصمة وتعرف منه ان مرجعه
ذي مركبر وحب جاه ورياسة ليفر بامثل اي يغرب ولا يرضى ولا يعرفه احد
بمتابعته عينا لانه من اولياء الشيطان الذي من رؤساء الضلال وبسببه
كان كل عمى وضلال ومن امور التعليل الزميم اذ لا حجة لصاحبه تستغيم
ومعرفة من الاحوال فيمن توجر فيه لا تجعى على احد له اذ هي اذ زالي
فان هذا من ما يوجب الاتباع فليتبعه وليمتثل امره وكل ما يامر به
مما يقتضي رخصا او تشديدا لانه ثقة وقد قالوا العلم الرخصة عن
ثقة واما التشديد فكل احد يحسنه وتكون من اهل هذا من لا حجة
تقض بانه به اتباعه اياه وانقياده لغير مغفل وان لم يكن من ما يوجب
الاتباع فليتبعه وليتغلب غيره حتى يعثر عليه ويكون حاله حال التوقف
والاحتياط فلا يقدم على فعل ولا يعقد بقلبه على شيء حتى يتبين
ذا الحال من جهة اهل الاية المشار اليهم الذين ذكرنا اخوال العمى وصفاتهم وبالجملة
وبالجملة فالتعليل كله مذموم ولا حاجة باحد اليه ومن ضار بصاحبه
غاية الضرر وانما يقال الاعمى من عمي من امور اعمى مثله فلو تعنى على عماه من
غير ان يتعلق باعمى مثله لكان خيرا له على ان من انواع انتظار بكران يخرج
به عن حال العماية ويكون له ذريعة الى الاهرائية فاذا تقرر منزل علمت
منه انك فيما فاتك واعتقدته من انفيادك الى توقيفه على منصوص لا تجد
لسنت على حال من تمتثل باتباعه ثم اقول ما قاله ذلك الرجل ابو يوسف
قول القضاء واكثر ابو حنيفة رحمة الله حيث عرض عليه ذا الحال اصلح
للقضاء بمرة وجمع به ذا الحال ان كنت صادقا فقد فلت الاهل للقضاء

دعمى ابى ز

واه كتب

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وان كنت كاذبا فالكذاب لا يصلح للقضاء وأما قوله فلم أمرت علينا
فلم يأمرني علينا لأني لم أكن وقت أمرت أنا فيكم من جملة ما أقوله لكم ومنزلة
من أولي يلزمكم الانقياد لأمره وأما الأخرى التي سألتم أولا عنها عن كونه مجنبا
مذبذبا فما وزنا ما قلتموه مما لا أعرفه له وجها وأما قوله لقد تعبت فعسكم
بكرا وهو قليل التعب خلفنا وأيما تعبا أن يأخذ الأفضل فلما
قيل وقيل عليه على صحيح كان غرضا يتنافس فيه أولو الهمم بالترقي والحرمة
بالهمم فما الحمد لله الذي قلل علينا التعب والنصب وصرف عنا الأمور
الشاقة على النفس مما يؤدي إلى الملل والتعب فمن أما أردنا أن نذكركم
لكم من خلال التغلب مما يصلح أن يكون تماما لما تكلم به ذا الخال الرجل في
ما فيه حسبما فعلناه في الآيات التي قبضناها والله الموفق لا رب غيره
ونعلمكم بأنا فلما كان الكريم حاله كثيرا الحمد اقتضب مع مقولة العزم
بالجمعة العلافية ثم بلغ عنه بغرناطة الخانة جاء الجمعة العلافية
على حال سيئة فلما بلغ ذا الخانة زكت شفعة عليه وقلت الرأي
أن اكتب له كتابا أتكلم فيه معه لعل الله تعالى يراجع به وزنا
كان لكم تشوف الى ما تضمنه ذا الكتاب مما أنا ذاكره لكم بوجهه
الحمد لله من ملاء الى ملاء وفز بلغ حالك وما أنت فيه من الضيقة
والمضكنة والمكربات المتغربات وما أنتم فيه من الاتفاق بالعلمة
والسورة والعز المعلمة كذا الله بعدان بزلت جمرة واستغرقت
جميع ما عندك في طلب الرئاسة ومتابعة الشهوة والهوى فلم تنل
كاملا مما أملت بل اعقبك تعبك وافتقارك وسما حتك بريقك الذي

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

رحمته مريد وتبرقه خلق كثير ولا حصر لاحشاء الشام من الجسفة والله
والظلمة واتباعهم موالياً ومعادياً ومرافياً تلتمس بزاد الخلعة من طعامهم
يعفون بنا الحاد صحتهم وهزامهم بل الاقتاما منهم لاجتياز النفس ومجاوزة
الحمزة الزلل والخزي مع التلوح بلاد الزيز وتشتت الحال وفراق الاهل
والوالدين والوطن فضلاً عما وزادة الحاد منا مقوا شر منه فانظر الى ما
نال اليندر ايد المبارك الم يمتثل فيه بامتاري من مزاغرف منه واشفع عليه من
تفضيح واشتراكه امتيه وبغضا لما يصيح ويبوح منه بل اصرت على ذلك
اشد الاصرار واغتبطت بحال الحاد اصرت به غاية الاصرار ورأيت عياناً فواء
عاقبة ذلك فلم تحرث نفسك بارتجاع واشرفت على المعاطب والمهالك مما
باء عليك اثر توبة ولا اقلاع مع قيام الحجة عليك بما زفاك الله من العقل
والفهم وما علمك من العلم فما من امة امام شنيع وقال بضيع الا وفي جيد من
لذا ذني مصلكة من معقول ولا يقع فيه الا كل غبي جهول بابن من رفرفة واتعس
من حيرته وارجع الى الصلح فانت ممتحن منه بما وقف الله تعالى الحاد من تعويق
المهالك وتعسير المتارب وتنغيص الحال وتكدير البال اذ لو كنت صادقت
غرض المطلوب ووصلت الى كل مراد ومطلوب ومحبوب لكان ذلك من الله
تعالى للحاد الاجر جميل بعد تراكم ووفر عقاب هو الما يكون لك منها تماسح
كما قال ابو اسحاق الاسيري رحمه الله تعالى في وصيته لابنه وقد حضرت الثانية

فان لم تنا عنه شبت فيه ... ومن لك بالحلم اذا اقتضبتا

ولا شك ان اعمالك التي انت عليها ممقوتة من الله تعالى لم يزل اوصلها بفضله اليك
بما اراد والله اعلم من الابعاد عليك فاغتنم منك الفرصة التي امكنك اغتنامها

١٤٩
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وعلم نفسه من الورطة التي ورد اذا فتهما منا واعمل على حسب ما ترى النصيحة الى
الغاية التي من اجلها اختارك الله وتباركت به ونفعت به ومصرت به وتاكرك الله
عليه به ومنزل المكتوب وبعد فان الاخ بيتر اذا بوصل اليك كل محبوب ومن غير
ولا تخف مما تعمرت به بيده متى من مرديون يتنحى وتبرئ الناس فان الرب الذي ترجع الى
بابه وتتعلق بحبله يخلصك من حيث لا تحتسب ولا تغتر وتوكل على الله
تعالى فتل منه كل خير واحسان وتجد له من حولك وقوتك فما شاء الله تعالى على
العريان وان لم تفعل ما ذكرته لك ووقفت على الضرار لخوجماحد ونعوذ بالله خبثت
عليك ان تقع به شبكة الاتهام وكرة بعجر عن تحملها النساء ومن انزر فقد
اعذر ومن بخر بما فقر فالله تعالى يغلبك ويقهرك ويكربك ويصرف عنك
نزغات الشيطان ويجعلك به كتعبه وحفظه حتى لا يكون له عليك سلطان
بمنه وكرمه **وبعد** فقد بلغني كتابكم وفزت باحتشامه ونقل كلام
ذي نيك الرجلين الفاضلين الفقر والغنا والعبودية والحرية لتعرف بذلك
ما لنا وما علينا الا الاتكال على نصر الله متعز ما علينا ومنزل الموضع
من وجوه كثيرة فاذا كتبت شيئا فانما اكتب بما يفهم من غير ان تستعير على
ذلك بكلام اجنبي الغالب فان اصبت المفصل فذاك مما مثلي احرى ان يجود
وان اخطاته فليس بملوم بادئ الجميل **وقولكم** وما ذكرت لكم كلام الرجل
حليم لا تعرف ما عنده كرمه والله يعلم انه ما ادري ما اقول لكم لانه اذا
ملكت سبيل التغلير اعتذرت بحمة جميع ما فات الا ان يتفضل على جميع ما مضى منه
وقلت لكم اني اكل ما كتبته لكم ورحمته ومنزل الموضع الذي ينبغي ان يرجع
اليه لا تكتم لا تقرا فيه ولا تغتر عليه وان ملكت به فاني مفضل النظر معهما مع

ما كتب به الشيخ
ابو عبد الله محمد
السراج رحمه الله

مؤسسة
الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation
du Roi Abdelaziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ما وراءه ولا ما قدامه فيتكلم بكلام ربما يتعجل به حمامه وان وجد في حاليه
صلامه ربما يتعجل به حمامه ويعضده الحد في مثاليه فحسبه او نزامه وسكر
تفعل اصحاب الكيمياء فانهم لا يعبرون بكلام مبهم مرجئون افاده فلا
مر وراء حجاب الرموز فاذا اقتحمت تلك الرموز كنت لهم الكنوز فاذا
سمع العوام كلامهم واحترزوا عن طوامهم فاذا رأوا انه مقصور عليهم وقد امهم
ثم احترزوا عليهم وربما كنوز على الكنوز الذي يغترفون ويحسب ما اليد
يزيدون لم يجادوا المقصود ولا المراد وقد ضيعوا متاعهم في الرماد
فاذا انتفع من ثمرة علمهم رجاؤهم وضاع في تحصيل علمهم صمتهم وعناؤهم
اما لو اذا لك على جمل الرامز لتلك الكلمات وخبر ومنا مر اغراضهم لما
خبز الغزالة ولا كنه ليسلم منهم باعتقاد منهم فيه الجمل تلك الصنعة
ولما لو كشف لهم عن حقيقة الامر واطلعهم على مكنون السر لم علموا
على حسبه فاما بواحقيقة مذهبه لم يسلم منهم من الوقوع في مهالك
لا تحصى ولا يخفى منهم ان اغفلهم لا ان يجلى كساد ما اثيرهم ورعوم
عصر فميزا مواوتى ما يتناول عليهم ما وعلى انفسهم ما وفي التحقيق العار هي
والنقد تعلو بين علينا بالجهل عنهم والاصغاء اليهم والاخذ منهم
ويعز بنا المعرفة اقرار الوثنيا بيد المعز ويذل بنا من عنايته وخصوصيته
فانكون به محبين والحبيب بنيه وكرمه والاجاء لم تناول فهما منزلا ومما
اقتضته فانه لا محالة يكون بعض هذه امر بعض كلا منهما مقصورا لا يمكن ان يصدر
من اخير محض شيئا من مذهب الطريقة فضلا عن انها من التحقيق واذا
اخصت تأمل ذلك التحقيق من كلامهم ما رأيت حقيقة ما قلنا الا ولو

اصحاب الكيمياء انما يتكلمون من وراء حجاب الرموز

حب عملوا

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

العجلة لبيت لذة الذ وأما السلامتية الزير اشار الى نغم العرب
نغم القومية وذلك للفظ لم اى لغيرهم ومعنى يستعملونه في كتبهم فسبهم
الى السلامة كما ان الحلامتية طايفة اخرى فسبوا الى الحلامة وانما
قيل لهم سلامتية لانهم سلموا من الحلامة التي اعتمدها الطايفة الاخرى
واما قلت اعتمالا نغم العرب الروم النفس ابراوه في كل حال ومزاميرهم
عجمي مزمبهم وقد اختلفوا في تفضيل اخرى الطايفتين على الاخرى فمذهب
الحاتمي والذي يفهم من مزمبه هذا الرجل تفضيل الحلامتية على القومية
حتى ان الحاتمي ذكر ان حاتمهم موحى اليه من الله عليه وسلم وان
القومية موحى اليه عليه السلام وان اسمه نغر الشيخ اي
عنبر الزخم السلمي من الجزء الخامس وضعه في احوال الحلامتية ومن شيوخهم
حمزون الغصار وابو جعفر الحراد وعنبر الله بن منازل ومزعر الحاتمي
منهم اجاز بير المنغام وشمل بن عنبر الله من المتغرمين والشيخ ابا مزين
والشيخ ابا عنبر الغادر من المتاخرين وذكر معهم غيرهم ممن لا استحضرهم الان
ومذهب السهروردي تفضيل القومية على الحلامتية وحجته على مزهبه
الحمر من حجج الاخرين والله تعالى اعلم ولم اره هل اطلع على كلام من الجهتين
والعبودية الرجل الذي فاز نغم معه وبتغريره اياه ما لا يزال فيه
وعجبا لكم كونكم لكلام تلك النغوص وما ازدتم ان جمعتم معها من كلام
الغوم وتغوصهم ايضا وما مثلكم في ذلك الا مثل من اطلع على تغوص كثيرة
نغم عليها اللخمي وابن يونس وابن رشد وغيرهم ثم ترحما واخر يغتوي تغوص
من حيتان الغلب من امثل عظم مع انه لم يطلع على شيء من تلك التغوص

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdelaziz - Casablanca

فضلا عما ان يخرج لهما معنى او تاويلا ما من ازالة من التغليب المحض وقولكم وما
قرات السؤال الى آخره تعني على لساني حرفت به من جهة اجل كذا واجل كذا صحيح
ان هذا الكلام يقع منكم وتلك الاعتقادات منكم من حصر القول في ما ذكرت لكم قبل
من ازالة وقولكم فلما تحققت ثبات تلك الصفة فيكم قلت لعلي جعلت في
وهمك اذ وجب على الله تعذيبكم ولا اخالفه فاني وهمك عصيتم فيها
وانا اتعجب وتعجبني وبعض الامور بل اكثرها قبائح فمن اين حصول لكم
بسبب ذلك في وهمك فانا اول من يشفع لكم اليها ويقع فيها فاذا وقفنا
فيها جميعا قلت وجه ما ذكرتم من الانكار ولا انكار وحزن الجماعة مرح
والعالم ان منزل التقرير حاصل فلتكونوا من ازالة ذلك في اعلان ولا تخافوا منه
خوف العقاب غير ولا تخوف المنافقين وقولكم فنادى بلسان حاله
ومقاله يا ازهد الزاهدين لقد تعجلت على النوم في اخوالي واقوالي ضحكت منه
حتى ما كنت ضحكته وتلك المقالة التي ذكرت لكم انكم قلتموها وودت
لو كنت سمعتها منكم غير قلتموها بلسان كم المقالي ومن اين العلم ان
يزول عنكم وليت شعري اين سمعت بزالة الزعماء على اجر من سمعني الشيء
ومتى يتصور الوصول الى تلك الحال بقلب او سب ولعلكم لما نا ديت
بزالة الزعماء كنت على تلك الحال بقلب او سب ولعلكم لما نا ديت
للاكبر عمر الرجيم الذي عمر الله تعالى في عمركم ولزالة حصل لكم زالة الكبر
والافتخار وتكون في ذلك بمنزلة الرجل الذي كان زاكبا حمارا وموريانا
ويقول من راصاب الحمار وركب على هذا الذي ذكرت ها هنا الكلام الذي
ذيلت به تلك المقالة التي اشرت اليها والمقالة التي قبلها فلما فاتني

ص يطلب الله تعالى
ان يتقبله والنصر
في اقواله وافعاله
جاهل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

78

وتكرير الكلام عليها مرة ثالثة مع اتحاد المعنى والجميع واحد وكلها يرجع
الى الجامع وقولك ومنزل الامر مما يكرر على بعض الاوقات ثم امره
يجيء في بعض الحالات وامثل كذا اعلم ان الوقت الذي تكرر عليك فيه
مرة الوقت الذي وقعت فيه الكرة عندك ولو وقعت بكرة كان احسن لك ○
ثم انك اذا التمست ذلك الغرض بعينه فاذا الكلام احتاج الى ملتمس اشد
عزة وجل الذي امتحن في خصوصيته وكشف حقيقته مرة على يسار بعينه
وصلوح لم يقف وراي خصوصية او حقيقة يعني ولعلك لو اتبعتني ○
وسلكت لم يفتك الكثير الجلي والشفاء بدا وحسوا واخرى ولم تتجاوزه
حزينة مع اخرى فبكت فاما لي عمر الجولان وارح سرحي من الغموم والاحزان ○
وقلبك من التقلع ليكون وكان وانصب منزل الكلام وحله فيما انت عينك كما
تنصب المصباح والسراج وكرسي السراج كما انك تحيي السراج والاقرب
كيف يوم تحصيل الحاصل من غير ان ينبغي في التغير عنه منزل المنهاج
فاما لم تكرر الحلم بغار فقد الاعوجاج وتلاعبت بك الافواج فاما كلمت
مخلقا اعوذ بالمعبر والصاحب وان رمت متعلقا كنت كمن يتعلق بخيوط
العنكبوت وكانك تغر هذا ان لا تتمالك من ان تتكلم بهمة اخرى اشرفوا
واكثر هجرا والا تراني فيما انت الوصراس الخناس حتى تتابع بكلام ليس
بي باس على ان هذا مما لا بد الوجران كان يتخذ بعد كلم يتابع به حتى
الاى والتلميز لا تتجاوز بحال فيجيء حتى يموت ذلك الشيخ واما
ماة ام في فيرا لحيا اهلا يزال يقع معه ويقوم ويغرق ويغوم ويسير
على حالته واحرك من ضيقة يثبت ويزوم الا اذا لا دركتهما عناية الحسى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdelaziz - Casablanca

الغيوم فيخرجها اذا شاء الى كل مغلوم ومرسوم ويغرب اوطانا اذا شاء نعما
واما نعما من النجوم والى النجوم ويصيب باذنه تلك المنازل الخالية الا
الشيخ والبوم فاذا مر الطائر بتلك المقاب ونادى ايتها الخربات اين اهلك
الاحبة والاحباب بلى نجيب نزلنا الاحراها فيجيبون انهما فرد هيا
في الزاهير وورث الله الارض ومن عليها ومن خير الوارثين والحمد لله رب
العالمين الذي جنبنا الاثم والاجرام وكرم الينا الغصون والاغصان
وعباد الاصنام حمدا لا ينقضي ولا ينتهي الى اخر ولا يستقصى فيه امر
السبيل الذي سلكه المتاب المتغرب فان فيه لكل منزل من نعمه سبيل
فليلا فليلا فقول لك فليل الله لا يقال له فليل ترى كان ذلك فليلا فانت
اقل من كل فليل فيه منزل من المنازل المعدودة والله تعالى يرحمني
ويغفر عني واما الى تشير اليه فانا اقول من اين يعلم جلالة قدره
علم انه بعمله وتفصيل ومن لم يجالس المشايخ ولم يمارس العلماء ولو اطلاعا
الى من عنده امثل الحمو جاج نصف صبحة ولا اذري كيف من عنده الاخرين
لم يذكرهن من ذلك فالمتكبر معذور ومن لو نطق بالحكمة وفرقت
الكتب في بعض الكتب التي صلعت من الامثال العامية المحولة على فلة الحسب
وذات الشيء نازلة ونعت في بعض الامنة كلف فيها الشلحا امثال الجاه
والحسب بعض التكاليف الشافة فقال حينئذ بعض الاوزال والسوفة
دلة الكلام والالفاظ العامية كثيرا الما سوفها في كتبه واصل بنا الكلام
الفصيح العربي لان الامثال العامية تشير الى معان خفية لا يدركها
يستعاد منها الا من الكلمات الحكمية ثم منى اعلى بالقلوب والنفوس

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

مرتل منهو من الكلام اودع الرجاز والهزوس فلزا الذاعتمر تما فاعلم مزا ٥
اما بعد فقد بلغني كتابكم المستوعب للاخبار بجزيات كثيرة
يتكرر فيتشوف الى الاطلاع عليها وفرجيتم ذا الذعلى العرض والحمد لله
منها اما قاله لكم فلان ابلغكم عنه من تغيير تقليركم وذا الذاهو
الحق الذي ينبغي ان يعتقد ولا يستغرب ولا ينكر ما استرلتم به على حسن ذا الظن
فجزيتم موامو لما كنتم فيه لكم في تلك الفضلة الكبرى وامو ذا الظن
ما به نفس الامر لان الكلام اذا لا يوافقه ومنها ما ذكرتم فيه
الكلام انتم وفلان وذا الذ من غلياتكم الزير لا تعادون تتعكرون منه
ولا كنه غلياني واقع في محله اذ نتيجة ذا الذ ومرتقاه لا مضرة فيه بل فيه
كل المنفعة والعايدة ولا اقول ان العايدة فيه راجعة الى اجر غير
من غير ان يكون فيها نصيب بل انا اخذ منها الحظ الاوفر والنصيب
الاكبر اما اولا فلما يعم في مجاذبة الكلام ومراذنة من الراحة والانشراح
ولذ الك اجر لكتابكم الذي يرد على ويكون فيه كلام كثير وتجرون فيه
بوقايع تقع عندكم اشتراكا ايزا لذ الك ويكون في اثناء الكلام
من كغير ملازم على انكم تشتهون لمثل المسايل التي يحتاج فيها
الى مزيد تفكر فينفع فيها من الكلام ما تستحفه وما يكون فيه نوع غرابة
بحيث يقول السامع اجدت مزاوة مراذة الكلام ومزا الجنس يكون
الحلو والمملح فاذا كان الملح فغبه فذ ابه ونعمة متصلة وان كان
المملح مميتة وحية ولا كنها رضية من قبل انه يتسبب فيها عنه
مرلة اقراو ونلقاه الاحشاء من متكلبة مزا الزمان الزير اذا اجمع

الجمعة

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الحمقاء بزكمهم يعصون بأفريهم على وجوههم تبرئا بعد اذ يكون لقتيلهم نوع
أخرى من الناس بالصواب حيث قال الحمد لله الذي لم يفعل كزاوكزا ولا
أقول الغضيري قتلتها بها من كل وجه ولا كرتيهما ما بينهما خفية يعرفها
أهل الحجى ولو وعيت أن أقول مزامر الباد فجاء لغلت والله تعالى ولي الحمقاء
والعصمة برحمته ولما كنتم لا تلتمون ولكتبكم لا بما يقتضي التكلم على أمور
بينة لا تحتمل غرابة فيها عذر أهل المعرفة بل مبنى عذرهم من الواضحات الجلية
لا كرذالك من لطف الله تعالى وخير الله للعذر وسر وأما فيما
علمنا في مجاذبة الكلام ومراده فقد اشتمل جمعنا المعرفة بنا الحجى من الباطل
والصواب من الخطأ والحسن من القبيح لأنه كل ما اتكلم به لا التزم له عصمة
ولا اعتقد فيه اصابة وانما انا فيه بمنزلة من ينقل عن أمور غائبة ثم يجيء
فيثابر ويقول الجماعة من الناس الى شيء فيه تعبير ما يرى فتقابلت
وتثبت فراجعهم فاذا قال واحد يرى كذا ومعبره ذلك من أمارات وقرائن لا حتى له
لم يقطع بصحة ذلك اذ لعل الأمارات والقرائن التي يعلم منها غيرها لعلاء
ما معه من الظهور والتغير ولا كنا عميت فيرجع ج عمر فوق الى قول صاحبه
طوعا أو كرها أما الخضوع من صاحب النفس المنزلة المنصفة وأما الكره
من صاحب النفس التي تخالف ذلك ولا يسعه خلاف الجموع المذكور لأن
كل من لا يرجع الى الحق اذا جمعه ليس من العقلاء بل هو من أغبى
الأغبياء واعلم الحمقاء متزامع انه يجوز أن يكون ما تضمنه يرى الحاجبي فيما
وأخر ولا كنه لم يكلف احراز اصابة ما في نفس الأمر بل ذلك فيما من الله تعالى
لأرباب الكشف والشهود وانما كلف أن يعتمد ما أداه اليه نظره
لا يكلف الله نفسا الا وسعها فاذا تقرر متزاكان من الواجب على كل

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

عاقل لم يبلغ الى منازل الكاشعر لا يستغل بشعر وان يكون له تعلق
تام الى مارسا يكرا ان يكون فيه تكميل فاين من كلام من سواكثر منه

159
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

أو أضع ﴿ فلفرقع ويرتضي قول الغلام أو الخلامة ﴿
فإن وقع له الذي طلبتم منه وما لعله أن ينفع مما أفرحنا بذلك وأسر
اغتبطنا لهنا به أني قد أرجع بسببه ذلك عن خطإ أنا عليه مستمر ومقيم
فإني أعتقد صحة قول عز وجل وفوق كل ذي علم عليم لا سيما وأنا في
هذا الموضع كمن هو في الماء يتداوى فتأمل راجعة مسلمة من كتاب أو طلب
حديث نبوي أو أثر من آثار السلف الصالح عسر علي فهمه له أو تعذر وفلان
وفلان وفلان من أهل بلدي بهذا كله فإذا وقع منهما التنبيه لي بشيء من
هذا الجنس الذي هو قليل في يدي كان ذلك لي أعظم غنيمة عندي والله تعالى
الموفق لقبول الحق والسلوك لمسالك أهل الصدق وأرباب غيره والله تعالى هو
وعسى هذا يقع في الوجود أمر إن عز بيان عجيب وإن هذا الزمان لزمان الغرائب
والعجائب أحرى بنا أن نزول عنا المسكنة والذلة والثانية أن تنعم سوق
سلعة أما زوال المسكنة والذلة فلما يتضمنه وقوع ذلك من ثبوت العز لي
في قلوب الناس وما كان العزيز ليسوا بأكياس أنهم يزول عن أهل الغرب
ومغيثهم ويسعهم الذي يرجعون إليه في الخلق والعفو فيقصر الكلام
أهل الخلق وإذلالهم والصغر بهم والحقر بهم بمنتجع منه فاتر بحيث ربما
يكون في يد كتاب من كتب العلم يظهر فيه مسلة عظيمة من كتاب الأيمان
والنذور أو مسائل الزكاة السنور ويكون استغناؤه فيها أحر الخلق
أن يراها جمع للنظر فيها من بعيد فإذا هي من العلم فيضعه من يده ويأخذ
تلك المجلة التي لم يقصر بها واضعها وحده الله تعالى وإثوابه ولو شاء

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ولو شاء أن يخلق على غير الكعبة أو بين الركن والمقام بتغيير وصوله لم
يكن له الموضع الشريف لبعد وحينئذ ينعم أولياء عن التأسي المذكور من
المكانة والوجاهة التي له في قلوبهم مع أن نخلة التي يغرسها من نخلة أطهر
وأطيب من نخلة الزاحف البضوع ولو شاء أن يخلق أيضا على سداد الوضع
المذكور لبعد ويكفي في حصول هذه العبرة والمرتبة أن يقعوا كونه فلما رأى جعل نخلة
الكلاء افلا أن ينظر فيه ويضع له جزءا صالحا من وقته كيف ما كان نخلة النخل
والصرف وأما نعم هو نخلة فقوم منا تمثيل وكناية فإن سوء مثلة إذا
تعم في الوفير المعلوم في السنة اتكاء أن تسمع فيما بالغين من كثرة الصياح
والصحيح وإن كان هذا فيما خلا من الزمان وأما اليوم فقوم بمنزلة أحر
أسواق العبار الصعيدة التي تكون في البواديه وإن انتظاما إذا وقع
نخلة تنصرف المحالة المسامل المشكلة والنوازل المعضلة وتجعله من حيث
لا يشعرون ولا يشعرون فإذا تنصرف لنا نخلة احتجنا المحالة الى الكلام الكثير الذي
يكون امتلاء نخلة اليوم من الكاغد الذي وجمتم به مدة أشتغل على من شرته ما
إن لم يمنعني من نخلة مانع وإذا كنت إذا كتمتم لي يا قليل الجلب عليه
أصاطير أولين وأنكم فيه بالغث والسمين مما لحنتكم بمثل هذه وإن كنتم
أحرص مني فليأتها هزاما مت غابا عن تلك المعارك وأما أوحضرت هنالك
فقليلا ما يكون نخلة كما قال المتنبي

وإذا أما الجبان حل بأرض طلب الفقر وحده والنزاما

وحينئذ تضطرون غيبتي عنكم كما تضطرون إلى حضوري معكم ثم أنه يتطاف
الوالد

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الرجل أن يتعفف فلا يزوج ويشتغل بباطنه، وقوله وما كنت ليسرني مباح فيخرج حنيني عن حبيبه، ويزيل الشائبة عن زاهده، وتخرج منه فلان وأخلاق المباركة، إذ ما فرزه لذي هذه الحال على التفاصيل والمتاركة، لا سيما إن صاحب غلبة وعز، أو عضه وضره أحر بتأزوز، وأما إذا سمع فلان غلر وتعش ماهنالك، فلا تستثن عما ينفع غيرك من كلام وصياح، من غير مبالات بما يكون فيه من قساء أو صلاح، فيكون له شبيها بانعمار السوق المذكور لكن في سالب دأو وفاتيا والزهور، وإنما قلت وما ينبغي أن ينفع أن يزوجه متصنعا من الخير ينفع في الوجود، مع أنه منزه عنه كثيرة معروم معفوة، ثم هو متصنع أيضا وقوع شيء من هذه الأمور الغريبة التي ذكرناها مثل العزو العزل وغير غلر وهي وإن كانت من الأمور الباطلة التي ألف وقوع أمثالها في الغاية، ولكنها بعيرة وقوعها في نفسها ولعل في غلر خيرا **وأما** ما فيرموه من تاريخ الخطيب فقد أخطأتم فيه أني كنت متشوفا النداء لر الوقت وقوله فيه ذكر فيه أشياء منكرة مستشنعة في الصفات إنما ذكرتها واستشنعت على مذهب أهل الظواهر والرسوم الذين ليسوا بحجة على مولى الفوم، وأما الكلام الذي ذكر أنه حفظ عنه بلى ع عنه بذلك النصر من غير أن يكون فيه تحريف أو تغيير أو تبديل بسبب سوء السمع منه أو فضر الفهم عليه فما أقرب فيه أن يعتقد أن غلر مر الفاء الشيطان على لسانه في إنشاء كلام وعظه من غير قصد منه لذلك لتتشوف به قلوب الحاضرين، وتقع به الفتنة للمستمعين، ويفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد، وقوع مثل هذا ينبغي أن يكن

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وقوله بسبب سوء السمع يعني به سماع العوام منه أنهم أكثر من يعيب
كأولياء ويغلب على الذهن من مجالسهم وهم لا يعوون ولا يزورون على يسمعون
وإذا سمعوا شيئا على وجهه لم يفرقوا كيف ينقلون ومثلها ولا يقبل
منهم ولا يوخذ عنهم وقوله لو فرض القعر عليه فمعنى به قعر عنه
حقه من فهم وفطنة ممكن أن يتلقى به الكلام على وجهه ولا كن لما خامر
باطنه من القعر ولا عتراض وتعلب الزلات والعثرات لا ينقل ما سمعه على
وجهه بل يغير فيه ويبدل ويزيد وينقص وإن كان في الكلام نوع تلبيس
وإشكال سلكه على وجه يتم به غرضه من الاتقاء والقعر فعرفت
التهمة إليه من قبل هذا فوجب أن لا يقبل من مثله جاء أنكر وقوع
أحد هذين الوجهين أعني أن يكون الكلام محرفا عن وجهه من قبل القارئ
المذكور أو يكون زلة القلم على لسانه من غير أن يقصد أو يعتقد عليه أن
كان الغالب وقوعه لأن التحريف في الكلام كثير والقعر على رأو ليا عسير
ولا وقوع واحد من اثنين أقرب من واحد معين لم يجز أن ينسب إلى الكلام
السقيم إليه أنه قاله بنصه وفصه إليه .. حتى تقع فيه له مراجعة
ويكون له عليه اضرار وتبوت ولم ينقل له الحافظ الخطيب شيئا من هذا
فتبريح الناس له ويجزانه بجرم سماع هذا الكلام منه أو من غيره فاعلا عنه
من غير تثبت في ذلك وجد له وامتناعه هو من التكلم على الناس بغير
علم حسن جميل أنعم الله الذي نفر واعنه وقد قبل حديث الناس ما حرفوا
بأبصارهم وأما إزالة تلك الظلامة عن الناس فهي من أفضل النعم عليهم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

نعم وعلى غيرهم ولو أوقع ذلك الكلام ممن وقع منه في ذلك لسرى ذلك
في البلاد ولتضرر به العباد. فالله تعالى يجازي ذلك الحبر في ذلك أفضل
الجزاء ويسلمه عاية ما أمله منه من جزيل العطاء. ولعمري لو أن كل مباح وكل
هو موجود وما ليس بموجود كالسنة المستعملة بوعد الله التكلم عليه ومحو
رسومه عند ابتدائها براءة أن تخرج لم يكن ذلك في الوجود شيء منه ولكانت
الدنيا مملوءة عند ذلك من الغلو من أرباب ذلك فابلة لبغال الخير ممقوتة
إليه من الطف وجه وأفرد كاميما إن افترى به صوت الداعي وحسن نيته
كما وقع في هذه النازلة وكان من سلف عمي قلبه بسكوت عن ذلك أو اشتر
عماه بما آثره واهتووا فيه فاستمر بسبب ذلك العماء. ولم يزح
زواله وكابد لذلك الريون التناء. أن استمرار العادة على العمل بالشيء
يوجب ثبوته ورسوخه والله تعالى بنصب النائر منهم **وقول**
قبل الخلاف هذا يجب عليكم انظر النائر فيما هم فيه فكيف يستفتون
كلام يحتاج الخطر. أن قوله هذا يجب عليكم صحيح وكان لما ذكره
ذلك من المباعدة الزائدة العماء في أول حدوثه قبل أن يستحكم الداء كما
هو من قوله انظر النائر فيما هم فيه فكيف يستفتون أن يفهم منه
أن ما وقع من الحلم مناف للاستفتاء وإجابة الدعاء وأن جريان النائر
على الغرر هو الذي يناسب الاستفتاء وإجابة الدعاء وقد جرى هذا
أو نحو النائر فجرى الرمي في الحلس وليس ذلك فيما يفهم له بصحيح
أن الذي ينافي الاستفتاء إنما هو المنكرات التي يعلنها عوام النائر والرعية

وقد ذكر ما يجب في شروط الاستفتاء

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdel-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

والحتاج الى ذكرها لكثرة تقاضيكم وما أصيبوا به من القحط عفوية
لهم أو ثناء بناء على ما صنعوا من ذلك ويحتاجون غير آخرهم فيه الى استغفار
الى التوبة والافلاع مما اقترفوه من ذلك لعلهم يرحمون ولذلك أكثر ما يكون
في الاستغفار الاستغفار وقد استسقى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ولم يزد على الاستغفار شيئا وأما مكرات الظلم ففي من مكرات
الخاصة وأرباب الذمم وهي من جملة الذنوب أو التاء بيات للرعية
والعامة بمنزلة الفحص الذي ابتلوا به فأي منافاة بينها وبين الاستغفار
حتى يتعزم بالله بين يدي الاستغفار بل لعلها مما تقويه وتوكده
أنهم اذا قصروا الا استسقاء لم يكن حالهم كاطلبهم مزمومهم فالله
من الذنوب التي أوجبت لهم العقوبة بعدم نزول الغيث وكذلك فالله
من الذنوب التي أوجبت لهم العقوبة بظلم أرباب الذمم يتقوى لهم حال
الاضطرار لما تتوالى عليهم من المصائب والعقوبات بارتكاب الاوزار
فيكون ذلك اشرع الى اناتهم وأبلغ في اجابتهم قال الله عز وجل أمن يجيب
المضطر اذا دعاه وأما عقوبات الظلمة على منكراتهم فقل ما
تكون بشيء من هذا وأكثر عقوبتهم انما تكون بالامتلاء والاستراحة
واسباغ النعم والتمكين من ظلم الذمم حتى اذا استوفى أحدهم ما
قدر له من ذلك أو يشتوفيه وكان حين أن يجيء من عقوبة الله ما
كان ينتظر أخره الله بغتة من حيث لا يحتسب ولا يدري وجعله آية وعبرة
لمن يتقدم ومن يتأخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز

وجل يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى
وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد **و** عجبا للذي كيف سلم له ما فاله على
حال وفور قسمه ونعوت عقله وقوة فطنته وجاوبه بشيء آخر مما
مذخل له في علم فوله هذا الشخص ينقل عنه آخر الراجح **وما**
فعله فلان في محاولته أمر ذا أمر حسن كله ليس آخر فيه ما يقول والله تعالى
يلقي له علم بالقبول ويغطيه بسببه عايد ذا أمل والشول عنه وفضله
وقوله وما يغطى برهم الجماء إنما يكون بطيبة نفس برضى
المعطى له صحيح وإن كان يغطى ذا بطيبة النفس ورضى المعطى له
وقد استولى البخل والشح على النفوس وصار الغالب الذي يرمز بعجبك
شأنه في هذا الوقت نادر عنه وجود الذي لا خلق له منه. وقد عوبر
في هذا الوقت مضرا وما فلناه بالصعاليك والمساكين الذين يموتون
بالجوع والبرد وأكثرهم أطفال صغار لم يبلغوا أوان الحلم ولم يحط عليهم
قلم وأضعاف ذا في المولدة والفناجير المغنية يباشرونهم على هذه
الحال وإن تركتم عليهم شعفة دمان وإن تسمح لهم نفوسهم الشحيحة
بمواساة ولا إحسان. هذا فيما يتوصل الزمان به بجود المال. وأما
الجماء الذي يحتاج فيه إلى مباشرة أمره بالنفس مع المال فكيف يتصور
أن تسمح نفوس الناس النوم فيصغر المال ذا أمرا ما فالذي الزمان
يا خزونه الزمان على ما ألفوا وكرهوا وانتظر أن هذا الخبر فاسد
وما ينبغي عليه أيضا فاسد مع أنهم أغنى ذا أمرا اغتناء وأغاية التوسع

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

والترقي في الدنيا وبلوغ نهاية ذلك وطمار فيها وما أقول لكم أمر يتبع
أتباعهم وبأي شيء يصلون إلى ذلك أتراهم يصلون إليه بكثرتهم وكسبهم
أو بعزة أنصارهم لو كان ما يأخذونه من الناس بالظلم والغشم أو تكلفوهم أن
يكونوا من الذل للدنيا والتقشف فيها مثل عمر بن عبد العزيز هيهات
هيهات فبعقولكم ذلك أما أخبرتموني كيف يكون هذا أمر مستقيما ومن مخالفة
الدين المحمدي سليما لا تخرجون عن أبوابها ولا يمكن أن تجروه في مجرى العادة ذلك
بما أقول لكم وعلى إذا استقامت أحوال العلماء الوقت بزوال العزة والعمى
عن قلوبهم فإذا زالت عنهم العزة والعمى وشاهدوا ما الخلق فيه من ذل الدين
والدنيا أشفقوا عليهم شفقة الإيمان وحرصوا على تبعيتهم مما تعرضوا
له في أجل من التباعد في الميزان وفي العاجل من استطالة الظلمة وأمثل
العزوان مع أنهم فائزون على كل من أقرب وجد وانتهلوا إليهم وهو أن
يقصدوا الأرباب فإنهم يقولون لهم أي شيء حاجتكم فيقولون لهم الحاجة إليهم
أن يقولوا لخلافة الجمعة خلافة البتة حاجتنا أن تبتهجوا أمر سلطنتنا ونحصل
على جميع قوانينها ويصلح مع ذلك حالة رعيتنا أن يصلحهم صلاحنا فيقولون
لهم وهذا أيضا هو الذي نريد وجئنا لنذكركم عليه وهو موافق لرضى الله تعالى
مع الرسالة من العواقب وبلوغ الآمال والمآرب مع حصولكم على جميع
أغراضكم فيقولون لهم الحالة نعم ما دللونا عليه ومن الذي يكره هذا وفرضنا
لنا حصول الأغراض والمقاصد مع السلامة من الطلال والمفاسد فيقولون لهم
أما ما ذكرتم من استقامة سلطنتكم وتحصيل فوائدها فاعلم لحريز الوصول لكم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

إلى غاية أعلم من تولى بما تعينه لكم من أموال الكثيرة جمعها من تقدمكم بالظلم والغصب
فرمكنكم الله من آخرها عفوا صفوا وجوز لكم ذلك بل أوجبه عليكم من غير
أن تقابلوا بسبب ذلك مضرة وكانوا توقعوا غالبا بتولي هذه الأموال يعلمون أن هي
وهم فإذا رؤوا علم أن يعينوا من هي بيده ويبيتوا كيد يتوصل الواحد منهم
وكان يمنعهم من ذلك سريان داء البغضهم وكان الحق أحق أن يتبع وهذا الكلام
عرضها هنا وليس من مقالتهم التي أخبرنا بها تقريرها ثم يقولون لهم وأما ما
ذكرتم من صلاح رعيتكم الذي استقامة أمركم منوط به فحقوا أن تعهدوا الرجل من
شهر عندكم بدين وعلم وفضل فتجعلوا منهم خطباء وواعظين ومذكرين
ومحتسبين ومنصبين في الحكم وذام والنقض فإذا علمتم ذلك أعطاء التام لهم
وما لوا إليهم بكليتهم فتعلم أهل الجهل منهم ما جعلوا وتذكر أهل الغباوة منهم
ما علمته عقولهم فسرى في جوانحهم مما جاءت به الرسل شيء من النور
وكان للشريعة الحمدية في هذه الأزمنة الرديئة بعض ظهور فيفر رؤوس بذلك
على بذل أموالهم وأنفسهم في مرضات الله تعالى ومجاهدة أعداء الله
ومواساة الضعفاء من عباد الله فيروى في بأسهم بذلك الرغم أموالهم
وصلاح أحوالهم وحصول البركة في جميع شأنهم وأنتم كما قال الله عز وجل
ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن
كذبتم فأخذناكم بما كنتم تكسبون أفأمن أهل التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم
أكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال تعالى ولو أنهم استقاموا على
الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه الرغيد ذلك من آيات الله التي فيها

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

أمثال هذه المواعيد الصادقة التي رتبها سبحانه على الإيمان والتقوى والطاعة
والاستقامة فصلاح الرئيا إنما يتم بصلاح الدين وصلاح الدين إنما يكون بصلاح
الأمراء وصلاح الأمراء إنما يكون بصلاح العلماء وصلاح العلماء إنما يكون
بأن ينزع الله تعالى عن قلوبهم الغرة والحسد كما ذكرناه فإذا انزعج عن
عنهم شاهروا الأزمنة وما احتفل فيها وما انتقص منها وعرفوا مبلغه
ومقداره فاشتغلوا بأهم الأمور وما يؤدي إلى خير فيه فصلاح حال الخاصة
والجمهور وغالب الأمر يأتي من استصلحوا علمهم في معاملاتهم وعلوم تكون
سببا في تصحيح إيمانهم وصلاح أديانهم أما المعاملات فأن يتصرفوا
بينهم بالعدل وأخلاق الإيمان التي استقاؤها من تعليم مشايخهم وربانيتهم
لهم من الشفقة عليهم والرحمة لهم والرفق بهم وإذا خالط المسلم المسلمين
وإيصال المنافع إليهم واستدفاع المضار عنهم وبالجملة يعاملونهم
بحسب معاملتهم من هم خلقا منهم من ذوي النبيا والمرسلين وخير الأمر فصد
ذوي الزيادة في المستحب وذوي الزيادة في الواجب قال الله تعالى أحسنت وأجملت وعلم
غالب مما لا ينحصر كثرة وأما العلوم فأن يتشاغلوا منها بعلوم ترجع
إلى أن يكونوا على هذه الأحوال السنية والشيم المرضية التي هي
من أخلاق النبوة ويعلمونهم كيف يتعبدون ربهم وكيف يتأهبون بين
يدي ربهم في حركاتهم وسكناتهم وأفعالهم وأقوالهم ونياتهم ومقاصدهم
ويعلمونهم كيف يعظمون ويجلون تعظيم مثلهم وإجلال مثلهم ليتخلقوا
بخوفهم كما وصفهم أن يقدروا الله حق قدره ويذكرهم بأيام الله ونعماه

صلاح الرئيا إنما يتم بصلاح الدين

وإيقانهم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فيحببه بذلك اليهم ويبين لهم كيف يتوصلون الى الغبطة بلقاء الله تعالى بعد الموت فيزهدون لذلك في الدنيا ويتجافون عنها ويستعلون مقارفتها وكل أعمالهم فيزهدون لذلك في الدنيا ويتجافون عنها ويستعلون مقارفتها وكل أعمالهم وجميع ذلك موجود في كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام أوليائه والعلماء فليتعاطى الكلام في ذلك العليم بها ثم ويستخرجوا لهم جميع ذلك من منطوقاتها ومفهوماتها واشاراتها وتلويحاتها فلهم في هذا مجال رحب بحيث لو أفنى أحدهم عمره نوحا يتشاغل فيه بذلك لم يبلغ عشر معشار ما يستغلون بذلك عز وجل فضول هم بصرفه ذاهبا وآيبا وخوضهم في الرفيع من مسائل معاملاتهم اليهم رجعها الراسيات حطوطا في دنياهم تتوجه مما حتهم بها الخصوم فيهم عند الحاكم والقاضي والسلطان وآخر الجزيل والذكر الجميل حتى يحكموا بما ذكرناه من اصلاح عقايدهم وتحسين أخلاقهم أن ذلك هو الحامل وذا أمامر الذي ينبغي عليه ما خلقوا لأجله ومعلوم انهم في هذه الأزمنة الغبشة لم يجعلوا شيئا من ذلك بل انكسهم الله تعالى على رؤوسهم وأعمى أبصار قلوبهم علم يهتدوا الى العلم الحقيقي الذي به يغير الله تعالى ويزان لرضوانه بل عموا الى مسايل البصر بها على العامة العميا وقالوا لهم النظر فيما هو العلم الذي توطأ عليه العلما فاستبدلوا بكلام الله تعالى وكلام رسوله كلام الناس الذين هم منعتوبون من مثلهم أو قل أكثر منهم وتصفحوا فيه كما تصفح أرباب الغفول وأرباب الباب في الكتاب والسنة من البحث والنظر والتفتيش حتى يستخرج لهم من اشارات المرونة ومفهوماتها

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

مما يوبر ظهاره ويا بيان ويستنبط منه من أحكام معالم دين الله به من سلها
ويا يحصى اعتناءها والعمل بها من مطالبة الملك الديان ولو استعمل أقام زمانه
في الغزاة والحرث لكانت أنفاسه كلها حسنات ولخطاه كلها قربات
ولكان في ذلك من المصالح التي من جملتها الى اقامة الدين والنصيحة لله تعالى
ولكتابه ولرسوله وللخاصة والعامة من المسلمين ما لا يحصى ويا يغتم
ويا كرد ٭ يا صاحبي يا صاحبي ليس الفلاح بسابي ٭

وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الجنة كل الجنة الذي
ما يغبط الناس من رحمة الله ويا منهم من عذاب الله ويا برخص
لهم في معاصي الله. ويا يرع الغزاة رغبة عنه الرغبة وما أوجب
اكتسابهم على ما أكبوا عليه من ذلك الضلال المبين في مثل هذا الوقت
المنكر ويا انهم وجدوه من ذات اليد في معاولة أمور الدنيا
ووجدوا فيه ما لم يجدوه في الحرمة بالبائس وما اشبهها من الحرف
الشائنة بأضعاف مضاعفة فيرى الواحد من الكلبة أشبه شيء
بالغزاة المحزوة ما بين الخفر ويا استحياء تبدي الزوجة وتعومة ويا أعضاء
وهو فرخ من البيضاء والصفراء ويا ناد والميس وهي تتضاعف
وتتزايد على مر الأيام والسنين وهو في اكتسابها ما لم يتعب له فيها بعين
ولم يغرق له فيها جبين ولم يراع في طلبها وكسبها ما طار شاهد عينه
وكل فيها هذه من الفوائد العظيمة. ومسائل المدونة والعتبية والموازية
بأسرها أعينهم وتركوها مغلقة مطبقة. وأخذوا في أموال المرغبين

مبالاة

فوله على رضي الله عنه الجنة كل الجنة والمعصية كل المعصية الذي لا يغتفر لا يحسن مرزعة المرء

مؤسسة الملك محمد الخامس - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

مبالات بشرع ولا ورع من أين يدخل اللقمة والبعضة. فإذا جاءهم المسلم محتاجا
لم يقتوا لهم في نازلة فقوا فيها النظر. ونصروا فيها بوجوه العجز والقدر
وأكثروا فيها من الهوس والخبط. ليتلاعبوا برهم في الخبط. وليقال أحزم فلان
ما أفهمه وما أبعده. وما أوفره وما أكثر تحفيظه. فتتعلم له الخائنون
التي فيها. وتقرأ له منصوبة الشبكة التي لفقها وأصلحها. فلا أحزم
لما جعلوا علمهم وسيلة إلى طلب الدنيا كيف ما كانت واستعروا في ذلك
ووجروا في أنفسهم تمام الغابية عليه سلبهم الله تعالى حلاوة الإيمان
وأوقعهم في حبالات الشيطان. واتصفوا من الصفات الذميمة بما يحتقر
ويحتسبان. فترى المتفقه الغبي أحرص الناس على الدنيا وأتبعهم للهوى
وأعدمهم من الله تعالى حياء وأصفقهم وجها. وأكثرهم لجما. وأبطنهم
وأغلظهم وأجلفهم وأثقلهم بروحا وأقلهم بشكل انتقلت هذه الصفات
الرديئة عنهم وصرت سمة منهم لآبائهم وأشياعهم والمقتدين بهم
فعظم الزلل. وعم الرداء. وحل الشقاء والبلاء بعمي القريب الواضح ونسي ما
كان عليه السلف الصالح وراء ظهره كأنه أحوال من الغلمة مع ملازمتهم
أبوابهم ومصاحبتهم لكلابهم يسفدونها من أعينهم ولم يخطروا ببعض أنفسهم
رأوهم شاركوهم فيما هم بصدده من العناء. وعكفوا على مخالي العباء
فأي فلاح يرجى مع هؤلاء أو صلاح بكل ما يجري من النساء في الدنيا والدين
من لزوم استئثار الله تعالى بالأنبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين. الرهط جزء معروف
في بعض أحيائهم مسوغ به وجوه صحابيهم. بعساء الناس بعلساء الملوك وبساء

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وبقاء الملوك ببقاء العلماء وبقاء العلماء بخيرهم للدنيا بما استولى عليهم
من الغرة والغمر فاتقوا الله أيها الكتبة وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون. وقد
خرجنا عن المقصود وطال بنا الكلام وذهب كل مذهب الكبر فيه طبيعة البغض
وبقيت على داء معضل فراشتد ضرره في الوجود. وصار أهل الخير بسببه
أمثال اليهود. ومشت على اسلوب غريب ومنهج عجيب. بغرة بعصبة كل
منصب لبيب. فمن ترجم هذه النبذة بالمذهبية المهذبة. في مسايل معجمه.
تضمنت ابرا مفاتح المغتربة من القلبة. ليتجنبها كل من يصر الخير وطلبته.
فهو مصيب في ترجمته. متعرض بسببه لان يتغمده الله تعالى برحمته. لاسيما
ان حفظهما في الامور. وأخرها بالرواية عند المسلمور. والمقصود الذي
يعرف عنه أن طيب ذا نفس باخراج ذا مول التي تضرب الى الجماء ذا مسيل له
ذا افامة خطيب مرضي الخالة عند الناس ناصح لله تعالى في التعليم والوعظ
حسن يصلح من الراعي والرعية ذا خوال ويفاتل عمر الله بالنور من والعزال
ومن لم يغر على هذا فاتل خاطره وخطاه. وربما كان له أبلغ من باشر له
بلاياه وعنايه. فلو انه يكون قبل ان خطيبا لجامع القرويين عمره
الله تعالى بذكره ثم يخطب بالخطب التي أضعها له وما يتبعه فيها حيث
يزيد فيها أو ينقص منها ان رأيت من الصلاح في الراعي والرعية ما فيه وله
ثياب من الفرح. وتقول جنين بنشاط وحماس ما قاله الرجل الذي
صلت راحلته بما عليها ثم وجد له عند شره حاجته اليه وتكون فيه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

مساء محاه هجوراً وتوى الناس حينئذ كيف يتهجون بأموالهم وانفسهم في
مرضات الله عز وجل وحينئذ يرجع الرأي الخسيس بعض الشباب. ويقع
في هذا الوقت المسكين ما لم يكن لنا فيه حساب. وهل هذا الا شيء عجاب. وانما
قلت خطيباً بجامع القرويين أن قام سيء الحال وواصلت عمرها ومنها
يسمى الصلاح والعباء الرسواها وكان الزمان غير بمثل هذه الحال حتى
أن وجوده من حين المحال ولعز الكبار وأول أن اتكلم بمثل هذا وكان بيدي ما قال
الشاعر: ٥ متى ان تكن حقاً تكن أعظم المنى وكان فيعز عشنا بها زمناً نعزا ٥

وقد أردت أن أذكر لكم ها هنا نص كتاب كتبته الرفلان كما كنت كتبت
لكم نص كتاب فلان لأنه أرى له ما يعجبكم ربما أن هذا الكتاب لم أوجده إليه
كأنه لم يتبع حامل وكان أذكره حتى اذكر لكم شيئاً من بعض كتابه الذي
ينسبني عليه ما أقوله فاني في كتابه وانا والله متعلق القلب بما يرد علي من بركم
التي لم تزل من قلبي وهي من أعظم نعم الله تعالى علي ومنها في الحال أيكلؤنا جمع
حاله ثم توسل بأولئك القوم الذين كنت همتهم لكم ثم قال وأعرفكم بأسبب
أن كتابي هذا هو ثالث كتب إليكم ولم أر من قبلكم جواباً ومن ثم والصبر
لزلزل وانتم تزورون شوقي عنكم الرما يرد علينا من جنابكم وشرح احتياجه
لزلزل ثم قال

أما كتابك إن أتاني زائراً ... فحياة نفسي وهو في الدنيا سوا
كانت طلعته يعفيكم عن هلالي خشية النور الرجنا بكم أو وا
يا ليت شعري بعد بعدي منكم ... هل تسمحن لي أيام لي أن أعود سوا

مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فقلت أنا بفضل الحمد لله وحده من قبل ومن بعد أخبر الله بيده سلام عليكم وعلى من ذكرت أنه سلم عليّ من أوليائه البعد أو قد بلغنا كتابكم صحبة فلان وقد تعرفت منه حاله ولم يزل علي منكم عيم هذا الكتاب الثاني وهو ثالث كما ذكرت وعلمه من لقيه الذي أنه كان يحب علي أن أجيبك وأنا أريد إجابتك بأبر إجابة في كل ما يعلمه منه بما عرفتني فرحمت الله ورسوله والشريعة والكريعة وكان الواجب عليه لما أقامك الله مقام البعد وهيأك لمن كانت له الأبوة والتصوف مما لم يتهيأ لغيرك حتى جرى منك استخفاف حال أولياء الله تعالى مجرى الرمد أن تجعله نصب عينك وتصونه عن كل ما عساه يفرح فيه من محبة الدنيا وإيثار هوى النفس على حق والمولى وأنت لم تفعل شيئا من ذلك بل سلكت مسلك المضاءة بالكلية ولم تبن للصلح بغية ثم لم تقتصر على ذلك حتى رفضت وبطت كل الرفض ما أتاح لك من دنيا ثم نضبت لنعيمك من الحمق فضلا عن العقل ثم مع هذا كله تحتشمني وتستحيي بصلة بل ربما يكون للبصلة منفعة ما معتبرة مع أني كنت معك وكنت معي على ما تعلم وأحتاج أن أعرفك بتفصيله وكنت أراعيك ظاهرا وباطنا وأفرح لفرحك وأغتم لحزنك وترحك وأشاركك في سرائك وضرائك وأساهمك في شدتك ورخائك ولم يكن عنك لحظ من لحظاتي ولا مشيت إلى البلدة الفلانية مع أني كنت أقدر أن تمشي إليها مالك في ذلك من المباسط التي وجرت بعرفك لك حتى بيط أنك تلازم حال الفقر والمسكنة وتسعى بجهدك في مصالح

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdel-Aziz - Casablanca

من وجهت اليه بالموعظة الحسنة والنصيحة المستحسنة وتوليه على
انتهاج سبيل الخير والتجنب عن الشر بكل ما يمكنك من لسان حالك ومقالك
أجل ما كنت أدعيت بينك وبينه من المغربة والصحبة في مواطن كثيرة فاعتبر
له جميع ذلك لأني رأيت أن هذا النفع للإسلام والمسلمين من كل ملة ساط تعالى
من أعمال البر فلما حصلت هذه البرة لله بطل ونزع عنك ملابس الحياء ومن
من أخرج النام على الرتبا من غير مبالات ولا ارعواء فلما جئت الى البلدة الفلانية
ورأيتك لم أشطك ولم أرتب في أن الله تعالى مسح قلبك وسلبك عقلك ولبك
ولم أر بك فائدة لشيء من الخير فيورد وأصدر مما رأيته من حالك وشمائلك
وما كنت اشهد ذا بأحد أغلاج السلاطين الذين كانوا تقفو عزمهم في الإسلام
والإيمان فلما رأيتك على هذه الحال السيئة علمت أن الذخيرة النفيسة التي
كانت في يدي مسقطة في البحر والدرة الخطيرة التي كنت ضنينا بها خطفتها مني
اللعين وزادني على مراره وبشاعة شمائله دهرا التي من أعظم المصائب
ودهارزاء ولم أكن لجرعتها سلوانا ولا عزاء لأن الذي يعلنه لا يرضى به عاقل
ولا من له مسكة فيا ليت ودهاقي مناسبة بين بيع الصابون وقتل الغيال وركض
البراذين والزوامل في دار وطيئة وعلى فروج الجمال كذا لك في النساج
وفي معالم العباد أن خالد دار التي انتقلت عنها كانت في طاعة الله
تعالى واتباع مرضاته وخالد دار التي انتقلت اليها كانت في سخط الله
تعالى ومرضات عدوه ابليس ولعل ما اصيب به ذلك الرجل الذي عجبت من العين
الرديئة كان بسببك حتى صرعته من العمد على الرعية والظلم لهم ما تسلل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الله تعالى أن يوفقه للتوبة منه وذلك فلا يقع عنه وأن يضع به عن ذلك ما جميلا
وأن يفتح له الى الشفعة والرأفة برعيته سبيلا ما أبركه ما كانت عليه عبد
المسكينة إذا عاد عليه أهلكت الحزن والنسيان بينما أنا أؤمل منك أن
تصل ما بعد اليد إذا بك صرت من أشأم النادمين عليه كلما غلب على ذلك منك
منك وكان عندك المستحيل زوال الضلال عنك حسبت أنك لم تكن في الوجود
واحتسبته مصيبة بفرط عمر الله تعالى كما تحتسبه مصيبة كل مفقود
وكنت في حفظ بمنزلة من كان له أخ أو عم أصيب بسقم أو عرض في جسمه
صرت تعزله لذلك الشغل عنك وكأصغى الركاب يرد على منك بأنه بمنزلة
بمنزلة المعدوم ثم ذكرت له تلك الرؤيا بنصها أو بغير نصها فلت
باثرها بعزة الرؤيا بهت منها على الجملة وفرع خلل وفساد في حاله
زعم بنك والله تعالى أعلم بأن مع هذا الدليل المشيئة ذلك لبنة الحصر هما
والعزة ذلك لا هيبة الجبرما فإذا أراد الله تعالى أن يخالف الفور في قولك
وأوبك فليس له عليه بعزيز وكما مستحيل بأن يقول التكوين لأن الله تعالى يقول للشيء
كن فيكون في أسرع من لمحات العيون مع أنه تعالى أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين
يغفر ذنوب المذنبين ويتقبل أنابة المنيبين سبحانه جل وعلا ثم إن رفع له
فما أشد فرحتاه وأعظم سرورنا بسببه إنه إذا ما تجمعت لنا وفاة
الشعوث وتعوذ أعياذ ذلك النبي لم نكد أن نعود وتمكن من سماع النعمة
التي كان عمرنا بها حيث يكون الماء والعود وقد حملني حامل على أن قلت في
معارضة أبياته أبياتا على وزنها بما أظن أني لا أحسن نظم الشعر حسبما

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

نعلم منه وانك اذا فرات صدك الابيات وجرت اشي الضعفا يا ديا علي

وقلي ذلك

اما ايابك تابيا مشتملا ✦ جمالة نعبي وهو في الدنيا سوا ✦
لا تعسرنك بنكث عزمك عسرتا ✦ بيروا هوى يرعوا الطاعة رغوا ✦
لمثال وعلى اذ نكثت وقبله ✦ لكنا الي يجر على مخالفة الهوا ✦
وانكث عار وهو ظار كل ✦ فصر المتاب ووجهه النار عوا ✦
واذا استقمت على السبيل فانه ✦ اشهى لري الحمام العزب الروا ✦
بيت له الطلوب وهو بنجعة ✦ من نعمة تشفي كما يشفي الدوا ✦
تحت الظلال وجيش جري جرار ✦ وارد روضة غناء طيبة الهوا ✦
لا تعجبن لمقالة قد قلتها ✦ بابي ذاك وحاشر لي اه اسوا ✦
واجتبي ان يمنته ادركته ✦ ولئن ابكون لم يرى ما قد نوى ✦

الا ان ما ذكرنا له من توبتك واوبتك لم يظهر له شيء من الاثار والعلامات حتى الان والله المستعان لانك لم تعرف نفسك بذلك الا بعد ان تقتفي عليك حال الدنيا ولم تر فيها ما تقر به عينك وتسوى فلو فرضنا انك وجدت فيها جميع امانيك واغراضك على غاية الكمال والتمام لم يقع شيء من ذلك فيما مضى فان كنت بدعواك هذه والتصريف باخرج الى الله تعالى خروج الخائفين ووطن نفسك على المكاره والشرايط التي لحقت بمرضات رب العالمين ولعل بذلك يتكفل لك بجميع ما اسلفته من الزلة التي جعلت فيها عرائك لجام التقوى واتباع الهوى ومحبة الدنيا فكيما الحقت نفسك بانالة حظي العلوي والسلوي فاذ فصاحبه مرضات ربك

المنفى

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

مرارة الاواء والبلوى تعلك بزالك فتزج كجا با لاك ولا عليك وان لم تفعل ذلك فجرعوا
هذه الكاذبة، والدنيا عندك ذاصية، والاخرة لك طالبة، ولا كن ليت شعري بماذا
اخصى صيغة عبرياع واخرتك برنيلاه، واخصى منه عبرياع واخرتك برنيل
سولاه، واخصى منهما صيغة والتر غبنا واسود سعدا واشرى بعدا
من حرم حظه من سولاه،

على نفسه جليك من جات عمره • وليس له فيها نصيب ولا اسم

واما انا فلا افرد لك الا بالدعاء لك اذا اعتنت عليه بصرف وجهك عن
الحرام على التمام فيكون جميع حسناتك ما تتكلم به ذلك والشغل
والالام بل لا شيء من ذلك الا الحرام على الحرام، وانما بعد العلم واما قبل
ذلك فلا سبيل لك اليه، ولا مقول لنا عليه، لان الدنيا كلها الحلال
لا يجمع فيها واحد كلام، ولا يباح فيها محظور والحرام، لا سيما فيما كان من
هوا والنفوس من الجنادرة والحرام، وسنزاد اخر ما اقول لك والسلام وبعد
وقد بلغنا منك كتابان اثنان اما الاول فقد سرنا ورود ما وجهت وامعنا
كل واحد منهما في اخر ما تضمنت منه جزيات فيه واحدة والاطلاع على الامور له فيه
راحة اثنا ذو سواعظهما كونك لم ينعم وذلك ولم تتكلم بواحد من اشباع الكلام في امور
كثيرة مما التاس فيه من الضيق والكدر وشرة الام في هذا الوقت الذي يشبه وجه ملك
في الغيامة من تقاعل كل احد بعمه وغمه وغره كل واحد فيه وكل واحد يقول بلسان حاله فيما
بعضه وقد استبعدت ذلك واما الذي موجود بالفعل من جملة الرابعة الخمسة بيننا
وليس ذلك الا ان يكون منك ازرع بكيفك من غير ان تختط جوا الراحة وسنزاد الوجه ورجوع عنك
لما ذكرت من اليوم الذي زمنا ذفتك من غير ان يكون عندك وفاء بها وكيف تكون

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

تكون لكم سعة في معيشة مع كونكم على هذه الحال الضيق فلم تزالوا تكونوا
موجودين من جهة القوة التي بها تحصلت لكم من تشاغلكم بالكم بمعارف حقيقية
توجب لكم من السكون والطمأنينة الى موارد الأقدار ما لا يوجد مثله ولا اقرب في
مزاولة العلوم الظاهرة التي ألفها الناس بل لا يزداد آخر فيها قلبه الا ظلمة على ظلمة
وبعد حسرة وآشرة مكابرة وافتحام. فان كنتم على هذه الحال فأنتم في نعمة يجب
شكركم عن مكافاتها ومراعاة حقها والظاهر أن لا أمر كذلك فجاء رواياً الحمد لله
قبل كل شيء لا نالوا غرضنا خلافه لم يتصور منكم تهزر خاطر ولا فراغ قلب لايراد
هذا الكلام الذي سمعتم من فوق ضرب هتكم اليه الضرب الشاق. ولو قدرنا أن
يكون لكم مثل قارون مثلاً كما هو المتداول من أكثر الناس في هذا الوقت الصعب فانتم
نسواء يتهم بمكابرة يأتم وتشاغلوا بهموم أنفسهم عن مراعاة حق غيرهم
ولو أنتم يتسلون فيما يتوفر من تراكم الشر أو تراء د البغي والحرص
يزدن من أحوال المغرمين والمفلسين الذين لا يحرزون ما يسرون به الرمق ويتسارع
اليهم الفلاح والبناء أو أحوال أمثال الغابين الذين عوتوا بالقاعون الذي يخطفهم
واحدا واحدا وجماعة جماعة لما توا قبل أن يموتوا والله أعلم وكل الله تعالى
لعبد لغضهم ببغض والله لطيف بعباده هذا هو الوجه الثاني من الوجهين
اللذين فيهما هو أفهم ما أردت كتابته لكم وثم وجه ثالث لا أحب أن أذكره لئلا
انتقشه معكم بسبب ذكره لكم ولا بد من وقوع شيء من الكلام منقلي بغض وصول
كتابكم المذكور على حسب العادة ثم على بعض وصول الكتاب ان شاء الله تعالى
وأما ما استأذنتموني فيه من اطلاعي من أجبتم على كلامي وخصوصا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

هذا الكتاب الكبير بعفو وكلت ذلك أمم فيما خلا إليكم ووفقه عليكم وافعلوا من ذلك ما
أحببتم والله الظاهر أنكم أنتم تفسرون ذلك وتكررون صفوه حتى لا تحصل
فائدة وربما تكون بيده مصرة زائدة وذلك من شرحكم على أن يقال لكم إذا
قرأتموه على الحبر البيطار وسغريط وعرضتما لكم على أن تشرعا على هذا الكلام
الشائك الكثير بتوقع الضرب والقرو وهذا واستشاهد هو الذي يثير العصبية
التي تثير الغيرة وتهيج الدماء ويكون عاقبة ذلك الغم والحزن ويمنع البساط
من جهة رجاء الصلاح ويغض المرآة فلا يكون لهما وانه تأثير ولا نجاح والله
التوفيق الخسر بي هذا إذا أنتم إذا أحببتم ذلك أما إذا تعرضوا على أحد منكم
وبينه موعدة ومحبة شيئا من كلامي حتى يقع منه سؤال لكم عن ذلك فحينئذ
تعرفونه عليه بالبينة وتكون وتكررون ضابطا لما على الحالة التي يفهم منه صاحبه
شيئا من دماغ اد الذي يفهم منه بسببه عرض ذا نصاب وإذا حرج عليكم أن
تقولوا له ابتداء من غير أن يكون منه سؤال لكم إذا وقع بينكم وبينه محاورة ومجالسة
ووقع بينكم كلام في مسئلة تكلمت فيها إن قبلا نا تكلم على هذه المسئلة وما زيد
على هذا شيئا فإن ما لكم أن تراجعوه بل تعتبروا منه حرمكم على ذلك جهدكم وتطالبوه
به وقد يستحسن منكم بالنسبة الرغض دماغ اشتغاص شيء من الفضل والتنسويه
ومثل الغني ظلم دماغ في مثل هذا فقد يكون من الغرابة المثال البسيط وما يكون فيه
من الفلم قليل وما كثير وإن أحببتم أن يبقاء لكم بذلك الحبر فاضل وستقبلوا
به كل قلب قابل بل تتوخوا الميزة عليه في المباحثة فيه هذه الحال يكون استماعه
الدح مما أن يتبعه ويقبله وإن اقتضى منه عملا أن يستعمله وأما إن الفهم

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وأما الجواب: فلما تحرر من أن الغاية انضباطا وثبوتا واعتبارا يسهل التدريب حتى حصول الغاية لكم ولغيركم ممن يتعاطى فعلوه على كلامي ممن لم يبن بينكم وبينه صرافة وموءدة فإن كان منه قبول للحق اتبع به وإن كان منه اعتراض عليه كان ذلك اعتراضا على وجه من غير أن يكون فيه إزراء كتاب صرا ومجاوزة حق وأما من بينكم وبينه صرافة وموءدة فأنتم معه في غنية عن هذه التكلفات التي أخرج إليها تباين القرائح وتخالف الطبائع على أن من تمام الخبرة عرفة تقلب العثار وذا عصا عن الزلات والتمايز ذا عرف فإن فيض لنا أحد ممن يكون هذا وضعه فيضلنا بهذه الخاصية واعتقاد التقريع والمزية من غير أن يكون نحن منه وإن بادر أحد إلى اعتراض والمناقشة كان هذا عيبا فيه مختصا به لا بمجاوزة الغير يمكن أن يقابل به العيب الذي عندي في رسم الكلام الذي هو معرض للاعتراض فيتقابلا فيتساقطا فإن وقع في على ذلك اعتراض جواب صحيح منع كتابه أفضل منه وكذلك إلى ما يضاف إلى اعتراضه فعلا بسمعه ذلك وصحبته عن ليله كان لكتابه الفضل عليه أيضا والحاصل أنه إن لم أكن خيرا من المعترض فلست أكثر شرا منه وإنما الكون شرا منه لو تلبست بإبراد اعتراضه وأورده موردا من شاء وطلب الفرائد إلى منبع الشراء ثم يكون بيني وبين نفر فهم توجه اعتراض علي بشيء من الصناعة وعدم انتفاء ومثل هذه الحالة المرء ولله والحمد لله بين اثنين الله تعالى بهما بما مضى وأرجو أن يستلبني بهما فيما بقي فإذا علمت هذا كله كانت كراهتك لوجه اعتراض معترض على كلامي وجهته

تنبيه الناسخ

مؤسسة الملك محمد العزيز الدار البيضاء Fondation du Roi Abdelaziz Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

أن المعترض الذي يضاد في باعتراضه الغرض محجوب مقبول عند أرباب العقول وأما غيره فلا يزيد باعتراضه إلا ذما أنه سعى بنفسه وجهلها فاعلموا هذا كله واعملوا عليه وكتبنا إليكم والحمد لله ليس فيها ما يستنكر أحر الله عفوه ولا يمكن أن يكون فيها كلمة من الكلام التي تجر عنها إبهام العوام موجوده مثلها أو ما هو أشر منها عند أيمتنا أعلام فليزحل المعترض رأسا مع الرؤوس على الجميع بالرؤوس فأما أن يكون فيها شيء يقتضي التعنيف ستر وكتمانه محامن وكلا

والسلام ورحمة الله وبركاته

وأما ما تكلمتم به على المسئلة التي وقع المزاح فيها تعلمون فيها وكلام صحيح موافق للعقول والحكاية التي قابلتم بها ما حكيته أنا عن مسيلمة ما قمتم في ذكرها الغرض **وأما** جواب قولكم عن الكلام الذي تضمن الكتاب الذي كتبت به إليكم بقولي الذي يقتضي منه الحال أن يجيب به إذا الزمام وصف به نفسه في قوله فيه وأنا أعرف من نفسي أنه غلب عليها الزمان واستعز بها الشيطان وكذا وكذا الراجح كما ذكر المعنى المقتضى فصار به أن يستبعد تلك الرذائل واعترف فيه بأنه لا أهلية فيه لذلك فإني أقول لك يا أخي ما وصفت به نفسك من تلك الصفات الذميمة أنا متصف بمثلها وبأضعافها وأنبئك مثل خبير فإن أنت صرفتني في هذا إخبار عن نفسي ولم يصدر لك عما عرض عليه من أن تخلي الوقت عن الحال بتعالى فلنضحك صحبة الجماعة بعضهم لبعض فإن المجزوم إنما يأتي المجزوم لحاله في ذلك من الراحة أنه يزيل يفهم وقتا صالحا

183
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

في أنباه حبيب الحيمة فرير الغير ناجم النبال أنهم بعض لهم مزرورة بعضهم
لبعض سلوان عظيم منعهم من التطلع والتشوف الى الكون على ما بلغ علينا
أصحاب الخسام الزير تصيبهم بعوجة في الكلام فهم يقربون من دار أصحاب
لتلاين يزورونهم لهم في بلوائهم وداء أيضا يقربون منهم أنهم يجاورون
من عرواهم ويفعل الله بجزء لم معهم ما شاء أما ان يبغيهم على حالهم أو يضع
جميعهم أو يضع بعضهم دون بعض فان ابقاهم على حالهم أزاح جميعهم قبل
كلام وان أضع بعضهم دون بعض فمقتضى الكرم والعنوة في حوض انعم الله
نعلى عليه بالصحة أن لا يغار صاحبه ولا ينقطع عنه ولا يبخل عليه بشيء
مما يمكن أن يكون فيه اقامة قلبه وجبر ان كسره وفركان وهو معه في الحارة
لا يستأثر عليه بزوجه ويقسم بينه وبينه البلوطة المرة

ان الكرام اذا ما انتهلوا ذكروا مركازا بالعهم في المنزل الخشن

فبهذا التمثيل الذي وقع منا بين هذا الفيل وهذا الفيل يتبين كيف تكون
معاملة بعضنا لبعض في ابتداء أمرها وانتهائه فالسبيل لنا في تحصيل بادرة
الصحبة في هذه الحالة هو أما ان صرنا نتصرف بفطنة فيما أخبر به
عن نفسي عن التمر والصحبة فهذا سخت منك واستخت مني فالطلب أنت
طبيبا يداويك والطلب انا طبيبا يداويني والله تعلى هو المداوي لجميع كارب
غيره وأما ان لم نتصرف في هذا الخبر بالمجانبة التي لا يرتجى زوالها بيني وبينك
أملة كأن الطبيب الفليل لا تنجح نفسه بأن يداوي غيره من علة هو بها
أشد ضنا وأكثر هما من صاحبه وذلك اذا كان ناقص العقل معكوس الفطرة

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وعنده لم يكون له فيه عناء ولا تعبه معالجته شيء كما هو حالي
مع فلان فإنه ما فتئ من زمان عوجاج حسن عنوهذه الحالة السيئة ولم يوجب
لي ما افتضته من الجهالة والغباوة عنها نفورا ولا المناكرة فلا جرم
لم يحط مني بقاء ليكون فيه شفاء الصدور وتيسير الأمور على أنه لو
سألني عن هذا الذي قلته له من أنه لم يحط مني بقاء ليل أكنت أجبته بخلافه
فقال له يا فلان لم تقع عيناي على الرجل أنت من أعرف مني بجواب تبعث
بكتاب وراء الكتاب وتحيط بجواب بعقب جواب حتى أتعبت نفسك وشغلت
وحصل بيدك ويده من الكواغد ما كان داعيا أن يكتب فيه أجزاء من الفرار
أو جملة من الأحاديث الصحيحة والحسان فقال له يا فلان لم تفض يد الرجل
القوارير التي لا أهلية فيك لعالم فهمك من يد من تسيء أنسابها لم يكن تعتاد
بيد الرجل ومراده وقلت ما قال أيوب عليه الصلاة والسلام حين كان يغتسل
عريانا فخر عليه رجل جراد من ذهب فجعل يحثي في ثوبه منه فقال له ربه ألم
أكن أغنيتك عن هذا فقال له بلى ولكن لا غنى بي عن بركتك فإنك كاثر
نعمة ربك التي أنعم بها عليك على بر من عباده أنك استغفرت ما يبدو لك وأنت
تابي داء الزء يا ماكن على غير الوجه المحمود الذي كونت له بهذا كله
مما تقوله لأحيى نحن لعله يتعش ونحن نحبه الفائدة من حيث لا يشعر
أني لم أجاحه بذلك على لسانه يا أخا القاسم وإن كان هذا كله مذكورا
في كتابه الذي ينتمي عن مزيده ويزعيل لسعيد ظالم ولعل تزيده على خلده
رابط وتلفا نفسك ومن مقتضيات منا ما يزاحما هو أو أنت أو غيرك مما

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

يرا بنو ماذكرناه وبقايفه والحكمة ضالة المؤمن لا ينعى لقاموضع بحر منا
فيه بهذا لما اردت أن اتكلم به على بعض من فصول كلامه وجوابه أرب لي في
ذلك وهو نحمد الله ينتهي تنبيه وتنبيه غير على ما شاء الله تعالى من الأمور
وهو تعالى عليم بذات الصدور وبافي كلامه الذي املينه عليه وبنا الله أن يكتب
به التي لنا فوزنه لذريته علمت منه مقصوده حيث ذكرت المتبوع الذي صحبته
ثم أعرضت عنه وعيبه لذلك من أخوال وذاهم في ذلك قريبه والله تعالى يتبعط بما
توبته ويبلغه ما أمله ورجوت بمنه وكرمه إجابة بالمطلوب منه يا فلان
أن تقرأ هذا كله على فلان أو تقرأه هو ولتبلغوه عني السلام وهذا الذي ذكرته
هاهنا اذا املتموه من ابدع الكلام وان كان يشبه ما تقوله العامة من ان
اذنك يا جحا الذي قلته لكم وطلبته منكم أن تقولوا له ما طلبته منه أن يقوله لكم والكل
الغزل والنسل وانكر من الله عز وجل وأما ما ذممتموه في الكلام
الذي نسب الى الشيخ أبي طالب ثم اعترض عليه فهو في غاية السقوط أن ذلك
المعنى الذي فررتم من صحة نسبة الضر الى الله تعالى كما يصح نسبة النفع اليه
بمعنى أنه هو الضار النافع أمر معلوم لا ينبغي أن يورد في تقرير ذلك البعد
الشنيع الذي فلتم انه فار وذاهب عما يجب عن ذلك له موقع عظيم كيف وقد
أتى به على صيغة أفعل الذي مقتضاه في الغالب انقسام ذلك وذاك بين الرب تعالى
وبين غيره فيكون معنى الكلام ان الفعل مضرور وزر وخيبين من فعل الخالق
منا غيره وذاك ان ضررهم من فعل الخالق أشد وهذا منتبع وشنيع فقار والدين
وذاهب من كل وجه لأن مشاهدة الضرر منسوبا فعله الى الله عز وجل ينحل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

بالكلية منهوم من غير بكيد ان يجعل له منه حصة ولغيره منه حصة ومثل
هذا الكلام الركيك بتعذر أن يعبر وبه يفهم منه ذلك المعنى الذي ذكرته ويجوز أن
ينسب الى رجل جرت الفصاحة والبلاغة وحفظ الأدب في العبارة منه مجرى الدم
ومن مارس كتابة المغلوم عرف ذلك فلعل مع أن ذلك المعنى المستعاذ منه مغلوم عنه
الحاضر والباد فانما ذكر من هذا كله والله أعلم على تقرير صحة ذلك الكلام عن
الشيخ رحمه الله وانه لم يجز أن يعبر أن يتصور به لفظ آخر يحتمل أن يكون
المعنى كما شئت أفنى أو أفلس للمغلوب فيرتفع الحال أن الرب تعالى عنه ظهور أمر
وتجليه ما يثبت معه شيء بل يترك ذلك ويضمحل وينتفي الشيء وفي تركيبه واضمحلاله
وانتفائه يحصل الدهش والذهول فما هو غاية المغلوب وبغاية ما أمل وانزعوبا
بالمغلوب وان عمل في الوصول الى هذه الحالة ما عسى أن يحمل لم يعبر عنه بما يعبر
عن حالة اذا أحكم له ذوقه من جلال الله وعظمته فيجوز أن يعبر عن هذه الحالة بالصحو
وان كان ذلك على غاية النبع على الخفيف كما قيل من أحب آخرته أضر بدنياه ويكون
ذكر الشيخ رحمه الله لهذا الكلام في حال غالب عليه لم يتمالك فيه ولم يقدر على
ضبط لسانه ومنعه من أن يتكلم بكلام مستشنع في ظاهره ويعبر بعضهم
عن مثل هذا بالشطح وذلك أمر مألوف وحال معروف من أهل هذا الطريق بل هو
الغالب على من هو منهم بحال السكر فان كان وقع بحضرته وفي حضور
مجلسه بسبب غلبة الحال والخلل واللسان بما يضاهي عزم المحال فقد تحملوا
له مع غيره ولقد أكرموه وأجلوه حيث لم يعاجلوه ويقتلوه بهذا أو أمثاله
يؤيد ذلك الكلام على تقرير صحته عن ذلك وتمام والله تعالى الحسيب العلام

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وأما ذكرتم أنه جعله فلان من وعظه للناس وتقريعهم وتوبيخهم
وخروجه الى المستغل ومراودته على ذلك فانما ذلك الخروج حتى رحموا
بالمهر الذي فلتم انه نزل عليهم في النصف من شوال وعشرين خلت ولعزازة في كلامكم هذا
فيه غيبة والله تعالى يحرمه خيرا وما أقرب الى الخير واشبعه لو كان ذلك أمر بالعكس
وذاكرهذا بعض البصر مما اقتضاه عمى البصائر من أرباب ذلك المهر الذي اوجب
مراهنة من وكل الله أمر اصلاح عباده اليه بحيث صار له الطرف في عينه
حسبما ذكرتم لكم قبل هذا على أن الله تعالى لم يمح لهم ذلك البريق ولم يرسم على
حالهم على الحقيقة قرة عين بل عاجلهم بالرزايا الكبار والزمهم الذلة
والصغار حين صيرهم أسرى لهواهم ومستعبرين لدنياهم وخرد اشار
الى هذا المعنى مما قاله ذلك الرجل الصحابي للرجل الذي شكا اليه أخاه
استعرت أن الله تعالى نصرك على أخيك فرح على معاوية فأفهمه ما ذا
وولده ولد ذكر أو كلاما هذا معناه فإن قال واحد منهم شيئا خلافا لله الا الله
فامنوه من السوء ان وعنان السلطان يرتفع من الخرز والفوان ما ينتهي
بهم بعناء مسائل ذا يمان ولعزك ذا خرة أشروا بقي **وأما** ما حكيتموه
عن ابن البناء فلم أر كلاما له يشكل عليكم معناه لو صوحبه ذا ان اللفظ
هو الذي أشكل عليكم بعده فإن قولكم لوكان لبعده حتى يتمكن في المذكور
أو حتى يتمكن الذاكر لكان البعد صوابا يدل على أن معناه لم تشعروا به
أن تعثروا عليه والذي كيد تستفيهما فان العبارتان ذكرتموهما
بحيث يكون فيهما نوع مكابدة للمعنى المقصود والصميم المستتر في قولكم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

يتمكن في المذكور على ما ذهبوا فان عادة الرجل الذكر أو الفحل الذكر
لم يستعمل مع في الكريمة التي نحن بصددها ويكون ذكره الموجود الى معنى مستحيل على الله
جل وعلا دون ان يقدر هنالك مضاف محذوف كقوله تعالى ونبئهم ان الماء قسمة بينهم وعند ذلك
يكون له معنى معتبر وقولكم أو حتى يتمكن الذكر هو اليوم من عباراتكم الدارجة بكثرة
لا معنى لها بالنسبة الى ما قصر من معنى التمكن هاهنا ولا لختمكم اياها بقولكم والتمكن المذكور
هاهنا هو ما خوذ من تمكن الشيء في المكان وتبوئه واستقراره فيه ولما كان الحق
تعالى منزها عن المكان والتمكن فيه احتاج الشيخ ابن البنا أن ينبه عليه وينحرز منه
بقوله وليس له يتمكن حلول واتحاد بل حكمة وقدرة من عزيز عليم ثم يقول له بيانا
شافيا الى زال ويصير القلب بيت الخمر ويمثل منه وهذا هو معنى التمكن الذي
ذكرته وبوحزهذا من قول الله عز وجل فيما يروى عنه لم تسعني ارضي ولا سمائي
ووسعني قلب عبدي المومن اللين الواعي أو كما قال الله عز وجل وقد تقدم منا
ذكر اشارة الى قريب من هذا المعنى بعبارات مختصرة لطيفة في كتاب معنى الخمر
عظيم النعم كتبت به اليكم قبل هذا والآن ارجو اوصلكم الله اياه وابن هذا كله من قولكم حتى
يتمكن في المذكور او حتى يتمكن الذكر بينهما ما بين باب الخمر وبين باب الفتوح على أن لكل
طريق يتعذر الجامع له أن تلك الظرفات مختلفة في الطول والقصر واستقامة
واعوجاج بل الوجوه كلها نقطة واحدة لها حقيقة واحدة وهي واحدة من واحد عز ربه
وجعله من جملة من يتقبل يا مريم ه وقد ذكرني بغض تعجب
من اخباركم عن اولياء الله التام انهم يغفرون له النسبة وهو الطبع على الغل عليه
أن يغضهم وغير فلان ممن كنت اعرفه منه بغض يغور عن كل خير كان يسمعه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

إذ كان يأتي الزلل الغريب ثم تبرأ ذلك الزلل يصير يقصر الاستماع له
والتشاغل به مع ما ذكرتم من أحواله عن سماعه وكذلك الآخرون كما ذكرتم
مع أني أعلم أن ذلك المجموع الذي سميتموه ثم حالين فيه كثير غرابة بحيث تقع
من سامعه تلك الأحوال الغالبة عليهم قلما في قرب ذلك فيه غاية التغريب
وسفة قريبا من مساو غيره من المصنفات المألوفة ثم شتان ما هو وهو أني
عند آخذ فيه كالذي أقرأه وأذكر لكني جبانة أني لا أحتاج إلى النظر التام في كل مسألة
منه بكلام قريب يفهم من مسموعه أني قد استوفيت المعنى الذي يقتضيه تمام
كلام المصنف فيما رأيت أني في ذلك حزت الفوز المعلى وفلت بلسان حال سبعين
من بني وعلي ثم رميت بذلك خلفهم وتشاغلت بغير ما على هذا التعويل فإن
ذلك المجموع بسبب ذلك الوهم الذي أذكرني في أكثر مسائله محزونا مغلوقا
بحيث يمكن لواعي النظر فيه من أراد الزيادة عليه اضعافه وأن يقرأ فيه عبارات
بعبارات أكثر منها تحقيقا وتحريرا وأجل هذا وقعت الزيادات في فيه في
مواضع ضرورية ولقتبس ذلك بمسئلة العلم أي مقدار كانت ثم الرأي معتبر لا
رجعة والله تعالى يضع فيما ألهمكه قائله ونفع مني بغزير كلامكم في ذلك المعنى
بحيث لو ضيع بعضه لم يفض لخرج منه كراسة ولكن لعل في الواقع من ذلك خيرا
وهذه الكتب التي أكتب لكم بما فيه تقرون ذلك المجموع أني عملتها نكتا عجيبة
وحفا نوغريبة لم يقع في المالك بشيء منها في ذلك المجموع وما ذاك إلا أني قبل
أن أنظر إلى فهم في كل واحد منها والموجب لاختصاره أني عند ذكر فيه لا يكون
لي شعور بما يكون في كتاب يكون بغير مبسوط كاملا أو شبه الكامل وما يكون

مسئلة
ليس فيه مسئلة ولا مسئلتان ولا عشر
ولا مائة فما زائد كلمات مسئلة منه أحاط

ذو
أو سعادة

١٩٥

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فيه فهو وبال حرف فإذا اشتغلت بالكتاب ذكر جملة فيه ما علمك به وذكر أول
إذا اشتغلت منه بمسئلة طالبتني المسئلة التي بعدها والتي بعدها فما تكون
لي همة ذكر في التخلص منها والتفرغ عنها فاعلم هذا ولو كان في فلان وحكمة تامة
وتأمل الفاظ الكتب التي كتبت إليها تعرف أن أكثر الفاظ المذكورة فيها مقصود
ذكرها معيرة لمعان لا يعبر عنها منكر بما عن أشياء لا ينبغي إظهارها
ولا يستحسن اشتهارها وكل ما ما قال رحمة الله عليه لم يول يعترض لي حتى قال في آخر
حتى قال في آخر ما قال الذي وقع به معي زمانه إذا ورد علينا مني كتاب يكون
فيه كلام عجاب بغرة مزوق فروق ثم يظهره ويجعله في التكاثر أو
في الصدور ثم يتشاغل معه ذكر لا يعبأ به بسبيله معهم أما أول النهار
فبالتصحيح وذكر الملاح وأما آخره فبالغياط والصياح فجاء ليتفرغ منهم
فجاءته اشغال مهمة وأهمها مع اللهم قال ليتفرغ لمعاودة النظر والتصفح
بالفكر والعين ذكر في يوم الجمعة والخميس كما كان يحلو الزلل ابليس فإذا شم
آخر بأنه جاء مني كتاب شرعليه بر الصغير وكبر أسيء وكاستكبر هذا
هو الظاهر من ذكر والله تعالى ولي العفو والغفر **وقولكم** في الكتاب الذي
كتبته الى فلان وما ينتظم فيه ذكر آخر ممن تقدم أن يبتدئه الغرائبي ذكر ابن عقيل
وذكر غير مما الى آخرها حكيتموه عن سيدنا رحمه الله فالذي في سيرة ابي
العباس جميع ذلك تعالى منكم واعلم أن الغرائبي لدي في قلبي عظمة زايدة
وأما استيذانكم لي في قراءة علم الكتاب بعلم او امة الثلاثة نعم وتجعلها اياه
وتعميدكم فقد اذنت لكم واستحسنت منكم ما قصدتموه من ذلك والله يعصمكم

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdel-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

أن ما تشاغلوا معهم وما مع غيرهم بشيء من ذلك المعنى حتى تشترط عليهم شرطا واحدا وهو أن يكلموني بما شاءت انفاسهم منهم في رفقتي بسبب ما زعموا بصيبهم من فترة في عبادة أو تقصير في طاعة بسبب ما تضمنه من الكلام الذي مما يوجب أن باب النظر العام أن يترضوا بأخوالهم الزعيمة محتجين بذلك لنفوسهم اللئيمة أن هذه الطريقة مخصوصة مخصوصة بأخذ الزوار من فقهاء أصحاب الزكاة والمزورة والحيا والعتوة وهما وإياء الذين يصلون إلى الله تعالى بذلك في وقت اشرع وأما غيرهم فلا يلتبس به ذلك العصا والمنع كما قيل الحزم يلحى والعصى للعبد وعن ذلك لا يمنع منهم بأحب التصوير وأنيس الشيء وأما أن يمنع لهم تخليص أو تمييز بعض الناس تخصيص تام قال وينبغي أن نعلم أن المعنى الذي تضمنه ذلك الكتاب وغيره والذي أنا الخوض عليه في تركت كلامي كلمتان أو أحدا فقرره وأبسط الكلام فيه البتة وإنما تشاغلوا مع الناس بأمور أخر أوهمتهم أنها تفيدهم وأنا قمت على ذلك المعنى حتى أخرجته للوجود أكثر بعد أن بزلت في عنزه المخمود فلم أر من ذلك ما يسر بل ربما كاد يخلو من أريض مهما الجلة فكرة في أمر الدين وما يمكن أن يأخذ به الحزم من معاملات يصلها الرب الغافلين لم أجد سوى ذلك المنع أن كل جارحة نبيلة وغنية في ضمنه موجودة وكل رعونة وجهالة وغوى منه مفقودة والرعوي هي التي تكرر صفو الأعمال وتوفع فيه الاعتلال حتى أنه ترعى عند الله تعالى الحسنة مثال وسيأتي بيان معنى الرعوي أو شيء هو وعلى أن الحزم في هذه الحالة التي أشرنا إليها على ما سواها بعيش طيب العيش في دنياه كما سيأتي عليه بحيال

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

عين ولا شيء مما يزيد مقدار الرفعة من أمر آخرته وعقباه ولا سبيل عليه لمنكر ولا نكير ولا تستقيم محاسبته ولا مساءلته عن غيره ولا تعميم وأما الصراط المستوي المنتظم الذي هو أحد من السيف وأدق من الشعر فيجوزه بعض الله تعالى به إذا منع من لحم النصر والكون في مقعد صدق عند الله الحسنى وحل من رواية الله له في المنزل الأسنى كما يجوزه البرق الخاطف ومنهم من يجوزه كالريح كالفرس الجواد ومنهم من يجوزه على قدر حوله كما حوسبتم كما جزيتم الصراط هل كنتم إلا رجعوا فإذا هم زرافات كم هذه الأشياء كلها يبغضون في وجوه كما والذين يعرضون عنهم الكمام ولا يمال ويقولون لكم فراجا رنا الله تعالى بفضله من جميع تلك المشقات ولا مفوال بالطول غير نامز أرباب الاشغال ولا أهل الثقال فلا سبيل لكم إلينا بحال والمقلع من تلك الحالة الحسناء هو الذي جرى عليه سوء القضاء وعدم الشقاء فبقي في مكابدة أمر نفسه بمشاهدة الدرجات الرفيعة في دنياه التي حازها سواه فيتأسف ويتحسر منها على ما فات ويشاهد المقامات العلية التي يتوهمها مقامات يقنط عليها إن لم يصل إليها حسرات فإذا رام الوصول إلى شيء من ذلك بنفسه ونجره وجهده لم يقدر عليه مع الوبال الواصل بسببه وعواه إليه فلا يزال في أمره في عذاب أليم وتعب مستمر ومقيم ويكون حاله شبيهًا بحال أصحاب النار كما وصفهم الله تعالى في قوله كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وهذه هي المعيشة الضنك التي يبتلي الحق تعالى بها من أعرض عن ذكره واستهان بأمره وعمل على غير ما يريده ولم يعلم أن ما نالك من حيف منه يغير وجه أمله ويبتلاه في شكره ومراعاة حقه وعدم عمله قال الله عز وجل ومن أعرض

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdelaziz - Casablanca

عز ذكره بأن له معيشة ضنكا وحشره يوم القيامة أعمى ثم قال تعالى
وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى وأما
ما سألتم عنه من بيان علامات وجود الرؤية في القبر فاعلم أن معنى الرؤية
أي شيء هو لم يشكل عليه شيء من علاماتها والرؤية عبارة عن رؤية النفس
وترتيبها فرؤيتها وتعظيمها أعني هذا بالعين إذا رأى من نفسه تمام إدراكها وهو رؤية
رؤية توجب له أحد شيئين إما أن يكون الروح بلوح له من علم نافع أو عمل صالح
فهو مع أنه إذا شاهد كمال نفسه من حيث قيام هذا العلم والعمل به
ويلازم ذلك أن يقلب على ذلك حظا من الحظوظ الدنيوية أو الأخروية
فإن كان ما اقتصر به من علم أو عمل شيئا كثيرا أو أقرح بذلك الحالة بيسير من الخوف
الكامل الذي رجاؤه وأمله وإن كان ذلك شيئا قليلا أو عرته البتة حزن لذلك
لما يفوته من الخوف ولو استشاهد نفسه لم يتصور منه رؤية كمال الإدراك أو
قوة يوجح بوجوده آثارهما وتحزن لفقد ذلك فأكثر الخلق من عوام الناس أو كانوا عالمين
أو جاهلين أو صالحين أو فاسقين إن العالم والصالح يريان بأبديهما من الرخاء
النفيسة ما يفضل لهما بسببها ما ملكته عكسه فيفرحان بذلك والجاهل
والفاسق يريان أنهما فوتا نفسهما ذلك الرخاء النفيسة التي هي قوتهما أن تكون
بأيديهما لتحصل لهما الملكة التي حصلت للآخرين فيحزنان لذلك هذا كله فيمن
كان عنده علم أو عمل إذا كان فيه فاضلة له وأهلية لكنه تشاغل عنه وتولى
إفلاسه منه ولقاءه بهم من الحيرة والغفلة ومن التزيين في الدنيا والمستغرقين فيها
فالكلام عليهم وكان من ذكر تلا إذا فريقوفهم في الرؤية ورؤية النفس فوقية

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

تامة ولذلك تجد كثيرا من الظلمة والقسوة والمستكثرين من أغراض الدنيا واوساخها
بنو امغوز ويتزلزلون الآخرين وبروز انهم خير منهم بأبد ضعيف بل تابروز
بينهم وبينهم نسبة البتة وبغرورهم وتزلزلهم وروونهم الخير بدلهم عليهم
يتكبرون ويتعززون ويتظرفون النهم بغير احسان وتابروز فيهم امثلية
لرحمة الرحيم الغفار مما اول آخر الغرض بأن تحت الدنيا وتاجرها جميعا وما الخرى
الغرض وآخرا ان يرحمهما جميعا ويكون ذلك بفضل من رحيم وعزيز حكيم عليم
ولقسوة ذلك بفضة الخليع والغابر وانحصل للعبد البراءة من الرغوى وتابوجوه
الصرف الذي يقابلها وذلك انحصل لك حق من المعرفة بالله تعالى أن من مقتضيات
هذه المعرفة ان تحب كل ما عرفها انه كل شيء ما خلا الله باطل وهنالك تحصل
للعبد التجريد التام والتحرر من كل ما كان منسوبا اليه فبذلك ويصير جميع ما كان
يشاهده من سني حالاته ومحاسن افعاله وصفاته بورا وهبا منثورا بحيث لا
يرى تفرقة بين وجوده وعدمه من حيث روية لنفسه بل الفعل وطلب الحظ
ويتضح معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم مما يرويه عز وجل يا عبادي
كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته
فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم
يعني هذه الكلمات صحيحة بين خلل الهريوز والمطعوز والمكسوون في الظلام
مع الضالين والجائعين والعارين اما الم يشاهدوا هداية الله والطعامة والكساء
فاذا اشاهد الغير هداية الله والطعامة والكساء خرج منهم بالعبرة بما هو منه
من الله تعالى من هذه الاشياء وبالعبرة بما من حيث تلبسها بهم فانها من هذه الحيثية

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdel-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ثم كما تقيه من جوع عنزلة الضريع الذي هو طعام أهل النار يضارع الطعام
الخبيث أي يشبهه في الصورة وليس بطعام على الحقيقة وكم من شخص كثير
الترفيز والتعفين بعصر ينفر عقله كما تقوله العامة في التملية عز والياسلين
وهو بعقلته عن هاديه من أكبر الضالين وكم من شخص فر تنعم من أكل الخلوا والمن
والسلوى وهو بعقلته عن مطعمه في عراء الخاسرين وكم من شخص يلبس الحرير
والصوف والكتان والقطن المزوق وهو بعقلته عن كاسبه من جملة العارين
فلا عبرة بظواهر الأشياء وإنما العبرة بالسر المكنون الذي به صار الصالح محرابا
والمحراب ضالا والمطعم جائعا والجائع مطعما والمكسو عاريا والعاري مكسوا
وليس له ذكر بظهور أمر الخوارق بقاع عظامه أو استتاره وخبائه فإذا الحق
ذكر التجلي والظهور استولى على ذكر الأشياء والأمور وانقشعت الظلمات
بأشعة النور فحينئذ يبرز الخير الخير وشر الشر الشر وعندئذ تنحل
عرى المرعبين بما يفهم العامة بخلاف ذلك في يوم الدين حتى يكون الملك لله رب
العالمين وليت شعري أي وقت كان الملك لسواه حتى يفتح التفسير في قوله الملك يومئذ
لله وقوله وذلك يومئذ لله لولا الرعاع الحريضة من الطروب المريضة وإذا
وقع استتار وخبا ظهر وجود ذكر الأشياء وانتسخ بالظلمة الضياء وعميت البصائر
ذكر الماء هنالك تنقشع النفوس وتنجزع أوقات التكوير والتحوير وترى
أمواج القوى كيف تتلاطم وطلمات الرعوى كيف تتراكم يحينئذ تنعدم
القوى وتغور في بحار الرعوى وتغوى في الهاوية مع من هوى فمن قضى
نحبه وإيمانه ناقص فيضا وترى جهنم ذات كيف يأكل بعضها بعضا نعوذ بالله

٨٩٥
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

من هذه الحالة: وهذا ما ظهر لي في معنى الزهوي التي هي بعض البلوى:
فإن أردتم أن نذكر لكم شيئا من علاماتها وبعدها في العبر فاعلم أن من أظهر
علاماتها أن يكون عندك شيء من التدبير وذا اختيار: وزوبعة حول نفسه وفرحا
في ذا يراه وذا المرار: والمباهاة والتفاخر: والتظاهر والتكاثر: والجبار والمراء
وزوبعة الخلق بغير كازدراء: والحذر والخسر والرياء والعجب والبخل والشح وخوف
الفقر وكراهية الموت وأن يحزن على ما بانه من دنياه ويفرح بما أتاه من مقتضيات
هواه: ومن لخباها أن يحسن النائم ويتخير بزي مخصوص ومزج نفسه
بنوع ما بالمقال: وبرع بما يجلوسه في صدر النعال: وأن يعلم زهره بالخباله وتواضعه
بما ربما يتعاطاه من تكبر وتعال: ولخفي من هذا كله حتى ربما يعد في القربات
وذا أعمال الصالحات: أن يفرح بما عمله من الحسنات: ويحزن على ما اقترفه من
السيئات: كالله بل لأجل ما يفوته من جزيل الثواب: ويصيبه من أليم العذاب: في
أخراه هذا ما ظهر لي في بيان حقيقة الزهوي وذكر بعض علاماتها الجلية
والخفية ولخفى من الخفية ذكرت لكم ولم يسأل عنه من عنكم ولم أحببتم
أن تطلعوا عليه سرائركم أو لم تبنا لكم: فهذا ظفت ذا أمنيتي في ذا لكم بما يفوز
الوزر لكم الكتاب: واجعلوه مما كفضل واجروا بابا: والله تعالى يوفقنا للصواب:
الله الكريم الوهاب: الرحيم التواب **وأما** الكتاب الثاني يتعرف منه عقوبكم
على الخوف بما ذكرت أنا لكم وكما ما ذكرتم أنتم لي وكان في قولكم ثم الممتاز من هذا وامتاز
مما تحذرونني منه بغير قولكم أكما بني بعض كرب بالحمد لله الذي عرفنا الخوف ونسأله
أن يبشرنا وإياكم الرجاء بمنه ويزقنا وإياكم القناعة به بمنه **وأما** ما ذكرتم

فرائع

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

من انكم اخرتم في حرز هذا الكتاب لتخبطه وتجعله نصب عينيك فنعم ما تفعل
وهذا حتم بعض فوائد هذا المعنى الذي نصرنا التنبيه عليه في هذا الكتاب فهل
ولما ضبطت الرغائب بنزاهة مكنون بديع اشتمال الرسائل التي ابعثها بما اليكم
فليست بدون هذا لكان منكم حسنا **و** قولكم وهانا اعرضه واحفظه واجعله
نصب عيني لو عفتم هذا ان شاء الله وسكتم عن قولكم بغرة بغرة تقريب اللجاء
وهذا فتفار الى الله لكان هذا حسنا فان بعيدا احتمل من الرعونة ومن أنتم حتى يدفع
منكم اللجاء وهذا فتفار ولو عفتم هذا بقولكم ان شاء الله ايضا لم يكن بعيدا عن **و** ما
قد كنتموه من تقريع هذا على ما ذكرتم صحيح هذا بد منه في كل ما اتت له الطالب ممن تحفز
بهذا فيفرط في جميع المطالب ... ومن الرعاية المتاركة ما توقف فيه مقلب هذا
و قولكم في المسئلة التي اعتذرتم عنها بلما نهيتمونني عن هذا **و** امثاله ارجوا
أن انتهي بفضل الله ومنته في غاية الملاحة أعني قولكم ارجوا الى آخره
ولو وزن قولكم ارجوا بالذهب والياقوت لوزنهما لما فيه من النهي عن الرعونة
التي تقدم الكلام علينا واياكم ان تشاهدوا هذا النهي فتقعوا في أعظم
مما وقعتم منه وكن على حذر من هذا **و** قولكم وعسى تبين لي ما عنه هذا
للشخص من التعالي وليس بما كر علينا التكلم عليه بل ما نحن منه هذا امر جمة
ان هذا الشخص يريد اذا سمع به انه عنه اجل من ان يتأثر بهذا او يكترث مني
بأمر جمة انما قارة لكم في التكلم على هذا وقد يكون في هذا كره ضرر ما قرأت
كاضراب عن هذا اولى **و** قولكم وأما تبسيم لتلك الآيات فليس هذا بتقسيم وانما
هو تبيين مني وقع بين تلك الآيات التي أشكل الجمع بينها **و** قولكم مجرى الكلام

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وسنتحدث صحيح ذلك من فضل الله ومنته وقد كنت لنا وردا على ذلك السؤال
منكم لم أذكر ما قول فيه ثم ان الله تعالى الهمني لمعنى ذلك الكلام وأنا لم أحوكتابكم
بغرور أما ترتيب الفاتحة فبقيت في ذلك بغير ظهور ذلك المعنى أكثر من ساعة
زمانية **وأما** ما ذكرتم من انذار قلان الناشر وتنبيههم على حال الوقت وما
يعلمه من خلع ثيابه فنعم ما فعل والله تعالى يجزيه خيرا وفر تقدم منا ذكر الوزيه
بما قلته هنا لك وذلك الذي بنيا مبنية على ذلك انعكاسيه وذلك انعكاسيه
واغوجاجيه فيقيض ذلك انسان الذي اتى الرائد الغارض برسم تنبيههم عما هم فيه
من الغفلة عما ترتبه الله قبل من العمل بالحق الواجب الذي ليسعه خلافه في نظر الدين
مستمرا في تنبيههم الرماة تقوم له قائمة من الشبهات والخيالات فلية ذلك
الرجل الذي هم بذلك اصابه عمى او عور او وقع في بير او نعش في حجر حتى
يتشاغل بنفسه عن السعي بما يعود بالضرر على المسلمين في دينهم ودنياهم
ولوذا انعكاسيا ايضا ولغوجاجيا جميعا جبر الله تعالى الوذلك الفعل المبرور و
وصرفهم عنه وقومهم مع تلك الخيالات التي اقامت ذلك الرجل امامهم كالسور
كانوا يباعدون بالكتب بذلك الرائد السلطان فليس بينهم وبينه شيء ولا شهر
ولعل منبعة ذلك نعم جميع البلدان ويكون بهم كذلك بذلك ولوذ فيه مما يكاد
من مكاره عروه الذي هو نصرها في امان وهذا المعنى من جملة ما يكون فيما
يكتب لذلك من التنبيه والبيان ليكون ذلك الجاء بالقلب السلطان الراضا هذا
الخير الذي صرعنه ذلك انسان ولوذا انعكاسيا ولغوجاجيا ايضا حيث
لم يقع شيء من ذلك كان بباء واولئك الجماعة الذين انهضوا للقيام بهذا ذكر يبعلون

مؤسسة الملك محمد العزيز الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ما يعلمه القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله بي وفقه بجانبه ضم الرنفسه من أهل النافلة
والصيغة ما رأيته بخطي بي نسخة من المسلمين وكل إني الله ذما ما تروزه
ه يريد الله أن يوتني فناه : ويابى الله ذما ما يريده
وقد رأيتك في مواضع من كتبكم شيا رأيت تنبيهكم عليه وقوانكم تقولون
فيها حكى الله تعالى عن فلان كذا وحكى عن فلان كذا وقد يقع مثل هذا في كلام
ذا ئمة وهذا عندي ليس بصواب من القول لأن كلام الله تعالى صفة من صفاته
وصفاته تعالى قديمة فإذا اسمعنا الله تعالى يقول كلما عز موسى عليه السلام
مثلا أو عز عز أو امة من ذا ئم الأفعال حكى عنهم كذا لأن الحكاية تتوهم
بتأخرها عن المحكي وإنما يقال في مثل هذا أخبر الله تعالى أو أنبا أو كلامه معناه
هذا مما يفهم من مقتضاه تقدم وتأخره
وقد بلغني كتابكم أمس فقرأته وأنتم تذكرون جميع أمور اصنها أنه
كان انتهاركم وتشوفكم لما يرد عليكم من جهتي واعتقدتم في ذلك قولا أو
تخيلتم أن سببت ذلك ما ذكرتموه من قصة فلان وعزمت ذلك منكم سوء
أدب معي ولم تصادفوا في شيء من ذلك الغرض وما أنبأكم الكتب مني لكم وأعدم
الخامل وأما اعتقادكم أن ما وقع منكم مما ذكرتموه من قصة الرجل سوء أدب معي
فليكن عندكم مقررا أن كل ما يقع من أحد من الناس في جهتي من معاملة بقول أو فعل
فهم فيه صواب إذا رأوا صوابا من غيرهم فضلا عنكم فلا يوثر ذلك عندي
انقباضا عما ربما اعتقدتم في جهتي وأنا بريء عليه ذما أن يتعلق به حق لله تعالى
أو مصلحة للمسلمين فإن ذلك بفضل الله علي وفضله تعالى لي تسامحا وتسامحا

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

محبة النفس المتكبرة للاطلاع على أمثال هذه الأمور وأن يخلو عليها عند مثل
الفصة التي ذكرتموها والله تعالى ولي التجاوز برحمته وهذا هو حال أخبركم به
لئلا يكون في قلبكم شيء مما ذكرتم فتكلمكم إذا وتكلم غيركم معي بالغيب والتهمة
بالنسبة إلى ما يرجع إلى شرع سوا وإنكم النظر فيما وراء الأمور وفوقكم حتى توهمت
أنكم وجدتم عليه بغض الوحي فيما شرع ما انسبتم ما اطلعتم عليه من قولي
لو رأيت رجلا في غاية الصلاح وآخر في غاية الفساد الآخر المعنى الذي ذكرتم
وإنما يجد عليه في أمر هو مبرأ عنه نفسه من ذلك الآيات والعيوب ولم يتحقق
بما أصل الذي نبه عليه الشيخ أبو الحسن الحرالي رحمة الله تعالى عليه في المسائل
التي سألتم عنها وسأتكلم عليها إذا وصلت إليها إن شاء الله تتبع مسائل
كتابكم إن شاء الله تعالى

وأما الكراسة التي وختم بقافر ختمتها بالمقالة
ساعة وقوفي عليها الصبح المراح ولم يزد واضعها على أن ذكر فيها من أحاديث
نبوية يفهم منها الاستدلال على مذهبه في جزئية واحدة من معاملات الخلق
ويفهم أيضا من رسمها وكتبها وانتشارها بين الناس معاونة أيامهم الانتباع
مذهبه الذي يفهم بذلك استناده الأحاديث الصحيحة التي طعن فيها وغايته
ما عمل أن جمع أحاديث بعضها متباينة المعاني ومختلفتها حسب ذا أحوال
وجعلها في موضع واحد ولم ينص على ما أراد بها بالتكلم عليها حسب ما
يفهم من غرضه بذلك خطأ من العمل وإنما يتكلم من يتكلم عليها من غير ذكر الرجال
على وجه التعميم لها من حيث هي من غير ذكر التعلق بها بالأشخاص وذا أحوال
وذا زمان وذا مكان لا يتبع في مقتضاها فلزم من مقتضى إذا أو متى إذا أشار

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

لا استغناء الكلام عليها من جهة التعلق المذكور وحيث لم يدخل شيئا من ذلك فالكسرة
أولى. واعلم أن ذلك المجموع فريضة بدليل من الكتاب من قبل سوء فهمهم وعدم
علمهم ومن أين للبراهمة وأهل البراءة ومن اشبههم من زعمهم أن يكون لهم حظ من
علم أو فهم يحملون به الأحاديث محملها. ويغيرون بعضها وجملها حتى تكون
أخوالهم على السراط. وينتهجوا في عقائدهم واعمالهم سبيل الرشاد. ومن
كل منهم أن عالم محنة وهو جاهل مغرور. ومن لم يجعل الله نورا فما له من نور.
ولقد نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحذره من قال من العلماء ما معناه لو كان
لي حكم لجعلت بكل من يذكر من العوام حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم محتجا
به ومستدلا وكذا وكذا ممن يذكر من العوام من لا يشك له علماء وفضلاء عبادا
وما يجوز له ذلك وقال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى الحديث مضلة
إلا للفقيه وكذلك استثناهم. وأما استفتاء الحديث من حيث هو ضلال إلا المتبحر
له ضلال من استفتاه إلا الجهال. وما ضموا بذلك المجموع من تحذير الصالحين
وهو المتقين صحيح وصلاحهم ونفوذهم منعهم من يحكموا بفهمهم الناقص
على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأخذوا معانيه عن العلماء الذين هم ورثة
الأنبياء فهم الذين يعلمون مواقعها ويضعونها مواضعها كما قال مالك والشافعي
وهب لو أسلم والليث لضلت. وفي الحديث المشهور يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله
ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين أو كما قال. وأما
المناظرة التي جرت بينكم وبين زيد وعمرو فهي مناظرة مستفيدة أو كالمستفيدة
لأنكم اختلفتم فيما من وجه واحد وهو عما منكم لعلم أن المناظرة إنما تستفيد مع

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

مع من يرجى معه حصول قادرة المناظرة وهو ذا خير بالخير إذا تبين وإذا بدا الشر
جرى عليهم الذي يحمودهم على التغليب حتى لا مساغ فيهم لكلام آخر غير من
فلروه واستحسنوا إبداءه ألا ترى الرسول لكم لا أفضل منكم شيئا ولا مقدار نبتة
فأي قادرة للمناظرة مع مثل هذا وإن كان ما عليه ناشئا على الخير لحالبا للخير
مجتمعا في أعمال البر فلا يستجيز ذا خبر في المناظرة مع من شأنه التغليب ذا تمويه
راسه وحرمان نومه ونعاسه وزاد في نيجهما منكم كونهما كانت في المسجد حتى
ارتفعت ذا ضوات فيه بما ليس منبعثا ولا الخير هو ذا الله ولعل ذا لا الذي أقامكم
من ذلك الموكز وحلف عليكم في القيام منه كما ذكرتم كان أبدع لكم من الرجل الذي أقامكم
حين أحاطت بكم العامة المتعصبة فاصرفوا الرأي إليكم وإنما تستقيم المناظرة
مع من هذا شانه على سبيل التبرج معهم في موضع يليق به ذلك من غير المسجد من غير
أن يعتقد المناظر لهم أنه يرفعهم بذلك الرجز أو ينصفهم عن باطلهم لأن مقابلة الفساد
بالفساد من وجوه الصلاح والرشاد وشرط أنه في هذه الحالة لا يستعرض في
ذلك ولا يبلغ به الرجز بل يكون استخفافه في ذلك وابتلاعه بتمويه راسه وما جنته
ومن أعجب العجائب الرأي المستكير الذي عاني الرأي الخروج من بلد يعتاد فيه وقوع أمثال
هذه الأمور وهي وإن كانت خلاطا وخباطا فإن لي في رويتها وسماعها ووقوعها
من وجه برحا واغتباطا وفي لي من وجه نعني به من حيث استناد ذلك إلى المشيئة التي
تفعل وقدرته لا من حيث تضمنه وقوع شيء من مخالفته ومعصيته فليت الحمار الذي
كان حملني وسافر عطف في بعض الفجاج حتى لا يمكنني الرجوع على الأثر إلا
بشرط أن يرضى بذلك مولاه المالك أو يعفو عنه ما أصابه من ذلك ولم أقم في بلد

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

أشبه شيء بالبادية غارات الرياب الغاوية والسباع العادية ولولا تعاهدكم
لي بإنا خبار ما يفع عنكم من أمثال هذه الأحوال لكان يصيبني من العنف ما
يصيب عنه الوسخ والاحتمال والكرى لعزي الزافر من خلد كل حيز **وأما** الكتاب
الذي ذكرتم أن فلانا بعثه أو يبعثه إليّ ليس له فيه أمر شيئا فلم يخ بير الرزاز
منه شيء ولو وقع ما التمسني لجيبه حتى لا يكون له هوى في إصابة أحد من
الفريقين وخطأ الخوين يجيبهم فإذا شغل بزله فإنه إلى التحقق خلد منه تكون كلامي
في محالة بين غلر عار يا من البادية وربما كان فيه مفسدة زائدة ومحمل القول
فيهم أن جماعتهم لا يزدر من استعمال عقائدهم وإعمالهم على شيء من الباطل قل فليل
وكل كثير فإن قيل ومن هذا الكلام وذا فالجواب عليهم ذا ملام **وأما**
قولكم أريد منكم أن تنظروا كيف يكون سر هذا السر الذي انفتح بيزها وبين التاس
فكيف يستقيم من لحز أن يتسر ما فتح الله تعلى في زمن يليق به خلد قبل القول وأي
سر انفتح لولا الوهم الذي غلب عليكم حتى استغظمتم ما ليس بعظيم **و**
قولكم وأنا ما طلبته ذا ما أقنع به نفسي تعوذ به عن الكلام بين غلر فنما خفتم
ما يثير عليكم فلا شيء أفح لتما من ذا يامر من يرجوهم عن حالهم التي هم عليها
ذا إن يشأ الله تعلى غلر يأمر من عنده **وقولكم** ثم بهموا عنا أنا نفع في
فلان عبارة منكم ممن وجد بشيء من التصنع ذا ريا والله تعلى يعصمكم أكرم
الكاذبة الغلانية لا أوا بفعم ولا أسلم لهم في نساملهم الكلي حتى يكون خلد موبدا
بالشرع وكل ما صدر مني من كلام فمستكور عنكم وعن غيركم فخ ليل على ما قوله من خلد
مليئة قلب مصراع خلد من أحبه بل شيا بهواه وما يهمد عيني واستنر

منع

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz • Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

تذكر النبي فلست عليه بحفيظ ولا وكيل ولم يبق لذكر الله عز وجل ولا التعرض
له بأمر ولا نهي ولا فجر ولا بغضة لما أنا مغتم به في نفسي من التساهل
وقلة الجد والله تعالى يتجاوز عني بفضله **ولعزائم** منكم أن تقرؤا هذا كله
على فلان وفلان حتى يعلموا أني تكلمت بالقبيح فيهما أو بما كان على مذهبهما وكذلك
عساكم تبعثون بنسخة منه الى فلان مع من تثقون به انه بوصلها اليه وعرضي
من ذلك أن يقرع اسماعهم كلامي فيهم وفعلي ليتبرأ عرضي وذلك والله تعالى
واسع المغفرة قابل المعذرة ليس بمستبعد في كرمه أن يلحق المسيء بالمحسن
فيتساوى في نيل رحمته وحشته الطائع المجتهد والغالب المزمر والعواقب
مجهولة مبهمة: وأسرار القلوب لا يفي بها داء بني أعلمه أو ولي النعمة

و الحق عنوان من جاء اليوم عن طريق سيدي الحاج بن عائشة رحمة الله تعالى عليه
في معاملاته الظاهرة والباطنة مع الحق تعالى ومع الخلق وهو تفهيم وأخوان
فاسترح أعمالك أن معاملاته كلها كانت جارية على ما اقتضاه لهم الشرع
من غير إفراط ولا تفريط بجميع ما تضمنه أحاديث تلك الكراسة كان عاملا
به مع مراعاة آداب مستحبة وعدة مأخوذة من تلك الأحاديث وغير ما ذكر في
عمله بتلك الأحاديث دائما ولولا أن الغرض المقصود بهذا الكلام كله ليتبرأ
التعرج معكم وانحلال الهم عليكم لأني اقتصرت به هو أحرى لو شاء الله أن
الوقت لم يساعد على ذلك لذكرت من أخوال سيدي الحاج التي تأدبت بها آداب
وتقيدت بالسنة والكتاب: ما أعلمه وهذا كله مما تقرؤونه على من ذكرت لكم
وتكتبون به إن أحببتم **وأما** ما حملتم مني من رسم أعيد موافقة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

لسجرات القرآن حسبما بعلمه الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه فراغنا عن
ذلك وكما فاتا المؤنة فيه من ايمتنا الصوفية رضي الله عنهم محمد بن علي الترمذي
الحكيم في كتابه نوادر الأصول عند ذكره لحديث فضل ذلك والاداء أي حديث
هو فانه ذكره في كتابه الذي كتب اعلى عن ابن فلان والحسن ذكر فيه اختلفية
جميع سجرات القرآن المتفق عليها والمختلف فيها والذي عند انه في السبع
الثاني من الكتاب المذكور وما تولاه غيره لا سيما مثل هذا الامام ما ينبغي لي ان اتشاغل
بمثل ما عمله فان في هذا من سوء الادب ما لا يخفى مع ان ظاهره مركل ومعنى قد
ملئ والله تعالى يجبر لخواطر نا بمنه **وأما** ما ذكر عن الشيخ ابي الحسن
الخرائي رحمه الله عليه بقوله كلام صحيح قليح وأما فطنة بين نظم العبر بغير التوجيه
الى الخلق وتعبير العذر لهم فيما يقع منهم من سوء وخرق وبين الامر لهم بالمعروف
ونهيهم عن المنكر حتى لا يمكن اجتماعهما لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
انما يتعلق بما يكون في المستقبل وانما مضى فلا تعلق له بقول الامر والنهي
افعلوا او لا تفعلوا ولا يقول احد بعلة ذلك القصر تعليم أو تفهيم يفهم انه فيما يستقبل
وانما ما يات بعذرات فجميع ما امر موسى بنظر الموحد وعذره يتعلق بما
مضى ونظر الامر والناهي متعلق بما يأتي فلا منافضة بينهما لاختلاف
الجهتين وايضا النظر بغير التوجيه والعذر حقيقة والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر تبعة والمطالبة بين التبعة والحقيقة وما أعرف كيف خفي عليكم
هذا مع وضوحه **وأما** ما ذكر عن بعض شيوخ المشارقة من المبالغة
في العبارات الزائدة والمعاني الحسنة الفائقة فهو اشارة الى نفس هذا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

من انعاس الغوم كما يليق بكرمه وكارمه بهذا الوقت : خشية وقوع المنع
فامنعوا منه بما شئتم أنكم مهتمون من فوق فوق : ولا تكلفوني ما يخرج عن
الوسع والقوى : **وأما** الكتاب الثاني فاكثر ما فيه مكرر في الكتاب الاول الا
انه يفهم منه انكم تطلبون منا استنساخ نسخة من التبييض ومقابلتها أنكم
ارجع رسمتم في النزح والذي أراه انكم مستغنون عن ذلك بما عندكم من النسختين
اللتين أعرفهما عندكم فاذا رجع التصحيح اخرجتما فابعثوا بها اليّ واذا رجع
ابعث لكم النسخة التي عندي لتتولوا انتم ذلك او نقابلوها من النسخة التي
بيدكم عليكم فلان أني قابلتها مع مقابلة اياس عما **وأما** انفاذ رأيهم على بصول
ما معنى له فلا أرى له وجها على أن من ارتضى خطته هاهنا ممن هو متصدر
للنسخ معروف **وأما** كونكم ارجع قراءته في النزح فلا اهلية فيه لذلك
أنه وضع جاهل قاصر لم يجوز تجويزه ولم يشاهد تحقيق : فتتعبوا انفسكم
عبثا بلا فائدة فيه والزيادة في الشيء كالنقصان منه وانما يقرأ في النزح
كلام محقق عارف يمكن أن يستنبط من منطوقه ومفهومه ورموزه واشاراته
معارف وعلوم لا تنتهي بل تعتمر وتغتفر وينبني عليها من معاملة الغير من
ما يوجبه الزمان : والفوز بالرضوان : ولما كان سيدنا أبو القاسم الحبير رضي
الله عنه يقول بما كان يتجاري فيه مع اخوانه من أهل المعرفة من العلوم والبحث
التي لا يقدر الحر اليوم أن يزيد عليها أو نحوه : كما حتى ذلك في اثناء
وبجملة ذلك العبارات : الزاخرة : عما الذي يقول من تكلم مثلي بكلام خلاء
صدر عن قلب جلاء : فلا حول ولا قوة الا بالله وانا لله وانا اليه راجعون تضعضعا منا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

من الكون في زمان يعز فيه ما ارسمه وأوجزه من الكلام المعتبر حتى يكتب
ويقرأ وينتصر فيه بعكر القلب وامعاء السمع وروية البصر والله لعلم سوء
على ذهاب ذا الخير وفقر العلماء والغارمين من هذه البرية وذا افقار كما قال الشاعر
أبيك
لعمرك ما ينسب المعلى الكريم وفي الزنيا كريم
وأكل البلداء الفتعة ومرح بنتعار عي العشيم
ثم انه لما جذبكم الى الرد بسبب تكرار النظر فيه على الزوال وتعاقب الليالي
والايام مما يوجب لكم الخجل وينحصل لكم من ذلك اكمل الخجل والله تعالى يرشدكم
الى الخير ويسوقكم اليه بمنه وفوله فيه وان كان وحرقت لكم بقيد بما لطلبتم لكم
في التاليد الذي كنت ذكرت لكم أن من اراد أمرا شاع وبلغ اوجز العبارة فالجواب
عنه تفهمون مما تقدم لنا في هذا الكتاب وذاك اصغر من ذلك والصغر وفوله كم
ينبغي أن نبين فاهو الحق والصواب ليسلك من اراد الله ان يهديه الى الصراط
المستقيم فيان كان الحق بينا فالله تعالى ايبينه وايزيده وذا اشكالا
وهذا عما لا خير فيه بالحق بين والكذب هو المذموم في الذي حسبته وعظمت عليه فان
كانت لكم قدرة على ازالة من صدر وكسر الناس فيما يفعلوا اذا والكن لا قدرة لكم
عليها ولا سبيل لكم اليها وهو شيء استأثر الحق تعالى به لم يكلف الملك مقربا
ولا نبي مرسلا قال الله تعالى لا اكلم الخلق عليه وأعلم منزلة لديه انظر ما اعتذر من اجبته
والكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين جعلنا الله تعالى منهم بفضله
وفضل يقرأ بلغني منكم كتابان انشأ وأعلمتموني في آخرهما
أنه اذركم خوف شرير وانفاض ربه ما تكلمتم به من الكلام الذي كان سبب التكلم

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

على أخوالها وأبطل القوم وأتممتم أنفسكم في مغرفة مخالهم وفلتا لعل
ما فهمته عنهم غير صحيح فيكون ذلك كله في صحيفتي **و** اعلم يا أخي أنكم
إذا خفتم من مثل هذا فمن جوجيته احتمال خلابده مع أنه لم يقع منا في حقهم
ذنب ما في باطنه منبعتهم وقاربتهم سوآكان ما ذكرته عنهم صحيحا
أو مكذوبا فيه فما لحقكم يكون خوفكم لو وقع منا ما لحلبتم من التكلم على تلك
الأحاديث بحسب ما يفهم من صورة الحال في جمعها ونشرها وما يفهم من إرادتهم
بذلك أنظنا أن خوفكم إذا تمادى يكون كثيرا وتخلصكم منه عسيرا أو يسيرا
وقد قال لك البدوي الذي أقرى التين الزيتون المتولي حين أتم أقواله أن يضربوه
بما سلامة إذا ما كانت متعرجل فإن أردتم أن تتخلصوا من لك وتحموه من عيبتكم
حتى تصير كما كانت بيضاء نقية فما ينخلوا من أوابط القوم من حض منهم ومن غاب
وكذبوا أنفسكم وقل لهم ما قال لك القاهري البدنة من القبور حين عيبت عليه ما
جناه علينا أخفاء العوء أخفاء العوء وأنظنا نحن عنهم
مراد من التقليل أيما إن نصرتم في غير بمنكر وتذلل فيسلم لك من
بلعاقم وتتخلص من مهالبتهم والنصيحة من شأنها أن تتلقى بالقبول
وقع الملقي لك يكون صاء فاذا كان ما يفعل ويقول أمر كان له حبيب
يبتغي اليه الوسيلة والقربة بما يليق بجنابه من المعاملات التي تدنيه منه وتقربه
اليه ويعلم الله يسقط من عينه ذا الحال بقدامة لحم مما يجب لجماله وكماله
مع أنه قائم في نظره عن أن رأى بعض ما يرمينه عنه فيجعله أو يسخط عليه
بيتركه دفوعيم أمن يسب فصوري أن يقع في أمر يسقط من عين حبيبه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فيعونه منه ما أمله من حفظه ونصيحته. فلا جرم يكون له أعز نفاذ وأعذ
سماعه لكل من يمكن أن ينصر منه تنبيه على أن كانتا ما كان وأن الحكمة ضالة المؤمن
وخذها من غير وغيبة أصابة امرأة وأحكاما رجل ومثل هذا النظر كان لأرباب البصائر
يستفيدون من غرائب عيوبهم على السنة أعدائهم فجنبك الله والمتكلم على كلامه
من ذوات الكلام اليسير من جوامع تعريضاته بكلام كما استمعاه إياه أن يكون
لمضمنه من السامعين المنفاعين الرجوع فائدة له إليه لنفع به بذله ما يلي منه
به حبيبه وما يسخطه عليه وهل يفتقر سماع فائدة وانفياد إليه في
مقتضى المحبة والمعرفة إلا موجب الكمال الحال الذي يقدر على الوصول إليه
بحاولة العمل على ما تاح له من حيال أو محال مع عدم سماعه لذلك وانفياده
أو الطراحه وانبعاده. فإن قلت كيف ذا القبض وأخاف وقد
عصيت ربي وأطعت عدوه إبليس عما وقع مني من تغيبة الفراء واتهام
البراء فاصدر إلي ذلك إخبار بكوائن واقعة وأمور مشنعة لصاحبها يا ليتني
لي والنفس ضرا أو انتفاعا تحصيلا لأرب يمكن أن يكون له بعد غرض ولم ينال
بي فلم يحسن أن بيني وبين سخطة ربي فأقول الغرر يقدر عليه بذله
ويجري القلم به على رسمه صرف سخط جليلة السماوات والأرض لم تقدر على خرزة
منه والبر من رضوانه سبحانه وتعالى يقدر على يسيره شيء إن أبيت أو ما سمعت ما
قاله الشيخ الحبيب تطلب العز بذل المعاصي والطاعة على ما ستره به
فسبحان من يخطر من أن تصير العز لهم من الرضا بقضاء الله والتسليم لأحكامه
ولا يجعل له شيئا إذا استعمله مما مضى من حاله انقلوبي على أم فر فر على

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فنال الخلوة وأي فرق من النفس والغير في هذا على التحقيق أما من همته طلب
الشيخ لعدم تمييز العز للنفس بخلاف الغير وأنت لم تقصر بذلك اتباع الشيخ
إذا لو اتبعته في ذلك لم يضر ذلك منك ما خالفه فيما هو أشق عليك من هذا فإن صدر
كان حوقط عليها فيه أكثر فإذا عزم فيما فيه مضى واستقام فذلك منك لم يتوجه
عليك طلب ذلك فيما تستقبل فتب إلى الله تعالى من ذلك البعد والتعرض أما أنا فغير
ومنع مني ما ومنع ويمنع مني أضداده وأضداد أضداده والأكل من ذلك والعمل
والحث أن يقطع على ذلك الحزن والبرد والسر والخير حتى يفضي مني الله تعالى عز ذلك
بما شاء من قدره ومنع كل من يمنع في عرض يمنع وكل من يتكلم مني يتكلم فلم أقصر
بذلك تقصير احتراز ولا عيبة ولا السخرية منه ولا استهزاء به فإنما يتصور ذلك
ممن احتركنا به باليمين وكان من قوة نفسه وبغيا على غيره كيف وأنا أعتقد
في نفسي أنها من شر ما خلق وإنما أوامر من هو أشر وهو أبدر شره ومعرفة
فليتعوذ لله من لم يكن تعوذ وإنما قصارى بذلك التفرج تعكم بالخروج لينفع بذلك
غيره ولكم بعض الناس ويفعل الله تعالى ذلك ما يشاء فالخير عبره وزاجر أمره والمتكلم
ملكه والفعل فعله هذا ما يتعلق بهذا الفصل من آخر الكتاب والله
الموصل وما أردتم من الجواب عن ذلك على قوة العزم راجع إليكم وعملكم
عز ذلك بحقي حسبي كما بينا لكم فلا تعاودوا النظر فيه فقد فرغنا منه
منذ كل حرف وكلمتين ويكرر ذلك كما ذكرته في كل خمسة وفي كل اثنين هذا
هو الذي ينبغي أن يقرأ في اللوح وتحقيق ويشير عليه بالصبر والله يلقنك

وأما ما ذكرته من العزم والإرادة فإن ما جبلنا عليه خارج عن استقامة

في تخصيصه بغض البصر بالتعبد والكف دون بغض أن لا يرى ازار النساء
منازلهم التي يستحيون منا عن انفسهم وفي نسائهم كقصة عائشة رضي الله
عنها مع الحبشي الذي قرمت بين يديه الطعام والمسكين الذي ناولته كسرة الخبز وا
شط أن المراد بغير اولي الاعمام ان يشهوز فلانا وفلانا وفلانا ام كان معهم
أو اراد بغير اولي الطعام بين ان يهم يبتلعون بما في ايديهم ومنازلهم
وبين خدمهم وحشمهم ويبقون ما فضل منها في الجاري والقوامات بهم ان يختصوا
بشيء بغير وجوده في ايديهم فتاهم ذلك ولم يفتح منهم ما يقدم اليهم موقعا
والجماعة المباركة التي ذكرتها على خلاف ذلك لانهم فرحون وابتعوز
ويمضوز ولا يبلعوز وايضا فان فلانا صاحب الزار والمحل وفلانا متصوف
لا همة له في تحيل ما كل وفلانا متغشف يرضى من دنياه باليسير وفلانا زيان
ما في الغير ولا في النفير ولعل كان عن ريبة في ذلك البرنس وفيه خواص
وأضحاب وكان ليس له عذر باب ولعل له في ذلك خبيئا وما بقي من القوم
الذين حضروا معهم بلم من هز القحط المسكين بالهوبقرات الصغار في حكم
عن لتطيب في الغاية وما اشتملت عليه من زاد الطعام بمنزلة الرجاج
المسمنة التي قرمت اولا بالكبر والسمنة فلم يخرج بذلك عن القانون الحكمي
والنظر المصلحي واشتغال من اشتغل به من اجل ذلك لم يضاء به عرضا
ولم يشد عنهم من الخطاب اعتراضا عليه مرضا وقسمه على فلان باليمين
واخلاسه بمرأى من اولاد الخاص من الخير من الخير الذي ينبغي ان يشتهر
وذلك الذي يحب في مجرى العادة ان يعلن به ولا يبتهر واما كتابكم زاد

فليتم فيه ما يقتضي كلاما دائما انكم فلتم فيه انكم لا تجوز حبيبنا تستانسوز
به وتبشوز شكوا كم اليه وانكم أنستم بالنار مزدانا أنتم فيه مزدانا بالامر
الزاجر المعنى الذي ذكرتم بالله تعالى يغنيكم عنهم ويضر همتكم عنهم ويجعل
في باطنكم من النور الذي يعمهم ويعمهم ما يتجلى لكم به في كل غيب وكون منكم
ومفروض ومنشئ ومصور حتى تكونوا في هذا العالم كما نبانا تجربته
بريئا واحرا ولا تنوفع من قبله نفعا ولا ضرا ويستحوذ ان ضر بانا ما
ويزع عنهما بالجبر والقهر مستلبوها وغصابها وما ذلك على الله بعزيز
وفقكم وعسى ان ظهرت لكم قادرة يكون اعلامكم لي بما يقتضي متبعة
زاجرة الزاجرة فان كل ما انكلم به لكم هو آمرا وكيني لما اشاهر منكم من العيش
وداخرا أرى كل ما الفيه اليكم من عمل كأنما الفيه في بير او تحملون
به عنه محاولتكم أن يكون ما نضمشتانا لكم حمل بعير بل حمل نبير ودانا
فكم من كتاب وصل اليكم وقادرة اوردنا عليكم ثم لم يستجب لكم ذا الرحلة ودانا
نفع لكم غلة بل تنا ذكم ان تقولوا ما بقي ما افتح ما اصابني ما ذا يعني يا بني
يا بني ان لم تفعلوا بغضب علي مفاتا تقولون حلانا وتاكل كما كان ذا فضل
مختلا كيف ايكون ما ينبني عليه مختلا ومعتلا أتروز ما ذا فعل الذي
ذكرتنا واليه أشرت انا وكلامي وافرامي واحلامي وبعالي ومفالي
وعملي وحالي بالله تعالى يتدارك بنا بخمته وبعاملنا بلطفه ومنته
ويدرأ حيرتنا ويقيل عثرتنا ويرحم غربتنا ومسكنتنا وبجزي كل الجزاء
من أدركته علينا شفقة ايمان من المؤمنين وقال عند سماع دعائنا آمين

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين

وفد بلغني كتابكم وتعرفت منه ما ذكرتموه من حالكم في ضيق المعيشة وعدم سكون النفس لما بين العشيرة وغلاء الأسعار وأخبرتم أن حالكم أكثر الخلق اليوم فلا تكادون تجدون أحدا اشتكوا اليه ذلك وهو يشكو اليكم مثل ما تشكون اليه أو أكثر كما قال الشاعر

اشكوا
كلما رمت أشكو علتي ساء غيري ... قلب فرخ
كلهم يشكو الذي اشكو اليه ... يا لقومي ما علينا من توخ

وسبب وجوه هذه الحالة لهم أغنى جزعهم وشكواهم ما الفوه من الأنس بالعالم المحسوس والقنع به وفضا الوطر منه فلما تغير الحال عليهم في جميع ذلك أمور وقع منهم غلو وما لم تقدر النفوس يصعب عليها موقعا فان لم يقارن هذه الحالة منهم صبر جميل أو توقع للفرج وعتاب لها على ما يضر منها من الجزع وذا ضراب حسبما وقع منكم كان لكم في حكم عقوبة حلت بهم من منتقم جبار وان قارن لكم ما ذكرناه كان لكم في حكم تأديبا أدبهم به حكيم مختار فاعرفوا قدر النعمة عليكم بهذا واذكروا ما فاتكم غير ضائر منه مع تعلقه بي الشرائر والبلايا والمصائب والرزايا فكم البلوى والتعسير مرجوع فيه بغيره وتم حالة أخرى لو أتانا وإياكم نلناها الكثير السابغ الذي لا يشوب لهم عيش ولا يعوم حول مقامهم صالحون ولا ابرار وهي انهم فرحون ويضحكون ولا كآبة ولا يحزنون ولا يعاتبون لأنهم يشاهدون ربهم أسرى في قبضة الحق لا شعور لهم بشيء مما ينسب الوهم الى الخلق مع سلامتهم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

من ما لبة الشرع. وهاؤلاء هم الذين تكون حسنات غيرهم سيئات لهم يغلبون
فيها من انفسهم فيستغفرون الله ويتوبون اليه منها لأنه لا يتم شيء من
التوبة الا بهذين عزيمة وذلك من أعظم الذنوب. المبعدة من حضرة المحبوب.
كما قال الشاعر

إذا قلت ما ذنبي فقالت جميعة ... وجوه لها ذنب لا يقام بذنبها

وما اخطر أزهرة الخالة قتال حيلة واكتساب. أو يتوصل اليها بسبب
من الاسباب. اذ لو تصورة لنا لكنا أحق الناس أن نتالوها ونصلوا اليها
لانكم لما انتسبتم فيّ وانتسبت معكم شممتم من جهتي رائحة شوق لا تشبه
رائحة تفاح ولا ياسمين ولا نور نرجس ولا عنبر فلما شممت بعد منكم توهمت
أن حاسة شمكم فيها استعداد لادراك حقيقة هذه الرائحة فصرت أتسبب
في توصيلها اليكم بامور لم يجر عليها متقدم. واحتال على ما لم يحتل
به شاكر. فلا جرم كنا ونحن منكم اعتماداً على هذه الاسباب. وهربت منها
وبقيت الحقيقة الخفائن التي هي الكل مما ينبغي عنه ويغيب في وجهه بحجاب
هو هي لا هو كما قال الشيخ

الماء على الزنجفر يعسعسنا ... كأنني أناديه أو أكلم الخرسا

ومن امثال العامة فريدا تعرى وزير لا تنوح وكل السيئة من فرض الذين وشروح
هذه الآمنة لا يحصل لنا الا من نعم منعم والكم من نعلا من نعم قرة عين فلنحمد الله تعالى
على قلة الحسب. ولنعتقد أن لنا في كل خير اما حيث لا نحتسب. وما
اعم ضم به على قلة جمعه اعم متوحة عليه كما أن ذلك اعم الذي لنتم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ذكرته في الكتاب الأول الذي توجه عليه وفرغت بينة الكم كيفية عزم توجهه
في الكتاب الذي بعثته مع فلان وفلان وأما بيان توجه هذا الأمر عليه فهو
أن الوقت على ما تعلمونه من البشرة وعلا البغي وكثرة العبر وغلبة الحرام فالانسان
اليوم إذا طلب ما يقوته بد يلقى مشقة وعنتا فضلا عن اكتساب ما وراءه
من الفضول واشتد أن النعمة التي أنعم بها في تلك الماء به مال الحلال بحيث يتصور
أن يصنع به في أوقات الرخاء والسعة متاعا وورقا فانيا ومثله في هذا الوقت
كما علموا من اتجر وغرقوا الأعلاق في البحر في جبل فاز وغرقوا الوا ما ترك في الخيش
ولعل الذي دعاه كثرة أمانة فصور له جبر قلب فلان وفلانة فلم يضاف في ذلك
كله الغرض وكان أول ما بدي فضر جبر قلوب أولاده الأربعة مع مواجعة رضى الله
تعالى وعزم لإعفاء الأمانات التي أعناه ما التأمر أن يغرم الرجل المال
فيقسمه ثلاثة أقسام: فثم يقيم به السنة في وليمة العرس ثم يزعوا إليها ثم
يزعوا إليها من يعز وجوه تلك الجمعة الحمقاء والتمكن من أكلها غنيمة ويجعل
تلك اليوم الذي يأكلها فيه عيدا يصنع فيه ما أمر في محله وتعوه بركته على العروس
والعروسة وأبائهما وأمهاتهما ومن قام في تلك الأمر وفعل الفعلي والأخر وقسم
الموع به لعلانة تغر الرأس أن رفع الصرفات ولعلها من غير الزام فيجعل لها
في تحفة وطرفة تغر بها عينها وعين أبيها وأمها إن كانتا وقسم يتطوع به
الخلان فيهبه له ويجعل ذلك المال يحاول له في تجارة أو زراعة يتحصل له من تلك
فوائد يمتنع بها مع أهله ويقطع بها محرما على حال ما هو عليه من الضعف
والعزل ولم يجز صنا أن عنوه ما يغنيه عن ذلك كله فيكون هذا زيادة في الوجه من أن

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ان الزمان يأتي من عنده بالانقلاب والتغير فيعوز له الوزير عن الخافة والحاجة
ما يرد اليه بريه ويفيم به أوده كان مثله حين عدم القوة على الصناعة ان لم
يكن له احتراف بتجارة أو زراعة لم تتمشّ له همته دائما أن تكون له امر معاشه
ينال الرفق من جهتها ويحصل له قوام حاله من ناحيتها وهي اما تدبير
او فتوى وكل هذين امران أعني التدبير والفتوى امر معاشه من ناحية
ذات اليد فيتعلق بالمحال ويتعرض لانواع الغرر والخطر كما كان
فلان فيحاه الله عز وجل بغير التباس والتي يعبر به عن مكابدة امور الصنعة
ولم يكابد هو صعوبة فيها لرجع لخاطره والله تعالى أعلم وانما كابد له في
باطنه عزما تعارضت فيه دواعي الرأي واشتبهت حتى افرده الله بكلام تكلم به
بعض تلامذته وهو فلان بغير أن رمى بنظره خلف ظهره واعتمد العلم ما قيل
له بيمينه وشماله فاذا الجميع مكابدة الظاهر والباطن هذا
كله اذا قصر الرجز فلوب او كابد القوم بأمر ما لوجدا جهله من له أدنى
تمييز أن لم يجاوز عالم الحس والوهم واما لو قصر الرجز فلوبهم بأمر الحقيقي
الذي يجوز دائما غشيانه والفرح به اذا عملوه والعز والكآبة من أجله اذا
اهملوه عن تعويض لعينهم بالموت فانه يغير الرأي فرع سمعه وجرى على لسانه
وتعوذ بالايمان والتصريح به فليتدبر قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا قوا
أنفسكم وأهليكم نارا وقوده وقوله عز من قائل انما أموالكم وأولادكم فتنة وقوله
وقوله تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم وقوله تعالى يسأل جميع خلقه وهو فيه
حقه وينصح لله ولرسوله ولمن انتمى الى الدين جمع حاصل له الرأي بغير لفظ ما

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فقرر عنده من صحة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خير دار آخرة ويعلم
أن دار آخرة هي التي ينبغي أن تعتبر وينسعى لها ويقدم اليها وأن دار الدنيا خيال
زائل وسراب خادع وأن العاقل الكيس من جعل جميع ما انعم الله به عليه من
اتساع مال أو صحة حال في طاعة الله تعالى وما يقرب منه في طلب الشهوات
واتباع العادات. ويقصر الزمن اصيب منهم بشيء من مصائب الدنيا وبلاياها
كما جرى لوالده وقطعة كبيرة فيقرر عنده أن بلايا الدنيا هي التي يعتقد بها
أولياء الله عز وجل أنها تعد لهاشيء من العبادات في التوصل بها الى الاجور
والثواب وأن الحق تعالى انما يختص بذلك من أحبه واصطفاه ورضي عنه
واجتباه وأن من ابتلي ببعضها بقدر ما جزاله في دار آخرة دار النعيم الروح الله
الكريم ويصف امثال هذه المعاني عنده كأنهم يرونها فيتسلون بذلك عما
تعلقت به همتهم وازدهائهم من متاع الدنيا وزخرفها الذي انما هي لديه لعب
الخيال ويكون ذلك في عيشه مدخرا عند الله تعالى أجره وثوابه مع سلامته
من مكافئة السؤال واستيلاء الخجل عليه بين يدي ربه الحي والجلال. ويكون
هذا أنفع له في عاجله وآجله من كل طاعة وقربة يعامل بها مولاه عز وجل
هذا كله ينطبق ما اعتل به من جنح القلوب وسواكن ما انفقه ماله أو مال غيره
أن حكمه بيده ومن جعل أمره اليه بطل اعتلاله أيضا بأن بلاءه ولا نائه بعد المثل ما نعله
وكانا من الصلاح والعلم في درجة عالية فلا يسلم له ذلك ايضا لأن مثله في حرفه
وبلده ويقوى اعتراكه يليق به التغليظ للغير وهل جزاء تغليظ محض كبيرة
والمعهود منه في المسائل العلمية انما يعتمد هناك بعد ما يحقق ويتضح

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

النظر فيها الرغائب لا كثرة غفله ومن نعمة اذا كثر يقرع منها في اقرب
زمان ولو ضع له ذا كتبا بالتظليل في هذه النازلة مع وضوح ما ذكرناه
من المعاني التي لا توافق مذهب التظليل بل ترفع في حضرة وتعظم في وجهه لكان
زائدا أن يكتفي بالتظليل لمشائخ الصوفية رضي الله تعالى عنهم فيغتر
كثير فهم ويوالي حزبهم وفريقهم وينهى عن ظاهره وباطنه ما يضاد مراده
ويناقض امرارهم وابرازهم مع ما يغض كثيرا فهم من البيان والبرهان
وليس الخبر كالعيان ومعلوم كونه اضلع الله تعالى يضر الرجل كلمة
اذا لزم بها البدل كان له في ذلك أعظم شغل عن أن يقطع قليلا ما ينفع من نفع
الذي هو أبعد من كل بعيد بنحو ما قطع به ما مضى منه من التشاغل بمسائل ليس
أهل هذا الوقت كبير حاجة اليها أعني الزمانية الحي ايمانهم بالله واليوم الآخر
أخرج منهم الزمانية طريق التشاغل بها وآخر بعيد فضول الدنيا واتباع
الهوى يستفتون في عمى البصائر وهم فزار افواج الخسير ثم انهم اذا ملكتهم
شقوة الرشد سروا أعينهم وعملوا اصلحهم واعينهم من يقلب التأويل البعيد
ويتعلق بخيوط العنكبوت فتراهم اذا طالبوا أنفسهم بانتهاج سبيل
ما عملوه من مقتضى الشرع راغت عنه زرقة ثعالب التعالب ولم تقارعهم
فيما عزها اليه من أمر الواجب فلم يزيلوا على انفسهم مع عنائهم وتعبهم
الا كثير التجربة وذا خراب عن جادة المحجة كما كن سهول القفر اذا تراكبت
وتحارها اذا مرجت واضطربت لا ترع لذي عقل عقلا بل تزيد موضعه من
صدورهم هوا اعقلا ويرجع حكمهم علومهم بما تبعهم هواهم جهلا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ما عاجم اليوم من لم يسد ذا من رجم نقض بهذا كله أن اعترض مزاعتم ض على
فلان من الوجه الذي ذكرتم في كتابكم ذا خيم متوجه ذا محيص عنه
بخلاف ذا اعترض ذا خر وقلتم في ان الله ما على بغلبه وتهوين ذا أم عليه
الظاهر انه لم يصاء به الغرض ولم يفهم من النقض المستحسن والمعترض
هذا كله من اوله الى اخره كلام على مقتضى ما ظهر من ذا أم وأما ما بطن منه
فالله تعالى أعلم بالنيات والمقاصد **فان قيل** هذا كله
تشاغل بما لا يعني وتعرض لما يقتضي بالغيبة في أشخاص معينين لم يطلوا
إليك بعيب ولم يزيفوا لك دعوى شهادة ولا غيب فلنسلم لهذا المعترض
ما ذكره ولنوافقه على ما جمعه وقرره وعن نستدفع الله تعالى من جميع خلقه
على أن ذا استجار مع ذا من ار توبة الكذابين انا مشتاغل بالجواب عن هذا
ذا عترض بوجد افتاعي فريضي وفرا يقضي والوجد ما فاعي ان نسلم
في جملة مسلم التغليب الذي هو من تلقي الصريح ونقول فورا أيتا طلبة هذا
ذا عصار الذين يتكلمون في العلوم القاهرة بتفهمها فيها وتدريسها انما
هو في مسئلة خلافية بين ائمتنا او اصولية وتحرير الترجيح بعض أقوال
من تكلم فيها من تقدمهم على بعض يقولون فوا فلان راجح وفوا فلان صحيح
وفوا فلان ضعيف وفوا فلان باسر وهم فلان واخطا فلان وفوا فلان
تربعه ذا صول وفوا فلان ليس له طائل وما محصول وان حسنوا العبارة
فالوا فوا فلان بيد نظر وفوا فلان خبط ذا يفهم وفوا فلان ما اغربه ذا افهمه
وفوا فلان اخطا بيده الكاتب الذي يمحه الى غير هذا من العبارات التي مقتضاها

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

التصحيح أو ذا بقال مع أن رابطة القوم فرمانوا وانقرضوا من أعصار طويلة
يتصور أن يكون ما نقل عنهم من أقوالهم في المسئلة المفروضة مكذوبا عليهم
أو موهوما في نسبته إليهم ولعلهم لو عاشوا إلى زمن الذي كانوا يقولون
وقد تكون هذه المسئلة من المسائل التي لا حاجة إلى البحث عنها وإنما
الشرع باعتقادها والعمل بما فحسب اليوم هذه النازلة كما لا مانع لنا من
هذا الحسبان أن نأتي فيها بما ذكرناه على أن صحنا من هذا ذهب إليه بعض
أهل العصر ورجحناه على مذهب آخر في مسئلة قد رأيناها غير مصيبة كما يجري لهم
في بعض مسائلهم مع ما انضاف إلى ذلك من أمور أخر رجحنا في إثباتها المعقول
بعد ما صححناها من له أن ينبي ومفعول فإذا فيما الزمتنيه أيها المعترض فمن
فوت فوتهم وفصرت فصرتهم وانتهجت من طريق تغليبهم سنة وجعلتهم
إلى اسوة حسنة فيما ليست بحسنة فإن كانوا مصيبين فقد سلكت طريقهم من
ذا فوم وإن كانوا مخطئين فأجعل ذنبي مع ذنوبهم واضرب على الجميع
بالمنجم فإن قلت كيف ذهبت في جوابك مذهب التغليب
الذي قلت أنه من ثلج الصدر بعيد وعرفت عن التعيين الذي يهدي الروح
الأمين وأنت فاء ذكر على له ومتمكن من إيراده فأقول التغليب
كان لنا في جوابك أيها السائل أن الذي يغلب على الظن أنه من المشاهير
به القالب الحزم فيقبل والزام الخصم ما يقر به هو الرد عليه وخذ من وجوه
النظر فإن قلت ما ذكرته صحيح إذا من أهله واستغفر
الله تعالى من مثله وكأني بمن لم يطلع على استغفار الذي استغفرته أغنى أني

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

كذلك مثل ذلك في التمس منه أن يعين له ما يقع عليه بيانه من ثبوت أهلية من ذكرته
للتغلب بوجه ما فهو **قـــول** على بيان ذلك إذا كنت منصفا
معترفا بالحق ولكني أبين لك شيئا يشبه أن لم يكن مفيدا لك يشتري به ما وراء فيه
فاعلم أن الرياسة بقوام العالم إذ لولا وجود الرياسة في بعض أصناف ذوي الهمم
لتعمل كل أحد ما أراد وتحصل من أجل ذلك في العالم الفساد ولهذا كان بالملك
نظامه وبالسلطنة قوامه وهاؤلاء القوم الذين أعتمرناهم في التغلب قد
حازوا من الرياسة الحظ الوافر والنصيب الأكبر بحيث أن رياسة كل أحد
والولاة كانت مستمدة في جنب رياستهم أغنى في الزمن الذي كان فيه بعض
الصلاح والفلاح وأما اليوم فأقل حرس وشرطي يربط أكثرهم بحبل
ويجعل على رجليه الكبل وكان خليقا أن تغتصب به ذا أرض وكان ينزل عليه صاعقة
من السماء أسرع من الغمض فلما كانوا من الرياسة في العالم بهذه المثابة كان
من المتعين في طريق المصلحة أن سلم لهم رياستهم وتوفر عليهم حظوظهم
ويجتنب كل ما يقدح فيها ويغض منها ولهذا يجب على من قلع نبتة الغائلة
في أرض العباد بالشرع ما كان يجب في قطع نبتة نافعة فإن كانت أجزاء منها
وأكثر فيها قد جرم فما شعروا بها بعد وراء ما حصلوا به من الغنى وذلك في
هذا العالم السفلي وأن الناس بالنسبة إليهم كالغنم والبقر بالنسبة إلى رعاتها
وأجزاء لهم منهم شهوة وهوى فصاروا سببا لذلك في وسائل هذا إذا لم يتعلم
العلم ويتقلد القضاء والحكم وجدوا واجتهدوا وقاموا في ذلك كل وفعلوا
وأنجوا إن كانت مسألة الحين ذا زمنة مختاجين إليهم فيما بينهم عنهم في القيام بما ربما

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ما يحسنونه وكما تستقيم لهم سلطنة وكما مثل ذلك ذهابهم من التشاغل بتعليم العلم
ظاهر العلم وقطع النزاع بينهم بما مضى ما منع فيهم من الحكم وما ذكرناه من حرمة
واجتماعهم كان أيضا في الزمن الذي كان يبيح بعض الصلاح وأما اليوم فأنت تعلم
ما الذي أريد أن أقول فيه ثم هو بالنسبة إلى ما يغلب كالزمن ذكرناه بالنسبة إلى هذا
الزمان والله تعالى المستعان. فقال أمرهم بما ذكرناه الذي حصل لهم نصيب من
السلطنة لما ضيعوا أمرها ولم يكن لهم من ذلك اشتغال بما ينحض بحكمها
وغيرها. وكلهم أو جلهم يعتذر بما هو آخذ فيه أن بذلك متولاة تعالى وعامل
بها عند ومسارع في مرضاته وهيهات هيهات تلك أمانيهم حققها عنهم ما علم
فيه من الرياسة والنباهة كما يقال بساط الخضرة من هو معتوب بحبه وحامل
لنجاسة كما من مبتلى بالتوهين والهزيمة العزيز وتحقق الدنيا منذ تعبد كما تعلم
فلما كانت له المنزلة التي هي هذه الزاوية المستغلة وكانوا أصحاب الهيالمة
والغمائم وأرباب الدوارم الناهزة والشبوب الصوارم حق على كل من عرامهم من أهل
الذلة والمسكنة أن يكون بينهم خبيئا أو أن يتبين عنهم مكانا فصيا ومن بطن
بمغاربتهم ومعرفتهم فليحم على منهاجهم وليتشبه في صوابهم وأعوجاجهم وا
لعله يعيش فيهم عيشا هنيئا ومن يكون عندهم مرتعا خصيبا ومن لم يفعل
ذلك فلا تسل عما تعرض له من الضرر الذي يجب عليه منه الحذر ومن تخاف عليه
منهم عنده مبايتة وخلابة أن يزيلوا منه ما شط على أكتافه ومن قال
شيطان الثوري رضي الله عنه في مثلهم لو خالطت أحرمهم في برمة لفتت
حلوة وقال حامضة لخشيت أن يقع عيب أو ما معناه هذا قصدنا

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

هو بيان ما طلبته من تبويب أهلية من ذكرناه للتنقيل على وجه افاعي فز
يعيرون ذلك بعين وهذا كله من الفلح التي جرت العادة فيها معكم بذكرها وعدم
التعاشي منها فما تعرضتم وكتابكم الذي ذكرتم ما ألفت عليه وهيئت فيما مذهب
المزاح والمطايبة. وقصرت بحانوعا من التعريج والمزاعبة. أعلم عما تحتي
يا سيدي بخبر فعيشتي بذلك نفسا. وتتعزى بي لحظات كروبك بما جاوبتها
حيث يرجع نهار حالي ليلا داجيا. وينقطع كلمعطي من اقتراب الفرج قبلا
تكون له أملا وكما راجيا. فهذا هو المنصوص بالذات. وإن كان ثم مغصوص آخر
فلا مبالاة به إن فات. ولكل مقام مقال ولكل عمل رجال وللدهر أبو العلاء حيث يقول
قلامة بالأيهم عن الدهر جملة. فهل الملايي جز نفس مجزت
وإياك والوقاع في كل صورة. مموهة أو حالة مستحيلة
وإن رجعت الى الحقيقة رابية هذا كله علما ينبغي أن يقرأ وينسخ. ليثبت معناه
في الصدور وينسخ. كما قال أن يقرأ لحرابيسلم هذه المسائل في المكاتبة والترسيل
أو يسلم من وقوع خلل أو ملل في تفصيل أو تطويل. وكتبنا ختم الله وتوفيقه
ثم بخاطر فلان نقص فلا تقل. وتطول فلا تمل. فإنما المال فصيلنا بعضنا. وإن
طولت طولت. وإن لوحت أوضحت. وإن مرحت أفصحت. وإن عظمت انفعت
وإن ضربت أوجعت. وإن جرحت انفعت. وإن هزلت امتعت. وقد قالوا عقول
النساء في أخلاقهم. أخلاقهم بما يستدل على معرفتهم وإفهامهم. وبتوالهم وأوقاتهم
يعرف الغض والقوي في كلامهم. ويدري اختلاف طباعهم. فمنهم من كلامه
مقطع موجز معتبر بعبر ومنهم من كلامه سمط متين سلس ليس تستطيبه إذا تروقه

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وتستعليه متى رمته ورما تستجيره وينشط تستعينه ولا يغرنك من ذلك
المقال بأن كل فرد من هذه الأمة غزالي والله تعالى يتجاوز عنا بفضله

وفي بلغني كتابكم وذكرتم فيه اشياء اقتضى الحال التكلم
عليها على حسب الحاجة منها ما سألتم عنه من الوجه الثالث الذي قلت لكم
فيه الحب أن اذكره لئلا انتسب معكم بسبب ذكره وقد كنت أردت أن لا
اذكره ولكن لما رأيت سؤالكم عنه وتشوفكم اليه وحرصكم على أن ابعث لكم شيئا
ورأيت أن التعرض الذي اشرتم اليه بقولكم ان كنتم تخافون على من تعرض حالا قلت لكم
أن اذكر لكم شيئا من ذلك ربما يرجع اثمه اليكم من غير ان يقع عليكم بضرر وجب علي
أن اذكره لكم ولا اكتمه منكم فالوجه الثالث ان كتابكم اذا ورد علي
مستوعبا بحيث تكون فيه جزئيات كثيرة يعني بذلك اني احب الكلام عليه
بالجزء فضر ان تستجيروا بذلك وانا كنت اجمع به وقتا ربما يمضي علي فارغا من
الاشغال ويقول الناس الجلوس بلا اشغال ممقوت مع اني لم اخصل في الوقت توفيق
الى عمل صالح ولا اعني رأيا ولا تحسبوا اني اخفي الكتب اليكم منة اني بها الغالب
لم اتصور بذلك الا احظى برأي واحد نفسي وترجيحه وفتى بالهمات والعزيمات كما
يفعله المتعرفون من اهل الزمان اذا اشتغلوا بلهو او لعب بشيء او شطرنج او غير
بل يتنزل العقلاء والفضلاء اذا اشتغل كل واحد منهم بما يهمهم المعلومة لهم وان كان
كل واحد منهم يعتذر بما هو اخر به انه مواظب لمحبة الله تعالى ورضاه وهذا امر
الغرر بيني وبينهم لكني انهم لم يخلوا بي يعلم ذلك من تلبيس وغرور واطمئنان
خلوت من ذلك وهذا من نعم الله تعالى علي العظيمة حيثما اذا ورد علي كتاب

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdel-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

منكم وفراغه وتأمله لو لم يكن بيده شغل مما يرجع الى معاولته ما يحتاج اليه
من أمر العزا وغيره مما ينبغي ان يكون الجواب عليه بما يهيئه الله عز وجل
كما يسر أو اما احتيج الى تبييضه ثم أكتبه ثانيا هو وما انضاف اليه في القطعة
التي ابعثها اما اشتغل بشيء سوى ذلك فربما تبقى تلك القطعة بيدي اياما كثيرة
أو تغيب لكتابها حاملها فأبقى لا اعلم عليها وهذا هو الغالب وفقنا الله تعالى
في الحامل فيفتح كتبهما ويحملها في زمن قريب وان كان بيده شغل من جنس ما ذكرته
أخرت له الجواب حتى اتفرغ من ذلك الشغل وهذا هو الوجه الثالث الذي
قلت لكم اني اذا ذكرته لكم انتشبت معكم والذي فرغت منه وقعت ذكر فيه
كما شاء الله وحكم أنكم اذا تحققتم ذلك وعلمتم أني في ذلك لم أضع اسم احد وغرضي
مقصور على ان ترى مسئلة مشكلة وانا زلت مفصلة وما لم ترني عنها
فاذا ورد علي اقتضى الحال التكلم عليها وقد يكون لي في ذلك غرض من حيث
اشعر ومن حيث لا اشعر فانا أرى منة الله تعالى علي في أكثر المسائل التي عافاني الله
تعالى من الكلام عليها بسبب تغافلكم عنها وان تعرفوا نعمة الله لا تحصوها وعسى
أن تكرهوا شيئا وهو لكم خير واني سئلت بعضي في هذا ذاك الزائغ مما تعلمون من ضغب بعض
وانني اتكلف النظر فيه والكتب غاية التكليف فربما تركتكم شديدة على بسبب
ذلك فتضيع بذلك صفحات كثيرة من المسائل التي تحتاج فيها الى الكلام والله تعالى
ولي الانعام

وما ذكرتم من خوال العفر آه المانع لذلك لكم من قراءة كلامي
عليهم فذلك أمر معلوم بحال فساد الخيال وانتفاء الباطل والمحال هو المألوف
في هذا الزمان والله المستعان ولعل من صحح كلامي منهم ولحد اذا سألتموه عن

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

عن حقيقته وحاصله وما الذي أشبه به الدنيا فلم أجد فرددت إلى عالم لا يزيد ما يقول
فإذا تكلم لم يصب الغرض وكان كلامه في جمته وكلامي في جمته وأكثر مع هذا
كله عالم خير كثير أنهم لم يعملوا شيئا من هذا أبدا ولم يجعلوه منهم جهلا بل سلكوا
مسلك العقلاء في البحث والفتش عن غير واحد من هذا شيئا وأين أنت من هذا النوع
الذي ليتمر فيه دهرا الخلاء والجدال كما كنت ذكرت لكم قبل هذا على أنه ينبغي
لي ولكل أن نستعيذ الله تعالى من هذا كله وما يقع منا لهم انكار حال وتعجب في مقال
وتسلل في عالم عوام ما يسلك أصحاب التهمة لنفوسهم من الرجوع عليها بالذم
والعتب واللوم كما قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه لما قال له أحمد بن أبي
الحواري إن فلانا وفلانا مما ينعس على قلبي فقال له أبو سليمان دعا على قلبي دعا على قلبي دعا لعلنا
إنما أتينا من قبلي وقبلك فليتمر فينا خير فليتمر خير الصالحين ولقد صدقت
صدقك الله خير فرات فولكم قبلوا ما أخاف من الخاطمة معذرا منعه إلى آخره وقلت
إذا كان هذا حال فلان مع مرتبته وبعده وبكائه في الطعام فكيف يكون خالد مع من
يقول له أخطأ فلان أو لم يصب على حقيقته ولم يعلم الله طريقه أو ما أشبه هذا
مما انطوى له الله تنور عليه الدنيا سوداء ويعمى به مشبه الماء الحوضيا ويكون أسلم أحوال
أن يخرج البارة التي فصار أن يصير بها عالم المعتبر أنه يتقلب البيد بعير كان ذراء
والمفت ولعل الحكمة أجراها الله على لسانه في هذا الوقت ولما وقفت على ما
ذكرته لي من حال فلان لم أملك أيضا أن قلت بارك الله فيه مرة أو مرتين أو ثلاثا في
مرات مفرقة وصاح وقعت في هذا الزعاق فرحمة لو أنها كانت من ذي حال مستقيم
لفتحت له من السماوات ذا أبواب ولم يكن بينه وبين ذا استجابة حجاب ولكن قد يستجيب

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

يستجيب الله تعالى الدعاء من الشخص المليء افارنه دعاء آخر كما ورد في
عفوة المظلوم والمسافر وغيرهما ولعل هذا الدعاء هو ينضم بعض ذلك بل الرجوا
أن لا تقصر إن شاء الله تعالى إجابة ذلك الدعاء عليه بل ينعطف أثر من ذلك على
الدائن كيف وقد ورد منصوصا إجابة دعاء الشخص لأخيه ما لم يأثم وقول
الملك له ولك بمثله وقول الله تعالى لنبيه أبدا ولست أفهم من هذا النص أن الدائن
للغير يتأتى طلبه له وإبراءه إذا كان قصر في دعائه له مجرد أنه يحصل له في
نفسه مقتضى ذلك الوقر الصاد وأنه إنما قصر حظه وحصول المنفعة له
وجبره له لغيره واسطة في ذلك ومثل هذا يتعذر أن يتحكم في مثل من يستجاب
دعاؤه كالمالك وليته تكلم في ذلك من المطالبة والمنافسة عن الحيتان له بقدر له
الحيلة المباركة بل الأمر أن يعلم الوارث المكابد آخرة وخرج من معنى الأخوة التي أشار
إليها في الحديث المذكور فيه قول الملك ولك بمثله ومن الدعوات التي نبه عليها في
قول الله تعالى يا عبدي يدا بدا ومن جملة ذلك والله تعالى أعلم أن يلوح للدائن شيء
من عظمة تحمله ذلك العظمة على محبة الخير التام لكل من أحسن إليه من الله تعالى عنايته
وحفته برعايته فيكون دعاؤه له دعاء ملا بمقتضى ما فهمه عن الله تعالى من
محبته له واختياره إياه وأظنني أني لما ذكرت هذا الخاطر به والذي فهمته
منه رأيته يمكن أن يتعلق بهذا الطويل فيسوغ له من التشبه والتوهم ما لا
يسوغ لغيره وأظن أيضا أن كل أحد يتسمح له في التطفل بالا يتسمح به لغيره
وهذا فائدة وحقيقة نفيسة أنه إذا أوغل وانزرع على قوم في موطن راحتهم
ومجلس انسهم ولذتهم لا يتكدر به بال ولا ينغص به حال ولا إذا نفر أحد

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

أن يظهره من ذلك الموطن أو المجلس لم يقدر عليه ولم يجد سبيلا إليه بأن يأخذه
غلبة بالحجة وسد عليه المحجة. وأما الذي يقام على ذلك وادعاه من ليس فيه هذه
الصفة لم يسلم له ذلك وأوجب الحق عز وجل عليه لذلك من ذلك أن يشنع في
وجهه وينبح عليه كلما بدا له الموضع فإن عارضه أحد من معارضة لم يزعه
يتعلى حلوة أو حلوتين حتى تمزواه منه وتقرن عمه. وليس كل سيئة
يمكن أن يغفرها الكرام. وكل حسنة يقال لصاحبها ادخل الجنة بسلام. فالعزل
والحكمة يابيان من ذلك والكرم والفضل أيضا إنما هنالك. قال الله عز وجل
وبوب كل شيء بفضل فضله فرتب الفضل على الفضل وكل من عند الله سبحانه وما
خير ذا خيره. **وقولكم** فلما ورد علي كتابكم انفطع رجائي مما كنت أومل
وتخفف الروح بالزاد الآخر فاعلم أنه لا ينقطع رجاء من الروح بأن في جسمه وما
يخفف الروح بأمن التوهمات والتخيلات عامرة في خلده فالواجب أن يكون
العبد أبدا وفقه الله يتشاغل بما يكون وما كان. ولعل فرج ربه يأتيه في أقرب زمان
من حيث لا يحتسب ولا يقدر على هذا سار الموفقون وعليه درج الصالحون
خلوا الناس من عجل سار ربكم إياتي قلا تستعجلون. **وقولكم** ثم إني
شرعت في نسخ الكتب وجعلتها كالمبيضة حسن ما يعلم من ذلك للعزم
الذي فصرتم به أمر إن كان ذلك فصركم أن تضيفوا إليهما الكتب الثلاثة التي
توفقتم في نسخها وذلك ليحط فيها من بين نظر ولعل أن يقع فيها تبديل
أو تغيير أو زيادة أو نقصان يعم جميع ذلك وغيرها من الصواب. لم يكن لنا
عنه شيء في حساب. **وقولكم** وهذا كله من ظهر لنفسي ومحبتي

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

لما أراه يكون فيه صلاحهما فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وتوزيع
بين العز والفرح وانقباض خاطركم من مشاهدة أولاء الصغار الذين هم موضوع
جوعا وكونكم لا تشتهون بمشاركتهم وأحببت لو اجتمعت بكم اليوم على أن
يفهموا منكم صحة هذا الكلام ما قدروا على ذلك ولقد قاربنا أن تدخل به الصغار
والكبار الخوف من أن يفهموا أنكم المسئلة على غير وجهها ولم تعيروا علما بكنهها
لأنكم قلتم قبل هذا على سبيل الإنكار لا يقتنع عن هذا من يتكلم معهم بالمخاوف
والزواجر ويقولون هذا هو الواجب علينا والمغلوب منا وأي شيء تنكرون
من سرعة وأكثر مخالطات الغرائز والسنة وأقوال السلف إنما جاءت على هذا
النحو وقولكم في اقتناء المال في أمور يرجع حاصلها إلى إثبات النعيم
أو كذا أو كذا ربما يتوهم منه أن المخاوف والزواجر وقول القائل هذا هو الواجب
علينا والمغلوب منا موافق لذلك راجع إليه وهيهات هيهات بل المواعظ
والزواجر أقوال بهم إلى المخ النفس وانتفاخ فروها وتعظيم أمرها والكفر آخر
الناس مختلفة وطبائعهم مختلفة وأدواءهم متفاوتة فمنهم من فهم حقيقة
الكلام بأدنى إشارة ورمز يعمل عليه ولم يحتج إلى تكرار المواعظ والزواجر
وهذا أقل ما يكون ومنهم من لم يفهم إلا من أطراف كثيرة فاحتاج من أجل ذلك إلى
الرمز والتكرار وهو أكثر الناس ومنهم من لم يكن حاله مثل حال هذين وأي الناس
يكون حاله مثل حال صهيب لو فتشته بالغربال لم تجد منهم واحدا وقولكم
ويقول هذا هو الواجب علينا والمغلوب منا كلام مستقيم ليس بينه وبين ما
ذكرتم من إثبات النعيم وتزيين فروعها وتعظيم أمرها ارتباط ولا مناسبة بل هو

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

يعبر منه لسوء العبر بنار قلت فعرفه تنبي في هذا الامر امتثالا
بعد أن كنت لحسنت أني بهمته بأني الأغلم للمراعظ والزواجر معنى ذكر أن
يمثل له العبر بجوامع النار أو بستيق بحول الجنة دار القرار وكذلك
من قول العبر هذا هو الواجب علينا والمطلوب منا لا معنى له ذا الذي بعلما
طلب منه وما وجب عليه نجا من النار واستحق الجنة وأي اثبات للنعيم وتبع
لفرحها وتعظيم أمرها اشر من هذا وان كان هذا صحيحا فكم ورد في القرآن والسنة
ما يضاهيه وان كان معنا لا كان جميع ما تناوله وتوهيه اليد وتبرع وتعبر فيه
متضحا فساده مستنكر العقباء واعتماده **قال** ما ورد
في الكتاب والسنة من تكرار ذكر الجنة والنار والتبشير والانذار
ما يدل له على انه كل المقصود وأبرز جر في الكتاب والسنة من لم يعمل على
الرجاء والخوف بل عمل على خلافه له وليس مصيب وما تضمنه ذكره له وتكراره
من اثبات النعيم واستحسان طلب حظوظها وأغراضها الجلية يدل له
على أنه ليس معيب والكل السير في له ما تضمنه مثال أذكره له فتأمله واكتب
به ان شئت **قال** مثال النعيم وصاحبها التي تمسك بها وشر
يرد الضمير عليها مع جهله بالشر الفاعل والشم الفاعل الزعجول اليد ما ذكرناه
من التمسك وشر البر مثال صبي صغير زاعفر بنا قاعجبه صورتها
وشكلها وسواءها وعطرها فمد يده لأخذها فأخذها فلحقه أبوه فبين
له الخبار وتعلم له أنه استحسنها وعلم أنه لا ترضه شهوته أن يجبرها
ويرعبها وأنه ان صاح به وتهدد على الشم الذي فيها بنال شاخاة ما لم يصل فيه

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

واتمه لما جبل عليه من الغباوة والجمل بالامور بل بخاطبه الصبي بثلاث
ثونات ويشير عليها بفاسده وبقتله قبل بعد ذلك بحيلة في استخلاصها
من يده وتماحته بكل جهاد الا أن يريه شيئا مما يمكن أن يستحسنه ويكون له في استحسانه
وطمعه في نيله كبير مضرة وبعد بما أمكنه من العبارة أو الاشارة أن هذا الذي
أراه اياه والطمعه فيه جيد له من اجل الشيء المليح الذي أخذه منه فيحصل منه له
موافقة على هذا الامر فاذا احضر له الصبي وما له من يده لما أراه هو
اظلم منه وله هو مراده ذاب فلما حصلت في يده ذاب الناس ذاب فيشرحها
بحيث يزال التعلق قلبه وليه بها بأن لغرمها وفر وأجزاءها في الطين والتراب
اكثر في قلب الولد متعلقا بما الطمعه فيه أبوه عوضا مما تركه من أجله فبينما
هو في اثنائه له اذ كم وحصل النوع تميم واراد بعرف بزاله المضرة
التي اشتمل عليها ما كان أخذه منه واستحسنه وعرف أن اباه نصحه حين
تلهف له في استرجاعه ان يتنبه لهذا حضوره فيه فتعلم منه منه بالهامه منه
وعرف انه بحيث نصحه له ولو لم يكن منه لطماع منعم عليه غاية ذا انعام وكيف
وقد لفظها له براخله ما تقصل له به الفطنة التامة واللذة المستحسنة
فبينما هو في اثناء هذا عاملا عليه ومغتبطا به اذ ظهر له باشارات خفية
من والده أن هذا الذي تمسك به بيده واجذه من السمية العفريتية الذي كان أبوه
تلهف به في انتزاعه مما اشتمل على تلك السمية من يده وعرف أن كل ما كان
أطمعه فيه مما ترك له الشيء أجله لم يكن للاب فيه غرض ذا موته
عن الطلاء الذي كان تعرض له بسبب تمسكه بما استحسنه من تلفيع نفسه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وموافقة نشتهي على الجملة فلما رأى أن هذا المعنى حاصل فيما الحق ذاق وتغير
به قلبه رمى كل شيء من يده وأخذ في الفرار فتعلق به والده وقوض أمره إليه
وانتهى اشارته في كل ورد صدر وأبيعه خلاف ما أراد وما يمكنه سواه فتحكم والله
أعلم حال الغير مع ربه أن العبد في ابتداء أمره موصوف بالجهل وقلة العقل مقبض
بالنفس أنس بعالم الحس ممن لذ له الصبي الغبي بذل رجت السنة ولو شاء الله
لم يكن ما كان فلما ذاق الحق تعالى له في استدراجه عرف له ما وعد به من الثواب
الجزيل الذي هو من جنس ما ألفه من شهواته وحظوظه فسمح بالنفس في
جنب ذلك وصار ذلك ممن له متاجرة ومعاوضة فمنهم من وقف هنا
فطن على ذلك الوعد ولم يتجاوزه إلى سواه وهذا هو حال الأكثر وما ينبغي
أن يستنكر هذا فإن ما عند الله من الإيمان والثقة بالوعد لا يقوم له شيء
ومنهم من لم يقف هاهنا ولم يقتصر نظره عليه فلما جرى له ما جرى لمن ذاق الحقيقة
ظهر له أن ذلك كله من جنس واحد لما كان متعلقا به ومستمدا منه من حيث
هو فرمى بذلك كله من يده وغض بصره عنه وقال أعوذ بك يا رب من كل شيء
استحسنته وأريده من قبل نفسي فإني شاهدت بانتهاء طي أيامي ما يكون
تعريضا لي بأشر العذاب وأليم العقاب فليلا مستغرقا في جنب ما تعرضت
له بسبب ذلك استحسان ذرة أو إيثار من مثقال ذرة أو ما بين ذلك وفي حصر ذلك
مع طول الزمن فوز عظيم من المضرة والمعرة باستحسان ما استحسنته
وإيثار ما آثرته فلما استولى على أمر الحق تعالى وكان أحق به من نفسه ومن
كل شيء صار الحق تعالى هو المتولي له وهو يتولى الصالحين فصارت معاملته

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

نلها حميدة: واخواله كلها سريرة واعماله كلها مشيرة ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم واذا قمت هذا في جانب الوعد
بالثواب فقمت مثله في جانب الوعيد بالعقاب فإن الناس مختلفون في هذا
ذاك منهم من ينفعه بالرجاء ولا ينفعه بالخوف ومنهم من ينفعه بالخوف ولا
ينفعه بالرجاء واجعل وزان الخوف في حق الصبي أن يريه ذئبا مسبعا ضاريا
أو شيئا مما يهوله أمره ويقول له بعبارة أو إشارة إن لم تقلع قتلك الذئب من
يرط مسلطته عليك فإذا تقرر هذا فلنرجع إلى الكلام الذي قلتم وهذا
كله من نفسي ومحبتي لما أراه يكون فيه خلاصها فلا حول ولا قوة إلا
بالله ونقول هل فيه دخل أم لا والظاهر أنه لا بد من دخل لأن الفعل من خاطر كم
من مشاهدة الأطفال الذين عوقوا زجرا ضربا من الشدة وغلبة مغلوبا
في الشرع أن يكون ذلك نسيانا عليه ولم نعلم أحدا على مقتضاه ولم تقع الزلة
وكان ذلك انقباض الزجر كرتم بسبب ذلك فهو انقباض محمود في الشرع لأنه ترك
ما أمرت به أو ندبت إليه من مواساة المساكين بما فضل عن حاجتك إن كان هناك
فضل ولا يلزم من هذا أن تكون فيه ذا ناظر النفس ومحبتها لما تراه يكون فيه
خلاصها لأنه قد يمكن أن يكون ذلك فيه مجردا عن الله عز وجل لا ذاكرا وأنت
متمكن منه ولئن كان ذلك مجردا لنفسه ومحبتك لما تراه يكون فيه خلاصها
فذلك مذموم فإن كان فعل ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله تأسيا على حالة السيئة
بأنها غير مواجهة لرضى الله تعالى ومحبته فيكون ما اقتضاه فعل الحول
ولا قوة إلا بالله صحيحا مستقيما وتكون الخلة قد وقعت في محلها ولئن كان

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

قوله ذلك ناشئا على ما قلناه من هذا المقام الرابع فأنت في ذلك غالبا اثر الغلط
وتكون خوفلطا جنسيا في غير محلها وتحتاج خوفلطا الى خوفلطا اخرى
وهلم اخرى الى اخرى ويتسلسل دائما الى غير نهاية وان هذا امر كلما مشت كذ في
ذا عتلال والدخل انما قصرت بنا لما مر ت منه من تفريط النفس ومحبتها
لما تراه يكون به خلاصها ويكفي في ذلك محبتها لهذه الحالة واختيارها لها
فما امت لم اراده واختيار ولو في رفض ما اراده واختيار لحالة مغلوبة وعملها
من خول وانت في امر نفسك مكبول وانى فز وبين ان تعمل على خلاص نفسك
وبين ان تعمل على خلاصك من رؤية خلاصك من حيث هي نسبة ذلك
على الحالة ما دل الكلام ذلك أسلم لك من الوقوع في خضم الدعوى التي هو أعظم البلوى

فان قلت هذا عجب من العجب كيف يتعلق السلامة من الدعوى
في البقاء على الحالة ما دام لم تجعلوه في الحالة الاخرى مع انكم قلتم حين تكلمتم
في معنى الدعوى وذكرتم علاماتها ووجوهها في العبد انه من جملة علاماتها ان يفرح
بما يفعله من الطاعات لرجاء الجنة ويحزن لما ان يكتب من السيئات لخوف النار
وهل هذا الا تناقض ما يستفيم **قلت** ليس هذا تناقضا والكلام مستفيم
في كلا الموضعين انما اعربنا ان منشأ وجوه الدعوى في العبد رؤية النفس
وترتيب فرعها وتعظيم امرها امكنك ان تفرد كيفية هذا امر فان على ما ذكرت
لك واحكم على كل من تجريه والحمد لله على ذلك ووجوه الدعوى في العبد انما تحمل
لرجاء الجنة وخوف النار مجردا من غير ان يبنى ذلك على اساس مستفيم
من ان الله تعالى عز نفسه وحرم على ابصار المناظر الخلوية النهيا

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

من غير مراعات أدب. وكما عمل عما يجب. أن وجد ذلك أدب والعمل بما يجب أن
يكون عمله لوجه الله تعالى واتباع مرضاته فقط ويكون طلبه لما عرض له
اتباعا لما أذن له فيه مولاه حتى لو لم يأذن له فيه لم يعزه طلبه ولو أذن فيه
حتمه. أو يكون طلبه لذلك أيضا فرارا من الرعونة التي ذكرناها فاعجب لما في
واجر يكون فيه الرعونة والبلاء من الرعونة أن التصبر ونيل مقامات الأولياء
والزهد على التوصل إليها من الرعاية الفريضة ومن هو حتى يكون فيه أهلية ذلك
بلا بسعه حينئذ أن ينتظم في سلك العوام ويفعل ما يفعلون ويتقرب مما
يتقربون وما يكون حينئذ عنده شيء من الرعونة لما تمسط من الأدب مع ربه بالعبودية
الوقتية وعلى هذا الوجه وما أشبهه يحمل جميع ما لا يحصى كثرة مما ورد عن
الصحابة والتابعين والسلف الصالحين مما يقتضي ظاهره أنهم لم يصلوا ولم
يصوموا ولم يحجوا ولم يعتمروا ولم يعملوا عملا من أعمال البر لو حسبوا أشياء وإن
رجا الجنة وخوف النار وقال النبي صلى الله عليه وسلم حولها ندندن
وما ينبغي لأحد أن يعتقد هذا الظاهر فيهم أن ذلك حكمهم والغض منهم
كيف وهم أعقل الناس وأعلمهم بالله وأقومهم بالعبودية وأوفاهم بالعبودية وأوفاهم
الربوبية ولم لم يكونوا هم سالكين سبيل الخوف من الزيغ يسلكه غيرهم فعلم بأن
ليس من هذا الكلام الحالة التي يكون الخبر فيها مرعيا والحالة التي يكون فيها بريئا
من الرعونة بالحالة التي يكون فيها مرعيا فاجعل نفسك صفة وحرص على إيصال
المنافع إليهم من غير أن يكون له شعور بما يقتضيه الحق تعالى منه من القيام بحق
عبوديته سواء كان هذا الشخص سالكا سبيل العامة أو الخاصة والله عند

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

شلوك مسلم الخاصة أنه غوى كأنه لم يزض لنفسه دنا المقام الرفيع الذي
جعله نصب عينيه وهو يحرص عليه ويحتمل في طلبه والحالة التي يكون فيها
بريا من الزعوى أن يتصف بالعبودية لله تعالى وحسن ذلك معه ويرى في نفسه
أهليته لمقام ما حال وهو بالحقيقة قد حصل على كل المقامات وذلك أخوال ثم يلزم
الكون في درجة العوام من طلبه لزوال ما ذكر من ذلك العلم وهو أكبر ذنوب الكرام من غير أن
يجعل الزلل سببا من عمل يتعزز به ليريد بهذا هو الذي ذلك في نفسه أعظم الذنب
برئ من الزعوى وحصل في محل المشاهدة والتجوى من غير أن يكون له في نفسه
شعور بذلك ولا اطلاع عليه فإذا لو شعرت بذلك واطلعت عليه لسوءت شعرة
واوجبت حزنا وبغيا وحصل في أعظم الزعوى الذي هو أشر البلوى كما
قد علمت فإن قلت قد ظهر لي من كلامك المحل الذي يكون فيه
العبد مرعيا والمحل الذي لا يكون فيه مرعيا وزال عني ما كنت توهمته من وجود
التناقض في كلامك ولكن مع ذلك يأتي لي خوف مما ذكرته بريا من الزعوى كيف وأنا في
كل حال لا أنفك عن الخطإ وشعوري فيتعذر أبدا أغتبط بالرضا واستحليها
وإذا فعلت منها شيئا برحت بذلك أشر الفرح وإن فاتني منها شيء ولو لفعة أو
حبة وإن لم يكن في الزلل كبير احتياج تقوم على القيامة وتخرج مني روح الأخلاق
المباركة فإذا كان هذا حالي فيما شأنه أن يهضني وينقصني مع بقاهته وحقارته
فكيف تكون حالي في الدرجات والمقامات التي تحصل لي بقاء اللذات وأبريه
والغبطة التي مردها إلي فإنها تملأ وعيني فيها الصاعوز والغابر وزد الزاهر
مع نجاسته وعظيم فريه وريح خمره فلولا أن نفسي واقفة أمامي بالشعور

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

لم تكن هذه حالتي فكيف يمكنني أن أكون بريئا من الزهو ومع هذا أخر من المؤدب
ورد مشرب. فقول لي يا أخي كلمتك في الزهو سوى. فتعلم فلله لك
الثناء والشكر خل هذا كله وأجبني عن شيء أسألك عنه أليس من تخصص في
واسط وعاموحط ما اشترت به البط من أمر الزهو والحالة المرضية فيهما
والحالة الأخرى كل له مسببات محصورة يمكنك أن تعاني بعضا كثيرا من
ذلك وعرج فإن فلتت لي تاسكنت عنك ولم أعاودك كلما وكلما أثارك لي تسفل
وإن منعني شيء من ذلك وإن فلتت لي بعض أقول لك ما وجدته من ذلك مجانا فزاحم كثيرا
ممن يحيط شأنه وجرأته مع بلوغ الغاية في الجرد وبراعة ادعاء. ومواصلة الوكايد
وصاوزاء. والتهم في الفلوات والقفار. واعمار التفكر والاعتبار. وصحبة
الصالحين وذوي الأخيار. وأنت تنحط منهم وتستحقرهم وتعتذر جهالتهم
وغباوتهم من أين لك هذا وبأي استحقاق نلته. وبأي وسيلة توسلت حتى اعطيته
وأنت قد نشأت أعمى مع العميان. ونطقت عجماء بين عجماوات البيدان. وفي الهند
الصيان بهيمة من البهائم وقاسته من الموحشات في الأبنية من مضلات وادي الأكاد لم
يترك الله تعالى بأيديهم نعمة ولم يذر النعيم نكرة ولا نعمة. فرستلبهم عينهم وعيناهم
بالبتات وجعلهم عميا وبكما في الظلمات. من غير جناية سلفت ولا خطيئة
اقترفت وأنت بعبوط ومساويط تتقلب في النعم الدينية والدنيوية لهم
وبطنا مبلغا من الما بيط وشهواتها ما يمكن أن يكون غاية المتمني وقد قال بعضهم
كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا خطب يقول يا بنا آدم نفسا نفسا يقول خرج
أحدكم من مخرج البول مرتين وأنا سلكت في غائطي وأكثر بنسبة ما خرج فيه وقل

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdel-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

نسب الله تعالى للانسان في مواضع كثيرة من كتابه المعاتبة ومثالب تضمنها
نشأته وافتضحها فطرته من الجهل والضعف والظلم والكفر وغيرها كل ذلك ليذكره
حالة التي يقتضي منه تركها ملازمة حسن الأدب بين يديه
وفضه عليه وأن ما يرى لنفسه استحقاقا لشيء مما لربه بل يرى أن قليل
ما أعطاه أكثر من كل كثير بل لا يتمنى فضل الرب شيء مما لربه يمكن أن يفيض به ما
أعطاه مما يعلم الوهم بأنه نزر يسير وعسى لم يحصل له من الفرح بربه
ما يقتضي منه كل فعل حسن وحال مستحسن افتقارا سالما متعلقا من
كل باب بريا من المقالة بأنه في غنى لا يشاركه حول لنفسه ولا قوة بل ان نفسه منه
حينئذ ولا يرى غنى من قبل الله تعالى فقط ثم ينقله نظره في نفسه فيرى منها
الجميل وكل ما كان يشاهد قبل هذا من خلل ونقصان يراه الآن في غاية
الكمال لأنه في عين الجمع كما قال ابن عطاء في منا جاته أنت كما تحب فاجعلني كما تحب
فامتثل والبغية أعني بذلك أن يضيف المعصية طاعة والمخالفة تعوذ مراقبة
وانما نعني بذلك أن شهوده تمام شيء من غير الحق لا يشتبه بما فوقه ولا يتعين
أن مرجع ذلك الى شهود الكمال المطلق فاذا كنت منصفا وجميع ما فلناه لك
هاهنا معه فاستضأ بهذا المصباح والبس ايمان وذار من تذكار ما ينبغي
عليه هاهنا من شهود ما قلناه وتعلقه ما يعلمه القلب اذا راعى النائم لم
عسى ذرة من زعزعوى تزول الربلوى انه حينئذ تتحقق بعبودية المولى
ولينعم التحقق بها مما يقتضي تكملا وتعملا اذ لو اقتضى ذلك لكان هبة أعظم
الزعوى وكيف يمكن ازالة الزعوى بالزعوى بل هو بعض هبة من الجواد الكريم اما

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ان تكون هذه الهيئة ثابتة على هيئة أخرى من عمل صالح يوجد له وهذا هو حال
المريد الذي يهب له الله ابتداء من غير تقدم شيء وهذا هو حال المراد وما يلزم من
حصول هذا المقام للعبد أن يشعر به بل قد يكون مشعورا به مما يكدر صفاءه ويكسب
ضياءه ويكون من جملة صوارفه عن ذلك الشعور أن يجري على ظاهره
من الزعورنات والرعارع مما يوجب له فطرة البشرية أن يستوفي كل ما يليق من حال
أو مقام ثم يلقى في نفسه أن هذا النوع من الدرجة ما ينبغي أن تكون ويكون
مستقرا في نفسه بل وأمارات انتفاض كل هذا البهرج عنه بالكلية وما ينفي
لنفسه من نفسه نفيه. **فإن قلت** هذا كله حرمان وهذيان ومن أين
لك هذا فعلي على ما تكرهه من نسبتي إلى مقام الزوائد كالفرد أزاري عليه
أني بنيت على الرجم على ما تقرر في نفسي أن شيئا من الصفات المستفيضة
وذا فعال المستكرهة ما ينضبط لزمام مع أن ذلك يحتمل فعسى أن يكون له محمل
صحيح ويلزم عليه أيضا أن أرضى عن نفسي على أي حالة تكون ويلزم عليه أيضا
أن يدعي مقام الزوائد لكل أحد وما يفاتني من ذلك شيء **فأقول**
أما قولك هذا كله حرمان وهذيان فقد يكون هذا صحيحا وقولك من أين
لك هذا فأقول لك أكثر من الرموز ولست ألتزم لك أن كل ما ذكرته لك هاهنا فرمان
ما يبرأ وإنما ذكرت لك ما ظهر لي ولئن ما ظهر لي يكون حجة على غيري ولو
قدرت أن يكون حجة على غيري ما انتسبت مع أهل الزعارع أبدا اشمخ بأنوفهم
بالانتماء إلى الكلام الذي حجة عند من عليه بل يضر بروزه وجهه صاحبه وما يتأتى لزور
بذلك وهل هذا البعل منهم حسن أن فيه شاغل بذلك فإن **وقوله**

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ويلزمه عليه أن من ينسى الرمي أيام التوابع فقد أراد عليه الرواح فأقول
ما الزمتنيه الترمذي لا أحشى من تركه ضرراً عن الله تعالى وإنما أتقرب إلى من
عليه أحد أتقرب فقد أنت ولله تعالى أن يعفو ويتجاوز وأنت مأمور أن تتقرب إلى من
يثيبك والعفو من يخيبك هو عبد إذا أمر أن يتقرب فعل مولاه وإن عفا أو سامح
إذا لم يؤذن له في تركه وإنما يجب علينا أن نبذل جهدنا بما يرضاه فقد
وعفه يكون عذره بما كان وكما أنه قد أن تتقرب عليه أنه قد أن تقبل قوله
وقوله ويلزمه عليه أيضاً أن إن ضمن عن نفسي على أي حال أكون فأقول ما
الزمتنيه الترمذي لا أعلم إذا كنت كما تشاهد والله تعالى كنت محبوساً هاهنا
عن نفسك من هذه الحيثية أم مغلوباً منطبقاً على حملك فالله تعالى لا يكلف
والله أعلم أيما الوجهين محاسبة ومعاقبة **وقوله** ويلزمه عليه أيضاً
أن يصح دعوى مقام التوابع لكل الحرم لا يخاشى عن ذلك فأقول إن مني تعالى
ولينبغي كلامي فإنه يلزم منه صحة هذه الدعوى من أحدهما وغايته أنه يجوز
وقوع ذلك وهذا التجويز ليس له فيه متعلق ولا ينبني عليه حكم وهو من جملة
أحاديث النفس وأمانيها ووساوسها فقد تحرر مما قلناه هذا الكلام
وعلى رسول الله الصلاة والسلام. وهذا نوع من الكلام المالوف مني فرجاء
على أن غير مخمود بعد أن كنت تركت الكلام على مثله. والله غالب على أمره
ولكن أكثر الناس لا يعلمون وقيت فيه بالفرض وفيت فيه بالواجب المفترض. فحمد الله تعالى
وحسن عونه **وما** أعتمده فلان حيز فرأى عليه كلامي من كلام صاحب الرسالة
حتى يحتاج بسببه الراعي الحرد في البيت شيئاً لا يحتاج إليه إذا لم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

يفصل صاحب الرسالة بذلك الذكر لان اسم العنز اخرج ذكرا وانثى والمسمى بهذا عنه يكون
مركبا ويستفيد الاستدلال على ان العلة في تسمية الله تعالى رسوله باسم العنز ويستفيد
الاستدلال على ان العلة في تسمية الشاعر نفسه باسم العنز وما احتج به من ان اضافة نفسه
اليها سوء ادب ليس بشيء وسنذكر كيف صدر منه مع ما هو عليه من كمال الادراك
ونفوذ الفهم ولكن تقول العامة الرجلة تحضر وتغيب وكيف تكون اضافة الشاعر
نفسه اليها سوء ادب وحاله في التسمي بذلك انما هو امر بين احد امرين اما ان يتسمى
بذلك لانه فهم من محبوبته ان تسميته نفسه بهذا الاسم مرضي عندها فيكون في ذلك
متبعا لرضاها فلا يكون في هذا سوء ادب وان لم تكن شيئا مما توافقه عليه محبوبته
ولكن على هذا الوجه يكون ادعا الى ان لا اشرف انتمائه عنز مما صح وبسند
كما كنت قدمته في اول الكتاب من قولي لهما ان تسمية الشعراء نفوسهم ومنازعهما وما اشبه
هذا مما تسمى به كل مدع مغرور انما صدر منه عن اختيارها وانتمائها لا ان هذا
الوجه مرجوح ومرجوحيته هي التي توجب بقاء كلامي ثابتا لا يعرى ولا يسند
وانما قلت ان هذا الوجه مرجوح لان صاحب هذه الخصال التي عرضنا من كونه
يطلع على ما يرضي محبوبه وما يسخطه يكون فريد العنز لحبيب العنز مع
محبوبه مستغرق القلب فيه فلا يكون له مساغ للتكلم مع الغير بفضل عن الشكوى
اليه لكنا بعد هذا الشاعر المتأدب لان ذلك انما يكون من نهاية البلاء الذي حل
به من جهة محبوبه من الهجر والصد وما هو ممنوع به من قبله من ذبابها والقرد
انما تراه يقول: يا عنز وثاري عنز زهراء ... كأن زهرا قاتله وهو يطلب مني
أن يأخذ بثاره منها. وذلك من الثاني ان يتسمى بذلك من قبل نفسه ولا يفهم حالتا فيما ذكر له

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdel-Aziz Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

عن رضيت بدلو منحطة وقد أمرها الرجل المتقين لما ذكر ذلك وليس في إضافة
اسمه إليها ما فيه التبرج بل هو حقيقة بالحسن لما ذكر لأنه أنزل نفسه
معها في المنزلة التي احتط منها بالنسبة إليها بحيث لا تكون له معها
مشاركة في اسمها وإضافة كل ذكر إلى الغير الصاحب أو الخليل أو الجار أو الجالس أو الخادم
أو المحب لكان ذلك منتظما ما ذكر من سوء الأدب وغاية الذم في تسميه باسم
الغير أنه عرض نفسه للهاجي والملام فيقول له الطاعن زيادة المرعى لبعوضة
أنت كذاب في دعواك أنك لم تقع بحقوق ذلك ولم تراع ما يجب لها عليك
هذا هو منتهى ما يمكنهم أن يطعنوا عليه بدا لجرم يقول لهم هو صرفتهم بأجوبة
فيما قلتم وعدل عن أنواع الكذب والبهتان في جنسها ما لا يقبلون بحيث لو نسبت
ما ذكرته إليه لتلاشى في جنبه واضمحل فليت شعري أي شيء يقولون له بعد
هذا يقولون له ثم نبسط عذرها فلم قال والدته لم يقول لهم أي شيء اسمها
حتى لو بني عليه قلا يحرم به البتة لأن دار نباطة حاصل والنسبة ثابتة كما تقول العامة
في مثل ذلك لا زوال من ذا نوال قلا يشتغل عن ذلك اسم الزوج تسمي به تارة بالكنية
تارة واتخاذ غيرها تارة أخرى وحينئذ يكون قد حسن الأدب معها كما زعمه من
عد إضافة نفسه إليها باسم العبودية سوء أدب ولعل كعب بن مالك رضي الله عنه
وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا ألم يلق في تلك المرة التي هجر فيها المسلمون فلم يكلمه
ولم يسلموا عليه ولم يواجهوه من البلاء أعظم مما لقيه حين دعي إليه ذلك النبطي
الكتاب الذي كتبه إليه ملك غسان يقول فيه بلغني أن صاحبك جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فانه كليلة من غوله خطة خسف وسامة فيه أن يخرج من كتب محبوبه ويتركه
الاوآة البيد ويتجزعيره بدامنه فظهر من هذا أن ما توهمه صاحبنا من أن اضافة
الشاعر نفسه اليها بانم العبر سوء ادب هو حقيقة خفر دراءة بضلا عن أن يكون
فيه سوء ادب. وقوله ومن هو حتى يضاف اليها. هو تنقيص منكر ليل
حقير فحقرته بعزتها. واستولت عليه بعزتها. ولم تدع له عزا يبيض واعضوا
يتحرك فأي شيء يعمل هذا المسكين أيقدر على الخروج من قبضتها وداوا الرعيم
حض نماما والله لو قدر على ذلك أو توهم أن له قدرة أو اذن في شعوره عما لم تلتفت
اليه بعوده. ولم تعره كشيء موجود. بضلا عن أن تطمعه بيما الرغام من كرم
وجود. بما له ضافت اليها حاصلة سوآ فصرة له ازلم يفضه. بحقل يا أخي
دراما أخبرتني على أي حال يكون هذا الرجل قائما بعذر دراءة ب سوى ما ذكرت لك
أبرزه لي يرحمك الله وأخبرني أن ضلا لم عرفت اضافة نفسه اليها سوء ادب
ولم تعرف شكواه بها وطلبته من صاحبه أن يأخذ ثاره منها سوء ادب بين لي خلل
يا جرل الله **وما** ادعاه من الحزم لا يستقيم لانه لا يجوز حزم الحركات والحروب
وتغيير صيغ الكلام التي تفهم بسببه المعاني في نثر ولا نظم وهذه المسئلة
ومن قام بها وقعد يشبه ما تقوله العامة الجنازة جميلة والميت فيها وقد كان
خطر لي أن أذكر الكلام في هذه المسئلة حتى أرى ما الذي يتجرد عن صاحبنا
من نظر غير فالله خل هذا حتى انظر فيه وانكر شهوة الكلام في هذا حملتني
على رغم كل ما تقدم فان تجرد له نظر آخر فسأتكلم عليه ان شاء الله تعالى بما
يخلفه لي ذلك والله تعالى ولي التوفيق ولؤما أسأتم في سبافة له

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

البيت أو لم يقع منا هذا الكلام كله مع الكلام المتقدم في الكتاب الذي
قبل هذا أو الذي قبل فيقطع ها هنا أو يضع الله تعالى فيه البركة فإنكم تعلمون
علم العروض وأخستم في سياقة هذا البيت لم يقع منا شيء من ذلك فإذا عرفت هذا
لم يسعك أن تنكر على من يتوخى العلم حجاب ولئن كان المعنى في هذا الكلام يخالف
المعنى الذي سلفه من أجله وأكثر فقد أشار بعضهم إلى ترجيح من هذا إلى أمر آخر
وهو أن تعرف أن الإنسان قد يحب شيئا وليس له فيه مأرب ويكره شيئا وفيه كل المآرب
أرأيت لو أني تكلفت مؤونة السعي من هذا الموضع الذي قد وقفت الانتفاع به
من الوجه الذي كنت ذكرت لكم ومشيت إليكم الركائب بل الساعة والناس حيث
يبرح كل واحد منكم براح وعرصته وماله وخصته ويرعى منهم إلى سلع
الغريبة الفليلة المغار الضيعة ذات قفار المستعرة في أعين النظار
التي ليس فيها اشجار ولا انوار ولا ازهار كيف يقع في برد هذا الكتاب العجاب
المشتمل على لباب اللباب الذي لو اقتحمته وتكلفته في أول وهلة لم تعرف له الكثرة
الكلام الذي فيه أو ما من آخر ولا باطنا من ظاهر وما ذاك ولا لغيبتي عنكم التي
لا تجهلها أنت ولا أجهلها أنا ولو كنت عندكم لم تكن أن تسمع مني كلمة من مثل هذا
ولا أن أكتب لكم سطرا فيه فهم شيء من هذا أن لي ولكم في غيبتي عنكم وغيبتكم عني
خيرا كثيرا ولم يحبب الله لا أنا ولا أنت أما الخير الذي لي في ذلك من جهة ذات الغرض
التي لي ها هنا ومني مقضوة منالها وأما الخير الذي لكم في ذلك من جهة ما يصلكم
من مثل هذا الكتاب الذي ربما يكون فيه مرادكم ومنالكم ثم يضاف إلى هذا
سلامة خاطركم من الهم الذي يصيبكم من جهتي ومن أجلي ذلك أنكم إذا دخلتم

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

علي في تلك الطريقة ووجدتني مهموما مغموما لا أعرف بحيلة نستعفي عما
الروح ولا ينفتح لي آخر من معارفه وأصحابه بمفاتيح عن صنده فلا جزاه
الله خيرا ولا أعظم له أجرا، وأكثر هذا كله كان قبل اليوم، وأما اليوم فقد
عم البلاء واشتد الغلاء، وصار مشبع العصا، واستولى الذهاب والتلاشي
على الأشياء، فخرج بذلك كل الحر عن عقله وحسه، وصار نجيه لا يهمه إلا أمر
نفسه، نسأل الله العافية ٥

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ... ولا الدار بالدار التي كنت أعرف

فصار الخير في النائبات فإنما ... لمن أذهبت أو ما تمتاعه عنك تصرف

وتنوي بأن يحيى برتبة في الزمن ... تؤمل من فضل به يتعفف

على ملاك الغير حسن يقينه ... بمولى كريم وعن لئيم تخالف

وهذا كله مزاح مليح، ولي في ذكره ها هنا غرض صحيح، والله تعالى ولي العفو
والغفران بمنه وفضله ٥

وبعد فقد كنا قدمنا الكلام في بعض كتبنا التكلم في ذكر بعض علامات
وجود الدعوى في الفقراء من جملتها كراهية الموت، وهذا التعبير على الإطلاق لا
بد فيه من تقييد وتخصيص، لأن الخرج منه ما الخرج يقضي سائر معتمد أنه عم
متساوية بل متفاوتة الدرجات متباينة المراتب، فأردت أن نقع منا الكلام تنبيه
على هذا كله لتتم بذلك الفائدة التي تتأكد حاجتنا إليها في هذا الوقت المستنكر الذي
كثر فيه سوق الدين وعميت بصائر الناس أجمعين إلا من رحم الله تعالى **فنقول**
كراهية الموت لا يخلو من ثلاثة أوجه، فقد يكره الفقير الموت لبغضها أو لجيعها

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الرخصة والأول أن يكره العبد لما به من وجوه الآلام التي تتكرر فيه والثاني
أن يكره لما يفوته بسببه من سنا الضوء الزيد وأنس به والثالث أن يكره
لما يفوته بسببه من الأعمال الصالحة التي يترجو عليها الأجر والثواب في الدار
الآخرة **أما** الرخصة الأول بالكراهية فيه كراهية طبيعية لا يتصور
أن يرتفع عنها بشر ومثل هذا لا يزال على وجوه الرعوى في العبد ولا كن صاحبها لا
يخلوا من عباده إذا لا يزال من خلل مواماة ذلك أو قررنا بقاءه لا لأدى السيد ولا كن
يفهم مما هنا شيء وهو أن كل ما ذكره النادر في الموت من الشرائع العظيمة المجاورة
للحر وخصوصا المحاسبي في كتاب التوهم وذا سئوال والغزالي في كتاب ذكر
الموت من ذلك حيا ينبغي أن يتأمل وينظر فيه وذا شط في حصول ذا لا ولا كن حصول
ذلك المقدار الذي ذكروه لم يفهم في أن عزم فالحقا بزلة عليه لذلك يذكروا في ذلك
نصا صريحا يعتمد عليه وذا رجع النهم لحر بغير الموت بغير هم بحال الموت وهذا لن
ذلك من زمان الفاضلان في هذا وغاية مستنزهم في ذلك حكايات لا حظ لها
من الصحة وأفيمة ليست في الغاية من القوة فالنظر فيما قالوه واعتقدوه
واعتمدوه لا يزيد صاحبه الا تشويشا في حاله وتكديرا في باله فإذا ضرب
أحر الذلك في سنة سقط كل ما يبقى وتحققت الكراهية التامة للموت لا سيما
إن شاركه أو قاربه فيحاد عليه عند استشعاره بزلة من زوال العقل قبل أن يموت
وقد يبغ في سوء الظن بربه فيختم له بخاتمة السوء والعياذ بالله فالحزم
عند العبد أن يفوض عز كل ما قالوه من ذلك المعنى ويلتمس أن يحرم ما يغير به
ربه من نص صحيح أو سنن أو امارات أو علامات فيستبعد بزلة شيئا

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

من الراحة وسكون النفس وتعرز الخاطر وما يضر من ذلك شيئا فإذا أقبل
على الموت بقي في عقله وذهنه ولم تحصل له كل تلك الكراهية فإذا وقعت
معاينة وقبض الروح كان إذ ذاك أمر خار جاء من وراء فيلقى ما فوقه على
مما يوافق ما قاله أو يخالفه والحاصل من هذا أن يحرص على أن يكون له من
هذا ما أمكنه وأبو نعيم له في معرفته والله يرحمه وبالله التوفيق وأعجب من
الشيخ الغزالي في كتاب ذكر الموت فإنه أطنب في ذلك كل الإطناب وأبدا
فيه وأعاد أعني في ذكر حال الموت ومنتهى شدته وشاهد في معرض
أن يستعين منه الناظر فيه بما يزيده مزاولة في طاعته أو فتروع عن مخالفته
حتى ذكر في جملة ذلك حال النبي صلى الله عليه وسلم في النزع وكذلك
أحوال الخلفاء الراشدين وأطنب فأبدى ما معناه فإذا كان هذا حالهم على
ما لهم فيه من الكرامة والخصوصية فكيف يكون حالنا ونحن أذنب كيف يصح هذا
إذا من دخل الشيء وذلك بما قصره من ذلك الناس الخير وإن كانت طاعتهم
تغيب عنهم ذلك أحيانا وتخبص عليهم تلك الشدائد العظام وذلك غير حامل
بل ليل ما ذكره مما نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة النزع مع أن
أحدا لا ينكر أن يقوله في طاعة وأقوى بل لا يزيد الناظر في ذلك كربة
على كربة وغمة على غمة وإنما نفع الفائدة من ذكر الموت لم يذكره من حيث أنه
بهجا بغتة وأنه متوقع في كل نفس بل إذا نزل به لم يجز بعدا للعمل فيتمنى الرجوع
حيث لا ينفعه التمني وأما ذكر حال الموت وشدته وكربه فلا مدخل له في ذلك
البتة بما يظهر بل العامة وقمع الناس الذين لم يخلص لهم من ذلك البتة حصلوا على

مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

رأي سمع يده ولا لرجل بعض أعضائهم في معارك الحرب ومواطن الطعن والضرب
أهون من بعض ثيابه بخلاف من عضو منه فلم يزل واستشعاره فإنه يفزع
من خياله إذا نزل به ما ناطحا فقد له يد فلا تسل عن حاله وهذا كلام جر اليه
كتابة بصره من النظر في هذا الوجه وأنا فيه كالسائل المستشير وإن كنت
في جميع ما تكلمت فيه كذلك فالمراد منكم أن تعرضوه على قواعد أمكنكم من
يشار اليه بعلم أو علم حتى تنظروا هل لو اقف عليه أو يخالف وأخبروني بما
يكون من قوله **وأما** الوجه الثاني ولو كانت الكراهية فيه كراهية طبيعية
أيضا دل على ذلك أمران أحدهما مذموم منه الله على وجود الزهري في الصبر أو حبه البقاء
في الدنيا على هذا الوجه إنما هو ليحصل له متعة جسمه والتلذذ بماله وولده
مدة قريبة ولو ألف سنة مثلا كما هو شأن اليهود وكل شيء يقضي ويصير
فانيا فيه بل ربما كان عدمه خيرا من وجوده لأنه إذا لم ينفع الله بالدنيا
واستيناسه بما يحصل له مما ذكرناه من كراهية الموت وبغرر توقعه
في قوله تشتد كراهيته له فإذا نزل به الموت كان حاله إذا حل من بنيته
بالمناطحة أو يقرض بالمقاريض لا سيما إن كان له مال عريض وأزواج ملاح يستنكح
أن يخلفهن بعده أعداء له ثم إنه في كل يقين يبقى به في الدنيا يصح
أن يتعذر عليه بعض ما يريده وأشرب به وعسى تعذر عليه بلغني من البلاء ما فل منه
وماكم وتركه في راحة من قوله كما قال ابن عطاء الله ما يفرح به يفل ما تحزن
عليه ويفرحه للدنيا يتحقق في وجود الزهري وهذه الزهري وإن عظمت
في اعتبار ما إذا تحقق صاحبها أنه في حالة تدل على غير شيء وتحقق هذا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

التعنو منه على ظاهره أما من استحياء وخجل أو اتقاء وعمل بشرط أن يكون
هذا التغفر والظهور منه مراعاة لحق الله تعالى لا ليستجلب به حظا ولا يرى من بعيه
بغلا وذا فيكون قد برز من عنوى الى ما هو أعظم منها **وأما** الوجه الثالث
فالكراهية فيه وان كانت عن عامة النادر من الغربات فهي علامة على الزعوى
العريضة من العنزوة في مثل هذا بفال حسنات الابرار سيئات المقربين أنه لو بقي
عمر نوح يضرب بحجمته ويغسل من أعمال البر جوزا حافة فما ذرة من رضا عن
ربه بما يفعل به أفضل من جميع ما تحاوله بل لا نسبة بينه وبين ذلك وادرى
هل يتصور في هذا الوجه أن يصدر عنه ما ينبي به وجود الزعوى كما تصور
من الشخص الذي قرمناه كذا أم لا والظاهر أنه لا يتصور وغاية ذاك
أن يكون الخزه لزلة تغليرا بحيث لا تكون له فيه لحمانية قلب ولا انشراح صدر
ومثل هذا لا يضر في براءته من الزعوى **وأما** ما ذكرتم من أنكم حين قرأتم
على ظلان تلك الكتاب الذي فيه الكلام على التفضيل بين الأنبياء عليهم السلام
مرة ثانية برغم التبغة فيه قال لكم كيف يقول ظلان ولعلها لا تسميه بذلك وانما تسميه
عمرو هاومنازعها وما أشبه هذا مما تسمي به كل مدع مغرور مع أنها
قد سمعته عبر هاتي البنت التي ذكرتموها من أعجب ما رأيته في كتابكم هذا وفيم
بلغ في التعجب كل مبلغ وقلت كيف يشكل هذا مع أن الواضح على ذلك من البلاد
العقلا ظلان وظلان وظلان حتى ذهبوا في ذلك وفتاصاحا ورضوا في زوال
ذا شكال الذي عرض لكم بما رأوه من كلام ظلان الظاهر أو اضحا فبينما أنا انتظر
منكم أن تتكلموا من ذلك المسئلة على ما أخبرتني فيما من شيء تحاربه ذا فهان

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وتصير فيه العينان إذا بكم فد جاوزتم ذلك ووقفتم مع شيء بلغ الغاية في
الظهور والبيان والله المستعان وإنما جاءكم ذا اشكال في الكلام الذي
ذكرته والله تعالى أعلم فإن كنتم قلتم أن قوله في البيت ما تزعني ذا يا عبر مثاله
من المحب عن محبوبته أنما إنما تقول له يا عبر قناء به بذلك وشبيه به فقد سمته
عبرها فكان ذلك من أشد أسمائه عبرها وليس ذلك بصحيح إذ لو كان صحيحا
لم يقل ما تزعني وإنما يقول ما تزعيني لأن هذه الصيغة يكون ذا إخبار عن
المؤنث كما تقول هند لا تبغضيني وعمرا تهجرينني قال الله تعالى فاذكروني
أذكركم وحينئذ لا يتزن البيت المذكور بل لا يكون له معنى تنتج به الضرورة
ولو جعلتم البيت الذي قبله لعلمت أكم الشمس ولم يبق عليكم في الكلام اشكال
ذا البتة وهو قوله ذا يا عمر وقتا يا عبر هرا يعرفه الحاضر والنائي ذا
ما تزعني ذا يا عبرها البيت فقوله ما تزعني ذا يا عبرها صيغة تصلح لمخاطبة
عمر المذكور فتقول له يا عمر ما تزعني ذا يا عبرها فإنه أتى بأسماء عبر وما
أخرجه ما الذي هو عبرها فأين ما ذكرتم من تسميتها إياه عبرها في ذلك الكلام
حتى احتجتم إلى ما تجيبوا به عنكم ذا اشكال وذا يمام وأجل وضح هذا أمر
أذكرتنيه ربنا عبر فهم هذا الكلام حتى لا أدري أصاب فيه الغرض أولم أفهم
شيئا مما اعترض به على المعترض فطالعوه بذلك وأخبروني بما هنالك وما
ذكرتموه من الكلام صحيح المعنى من وجه لو احتيج إليه وإنما قلت من وجه لأنه ليس
في كل حال من أحوال المحب ينبغي له ذا ابتلاء وذا اختبار بل له مواطن كثيرة ذا يستفيض
فيها ابتلاء وذا اختبار منها هذا الموطن الذي قرعتموه من أنها سمته فيه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

غيرها وناءة تنبزل وغلل حجرها وذا اختبارها في عاية الصبر ولما اخبرت عنه
بالعبودية حتى علمت منه تخفف بي غلل بالكلية ومن مقتضى تخفف به ان لا
يكثر لتحفظ ولا هوى ولا يقبض عليه عرق بعرقوبه ولا اغوى ولو تمثلت منه
والحية من هزالة تشبه بزلل دائم البتة بل لو كان سالما من هزه ذابات كلما كان من
حفها ان تتيه عليه ولا ترع شيا من المفاخر ولا تنصبه البه ولا ترى من حسن نظرها
اذا طهر بها ولا ان تتبرقع بتبرج به ولا تظهر شيا من محاسنها لرئيه لكن
مقتضى الكرم المالوف منها ان لا تفعل غلل مع من فيه بقية من خطر لنفسه فكيف
بمن لم تبن فيه بقية من غلل فاذا رأت غلل تفعل معه شيا من غلل مع وجود تلك البقية
علم من غلل انما اثرت فضاحته وتعطيبه عورته والعاقل بعز ايضا ان يعتبر
ايضا فيما تعامله به من معاملة حسنة ابتلاء واختبارا بل ربما يكون بعذر الاعتفاء
والرؤية سببا وادب منحطا الى اسفل سافلين من اعلى الرتب ولي فيه ذلك
او مغفرة حتى يفع منه ابتلاء واختبارا وبكل ما ذكرته وان لم يغفر احر
من اهل عصرنا ان يتوصل الى ان يستنبطه او يفتح عن مثله فيما يظهر اذ لو فرض على
غلل لكان اول الناس به ذا الرجل الذي ازدرى ضياءه ولم يجعل مطعنا فيه
فخلوا من قصور اذا حكمتم بالمحقق الذي حصل في يدك وتعرف به كتبك
يا فلان وجرته زايفا ابتحق لما فيه واعن كان بالنقوح عارفا

وقد بلغنا منكم في خبر دام ايام كتابكم اتنا بغير ان كنتم متشوفون
الى ان يرد عليكم ما يسيء في باقي النسخة ولم نرد به مما ذكرتم وتحمة من
ثلاثة اوجه احدها وهو اعظمها ان ايام اركم تشمتم راحة مما انا

أحلس فيه وآخر وزاجي معكم بجايز بعد هذا كله في الخاتمة والثاني
كونكم كتمتم عني ما كانت تضمنته تلك المنظومة بعد أن ذكرتم الشخص
الذي قصرتموه بها ولو لم تذكروه لي لما علمتم بذلك والثالث وهو أجمعها
كونكم لم تستوعبوا ذكر أخبار بالجزيئات التي تعلمون أني متشوف إليها
بعد الوجوه الثلاثة ستة تنيف منكم وافوة دما بالله ولو سكتها هنا ولم
أر عليه حرجا لما قابل بسكوتي هاورد علي منكم مما أوجب لغتمامي لكان لي فيه
صوابا ولا الخاف عليه عتابا ولا عقابا لكن لا افعل ذلك قبل أن أكلمكم على تلك
الوجوه وغيرها بكلام ينفعكم ولا أدري هل يضرني لم أر ذلك فأقول أما
الوجه الأول وهو كونكم لم تستوفوا ذكر جميع ما ذكرت لكم فقد تقدم لي في مواضع
من كتابكم ومن جملتها سؤالكم عن المضمار الذي ذكرتم أنكم قادرتم أن تدخلوا فيه
أي شيء هو ولو كنتم أحطتم علما بالغاية مختصرة ومطولة تضمنتها كتبي
اليكم لم يشكل عليكم شيء ولا أدري فرق بين تلك العبارات وبين العبارات التي بها
أعلم بما في بياض ما أحلتم منه بيانه وكما استعجمت تلك على تستعجم هذه
بالوجه الذي استعجمت تلك ولا أدري فائدة لتكرار العبارات مع نبو فهمكم عنها
وما مثال ذلك مثال من أراد أن يلصق لحيتا في حائط يابس ولا شك أن الكثير ينبوا
عنه ولا يقبله فإن اتفق أن يلتصق به شيء قليل لم تكن فيه عارة يستعين بها على
الحائط وقد تقدم مني إخباركم أني عزمت على أن لا أخاطبكم في شيء من تلك
المعنى بعلامة في أخر شيء لي في الكتاب أول الذي تصير الموضع الذي يشكل
عليكم والغلط يرجع من التيسير ومن المواضع التي فهمت فيها أفلاسكم عما ذكرت

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

لكم فولكم ذا أبي الغالب علي أصابني فتور فلما انطوت الخالي انقبضت
أجل ما فترت من النور فلما أضربت عن ذا صفحا ونقرت الرنع المولع
فرأى أعمى عما الجر من السرور فانا بين هاتين الحالتين رهين وبسبب غلبة
الحالة الاولى علي حزين وهذه العبارات وان كانت صحيحة معناها عني
من ثم شيا من علم الحقيقة من ورائه ومنكره ولو كنتم بعضتم للرجل الذي بيما
وعوتموه كما فعوتم تلك السطر التي اعترتم عن فحوها الكاتب لاعلمكم أحو
وبكم البين وما قضمته كتابكم مما يكاد أن يخرج به قلب الانسان بعد
أن كنت نهيتكم عن مثله بيما خلا من الزمان فولكم عسى تبين لي هذا كله وأجبكم
ما عنه لتنظروا فيه وأرجع عن جميع القاسرة وأي شيء منعكم أن تذكروا
ما عنكم ليقع الكلام على ذلك وغيره ان وقع في كره والحرة والاحتاج الى تكثير
الكلام وتطويله في امر وقع الفحص عن كنهه او المسئلة التي قلت لكم فيها
أخاف ان تفهمها على غير وجهها مع ما تضمنه كتابي قلت الذي قلت انكم عزمتم
على قراءته وازميه **وأما** الوجه الثاني وهو أنكم كتمتم عني ما تضمنه
تلك السطر قلا أدري ما الذي حملكم على ذلك ان قلت حملني على ذلك ما عساه
يكون بيما من التكلم في الغيم بالقبيح قلاي شيء تهتمون على المنصوح بذلك
الكلام ومعلوم أنكم وتعتم بذلك بيما منه فرزتم مع أنكم ما الزمتم علي بذلك ذا حيرة
وتغرق خاطري الذي لاحمله على محامل كثيرة فرتضح وقد ايضح لا سيما وانا منشرح
معه فنفع من سوء الظن به أو يدنا تخصيص وان قلتم اني أخاف أن يبلغه ذلك
عني فانتصروا من قبله قانتم لا تخلون من سوء الظن به في أن أعرف غيركم عنكم بما

مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

تأخرون في فيه على وجه يلحقكم به ضرر ولن فلتم أني بعد كتبه لحضوري أني
فيه مبطل قولا أي شيء تذكروا هذا حتى يفي عنه يرى الساحة مما سبقوا
إليه بين يدي الكلام المحمود إن فلتم خلاف ذلك قبلا أعذر ما هو ولعل فيه
تكون براءة لكم من المطالبة وأنا لا أعلم ثم اعلم أنه بما بعثته من هذا الضرب
بنفيط هذا ربما يكون في ذلك الكلام المحمود مما ربما يكون في التكلم عليه فائدة
أني لا أتحمل عليه مثل هذا إذا وجدت إليه من خلا ولو على بعد كما البعثة من غير مرة
فيزجر من بعض الطائرة بما وعلته من ذلك فإن فلت ترى المحمود يقع إليه في كتبه
كثيرا قبلا أي شيء لم تنكر إليه على نفيط كما أنكرته علي قلت أنا وأما وقوع
في ذلك قبلا يقع في مواضع يقع فيه خلل وبساط من جهة الترتيب وجعل
الأمور المتناسبة بعضها مع بعض فقد يكون الشيء لا يقتضي التأخير فأنزله
أي يقتضي التقديم فأوخره وكذلك يقع في موضع يكون فيه خلل وبساط من
طريق العلم أعني أن لا يكون موافقا للحق فأخلط من بعض أن تقضي بعض الزاد متأخرة
من قبل تابع له أو أخره فإذا وقع في ذلك المحمود استحق من تابعته ذلك كما
بعلته في مواضع من ذلك التنبيه ولذلك أوجد أن كل كلام صدر مني يكون ممحوا
أني في جميعه لم أقصد بشيء التخفيف أنت ثم أني أراك كما يلعب الدنيا
بعلي لو رأوا وإذا كنت أنت لم تنتفع بذلك فكيف أرجو المنفعة به لغيرك وإذا
لم تحصل المنفعة كانت المضرة ضربة لازب وليتما كانت السلامة لا مضرة ولا
منفعة فكيف لا أحب أن يكون ذلك كله ممحوا وأكون هو عن تأثيره ومنزجا
إذا انقرب به الفضاء وسارت به الركبان وأي شيء يبقى في الوجود إذا جعل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فلان بسبب فلان الدار ذات الوفوف مع عاد وثمود كان الخوف كل الخوف أن
يجعل فلان بينه وبينه حائلا بين أما أن يقول يا ليتني لم أره ولم أعرفه
فقد وأما أن يقول لحمامة سوط وكاشط أن الخالدة ولن تضمنت من الشرامة
ما يزداد بما كرهته على كربته وغمه على غمه مع ما بينهما من مناقضة
وأحكام
والحالة الثانية تخالفها مع ما بينهما من استسلام وإنما كان يقول الخلل العظيم
في الوجوه إذا انتوسي الغموض وعمل عز الرحمن الوعود سوا انضم الخلل عضيان
أو لم ينضم فاختر لنفسك يا أخي شيئا من مخايل الرجاء اختياره وكان وسيلة لك إليه
وما دمت تتحير وتتوسل فأنت بعين ومتى استكنت من بغرور هذا فأنت بعين
وكان فرق بين خلل ينطوي وبين خلل الزرع عمل الله الصرح ليتبلغ فاستجاب أو الذي صنع
الثابوت وجعل نفسه فيه واحتال به كيف شاء في الفرق ليس من رب السماء بالنشاب
انما أول من عقر وثاني ثمود كان عجاوة هذين حفرت الحامة والجمهور
والعجاوة التي أنت عليها بتفرق كونك على تلك الحال كما يتبقى لعاد الحوامل الزين
شأنهم أن يرموا بالحجارة والصخور فافهم لك كله لم تكن فيما فيه تخليص جميع ما
اشكل عليك فما كنت تحامت الكلام فيه وفر ساقه الله تعالى اليك على يدي أحسن
سياقه كان مع كونه زين بالشافة فاقطعه فلن استلحقته فعلقه في وسط
البيت ولن استفحته فلا تعلقه وأحسبه كالبيت وإذا فيه تحت تراب الخزي
والتخليط وأقرع عليه المجرة والبيت ليكون ذا لكم سواء على سواء ويقع
لنا ولكم التخلص من تباعة تلك في المآل والمعاد والله تعالى ولي السراء والرخاء
انه الكريم الجواد **وأما** المسئلة التي بينكم وبين فلان فقد أكرمني حالكم

جوفه

مؤسسة الملك محمد الخامس - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فيها وزايت انكم اخطاتم فيها من قبل انكم لم تعاملوا الزمان واهله بما يليق به
وما احق انكم تفعلوا وخاله بل وقع منكم ما لم تكن لكم الية حاجة من الكلام للخشن لعلاز
ولن كان ذلك الكلام عض الجوز واكل الحنوز في هذا الزمان فحماقات وغفوز وخرز
على فمه فليت شعري ما الذي كان يضركم لو تركتم ذلك لغراب الذي هو شانكم وخالهتم
فلانا بليز وشكوز وحشز محاولة ولو اذى لم مثلا ان تتعرموا اله وتحسبوا الله
نعله وعوض ما قلتم له انا بالله وبالشرع كان تقولوا له انا بالله وبطلاز أو
تحزف قوله بالله وتقتصر على ولاز بغير ان تكوز عفيز نظ سالمة وقلب مستقيم
مع ربط **فان قلت** لم افعلته ما انكرت به علي اجابة الله الدين
وعبرت في وجه التوحيد والتيقين **فاقول** وكانك لما فعلته خلاف
مت بزلة الخوه بهمات بهمات بل الحق اليوم ما يقوم به دين مامات بفسه ولم
يبال على اي حالة يكوز واما من هو مثلي ومثلكم مشروب في شهواته وعاداته
غريق في سيء حالاته قبل يسعه في التوصل الى حفظ الذي وجب له بالشرع
من المراءاة التي تشبه المداهنة او المداهنة المحضة وهو ولم يعز بزلة اكثر
ارتكاب اخف الضررين ووقوع في اهون الشرين كما قيل

كما ينبغي بعض الشر اهون من بعض

فلا نظ اليوم لم يحصل الا من حفظ شيء تستتر به وجمعظ بين الناس وتحصل له
بسببه منهم دراهم ياس كما يعرض بكل ظهر في علم وتعلمظ به الارض جميل
وكارضى بالقليل بل تتسخط وتتشوف وتيول على بكل الدراهم التي جمعظ
والسؤال والتملق لمن كان يوما الظ بجمعظ دراهما فاخبرني اي الخالتين اولى بالقبول

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

خل فلان أو قول بلسان حاله كما قال بعضهم ما لي وللدار مذ أقوت ربوعها
من ناس كثير اختلفت أخوالهم وتفرقت أموالهم وإني لأرى أن هذا وأمثاله الذي
يخوفون للظلمة وأشباههم يهون لهم الفوائح ويتصورون لهم في المهمات
على بصيرة إذا سلموا من مظالم العباد وتباعاتهم وسلمت عنهم من أن يحدثوهم
لما هم عليه من الغرور والظلم أنه لا يستقيم لهم حال ولا يطيب لهم عيش ولا يذل لهم
وقد روي يأتي على الناس زمان لا يطيب فيه عيش مؤمن ولا باستاه ولا منافق
والظاهر أن هذا الزمان قد أتى منذ أزمنة كثيرة فما الحيلة بهذا الوقت المرة والذي
ابتلينا به وكيف لا يسعنا فيه أمثال هذه وأشباه اليوم إذا احتاج الرجل إلى
بعض هيئة لا إلى الناس كبر وتغير وتسور وتجر وهل هو مما يجعله من هذه الأمة وبينه
بعضهم بعضا فأن يذهب بالكلية وقد رأيت في كتاب الخافقين لأبي نعيم عن
حذيفة بن اليمان ما يوهن بعضا ويشير إليه وكان هذا صدر منه في زمانه الصالح
مع القوم الصالحين وهو ما استره إلى النزال بن سبرة قال كنا مع حذيفة
في البيت فقال لعثمان يا أبا عبد الله ما هذا الذي بلغني عنك قال ما قلت فقال عمار
فقال عثمان إنك أضرفهم وأبرمهم فلما خرج قلنا يا أبا عبد الله ألم تقل ما قلت
قال بلى ولكن أشتري ديني بعض فخافة أن يذهب كله انتهى وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى لمن صلح
الله عليه وسلم بغربة الدين التي بدأ بها أبا حسن لمن تعود ذا غابة والصبر إذا كان قلبه
مطمئنا بالإيمان أن يتكلم بكلمة بها يكفر وغربة الدين التي عاد إليها تبيح لمن
تعود مثل هذا أن يأتي بعض المفروض وأن ينهى عن بعض المنكر كما أتته

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الحريقة رضي الله عنه أيضا في كتاب الخلافة المذكور ليأتين عليكم زمان خير فيه من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر وإنما يكون خيرهم والله تعالى أعلم إذا بعثه على ذلك بما بعث البريز الذي يوجب له ما ذكرت من ترجيح أخف الضررين على ذا خير وأما أن يستمر ميل مع هواه ويتساهل في ذلك عنه وتفاه فلم يفعله خير به إما أن يختار لهذا المقام من يقوم بالسيف والفرع ويفعل كما فعله أولئك الذين كانوا يعزلون بأنواع العذاب كبلال وعمار وخباب وغيرهم ممن لم يزل الوفاء كما فعله ابن مسعود وأبو ذر وعمر بن مظعون وغيرهم رضوان الله على جميعهم نعم ولكن يعسر أن يستقيم ذلك اليوم كما تقدم لما حملهم على ذلك من إيمان الجزيرة الذي يزداد في كل ساعة وينمو قوة وروحا بمشاهدة أنوار النبوة وقوة إيمانهم هي التي قررهم على مكابدة الشدائد ومقاتلة الوالد والولد ولم تعتقد منهم في ذلك شدة ولا ريبة وأما إذا كان خير بلي البريز وضعف الإيمان واليقين بالله تعالى يلعب من تعاطى هذه الأعمال ولعله إذا حاسب نفسه لم يجد ما صاد فيه ذلك وكان ما تعاطاه من ذلك مذخورا مغلورا وقد خاف من مثل هذا أبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنه على حال قوته وعلو مرتبته قال أبو سليمان تبعت أبا جعفر بنكي في خطبته قال فأشعلني الغضب وحضرني بيدي أن أقوم إليه فأكلمه بما سمعت من كلامه وبما أعرفه من فعله إذا خلا قال ثم تفكرت فقلت أنا أريد أن أقوم إلى الخليفة فأعظه والله من جلوسي غير مفوض بأبصارهم غيري على التزين وبما مر بي يفتنني فأقف على غير صحيح قال فجلست فسكت ثم إن هذا الذي يتعاطى ذلك إذا تعطل للذي خلق الذي فيه وجعله لذلك وهيأه وجبله

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

لا يجد لعنصر بالاولى اليوم فامثالنا ان يرخط كل واحد منهم راسه ويعرف
زمانه وناسه ويعامله معاملة توجب السلامة منهم والانفصال على خير
عنهم لان الحال اليوم كما قالت المراة مرايه ما غلب غزلي لطمت حمرواستفع الله
ولا حول ولا قوة الا بالله واما انتم ايها الاخ على قولك باشتغالك بقراءة كتاب مسلم وشرحه
بسراج افرنبي عجب لان اشتغال جميع المسلمين صلى الله عليه وسلم بركة وعافية
محمودة بالغة تشكرون عليه من ذلك وانا اتمم شكركم عليه لو تشاغل بقراءة المدونة
وما شبهها من الكتب الغريبة لانه اذا تشاغل بقراءة ذلك جميع الوقت
المحمود لم يستفد بذلك فائدة تفيد لان ما يحتاج اليه من ذلك لانه عنده حاضر وزيادة
وجواهره بما لا يحتاج اليه يضطر له وقتا ما فيصير من كل نفيس غالي الحديث
فانه مظنة الجواهر التي هو محتاج اليها وقصص غير صالحة لانه كلام من لا يبطش عن
الهوى ويفتر ما يزداد العين فيه نظرا واعتبارا فيحصل له جواهر لا يراها سواه الا فطن
كما ان حلوا الفيل كل زوائده من غنة زادت حلاوة وقولكم ان الرجل عنده تسليم
وليس بطريقة فجيبة نظر اما ان عنده فصل واما الايلي طريقة بل يقع فلغا بل ان يقع
ذلك على ما يظهر من الامر لان لذلك علامات تدرك على ظاهر الانسان لم يطلع على
ظاهره من ذلك شيء فوجود التسليم بيقين التسليم والايلي ان التسليم يتصور
مع بقاء الاحتمال بخلاف الطريقة لان الفصل انما روى انه كصفة التسليم
ليسلم من العثور الذي يقع له بتغير الصفة فصفة يقول ان كانت لم يقع
صحيحة فقد سلمت بتسليمه وقعت بالسلامة وان لم تكن لم يقع صحيحة
فلا يحتاج تسليمه شيئا للفصل ادخل معهم فامر الايلي فلا يتصور معه بقاء احتمال
اصلا وذلك لا يمكنه ان يقع منه لانا يقتضيه ايمانه بصحابة محمد

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الدخول فيها والملازمة لها والاعراض بالكلية والنفور عن كل ما يخالفه ويباينها
واتطلب السبيل اليها عن كل ما دنا ودبج اذ لم يجعل الله تعالى لرجل من
قلبين في جوفه وانما قلنا ذلك لان الايمان دامي مزاجي تام بما يقتضيه
وزاجر عن كل ما لا يقتضيه فان ادعى احد الايمان ولم يأتمر للاوامر ولم
ينزجر عن زواجره فهو كاذب في دعواه وقد نهى الله تعالى اخواننا ان يسموا
الاباء ولم يجعلوا بعضهم اولياء بقوله تعالى قل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
مومنين وعلى هذا يقع من قال الايمان يطرأ على هذا والولاية لا تطرأ على
يقع غير داخل معهم لاحالة وبان يشذ ويكون داخلا معهم بان يكون
حريصا على العمل مشفقا جميع مقتضيات الايمان راغبا راهبا لا يجري
وكلما فرط في شيء اوسع في عمله او خاف بانه خلاف ذلك لم يكن داخلا معهم
بل كان منهم ابعد من كل بعيد فيستحق الولاية لم ان يقع وانما السبيل
لهم فلا حظ لهم في مقام الولاية لانه بتسليمه لهم لم يراع الامر فيه اعني ان يقطع
له السلامة من الخطر الذي يتعرض له الغادي والمتروك وسوكما تقوله العامة
جالس على الربوة راس جاه جعل الشيطان والنور واضع في جهنم مثلا فان تعصم
الخلق سواء شاء ذلك الله تعالى او لم يشأ معهم وان اقيموا مقام الشجاعة
في المزينين ويحرموا السبيل الى ذلك باذن بدوام التسليم لهم وترك الاعتراض عليهم
يتصور منهم ان يكونوا من اهل النار اذ لو تصور ذلك منهم لم يكن موصنا بل يقع
وهذا الكلام غير لائق بما نحن فيه وقد نبهنا على الاسباب التي تقتضي في التسوية بين التسليم
والايمان بل يقع واما التشكيك على جلال جلي افصح ولا هو فيه ذلك وليس لي
منه سماع في ذلك والله يسدد بنا واياه الى ارشد المسالك وفوق كل ذي

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ام تتوفه ان اعترض على كل من امكنني ممن يشار اليه بعلم او علم ومن هذه صفته
لا اعرفه اليوم ومن هو عند الناس بهذه السمة يشير بذلك هو عندي على العكس مما
هو عند من شاء انظر في متن على فواتحه على جلال وجلال وجلال اعطاه الله ذلك افيه
انظر لا يفعل افعل لكم اعرض عليه من هو عندكم من اهل العلم والعلم وانما قلنا لكم
ممن يشار اليه بعلم او علم لان المسئلة مسئلة يشترك فيها جميع العقلاء اذ الله
عندهم فقيه في انظر ومعرفة بالترتيب والاثر مثل جلال وجلال وجلال ولاهل
الطب مدخل فيها كجلال وغيره مع انهم يعبرون بالامام والمزاج الطبيعية
اعني اسباب ذلك وبأي شيء تقوى وبأي شيء تضعف ومسئلتكم ذلك وبين
مسئلة هو فيه ولو كانت مسئلة هو فيه لم يكن يعرض على احد منا ان يجد لان
لان الرياسة التي التمستم في ايسر سبب متداولة علوم هذه الطريقة لا تر
خص وسؤال الناس عما فيها على سبيل الاستشارة وتطلب الصواب والسداد
لا يتعذر ان عند في ذلك ما ليس عند غيره في الحين فيه في الوقت مع ذلك
هذه المسئلة على سبيل اولئك القوم الذين ذكرت لا فايدة فيه اذ لا تزيح
عنه موقفه ولا تعنيه ولا تجد ولا تبرد واما ما قاله لكم ذلك الرجل حين قرأتم
عليه قوله هو شخص مسكين دليل حقير بعد قوله وهو حتى يظاف
البصاصين قال لكم واني المسكنة وهو عندي نعيم قبولا وجود الدعوى
ما عندي نعيم حتى يكون هي تسميه قبايات فيما يشير وان كان
كلامه في ذلك مجملا وهو من احسن ما قاله في تلك المسئلة من
الرشد في ذلك فيما الان وانما قلنا انه لم يات بشيء لانه حين
لم يسم نعيما وبقي مشكلا الما تسميه به مجوبته وتركب اعلم

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الدعوى لان الاضافة الى غاية الشيء لا تثبت نفسه واثبت
لنفسه اهلية ان تسميه ومن اين له ذلك ولعله لا يكون عنها
شيئا موجودا فضلا عن ان تسميه وهذه الدعوى من جملة الدعاوى
التي لا تليق بمقتضى الحال لما تضمنته من وجود اللابية التي تناقض
حقائق الوجود انية واما الدعوى التي تلي هذه وتسمية نفسه
بمستحق جزاء الامر فذلك فليه لم يخرج عنه هو معترف
عليه وسواء سمى نفسه عبدا او مولى او ملكيا او سلطانا وكل
ما كان على هذه الحالة لاعبرة به انه من جملة تحت ما انتم به نفسه
بمنزلة افعاله ونشيء بدوحي كتبه وسكونه وجميع ذلك لهو
ولعب لا تاثير له في الحقيقة وانما العبرة بالحالة التي يكون
عليها باعتبار الحقيقة ليس غير ربك ليل ولا نصار ومن الدلائل
الذي سمع من يقول اللهم ارنا الاشياء كما تراها فقال له لا تقل ذلك
ولكن قل اللهم ارنا الاشياء كما ارتبط الاشياء فاجمع هذا الكلام فقد
فطنت فيه ان الكلام اذا لم يكن من النمط الذي يتضمن فيه الايجاب والانفصال
فاقنع منه بهذا القدر والسلام ولا يعترض على ما ذكرناه بمسئلة
الغلام الذي سئل مولاه ما اسمك فقال ما سميتني فقد اثبت لنفسه
اهلية ان يسميه مع ان هذا عندهم من الطراز العالي لانه لما اثبت لمولاه
وسالة اثبت له وجودا عرف منه الغلام اهلية ان يسميه مولاه ولم يكن ذلك من
الدعوى في شيء والله تعالى اعلم وهذا ايضا كلام حسن ونضع عن ذلك السالة
فاضيعوا الى باقي الكلام الذي تكلمت به بيك ولعله يقطع هاهنا بسبب غيبة ذلك الرجل

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وتفسير رجوعه من السبع الآية وما الذي ينفع له فيها فلنأت بها هنا فإن وقع له شيء فذكر أن يتكلم عليه والله تعالى أعلم ۞

وبعد فقد كنت وعدتك قبل هذا الكتاب بما ذكرت فيه أمورا غرابا منها أني قلت فيه من التكلف كذا ومن التعمق كذا أشياء لم يوم بها إنسان بالنقل فيها ولم تجعل من علمه وبحري عليه أحوال القيامة والحشر والنشر والجنة والنار من خص بها من جزء يأتي على كل الكيفية يعتقدها ويعتمدها فهو متعمق ومتكلف كما قلناه في الصفات وإنما قلنا يسلم أيمنا رضي الله عنهم ما قالوه في الميزان من أنه ذو كفتين ولسان وأنه يوزن فيه فنعمل على جملة ذلك وكيف يحل من زام أن يلغز بين أشياء هنالك فهم بها التناقض والتعارض فإذا حاجة به إلى شيء من ذلك ومن الخبر وما سمعته من هذا الجنس الخطاب الذي وقع بينهم هل الحوض بعد جواز الصراط أو قبله وأنهم صححوا أنه بعد جواز الصراط حتى حمل ذلك بعض محبيهم على أن يبني على هذا في عقيدة رسمها ووضعها وبنى مثل هذا كله بادر أستاذ فتعلم وصحة العقيدة كما تتوقف على تعيين شيء من ذلك بل المطلوب من الخبر أن يتعلم علم حقائق ذلك كله إلى العلام الخبير وأن يعتقد في هذه وأشباهها كلها ما قام الذي هي عليه عند ربه في علم غيبه **و** مما يجري هذا المجرى آيات وأحاديث متعارضة في الظاهر مما لا يتعلق بها عمل فالحاجة بأحد الرأي أن يتطلب الجمع بينها أو يتبينه فيها بفكره وعقله وكذلك آيات وأحاديث المتشابهة التي لا يجوز اعتقاد ظواهرها فالحاجة بأحد الرأي أن يتكلف أن يعبر لها وجها تحمل عليه بل يجب عليه أن يتسلم فيها ما سلكه السلف الصالح من أمرها

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

كما جاء أن قال مالك رحمه الله إنما أفسد على الناس تأويل ما لا يعلمون وكان القاسم
بن محمد يقول يا أهل العراق إنا والله ما نعلم كل الذي تسألونا عنه ولأن يعيش أحدكم
جاهلا إلا أنه يعلم ما افترض الله عليه خير له من أن يقول على الله ما لا يعلم
التكلف والتعمق أن يسأل العبد عن معاني الألفاظ من القرآن لا يتعلق بها عمل ولقد
سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما أظن عن قوله تعالى وأبا فقال هذا هو
التكلف هذا أمر الله لغط فإنه يستوي في معرض تعديد النعم والمنة
بشكرها والمناسب لهذا أن يكون عند العبد علم يحققه من جميع ذلك لا باطل
ليحصل منه الشكر على نعم مفردة بأعيانها عنده ومع هذا عن عمر رضي الله عنه
فقلب ذلك واستعاذ من التكلف الذي نهي عنه وقال ابن عباس رضي
الله عنه مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن
آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له وفي رواية أخرى كنت أريد أن أسأل
عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبثت سنة
ما أجد له موضعا وفي أخرى لم أزل حريصا أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عز وجل إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما حتى
حج عمر وحججت معه فلما كنا ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة فتبرز
ثم أتاني فسكبت على يديه فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله لهما إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما
فقال عمر واعجبا لك يا ابن عباس قال الزهري راوي الحديث كره والله ما سأله
عنه ولم يكتمه قال هي حفصة وعائشة ثم أخذ يسوق الحديث ولو كان سؤاله

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

عن هذا هل يا مسلم يجب أن يسئل ولم يوجد سؤال الثاني ولم ينكر عمر
سؤاله عن ذلك لحسبما ذكره هذا الراوي وقال ابن عباس هذا السؤال
نوعا من الفضول وكان حريصا على أن يعرف علم مثل هذا كان يتميز بعلم
رضي الله عنه من أوقات التي يكون فيها منتظر خالية النفس فيه قابلية للجواب
عن مثل هذا فيجعله من جملة أمور المباحة في ذلك الوقت من غير أن يعتقد أن
أخره في ذلك طاعة وعبادة ولذلك أعني لما عاد عنه من ذلك انشراح أخر
عمر رضي الله عنه في سؤاله فضة عليه على طول ما من أول إلى آخرها والحديث
معروف بالله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما كان أكثره للتكلف والسؤال
عما لا يعني وذلك لكراهية الله تعالى له وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال حتى بلغ من كراهيته عمر لذلك أن زاد به عليه
صيغا ما جاء النبي فقد روي أن صبيغا هذا كان يتعلم رأي أهل الأهواء وكان
يسئل عن آي كتاب الله عز وجل مثل والذاريات والمرسلات والنازعات وما
أشبهها من الغرائب وكان يأمر الناس بالتبذل في ذلك وأنه فزع على عمر بن الخطاب
بعض مسائله عن ذلك فقال له عمر أنا أدلك على من يفتيك في مسائلك عمر
أنا أكتب لك أمير المؤمنين فكتب له إلى عمر وأرسل معه رسولا بالكتاب وصار
صبيغ مع الرسول فدخل الرسول على عمر فلما قرأ الكتاب أرعد إرعادا فخرج
الرسول فأتاه به فقال ما الذي تسئل عنه فسأله عن والذاريات والنازعات والمرسلات
فضربه بجريد النخل حتى أدمى رأسه ثم حبسه حتى إذا كاد أن يبرأ أخرجه
أيضا ثم ضربه ثم حبسه بعد ذلك مرارا فقال له صبيغ عمر آخر ذلك يا أمير

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

المؤمنين إن كنت تريد قتلي فقتل جميل وإن كنت تريد غوايتي فما يغني الرواء
فأطلقه عمر وبعثه إلى العراق وكتب إلى أبي موسى ذا أشعري أن لا يجالسه أحد
قال فكان صبيغ يروح إلى المسجد وحلقة فيها رجل فلما رآه قام فلما كثر ذلك
أتى أبو موسى إلى عمر فقال إنه قد حسنت توبته فأمره عمر فخلى بينه وبين الناس والذي
يفهم من هذا الحديث من عمر رضي الله عنه لصبيغ ليس على سؤاله لجرد استعلام
الغامض كالسؤال الذي ذكرناه عن ابن عباس رضي الله عنه وإنما أدبه لأنه
توهم منه أمرا مستنكرا زائدا على علمه وهو أنه إما أن يكون حسب أن السؤال عن
مشكلات غرائب القرآن والقاعات لله عز وجل كما ترى الملاحدة من فرق الزوراء وكان
يأمر الناس بالتبذل بما علم وإما أن يكون في اعتقاده أن متعنتا لحاجا
للعبارات ولغط نهى الله تعالى عن كثير من المسئولة وإن لم يكن فيها شيء من هذا
قال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وقد
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل
عن شيء لم يحرم على المسلمين فحرم عليهم من أجل مسألته وكان يقول ما نهيتكم
عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فاعملوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم
كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم وقال نحوا من هذا الكلام حين سأله
رجل عن الحج فقال له أكل عام يا رسول الله وعن أبي موسى رضي الله عنه
قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء كرهها فلما أكثر عليه غضب
ثم قال للناس سلوني عما شئتم فقال رجل من أبي قال أبوك حذافة فقال آخر
من أبي يا رسول الله قال أبوك سالم مولى شيبة فلما رأى عمر ما في وجه رسول الله

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

صلى الله عليه وسلم من الغضب فقال يا رسول الله إنا نتوب إلى الله فهل أكلمه
مما ينبغي على خطر السؤال عما لا يعني وإن ذلك من التكلف والتعمق فقال
ابن رضي الله عنه كنت عند عمر سمعته يقول نهينا عن التكلف وجزوية واحدة
يتعاطاها أهل الزمان هي عندي من التكلف الذي لا اشكال فيه وهي أن الدرس
الذي يجلس لقراءة النائم لا بد له في الغالب من هذه العدة الكتب قبل أن يجيء إلى مجلس
الدرس لقراءة وهذا هو التكلف البين لأن قراءة اليوم لا ينبغي أن يتشاغل بها من يجب
عليه ويرى أنه معاقب على تركه وذلك الوجوب لا يترتب على من عنده علم
حاصل يطلب منه بثه للغير وإنما من ليس عنده علم حاصل فطلبه بذلك وما
يجب عليه لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها وصاحب العلم الحاصل لا حاجة به إلى
مراجعة الكتب لأنه إنما يرجع إليها ويعالجها لينقل منها أشياء يغيرها أو
يستغيرها إذا أراد وهو في كل ذلك بفضول متسبب إلى أن يوجب على نفسه
ما لم يكن عليه واجبا من التعليم لمسائل لم تكن حاصلة عنده في الوقت قبل
مطالعة الكتب وقد كان السلف يجوزون من أن يتعرضوا لشيء يجب عليهم

فإن قلت إنما يطالع الكتب ليحصل له تحقيق في أمور عنده
مشكلة فيزول بذلك عنه الإشكال أو ليستغير مسائل لم تكن مستحضرة له

قلت ما أشكل عليه من المسائل لا توجد عليه المطالبة بتحقيقها
وبثها للغير من حيث إنه بث للغير وإنما توجد عليه المطالبة بتحقيقها واستحضار
مسائل الدرس من حيث احتياجه هو إليها في نفسه ابتداء أعني أنه يجب عليه
أن يعلمها ويعتقدها مما يجب علمه واعتقاده ثم بعد ذلك يطلب منه أن يعلمها

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

لغيره ومثل هذه الحالة لا تتغير مراجعة للكتب بتوزيع ذلك لا يكون ذلك عنه
تعاطيه للافراد بل يعاهد الكتب ويراجعها عند ما ينفرج في خاطره ذلك ذلك
أو يريد أن يستغير مسائل لم تكن عنده ويكون ذلك في أي وقت اتفق وكيفما
اتفق بل الحرير والمغرم تكون الكتب عنده قبل تعاطيه للافراء منفية فإذا أخذ
في الافراء استحضرها وأخرجها من الخزانة أو نزلها عن الرف وهذا دليل على أنه
غير مخلص في عمله ذلك بل الرياء والتصنع والتزين لتحفيظ المسائل ونقل كلام
الناس متشبث بذلك وهذا أعظم التكلف والتعرض وذلك آخر بما كان يرى أنه عامل
لله ومحبيه له ومتبع ما أمره به من تعليم العلم ونشره ودليل آخر على كونه
متكلفا تخصيصه ذلك ببعض من يصول السنة ووقت معلوم في أيام ذلك
البعض وتصريفه بذلك لكل أحد من مكاسر وشرحي وما أشبههما ونغرمه
بذلك لكل عبث وهمي فإذا شرع في الافراء وفرغ من البسملة والتصلية والدعاء
الذي كان يتبع من ذلك أرخى المعزار جلسته على كرسيه ليقبل له حينئذ ما
أبوك أو ابنك مثلا الذي يوجب له ذلك فحكما ما هو فيه وكاد أن عنه ولو كان مخلصا
في ذلك وعاملا لله تعالى لم يكن هكذا فلا يتغير تعليمه بعض مخصوص وقت
مخصوص ولا يبعث ذلك الأهله ويمنعه من غير أهله وإذا عرض له في أثناء ذلك
حق واجب دفع ما هو فيه وتشاغل بذلك الحق الواجب ثم انه في هذه الحالة
التي فرضناها من قصره لتحفيظ المسائل المستقلة واستيفاءه ما لم يكن عنده
حاضرا منها لم يخرج من عداد المتعلمين فلأي شيء يكذب ويدعي التعليم حتى
يكلف الغير له من ذلك ما فوق ما يليق بالمتعلم مع العلم حتى يرى منهم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

مستحسنا أن تتساوى رؤوسهم مع رجليه أو تنخفض عنهما بحسب فيض
الكرسي وطوله **فإن قلت** كأنك أيها المتكلم سلمت من هذه
الآفات أو من بعضها فيما كتبته إلى من الكتب فلا تحتاج في تأليف الرمز احتجت
كتابك إلى التمييز عبارة وتحسينها وترتيبها وأنت بريء من الرياء والتصنع
يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه ويترك الجذع في عينه معترضا **فأقول**
إني لم أدع أني مخلص فيما أفعله من تأليف ولا أعتقد أني مخلص فيه لله تعالى
وإنما يقع مني ما يقع من تأليف فضل الراحة فلبي وتشبيبا بالكلام معه واجعلني
في تأليفي أكون مصيبا أو مخطئا بل الظاهر أني مخطئ ولهذا تجدني أقدم تأليفي
على كثير من مقامات نفيس الزينة والترتيب أما الزينة فقد يستنكر تقدمه عليها
لأنه غنيا وهي مثلها أو أبلغ منها وإنما يستنكر تقدمه على أمور الزينة وتأليفي
يقع مني كثيرا فقد يتفق أن أكون في صلاة فرض فيفرح عن أن أكتب لكم
شيئا فيغلبني علي بحيث يسترسل خاطري في الفكرة فيه حتى يذهب
علي أكثر الصلاة وأنا لا أشعر بها ولا يوجد مني فيها حضور وقد يكون
في نيتي أن أقرأ جزءا من القرآن فأجعل بدله هذا الخرمان وما أشبهه من الهذيان
ثم لا يقع مني خلاف لما يقتضيه من تأليفي فيما يأتي من الزمان على أي شيء هذا كله
علامة على الإخلاص أو على الرياء الذي لبس لي عنه انفكاك ولا إخلاص كلا
والله لا يصح الصحيح ولا يوافق مرضات الله تعالى بكل معنى مستحب ولبعد
صحيح ولا كثير معرفة هذا وذاك فاريده ولا كان لا ينفع في النجاة والفوز بالدرجات
نعم جيد أن أكثر التأليف يقع فيها **فإن قلت** كيف تكون نعمة مع كونها

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

136

ما اتبع فيما ذكرت **فأقول** ان لم تتبع في الوصول الى كليته فلا تخلوا
من المتابعة في حصول بعضه فمن لم يحصل في أسفل سافلين من جهنم فقد نجا من أعلم
مهولها ومن وصل الى باب الجنة ولم يدخلها فقد حصل له منذ العبور وفوق همه
في خولها والله تعالى أعلم

وبعد فقد أوضحت لكم الكتاب الذي قبل هذا فتوجه الى أن
أكتب لكم سؤالا وجوابهما فاسمعوهما وعوهما واحفظوهما خاتمة لهذا
الكتاب ولا تهملوهما ومما **فان قلت** التغليب الذي حكمتم بأنه ثابت
له ثابت عن الشخص الذي ذكرتم أنه يتصور منه ما ينفي به وجوب الدعوى أن
المطلوب منه من كونه لا يفعل ما يفعله فما معنى لحمل الله تعالى لا يستحيل
به حقه وأي فعل لله من نفسه لم يتحصل له بهذا التغليب وكيف يتصور
مع التغليب في الوجه الثاني ما استبعدتم من أنه لا يتصور معه في الوجه
الثالث فأقول ما ذكرته صحيح ولكن الجزم بينهما أن التغليب هنالك في مطلب
واحد وفي الوجه الثالث التغليب في مطلبين أما المطلب الواحد الذي هنالك فبين
مهمته وأما المطلبان اللذان في الوجه الثالث فأحدهما ان يتصور أولوية ما ذكرناه
من قلة الذرة على عباءة الدرامة المتصلة أولوية لا تتصور في هذا الموضع وهو
مجاز البعد النسبة والمشاركة في علة والثاني أن كون علة منه لا يصح ويسلم
بينه عن نفسه وفنائه عن رؤية فنائه وهو معنى خلة المطلب الواحد الذي قلت
فيه صاحب الوجه الثاني وصح به حاله ومعلوم ان التغليب في مطلب واحد من
غير وجدان ما يضاده ويعارضه أسهل من التغليب في مطلبين مع وجدان ما يضاده

271

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ويعارضه ومتوما تقرر عنده ورسخ في قلبه من صحة الحال التي هو عليها بنصوص
الشريعة ومواطأة الكاتبة وأي شيء ينقله عن هذا الأمر الذي هو فيه ربانيته
فلذلك قلنا انه يعسر أن يتصور ما يدفع به صاحب الوجه الثالث وجود الدعوى
عن نفسه ويتصور في الوجه الثاني **فإن قلت** يفهم من هذا كله
أن وجود الدعوى في الوجه الثالث أعظم من الدعوى في الوجه الثاني مع أن
الوجه الثالث منعم ما هو محمود في الشرع من محبة الخير والحرص على ازدياده
منه والوجه الثاني منعم ما هو مذموم فيه من الحرص على الدنيا واتباع الشهوة
والهوى فيلزم على هذا أن يصح من صاحب الوجه الثاني اختيار الحال التي هو
عليها مع كونها مذمومة في الشرع على حال صاحب الوجه الثالث مع كونها
محمودة في الشرع ويقول حيث كانت زائدة أعظم والخطر أشد فلا أحبذ
ولا اختار وأبقى على الحال التي أنا عليها وهذا فيه ما فيه **فأقول**
مقتضى النظر الحقيقي أن لا يصح له هذا الاختيار لأن من المعلوم عند أرباب
العقول السليمة أن المقام العالي أبدا هو الذي ينبغي أن يختار ويؤثر وإن كان
الخطر فيه أعظم واعتبر ذلك بأحوال أهل الرياسة والسلطنة بتقرير
خلو ذلك من الآفات التي تضر بالدين فإن من فيه أهلية للسلطنة استحسن
له عاقل أن يتزهد في حلها وأن يترك محاولة التوصل إليها بأي وجه أمكنه
تعللا بالخطر والضرر اللذين اشتهرا لهما بالنسبة إلى من حلها وبز اجتهد
جهدا وتحمل ما يخرض له فيها من الخطر والضرر لا يجد ذلك عند ذاك سببا وبلغا
وجدانه بفرد وذاك همة والعالي الهمة فيما ذكر هو الذي يقول ما قاله الإمام الفخر

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

د نحاول أملكا أن نموت بغرورنا

فالعزم لله في هذه الحالة إنما أوجبه عمله على مقتضى ما عاه اليه علمه فمنه فكر الله العالم بما نحن فيه دل بما نحن فيه أولا وأوجب أن الله إنما يفرق بين حالين شر يغير أحدهما أشر من الآخر وما نحن فيه الاشتباه الحال بينهما في شر بل أحدهما هو الذي ينبغي أن ينتقل عنه على كل حال وهو حال صاحب الوجه الثاني ..

وفي الجملة معلوم أن من تردد الطاعات وتواتل الخيرات أن أجل ما يتوقف فيها من ذلك فهو ناقص العقل قليل الرأي مغبون الحظ بل على العبد أن يتشوف الى نيل المقامات العالية وإن كانت متعينة أعظم وأخطر وأبعد وأعز في النفاسة عن غيرها لوجوب ما يتعوذ من ذلك والمضار فإن كان ما تومه من ذلك له فرجة وحيلة في صرفه عنه صرفه وأزاله وذلك فلا ملام عليه فيما أعجز فرنته واحتياله **واعلم** أن صاحب الوجه الثالث يتصور منه وجود الدعوى وإن كان ذلك الحزن في الطاعات وعاملا بالصالحات وأما إن كان مهملا ومسوفا بعد انضاف الى عواه الخاصلة كذبه فيما إذا كان صادقا فيما تضمنها من أنه إنما يكره الموت لما يفوته من الأعمال الصالحة المقربة لدى الله لسارع وبادر ولم يكن منه تسويف ولا تعريج بعد جزما اردنا أن نذكره لكم تتمة لما تقدم قبله ليحصل به تمام البيان لمعنى ذلك الكلام الذي وقع منا مطلقا غير مقيد بتفهموه واعلموا عليه إن شئتم وموضع آخر في الكتاب الذي كنت بعثت به اليكم قبل هذا وقبل الذي بعثت اليكم قبله أعلمني حامله عن مزيد فضله فيه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وان ترتب عليه من هوس الرماع ما يعجبه وما لا يعجبه وهو فيه العبر
من حيث هو عبر لا يلزمه أن يتعرض هل مولاه راض عنه أو ساخط عليه
وهذا لا يخلو من بشاعة في الخادم ولا كذلك العبر الصريح الذي لا ينبغي
أن يعتبر سواه لأن العبر من حيث هو عبر لا مدخل له في شيء مما يتعلق بنفسه
أو بسيره دائما بامتثال أمره واجتناب نهيه فقط. فما خلق الله العقل في ج
العقل دائما ليستدل به الى فهم هذه الجملة والتصرف فيها بحسب ما يمده الله
تعالى اليه تارة وغيره ويكون فيما يعرض له أرجح أعمى أن لم يمن في شيء سوى الدين
غير أن يكون لديه قوة وحسن عون على ما ذكرناه من دوام امتثال واجتناب
فهو منعزل متكلف والله لا يحب المتعززين والمتكلفين وهذا جملة ما تقتضيه
الملة المحمدية من السماحة والسهولة وفي قوله والله أعلم انا امة أميون نحسب
ولا نكتب اشارة الى هذا واعلم أن السماحة والسهولة منحصرة في نحو
قصر الصلاة في السفر ودوابه وفطره فيه والمسح على الخفين وأكل الميتة للمضطر
وتجرع جرعة الخمر اذا غص بلقمة وما أشبه هذا من أنواع الرخص بل تشاور مع
ذلك توجيه العقول عن النظر في كل ما هو فضول من التعمق معرفة كونه مرضيا
لمولاه أو مسخوطا له بحيث متعبر وكذلك هل هو شقي أو سعيد أو كافر
أو مؤمن أو طائع أو عاص أو ولي أو عدو ويلزم من ذلك أن لا يصح له التشاغل
بالتفكر فيما عمله من حسنات أو سيئات لغير ارادة التذكر واصلاح ما اختل
منها وكذلك لا يصح له تذكر ما يوجب له خوفا أو رجاء أو حزنا أو فرحا
أو قبضا أو بسطا فان هذا كله فضول فلا يصح اذا عن جميع قاله ايمتنا

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

رضي الله عنهم من أمثال هذه الأشياء مثل قطرب في أن المقام البلاني مثل قام به أم لا والحال البلاني هل عمل له أم لا وكذلك النظر إلى السوانح والخواتم وما يفيض به الفضل وما جرى به القلم فلا يعد شيء من الحيثية المذكورة مما قاله سيدنا أبو بكر الوامشي رضي الله عنه لما سمع قول القائل

أيا راهبي نجران ما بعلت هند

وأما قاله سيدنا أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه حين سمع قول القائل

منازل كنت تهواها وتعهدها أيام كنت على الأيام منصورا

وأنت تعلم ما الذي قال هذا السيد الجليل حين سمعها غير البيتين بل هذا كله لا قدرة له في النظر الحقيقي لاشتغال الخاطر والبال هذا بما يتعلق بالعبد وأما ما يتعلق بالسيد من وقوفه في قلبه وتقرره عنده وجوده مولاه وتوحيده وعظمته وملكيته له لا يسوغ له أن ينظر في شيء سوى ما يزيده في ذلك تعظيما وتسبيحا من وقوف على اعتقاد معنى مما يعتمد من صفات الله تعالى وأفعاله ووجوب تنزيهه وعلاه به وانتصر على ذلك وجمد عليه ونفى غيره فهو متعبد بما ينبغي على ما ذكرناه أن لا يتشاغل بالنظر في شيء مما قرره أرباب الأصول على وجه التحقيق والتدقيق بل يعتقد أن الأمر لجلال ذلك كله بشيء يعتمد هو وأمثاله ويقول ما قاله إمام العالمين والعارفين لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وكذلك أن لا يتعرض إلى الاطلاع على كثير مما ذكره الإمام أبو حامد الغزالي مما سماه علوم المكاشفة وجعله الغاية القصوى للعارفين وما أشبه هذا مما سوغ به الصوفية وملئت منه الزوايا والكتب كيد وبينا

مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

محمد صلى الله عليه وسلم لم يبلغنا عنه أنه أمرنا عن ربه بالنظر في شيء من ذلك وإنما جعله
من التعيينات علينا وإنما أمرنا عنه بالتفوق والقناعة بفقد ومن تفوقه ولهاعنه
أن نعمل بالرخص التي شرعها لنا ومن جملتها ما ذكرناه قبل الخروج لما انتهى ذلك
عنه من عاصره من أمته أو بلغه عنه ممن أدركته عناية الله وتوفيقه ممن تأخر
عنه لم يتشاغلوا بشيء سوى ما ذكرناه ولم يحرصوا على حلبه والبحث عنه
بل رفضوا خواطرهم وأراحوا عقولهم عن النظر في ذلك لعلمهم أن المقصود
الذي حلب منهم قد حصل وأنهاطوا بعلمها وأنهم إذا اشتغلوا بالتعرف
ما سوى ذلك فإن العجز والتقصير منتهى غايتهم ولذلك لما سمع بعضهم قول
الله تعالى من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال يكفيني
هذا وكان ذلك في أبي الجلد إذا قدم على النبي صلى الله عليه وسلم من البلاد
النائية ليتعلم وليتعلم ما يحتاج إليه ثم يلبث بعد ذلك مقدار ما يرجع بعيره معقولا
بباب الدار أو بباب المسجد بعد نزوله عنه فإذا قال له النبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك الوقت المختصر ما قال وعلمه ما شاء الله تعالى أن يعلمه من المأمورات
والمنهيات انصرف عنه الوبار وقومه ولم يحتج إلى مراجعته وينفي
مدة عمره بجمع به وإبراه ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد نصحه
في ذلك المجلس كل النصيحة ولم يؤخر عنه شيئا مما يوجب له رفيع
الدرجات وعالي المنازل في الدار الآخرة لكن كان هذا كله وذا إيمان محض
وذا إسلام جرد فلما حالت المسافة عليه وطول البلد وذا صحة الحال
البينة وقع ما وقع من ذلك الكثير ورغم أشياء تقضي عوز مهمتها وذا الحاجة

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

بها حوان الأعمار وصارت معرفات علم الكلام المغلوب وأوائله ووسائله
التصانيف
تصنف فيه التصانيف وتروى فيه الروايات من تصنيف واحد أو جيوان
واحد أو ديوان منفرد تنفع تصانيف واحد واوين كثيرة لا تضبط لزمام
ولا يكاد أن ينفع بها الكلام ويزعم مصنفها أماما لي إمام وهو في جميع
علم لم يرتب بالموضوع ولم يلم بالمنصوص من ذكر حال الغابر مع العبوج وكلما
تراخى الزمان تزايد الحزيان واستمروا في الجزي على هذا الجريان ولم
يخرجوا خبرا من قرار فإنهم يقفون مع علم على الحقيقة أو يهتدون الى شيء
من الطريقة نعوذ بالله من الغرور فإنه منبع انتفاء كل نور ومما قضيت
منه العجب الخلاف الذي وقع بينهم فيما لم يكن في انتفاء مستند الى دليل
وبرهان على طريقة أهل علم الكلام وأن من يقول أنه لا إيمان له ولا إسلام
حتى أن قلانا أمام الله تعالى فيه أذكر أنه لما حكى هذا الخلاف في مقدمة الشرح
الذي وضعه على الفوائد الغياثية الشرح حيث يأخذ في جزئيات العبرة التي
فيها بالشرح والتفسير أن بعضهم ما برليل عقلي مما ذكره أهل علم الكلام
ليخرج الناظر في كتابه من الخلاف الذي وقع في هذا المقام وهل أوجب كل
تشرير وتسطح وقع في الوجود دافض للخروج عن الخلاف الذي لا أصل
له وهل المقصود هو حصول الجزم بالانتفاء السني من أي وجه أمكن
فإذا حصل من طريق التعليل كفى ذلك كما يكفي إذا قام دليل وبرهان
من غير وجود فرق بينهم وما يحتاج الى محاولة الدليل والبرهان دائما من
تخيلات عقيرة بشكوك أو شبه وأما من هو راسخ في الانتفاء السني

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

قال عوام الناس ولا نحتاج إلى شيء من هذه الأدلة وقد تكون عفيفة ثم ارجع
بكتبك من عقائد أو أدلة التي بينها حضرة أو أبطلها أدلة وبحاولونها وهذا موجود
مشاهد وقد كتبي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بمجرد
الإقرار والنطق بكلمة الشهادة ثم ينصرفون عنه إلى أهليهم ورعاية
مواشيهم قبل أن تشاغل أصحابها وإياها بالأدلة والنظر فيها الخيف عليهم أن تفرح
عنهم ونساؤهم وخيالاتهم وشكوكهم وشبهه يتشبثون بها ويدورون على التعلم
منها وقد كان قبل أن يتشاغل بها في أمان وصحة إيمان وقد أطنب الإمام
أبو حامد الغزالي رحمه الله في الرد على هذه الفرقة التي قالت بهذه المقالة
كل الإطناب في كتاب التفرقة وحكم بأن هذه الفرقة ضيقة رحمة الله الواسعة
فليس أرى قد بما تقوله في الكتاب المذكور ومن الأيضا مما ينتظم في سلك ما ذكرناه
مما ينبغي أن نفرقه عن التكليف العقول ويسلم عليها الى من أحاط علمه بكل معلوم
ومجهول حذارا من الزلل والدخول فيما لا يحل والله تعالى أعلم وأحكم بهذا كله
كلام عرض لي في الوقت أن أكتبه إليكم وإن خالفه الذي القاه فيه فإنه يكون كتابي
إليكم جوابا وإن لم يجاوبه التامس فاصرفوا وجهتكم ومعلوم أن السالمين
إذا فرغوا على موضع يفرغون ويعودون إلى الذي نقطوا لعوائد إنما تحصل لهم
أو لمن تعلق بهم وأما أنتم فلا فائدة لكم في الرجل بما يوجب تلك الغلاة والمنعان
ونفصان الكمية والمقدار فيتكدر عيشكم ويتنغص حالكم فإنكم إن كنتم تشربون
صاع الحنطة بعشرة دراهم رجعتم تشربونه بخمسة عشر درهما وأكثر وإن
كنتم تشربون من التاكور أو بعيرين بدرهم مثلا رجعتم الآن تشربونها عشرين أو أقل

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

٨٤٠

وقفت على هذا جميع الأمور التي تحتاج اليها فلياء اورد عليك كتابا منبي
معظم ومما يكون في فرومه عليك فاترة على الجملة والفوائد من حيث كونها
فوائد ابيشترط فيها أن تكون كذلك في القائل بل يكفي في كونها فوائد
أن تكون كذلك في ظن المباء اياها بمنزلة النجم الذي يقال الرجز يشفشاق
إذا احتمل بيوا البهر في الجاهلية أنه حاز بذلك ملك العراق وفي بعضها الموت
قبل أن ينكشف له ذلك ويتزع عنه ستره وقشره فيحصل له في تلك المدة
حالة جميلة ويرتاح فيها ولو كانت مدة قليلة وكذلك ما تضمنه هذا
الكتاب مما تستفيد به فوائد تغيثه بعضها وتتخزها في لحظات
كروية فيسا ومن ذلك أن يغض الله تعالى من يكتشف عن خاصه وثلبه
ويتحدث امور ويفوه امورا مما ان يموت الحمار أو يموت ما بعده فذلك انسان
لا ينبغي له ذلك أن يكون انزوفته ولا يحصل له الراحة بذلك وذلك في مدد العمر
التي استقبلت والمصائب التي ستتراعف المصائب التي فعدت لك ان لم يرح
الانسان خاطره من تذكرها واستشعار حلول مستحضرها بالباب أما
أنت فمثل هذا الكتاب وأما غيرك فبمنزلة اللعب بالكعاب وذلك ضاعف عليه
البلايا ولا بد أن يتعذر عليه ما سبق به القضاء وتقول العامة صرير في الرامس
تقويز

وبعد فقد بلغني منكم كتابان اثنان أحدهما مختصر وذاخر
مطول وقد أعجبني ذلك المطول كثيرا وتعرفت منه امورا منها المسئلة التي
لم يزايزعلينا سيرة فلان وقولكم فيها فما الحيلة ولو ان تضيفه تلمنه الصواب

٢٧٣
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فيه أن تقولوا الواو تضيفه لو وقفت عليه لأن الموقوفة هي المطلوبة وهي التي بها معربة وأما التسليم فحاصل بما يظهر **وأما** البراءة التي اقتضى لهم بكم فلم أعثر لها على حقيقة ولا عرفت لها قط رموز ظاهرية وكان فضاري أمر أن يفيت أظهرها كما ينكر الكنتي في التاريخ وعمي عيني الرائض عما بها سواء المنهج وخصوصا ما فيه منها على ما تأتي الإعراب وخروب ابن حاد وأما الكلام داخيم فلم أخل فيه من تلخيص يسير لا كيني العمر عليه ولا أزكي النية بقرؤا بهذا كاتبها بغير أن تبلغوه عني السلام وتقولوا له يقول لك فلان والله ما غفلت عليك بسر ولا هذا يخطر وما زال قلبي مبعين من مزمزع ابن سبعين لا الكار عليه ولا اعتقاد شيء مما ينتقد أهل الجمل المركب إليه ولا كيني رأيته كلامه كثيرا ما يغرب ويغلي الغلبو ويتعب وحينئذ لا يحصل لي منه شيء ينتفعي ضرره ولا ينتج له خاطري ويبرد كيده وهو الذي قال في ذاته الكلام داخيم وكل عنيز فاطح وكل فاطح معزب نافض وهذا بعكس محالة الفولنا كل معزب نافض فاطح وكل فاطح غير داغيار كلما احاجة بنا إليها باعتبار مفضره وأيضا من لنا بأنه نفصد أن نفهم رموزه ولا نستنار بآيته وكنوزه والظاهر أنه لم يفصد الرائي كلامه لا يجري على اسلوب ولا حرأنه تارة يتناول حتى يقول الفاضل هو في يدري انا له مستفز وتارة يستعلي في البحر المخزن وهذا شأن لاعب بالباب الثامن موجب لنا حصول داشكال وداتباس كحال اصحاب الكيميا فبينما انا في كلامه الطلع واهبط واخبط واخلط واتوقل كل جبل واستنزل معاني كلامه بلقاريد الحيل وأكابد في حمل مجلدة التعب وما أنزر وأكثر في النظر فيه القلب والعين اذا انقلبت

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

عنه صفر اليدين بحقني خبيرا بكيف الله نفسا دلا وصفها كما كان الشيوخ هم
الذين يليزون الحديث ويفهمون البعض وفرشغ منهم الزمان والمكان وصاروا
في خبر كان وكلام الشيخ عزيز أغرب ملخز من كلامه لعني كلام ابن سبعين
وأما رجاله فبعيد حلاوة وعليها حلاوة وهذا لعلني في هذا الأمر ومنه تفهم
مذهبي في الكتب التي سميتموها لزلال الشيخ لو قدر أن تنفع بيرء لكنت أتحمل
على مضاعفتها من غير أن أخرج من مزاجي في الرد والاتكلب استنساخها والابتياعها
بثمن له بال وماء الرد كما قلته لكم وأما مقطعات الشيخ وأرجاله فلي بها شغوف
وإليها اشتياق وأما تحليتها بالنغمة والصوت الحسن فلا تسألوني وقدرتم أن
تغيروا منها ما وجدتموه جا فعلوا ماء الرد بأمراء استحسنتم شيئا منها كرتم
من تلك الكتب وقدرتم على نسخها فاعلوا ماء الرد أن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب
فعالجوا بهذا كله ماء الرد الرجل وليس توفيقنا هو الله عز وجل وقول
الشيخ أبي مدين في رواية ماء الرد الرجل حين سأله الشيخ أبو حامد وقال له ما روح
الذرة فقال نظرة البيطار نظرة البيطار الطاهر عنوانه أنما خاطب بهذا الكلام
ربه عز وجل الكريم في حال الصحو في نظره وجود نفسه ووجود الشيخ أبي حامد
وهذا هو غير الجمع الذي يشير إليه القوم بل ما حصل في هذا المقام من شهود الآخرية
العزيزة المرام جرى على لسانه ذكر حاله الذي هو فيه فقال نظرة البيطار نظرة البيطار
وتكرارها إياه يؤذن بغلبة منازل الفناء ولذلك قال الراوي يا ترى بعضهم
نور عظيم فأخرتهم الملائكة الرحمة وأيكون هذا أعز مقابضة التجلي واستيلاء
العناء والتلاشي وكانت أسئلة الشيخ أبي حامد موجبة لتوفيه الى هذا المقام

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الكريم وقد يصح الشيخ أبو مدين النبوت بخط يده الذي الى النبي صلى الله عليه وسلم
أو يبقى على خاطره من مخالطة الشيخ أبي حامد وهو أقرب بمقام ابي حامد
أعلى أو مقام الشيخ أبي مدين أعلى والله أعلم وهذين الوجهين بعد أو في تقرير صحتهما
طول والحقير ما قدر متاه إن لم يكن الناسخ حرف الكلام فطلب الهاكا با فقد
يمكن أن يكون نطقه اليد بالتاء ويعود على الله عز وجل والحاج فيه الى مونة والله
تعالى أعلم بحقيقة الحال وتخفيفه وأما كلام الشيخ أبي مدين ومراجعة الشيخ
أبي حامد له في هذا الذي ذكرناه الثانية التي وقفنا عليها في جزء لبعض المحبين
فهو بين كله ولا يخفى على من شم اشيئا من علوم هذه الطائفة وفهم مرمى القوم في
هذه الطريقة وانت تعلم حالي مع ما كان من هذا الجنس أعني المراءى النومية وأني ما
اتتبعها ولا البحث عنها وان ما كان منها فيه نوع علم كهذه الرؤيا لم تتوجه
الهمة فيها الى ما يلوح منها من بروز وغيره فلما علمت هذا عرفت اني الجزم في نفسي
فاطلبه لما طلبتموه في من بيان ما اشكل عليكم من هذا الكلام كله أو بعضه وما
ظهر لكم في هذه الحكاية من أن مقام سيدي أبي مدين أرفع وأعلى من مقام أبي
حامد وابي حامد وأن سيدي أبا الحسن الشاذلي على حسب هذه الرؤيا يشتد غبار
فهل يكون هذا الرأي صحيحا وأي شيء يستدرك مثل هذا إذا ظهر بعض المتأخرين
من ذلك وليتك فزت أغطوا من اللطائف ومنحوا من العلوم والمعارف ما لم تصل اليد بعد
هذه الأكابر المتقدمين وخذ هذا من فوز الإمام الشبلي رضي الله عنه في ابي يزيد
لو أدرك زماننا لتأدب بصبياننا أو كما قال ومن كلام أبي عبد الله التيمزي
الذي حكاه عنه صاحب كتاب الحاجب الميزاني قال من تلقى بغيبه لحال عجيب به

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فاحفظه هنا لك مما معناه أن دار وليا كابن عباد وزمع خلعت الفتر وكانوا
ومع استيلاء العباد على دمام دار استقامة وظهور ولعل في كلام سيدي أبي الحسن
وسيدي عبد الغني وسيدي أبي العباس المرسي ما يوخذ لحاله بلوغ رتبة الكمال
التي أعجزت أحاد الرجال ولم يبق مثلها الدهر لآخر من تقدم ربنا ما خلقت هذا باطلا
وقد يمكن أن يجعل العذر الذي بالحكم في مثل هذا قالا يوخذ منها ما ذكرتموه
من أن للرويا اسرارا وأعوار الله أعلم بحقيقة أم ما وإنما المعتبر في هذا الكشف
والشهود الذي يكون للولي فيزداد به تعرفا شيئا وتتبين مراتب دار وليا هذا ما عندي
والله تعالى أعلم **وأما** كلام الجنيد الذي تعلمتموه من حزبه سبحانه كتاب الرمز
ووجدتم أن أكون نقلته في الكتاب الذي ذكرتم حيث يليق بقدري فيه خطر
أن الحزبية ورد مخالفا أو عاما وهذا كالتفسير للذكر والتخصيص وانفراده
على الخلافة وعمومه أول والله أعلم لما العناية في الزجوج من سعة الرحمة وسبوغ
النعمة بتناول الحزبية كل فقير وكل غني بما أهلية خول الجنة بالفقير
العالي الرتبة الذي اشار اليه ما نقلتموه من كلام الجنيد يدخل الجنة قبل الغني
العالي الرتبة في الغنى كالموثر والمتصرف وما اشبه الذي بحسبانه عام
والفقير الذي هو أدنى رتبة كذلك وما مانع يمنع من هذا مع بقاء الحزبية على الخلافة
وعمومه وليت شعري حين فقير الفقير بتلك الصفات أيدع الغني على الخلافة أم يغيره
فإن تركه على الخلافة لم يستغرق الذكر أن فيه أيضا أنه لا تكون نسبته ما ذكره
نسبة واحدة ولم يفد ما قلناه **واعلم** أن هذا النوع من التضييق
في تعميم الآيات والأحاديث لا أحسب كما لم أحب التضييق الذي ضيقه الإمام

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

أبو حامد حيث تكلم على الخشوع وحضور القلب في الصلاة وروى أن صلاة من لم
يحضر قلبه فيها ساقطة محتجا بعشرة وجه من الاعتبار موجبة لصاحبها الملل والتوار
وأن الفقهاء أتما فضروا تمع الناس مصالحهم الأخروية الدنيا وية وأن الصالح الأخراوية
ليس النظر فيها من شأنهم وهو اشتباه أفهمه أن الناس فيهم أغبيا وعوام وخواص والتكليف
الشرعي شامل لجميعهم وهو أمر الرحمة دائر عليهم وكل أحد يأخذ منها حظا وأجرا
على حسب حاله ومقامه والفقيه يقدر على حمل الجمل قال الصواب عندي أن يقال من أتى
بالصلاة على الوجه الذي ذكره الفقهاء فقد قام بالواجب عليه وكان له ثواب مثله
ومن أتى بالصلاة كذلك وأضاف إليها ما اشترطه الإمام أبو حامد يعني أيضا
عجزه عنه وهو مثاب عليها وعلى ما عجز عنه فيها من المراقبة والحضور أضعافا مضاعفة
فلو كلف الناس كلهم أن يصلوا على النحو الذي ذكره الإمام أبو حامد لم يقدر على
ذلك إلا أكثر منهم قال ثم وجدت أحسن من هذا الكلام الذي نقلته عن الجنيد رضي الله عنه
لو صح عنه أو رأيته في كتاب معتبر الأجر في نفسي فيما بينه على نقله في الكتاب الذي
ذكرتم مقدرا به حكم ظاهر وقد نقله لأستخرج منه معنى غير ما ذكره
من الذم التغيير والتخصيص وأما ما ذكره من الذم قبل العلة التي ذكرتها
فكيف وقد أضاف الذم أنه منقول من خط غير كتاب ليس له ناشر ولا رجال يدري
من نقله ولا من كتبه ومثل هذا النص في كتاب يمنه شيء والحمل لله تارة وضعا و
من ضعيف وأنه ذكر ذلك من الذم كلما كنت نقلته من كتاب كان الكم عن به حكايات
لم الغرف مولعة وهو غير وخطأ مليح وزيادته تراجم بالأحمر وعلى هذا فليس أنكم
كنتم قلتم لي أن الذي رحمه الله كان من كتبه وأن الذي نقلته منه إنما هو كلام معناه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

كما جمع عليه بعلم اختيج الرتصحيح نقله وتم موضع آخر نقلته من مختصر كتاب الزهرة
الذي كنت استعرته من ابن دلاز وهو كلام مذكور عن الحسن في صفة الجنة حيث قال فيه
هو كذا وهو كذا وعدد صفات حسنة كثيرة لم أر بعضها مجموعة عند أحد في خصوص هذا
الكتاب الكبير فأثبتها بخط دلاز وهو من تعلم ضبطا واتقانا مع أن بعض تلك الصفات
أو أكثرها قد صح نقلها عن الحسن وأبعد أن يكون في كتاب من هذا الجنس موضع آخر
انسبته فهذا كله هو الذي يمنعني من نقل هذا الكلام مستدلا به على ما المعتمد
من التخصيص وإن كان قد تضمن من صفات العفو المتعففين في الغير ما يعز في
بعضه كل ذي لب وعفا أن تكون مثل النهر أو كجانب النهر الخبر **وأما**
ما استعبر عنه من فقرة الباجي فلا حاجة به لأن قصر الرمتأخر حاصل على
الإمام الذي خاطب بكلام المخطب فيحمد بشفاعة الباجي له وأما في نفس
منزلته وعلو رتبته فلا ولو كان الرأي له غير محظور عليه أن هذه الطائفة
بينهم وبين غيرهم في أخر الدهر ما زعم التي بما يحمد ويذم وتسمى كسير
في الغرير فلو تمدحوا بشيء لم يصيبوا وجه المدح به ولو ذموا لم ذموا
يذمون بما يمدح به ويحمدون بما يذم به لاستعمارهم وعدم استبصارهم كما
قال ابن شرف في قصيدته البديعة

ومن عجائبه ما يمدحون به ... يقوى من الخصم ما يشفي من الكلل

بريد بذلك تمدحه وكان في وهمي أن الباجي متقدم بالزمان على المخطب ابن ثابت
فلما ان استعبرت تاخره بحيث روى عنه **وأما** الجر عطف على الرواية والتشاغل
بحرثنا وأخبرنا لأجل هذا أو غيره فلا أدري ما قول ابن وكل الحر النوم حابس

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdelaziz - Casablanca

بنفسه ما فضل ذلك يفطع وفته فيأن مكتبي الموتة من جهة العمام استغل
بهذا وبغيره من أنواع العصور وإن لم يكن مكتبي الموتة فحصر ذكره والله يغني الذكر
دائم ولم يكن فيه متسع لغيره وإما أن يوجد البرم أحرزه فابلية لعمل صالح خالص
من الفوى والشهوة يتعبد به لربه عز وجل في وقت اغراض الناس عن الذكر وزمنه
أيامهم خلف لظهورهم قلا ذاكر من حمد الله تعالى وإذا لم عرفت هذا ولم يكن عندك لغيرك
بحالك فاشتغل بالرواية أو بالفراءة أو بما شئت من أنواع العصور وإن لم تستطع فانفض
بقاوزا زايدوا إنما هو وقت تقطعه كيف ما أتفق ذلك فقد تشعب قطعه بما الفته
كما ذكرته وغيرك ممن الف قطعه بالعسوب والجلوس كالذكر. وإنما العزيز الذي
هو ممزوج الكبريت الأحمر والذهب الإبريز من وفقه الله تعالى وصرف همته نفساً من
عمره الى عبادة يعامل بها مولاه ويحرص بها فيما أخراه من غير أن يكون له فيها غرض
دنيا وية **وقولكم** لو كان فرز يجيب الأرض عن الذكر صفحا الى آخره فما الذي
أي شيء ينفعل يحيى أتزخل الخلوة على بر أم تزيد على سنن كلا ليس شيء
من الذكر عندي قليل بنوذ الفيل والقال وتحميل الظهور بالأوزار واحتمال الذل
بالغرور ذكر مال والكتب يعني من الذكر كله أفضلهم وقاية والله تعالى يلطف لنا في الفضا
وقولكم مع أن أفلها تغيب الذكر أهل الرواية لم تضربوا بأحوال أهل الحقيقة
صحيح ولكن لا أعرف أين أفلها اليوم الذين يكثرون ذكر هو ويكون لهم العمل
الزمين وذاك الذكر المتميز بتحقيق ما ينقلون ويسلم مع ذلك الذكر الناس في
مجالستهم من مساوئ الطباع وتغير ذلك زمان ولعله فتح عليكم فيهم من
حيث لا أشعر **وقولكم** وهم بصر أهل البدع فإن عندهم غلطا وعدم شيعة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

صحيح وء الدار البيضاء والله تعالى أعلم وكان إذ ذاك عمرهم أيضا بضعة عشر عاما
وقد بلغنا إتيانكم وتعرفت منه حالكم وكنت أحذر أن
شيئا من هذه الأمور أن يقع والحمد لله الذي تزاد به أمرها أجراه على يدي فلان من الخير
خير جمع بينكم وبين هذه الدار الرجل ولم تبعلوا شيئا مما ذكرتم له قطع الصلة ودفع هذه الدار
منكم في أنكم لم تذكروا له أنكم مما تلمزون به هذه الدار أو جاوبتكم عليه أنكم وجدتم
مبطلا لهذه الدار وما علمتم به من أنكم خفتم أن يصدر منه ما يوجب اعتقاما وأنكم
ما تجوز هذه الدار وليس بشيء وأي ضرر يقع في الوجود إذا اعتقض أحد على كلامي
وما كتبت كلما كتبت وجرى به القدر وقدره القضاء وقد جعلته هدفا للاعتراض
ووقوع المطاعن من أصحاب القلوب الصحاح والمراض لم يكن هذه الدار عاجلا
بسكون الحاء المهملة أجلا أكرم إن كان هذه الدار عاجلا كان نصب العين أي أغرب بهذه الدار
مالي وما علمي وقولي نصب العين مجاز وهذه ليس عجيبا من هذه الدار هم وانصب هم وأربعه
وانعمه وانعمه وانعم عينه بل أنا محب في هذه الدار لما فيه من تكثير الكلام
وإن كان من جملة المغارم والله تعالى يتجاوز عنا بفضله ومن أطرف ما رأيت
في كتابكم حتى فضيت منه العجب ورأيت أن كتابكم هذا بسببه فاق كل ما كتبتم لي من
كتب بما اشتمل عليه من ناء ورأيتم أن يتبعوه بما دار من شعب ما عنه وبيع الثمار
التي لم تات بعد وأما لو أتت فالذي ما الذي كان يكون الحال وهذه الدار فوقكم حتى أني
أو لم أجبكم عنكم شيئا من الكاشفات وأطلعت عليه من دار أخبار بالمغيبات
بغير تقرير ما أردتم أن تقرروه من حرصكم على أن يكون الأمر متى يتصيد بصلاح
أو علم أو كرم فضلا منكم بهذه الدار الرضوة الناس التي وأخزيتم عيني أنكم لا تبعلوز دار

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

لذلك وهذا الكلام منكم يحتمل وجهين أحدهما وليس بظاهر من الكلام أن تعتقدوا
ذلك موجودا عندكم أو كنتم أحببتم أو وجدتم الرجل وتحققوه عني من أجل الذي
الغرض وهذا أحسن وغرض صحيح مستقيم لو تسلمتم من الجهل بحال الذي استدل عليكم
والثاني أن تعتقدوا وجود ذلك عندكم أنكم جهلتموه حتى يجوز أن تعرفوه وتحققوه
لتذكروه لغيركم وهذا الوجه هو الظاهر من كلامكم أنكم فلم تجدوه فتحققتم
ولو أردتم الوجدان أو الوقف منكم وتحققتم كذا وكذا أيام كان هذا مرادكم فغير جهلتم
من وجهين أحدهما اعتقادكم أن مقام الوالد البار يجري على صاحبه شيء من جواز
العادة على النحو الذي ذكرتم وليس ذلك بلازم فيه. وانظر هذا المعنى عند
قول ابن عطاء ليس كل من ثبت تخصيصه والثاني اعتقادكم وجود هذا المقام لي
وأما وكل بي إن أمكنت هاهنا واتمامي الكلام عليه أن كل ما أتكلم به في محاولة
إزالة هذا اعتقاد منكم أتحمله على وجهه ولو تلطفت في التحرير والنصوصية
كل مبلغ ولكن أحب أن أخليكم في هذا الموطن من بقايا من حكايات جر الرذائل
كلامكم ثم أعقبه بشيء من المزاح معكم بحكايات أحكيها عن نفسي ولو كنت
حاضرا معكم استغنيت عن سردها بين الحكايتين بصوت رخيم مستعذب
يخرج من بين الشفتين أو زي الرجل بين العامة أبلغ في المعنى المقصود
به من كل كلام ملغوز ومنمق ويكون لي في ذلك أسوة وقدوة بأبي ذر رضي
الله عنه كان إذا جاء الرجل يردي أحدا من أمراء يعظ الناس ويتكلم في الزهد وعليه
ثياب رفاق وأثر الرياسة بادية عليه. أما القائمة فبآخر منها من حكايات كانت
فرحت معي قبل هذا وهو أن بعض المشايخ رؤي منذ ثلاثين سنة في بعض الأيام

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

نوع بشك وتمام اتساع ووجود قابلية أن يقول أو يفعل الذي فعل والدنا اعتمو
ل لر منه ما معناه المألوف من حال المشايخ أنهم يخصون تلامذتهم بخصوصية
يزعمون بها يفيضهم وإيمانهم بطريقة مشايخهم وذكر لي أن يذكروا لهم شيئا مما
اختصهم به مولاهم من أنواع الكرامات ومسني الهبات. وعد لي من ذلك أشيا
من نحو الطيران في الهوى والمشي على الماء وإجابة الدعاء وغير ذلك ونحن نريد
أن نذكر لك شيئا مما أكرمك به مولاك واعتنى واختصك جملة مع منعك من الر
أهل وملكا ثم رفع رأسه وقال لهم نعم أنا أخبركم واعلمكم وأذكر لكم الكرامة
التي بها أكرمني والخصوصية التي بها اختصني وهي كرامة أنطقني ولم
يزل علي ما عشت فيه أوحي بها يغرفني أو يأمرني أن أضرب بنتلعيني
فهذه هي الكرامة التي بها أكرمني والخصوصية التي بها اختصني
فحينئذ الرأي عنه أو كما قال لهم هذا الشيخ رحمه الله تعالى وجزاه الخير
فاسمع هذه الحكاية فلو كنت شيخا لقلت لك مثلما قال هذا الشيخ لكن على
النحو الذي قاله وإنما قلت لك على النحو الذي قاله لأن لصحة هذه المقالة شروطا
ليس عندي منها شيء فمن ثم حقر الطرق جميع السالكين وليس عندي من الرد
أخراب الربيع **وأما** المزاح الذي أريد أو أمزح معكم فهو حكاية
أحكيها لكم عن نفسي وهي أن رجلا من محسن الفقيه مرض له ابن وابنة في هذه
الأيام الغريبة وكان عندهما محبا مشريدا والولد أكثر مجاراة إلى قال يا شاكيا يا فاعل
فيه ما وعا فيه حتى برئ ثم أزار في له الذي ليستشفي به لهما ووصف له معه ار
ما بلغ به وجزم عليهما فأجبته إلى ذلك وحملت ما حملته مني ثم انفصل عني وهو

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

يرى انه قد حصل على ما طلبه . وبلغ الخضر الذي رغبه . فلم يكن راعيا ضعيفا
ولا غلاما بل فرجة الهم والخبر في أن ابنه قد مات فحضرت جنازته ثم جاء الي بمولد
كان يغبطه أكبر أخيه وقال لي خاطرا ما فعه بزعوته له فلم يلبث ذا يومين
وإذا به قد مرض ثم مات في اليوم الثالث وحضرت جنازته بعد صور
من صور الكرام ات صرت فيها رضي ذا راه عيني . وإذا أنا بهم أحزانا فاجعهم
بهذا وما اشبهه ولو كان عن شيء مما يغالب هذا الأمر لكم به ولم أنحل به
عليكم والظاهر من حال الرجل الذي مات أن ابنه بر كثير بأبيه على حقير الخير
يرى أنه يجب من البر بقدر وفق مثل هذا البر الرجل الحنيف جاء البر رجلا فإن يزد
يا بني له ليتزعولها بالبكاء فرجع الى منزله فوجد أحد ما قد سقط في البئر
والآخر قد أكلته الذئاب وسأله الآخر أن يتزعول مولوده ولده أن يكون عمره فجعل
عمر المولود أن يعيش سنة فرجع الى منزله مسرورا فوجد ابنه يعالج الموت ومات من
يومه ومتع على عيني رجل استشفى بمسحه فابيضت عيناه ومسح رأس
صبي ففرع فرعا قبيحا وفرع كل مولود ولده بفزع الدرع ومع ذا الدرع يمتنع
فأيكم من يقول في حده ٭ كم آية لهم كالشمس تطلع من غمامة ٭
وأذكر في قوله تطلع من غمامة صاحب العمامة الذي رماه في قوله قلا زوالها
منكم أن تقولوا الله يقول الحق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من
جحر مرتين وأنت يا أخي كان لك فيما خلا من الزمان متبوع تتبعه وتقتدي به
ثم خرجت عنه لما بدا لك منه فما بقي منك أن يكون هذا آخر مثله أو خيرا منه
فلا تعتمد على كل ما تراه في المنام ولا تلتفت الى أضغاث الأحلام . وتقول العامة

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

بيان في الجواز والشرف في الأمر: وقولي مثلا: وثم أمنه كلام مطلق لا يرفع تقييده
أي: أو وقفته على حال قبل حصول النسبة، وقولي: بفعل المرء ولو بعد تحققهما بي
النسبة: بفعله الخاصة بفضله وإلخ، واستغفر الله العظيم من هذا القيد.

وبعد يقول يلقى كتابكم وقد تعرفت منه أموراً منها شوقكم لسماع
المسئلة التي كان فرضها قبل أن يصحبها، ولو يعلم هذا أو لا لكنتم أرحمتموني من الكلام
فيها بما تكلمت به، ولكنتم أبرتموني بأمر جزيل يعلم الله أني أعظم من نيل الرفاق والجواهر
التي أبراها النفيسة المناظرة للشيخ الحاتمي رضي الله تعالى عنه ومثله يتكلم
بذلك الكلام النفيس البديع، وأما كلامي فيها فوحشي رميمي وأنا فيه بمنزلة
الحمار الذي يتبع في خرزة الثعلب وابتغائه يخرج عنه يميناً وشمالاً والله تعالى
يلهمنا لنا بفضله، كنت في أثناء الكلام وقفت بغير هذا الشيخ الذي حضرته
والتوهم الذي توهمته هو التوهم الذي توهمته أنا وذكرته أنه الذي لعمري به
له أخبر به أعني في أثناء وهذا الغرض في حقي كما قد سبق والحمد لله **وأما** ما
ذكرتم من حال فلان والتسليم لجلالة الموافقة وحيرة البصر بالموافقة بالتسليم
ما يبقى بعد المسئلة إذا ثبتت عزيزة حتى يسوغ الله تعالى فيسرعها بالموافقة
وترعيم غيره بها منه لا ينفعني ولا يضرني وإلى ترعيمها فلان وإلى ترعيمها
فلان بترعيمها فلان بالضرورة وإلى مطمح في ترعيم فلان فلا مطمع فيما يتبع الرد
بعد ثبوت المسئلة إذا كما قلت لك مراراً وجدواً قوة ذلك بالله **وأما** الكلام الذي
تحوزونه من كتاب فلان وغيره تحوزونه عنكم ولم تطلعوه مريدكم حتى تحققوا عدم صحته
فما علموا أن الكلام في نفسه صحيح لم تحققوا الشرط الذي اشترطه أو لا وتحققوا

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdelaziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وتحقق الشرط منا ومن أشباهنا هذا في العادة فإذا التزمت تحقق من
الشرط فينا وأتينا الأمر المقصود لجزمنا فورا وأشرنا بخطرك ربما تشوف إليه
ونسيل لعتبنا عليه وخرجت أنفسنا بتحقق الشرط فينا على وجه دال على اعتبار
ونحصل بسببه بقاء الكلام مرسوما من الفساد مما أتم برعليه فرأينا دالا ولي
محتوه وتعبيه أثره ولعمري أن في كتبكم التي عندكم من تلك المعاني ما ينصي
كثرة وأكثر ما عندي مما اعمل إن وقلت أنفعها لا يعجبكم فيه حز الصوت فإن
ساء فكم هو أعز من الصبيان يغرض عليكم آخر إذا تدرون ما يقول وتشعرون
عليكم بلطف دخلا والمبارك بقرع وزغيد الحمار على الزرع وإن سكت عن ذلك
فيه ما فيه والله تعالى يجيرنا **وأما** ما سألتم عنه من العبارات التي
ذكرها سيدنا أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه ونفعنا به فالأمر فيها قريب
فإن شئتم جعلتموها شيئا واحدا وإن شئتم جعلتموها متغايرة مرتبا بعضها
على بعض وكلام العارف لا يلزم منه أن يكون مختصرا ولا أن لا يكون مكررا والقاهر
والقاهر إنما متغايرة بعضها على بعض كما ذكرت لك أن رفع العلائق أعم من خلع
وهو أول ولا يلزم من حصوله أن يجمع الهم ولا كما لا يحصل جمع الهم دائما يقع العلائق
فخلع العلائق أعم وجمع الهم أخص وكل الأمر إنما جمع همه وانقطعت علائقه
لا يلزم أن يحضر مع ربه ولا كل حضور مع ربه ينصور دائما بجمع الهم ورفع العلائق
فهو أخص منهما وهما أعم منه كما يقال قرشي وهاشمي وعلوي والقرشي لا يلزم
أن يكون هاشميا والهاشمي لا يلزم أن يكون علويا والعلوي يلزم أن يكون هاشميا
وقرشيا والهاشمي يلزم أن يكون قرشيا وعلى ترتيب تلك الثلاثة أمور هو تنبيه السائل

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

أن أول ما يوم به صنع الحلاوة بأمر هو كل المأمور به فإذا قطع عملا نفذه هداه الله
سبيله فيجمع همه ويحضره معه كما فعل الزنجي والزنجي رأيتا النمر ينتظم
سبلتا وحال المحروب شيء آخر وأما ما ذكرتم من انصراف بعضهم الناس الرماة كثم
فالنادم على غير الملم قال الله تعالى يصلح الراعي والرعية ويوفقهم جميعا الى اعمال
المرضية

وقد بلغني منكم كتابان اثنان أما آخرهما فبعثت جوابه مع رجل
كان سألني كتابا من قبل وأما الآخر فبعثت جوابه مع أخيكم فلما كان
ذلك جاءني الرجل الذي يصل اليكم إن شاء الله تعالى هذا الكتاب على يده وأحسنه
الرجل الذي كتم بعثتم هذا الكتاب الأول منهما وطلبتم في كتابكم أن عرفته بدوابين
فبهما أن يجيء بكتاب ويرجع بالكتاب ثم إني طلبته ما الذي أكتب لكم به فلم أجد
كان ينط الجوابين استوفيت فيهما ما تحتاج اليه من الكلام فقلت اعلم أن تجويد
السلام فيه البركة وأنبغي أحرى أن يستغفر هذا الناقص منه من انعم الكريم جل وعلا
وانما الله تعالى يتيمن بها مقولة باللسان ومرقومة بالبنان ومذكورة بالجنان
انما عطية كريمة اذا استصحبها أحرز كانت له عونا وتمجيدا يستزيد مع
هو بها عن نفسه شرها خلوق الجلو وبأمر بها مستصحبها من السرور والغرور
والغرور انما حميرة يحيرها اذا انشرح بها صاحبها وجبت له اخوانا سريرة
رشيدة من رغبة ورهبة وانيس وهيبة وقبض وبسط وشكر وصبر وغيبة
وحضور وصفاء وبقاء وعيبة الكرم اخوان اذا ولينا وداصبنا ثم تيقنوا من الكرم
الى اخوان شريعة توجب لهم الوصول الى مقامات عالية منيعة مرجعها الى شهود

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز الدار البيضاء Fondation du Roi Abdelaziz - Casablanca

التوجين والتحفي بالتعزير وصيانة التجويد ولزلم يليق بذكر أسماء الله تعالى
ذكر خباب ويصفي الزمان عما أزياب ذكر الثياب فإذا أجلت لهم معانيها لم يكن
بينهم وبين المتعبي بها حجاب فعفوه الرمح الخفاق وتعفر الطرائق وتسبح
المضائق وليكون هنالك شيء من القوائق والعلائق فليتهن صاحب هذا ما حصل له
من الملك الدائم والعز المستمر فقال الله عز وجل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
مع قوله تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا وهذه عبارة مشيرة الى معنى ما حكاه
ابن البناء الصوفية من تمكن المذكور بتمامها النظم مريد ذا مور من حيث لا نفوز
ولا تحز كما تنبغ بذا الرمح ولا تطمح في الزيادة عليه فإذ هو شيء لا حاجة بنا ولا بكم
اليه وأن الصمرية جلنا أن يتناولها نعت وضرب ولا حرية نفرت أن يعبر
عنها بلحظ وخز فمن زاحم الرمح في الشطط وحصل في مهواة من
الخطأ والغلط فسفه بذلك في جملة من سفه وهذا كله كلام نمق
به الناظم في هذا الزمن الداخر وهو نفس ينشبه انفاس ذكاء بالعقل الصقل
والنسل والخير الله عز وجل وهذا الكتاب وان كان صغير الجرم فهو كبير على
التحقيق لما تضمنه من ذكر الله تعالى والتنبيه على الثناء على اسمائه الحسنى
من غير أن يمزج شيء من الكلام الغث المتعلق بالأغيار وذكر الكوائن
فكل كلام ليس فيه نفحة وكل حديث ليس عنه نفحة
ولولاه لم ينطق لساني بذكره ولولاه لم اتمحل لولاه لم أرى
واغتنم ما ذكرناه من الصغر والكبر بالبطاقة التي توضع في كفة الميزان
فترجح بقاء وتحيش السجلات التي كانت مجعولة في الكفة الأخرى وهذا لما تضمنه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

من شقاء التوحيد جعلنا الله تعالى من أهله في الحال والمآل بمنه وكرمه والسلام الذي
سيوهذا كله بسببه معاد عليكم

148

وبعد فقد بلغني كتابكم وتعرفت منه أموراً منها أن بلالاً أخذ في نسخ الكتاب
الكتاب في حفني والله تعالى يجزيه خيراً ومنها أنكم ذكرتم أنكم فرأتم في الكتاب
الذي فيه ذكر وجد الثلاثة على رجل الزنيم في ذكر أنكم أثبتم عليه التهم والنبز وأن بلالاً
وبلالاً وبلالاً كانوا يشورون عليه ولو عرفتم أنهم هذا الرجل الذي حسناً وفولكم
حيز باشر في الكتاب وجاعل على خاطره والله ما كنت ذكرت الجزء الذي في نفسي شيئاً
لا سيما ما ذكروا من أنه يتصور الله على صفة أبويه يهوديان وهضرانيان وأن الذي
يفتي في خيال ليس في كلامي ما يتبعه وما يثبته أن الذي تكلمت عليه هي
الأرحام التي تذكر عند النزع وما ذكرته من جملة الطوام التي عابوا منها
إذا أكلوه على صورة مهولة أو انكشاف الغطاء له
بالشهادة وليس في هذا ونحوه ما ذكرناه من الأرحام البرزخية منافية ولا ارتباط
فلا أدري من أين أخذ هذا من كلامي ولم أستحضر الآن كله في ذهني **ومنها**
ما ذكرتم حيز رجعتم تأكلون الشعير انفض خاطركم من أجله أنكم لم تضاءوه
فالعامة تقول يشرب الصبر لما هو أمر وأبز اليوم من بحر الشعير لا يحره الأبو
دلاز وأما الفجل فقد مر من جملة الأدوية التي يصفها الطبيب للمرضى **وفولكم**
فإذا اشتر علي الرأس الزنابل الحكاية التي فيها أنها هي صورة جوع فما
أبالي بأي شيء رددتها كان الرأس يعني أو يكون العافل فإن الشبع والتخمة وتخم الطعم
وانتفاخهما مضرة لصاحبها في الدارين وأنتم وأنا كنتم رجعتم الرهز الحالة التي

نقاع الشعير الذي يعرفه الرافعي شيوخ قبلي

295

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdel-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

لعلكم تفلحون الى أن يكون ذلك موجوعا منكم واختيارا كعمل الرجل وما
ذلك على الله بعزيز. وقد لكم على انظر الى العامة الكبرى وهي النار ممن
هو خير منه يأبى صعبه يموتون جوعا حتى يأكل أحدهم الله وأنتم هو أحسن
منكم لا يسعكم سواء لأنه موافق لما ورد في الحديث انظروا الى من هو أسفل
منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم
وقد جعلته أنا على عمومه أعني في امور الدنيا وفي امور الدين وجعله غيري على
امور الدنيا فقط والله أعلم بالصواب. وأما ما سألتم
عنه من أمر الماء وما عفي عنه فاعلم أن الذي عفي عنه ما كنت أشرت به اليكم
من أنه لا ينبغي أن يبحث عنه ولا ينظر فيه وإنما الواجب أن يعفى فيه ما تلقوه
به الوحي من وجوهه وصفاته وأحواله وتفصيلاته. وأن يؤمن الغيب بجميع
ذلك إيمانا ساذجا خاليا من تعيش وتعقيد وتكلف. وأما النظر فيه هل هو
جسماني أو روحاني أو حسي أو معنوي فهو من الفضول الذي ينبغي أن يتجنبه
أرباب العقول وحكم من أخذ اليوم فيه عفي أن يكون في الدماغ إذا ما حمله
على ذلك ما هو فيه من الراحة والفراغ. ثم انه لو علم ذلك لما كان وصار علمه بما
كالعيان. لكان ذلك من العلوم التي لا تنبع. وكل ما لا ينبع علمه لا يضر جهله. وبعض ما
لا يضر جهله فرض علمه وإنما العلم النافع بالماء. وكثير كثير مما يتعلق بالاعتقاد
أن يفعل ذلك كما قلناه على سبيل الايمان ومنبعة العلم بالماء إنما هي ما يثمره
ذلك العلم للعزم ريحا وخوفا يبعثانه على العمل الصالح والتقوى والايمان هي
اثارة ينبطها العزم أبلغ من التعبير أن كل ما يجيء به فهم الانسان وعلمه

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

من شقاوة التوحيد جعلنا الله تعالى من أهلها في الدار والمآل بمنه وكرمه والسلام الذي
سبق هذا كله بسببه معاد عليكم

148

وبعد فقد بلغني كتابكم وتعرفت منه أموراً منها أن بلالاً أخذ في نسخ ذلك
الكتاب في حيفي والله تعالى يجزيه خيراً ومنها أنكم ذكرتم أنكم فرأتم ذلك الكتاب
الذي فيه ذا وجدتم الثلاثة على رجل الذي شهد لي ذا أنكم أثبتم عليه بالفهم والنبل وأن بلالاً
وبلالاً وبلالاً كانوا يثنون عليه ولو عرفتم أنهم هذا الرجل لكان حسناً وقولكم
خير باهر في الكتاب وجاء على خاطره والله ما كتبت ذا الجزء الذي في نفسي شيئاً
لا سيما ما ذكروا من أنه يتصور له على صفة أبويه يهوديان ونصرانيان وأن ذلك الذي
يفعل في خياله ليس في كلامي ما ينبغيه وما يشبهه أن الذي تكلمت عليه هي
الأمور التي تذكر عند النزع وما ذكرته من جملة الطوام التي يعاد منها
إذا أتى كروبيه ملك الموت على صورة مهولة أو انكشاف الغطاء له
بالشقاوة وليس بين هذا وبين ما ذكرناه من ذكر العلم البريء مناسبة ولا ارتباط
فلا أدري من أين أخذ هذا من كلامي ولم استعرض أن كلاً يجيء **ومنها**
ما ذكرتم حين رجعتم تأكلون الشعير انفض خاطركم من أجله أنكم لم تضاجروه
فالعامة تقول بشرب الصبر لما هو أمر وأين اليوم من بحر الشعير لا يحره الا أبو
دلاز وأما الفجع بفرس من جملة ذا ذويه التي يصيبها العيب للمرض **وقولكم**
فإذا اشتريت علي ذا انظر الرنك الحكاية التي بيننا إنما هي صورة جوع بما
أبالي بأي شيء رددتها كذا لا ينبغي أن يذكر للعافل فإن الشبع والتخمة وتغير الطعم
وانتحابها مضرة لصاحبها في ثاني حال وأنتم قد كنتم رجعتم الرهن الحالة التي

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

لعلكم تفلحون إلى أن يكون زهدكم عامتكم واختيارا كحال الزاهد من الرجل وما
ذا الزهد على الله بعزيز. وقد لكم بل انظروا إلى الطامة الكبرى وهي التنافس في
هو خير فيه يأتي صعب يموت جوعا فحينئذ أحمد الله وأشكره هو أحسن
منكم حالا بيسعكم سواء لأنه مواقع لما وردت به الحديث انظروا إلى من هو أسفل
منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم
وقد حملته أنا على عمومه أعني في أمور الدنيا وفي أمور الدين وحمله غيري على
أمور الدنيا فقط والله أعلم بالصواب وإلى الله المرجع والمآب. وأما ما سألتم
عنه من أمر المعاء وما عزي فيه فاعلم أن الذي عزي فيه ما كنت أفتيت به البكر
من أنه لا ينبغي أن يبحث عنه ولا ينحفر فيه وإنما الواجب أن يعتبر فيه ما نطق
به الوحي من وجوده وصفاته وأحواله وتفصيلاته وأن يؤمن الغيب بجميع
ذلك إيمانا ساذجا خاليا من تعنيف وتعقيب وتنقيب. وأما التكلم فيه هل هو
جسماني أو روحاني أو حسي أو معنوي وبعموم الفصول التي ينبغي أن يتجنبها
أرباب العقول وحكم من أخذ اليوم فيه عزي أن يكوى في الدماغ إذا ما حمله
على ذلك ما هو فيه من الراحة والفراغ. ثم إنه لو علم تلك الأعيان وصار علمه بها
كالعيان لكان ذلك من العلوم التي لا تتبع. وكل ما لا ينبغي علمه لا يضر جهله. وبعض ما
لا يضر جهله فرض علمه وإنما العلم النافع بالمعاد. وكثير كثير مما يتعلق بالاعتقاد
أن يفعل ذلك كما قلناه على سبيل الإيمان ومتابعة العلم بالمعاد إنما هي ما يثمره
ذلك العلم للعبد من رجاء وخوف يبعثانه على العمل الصالح والتقوى والإيمان هي
آثاره ينبطه أمر يزيد أبلغ من التعبير أن كل ما يحيط به فهم الإنسان وعلمه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

قام وغضب فصور بفعل ما يترتب عليه من التأثير بخلاف ما لم يحط به علمه والله
كان فوله تعالى يبني عباده أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم
ابلغ في اثارة الرجاء والخوف من ذاك الذي اشتهما في ذا لجمال أن مغفرته ورحمته
وعذابه كل ما امتز بهما عن ذاك لنسان الوتعيين شيء لم يستتب له ذا الذي للابهام
الذي فيهما وجوز وجود ما هو أعلى من ذا الذي وأحقر في عز كتب هذا أن الرجاء
في هاتين ذا بتين الذي عتين أغلب من الخوف من وخصين الخصمان ازين على ما ذكره
أيمتيار رضي الله عنهم في ذا الذي وا بعد أن يكون ما ذكروهما ولم أر هما أحرهما تقديم
الرجاء على ذا بة الخوف وتقديم الشيء يوذن بالتهمم به كما قال سيبويه والثاني ذكره
في ذا بة الرجال الصفات العلية وأسمائه الحسنى وذكر ذا بة الخوف بعده فقد
وهو عز ابد ذا لبم وبينهما ما بينهما وما ذكرتموه من أنكم لم تقفوا على نص
الغزالي فيه وكذا لم أقف عليه وهو ذكره في كتاب ميزان العمل شيئا
يبعد أن يتوخز له منه مذهب في المعاد الروحاني والله تعالى أعلم وقولكم
في الكتب ذا بعد قولهم بع بينما الفتاحين الرابع هو نظر ذا بعد ثابته ولو
عرضتما في ذا بان العالم وناعية عليهما بيمن بزيد فرا بساوي ذا الذي وا جميع
ما عندكم في دولة مسوسة وذا كل لما افرزت بذا الذي فقد اعلمتم بنا بأن عندكم
فتاحين مفتحين من الياقوت ومعلوم أن شيئا من ذا الذي تستغرب عن حلب
الزين الذي لم قبل زيد وعمرو ولم يزعم ذا الذي عند جوعا وذا حرا وذا بزغا
وذا ليضا ذا حلم به سر من ذا سرار الملكوتية التي يعبر عنها بالتشهد والتوسل
والمجاهرة والخلوة والذكر هاوكذا لبغ المبا ركزوذا نما هو شيء حسن في

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

عيط عباية وجاوزت بي استحسانه واستملاحه منبلغ النهاية بحيث
استغرقت الفتاة الحيم المفطورة من اليافوت أن يغطى بيد من عيم أن يكون
لذلك أهل ولا قبل بل هو شيء قرد بي فليط من غير كسب ولا جعل فاء انقرر
هذا فلتعرد منه أن كل أحد يراسما يليه وفيمته عشرة مثل الفيمة التي
وضعتها كل حرد بما لديهم فرحوز من راى صرد عندا وتفيمه له
فقر تعالى أمرا ما قالا ينبغي لأحد أن يقوم مزاجه يصرف أحر عن
شيء زهد له ولو تيكوز ما كان من تحفيز أو خرمان وليعتمد في الدر منزعه
إن أراد أن يطيب عيشته معه وما أحسن المعاملة التي يعامل بها فلان الناس
في هذا الزمان أخلاء الدر اتكاء تجر أحرا يطلو فيه لسانه بزم ولا عيب عكس
ما انا وأنت عليه من ضيق الفيج ولا نرى كيف نعيش في هذه الدنيا بالله تعالى
يلطف لنا بلطفه الخفي الذي ما لطف به أحدا غيري وكفى ولا كنا غا
رجعنا الى الحفيفة رأينا حالتا وحالة صاحبنا من غير واحدة فلا افضلية
لمتسع على ضيق ولا مفضولية لضيق على متسع دائما بما يفضل به مزاء أحدهما
على الآخر وشيء مما يفضل به الجلاع لنا على كنهه وقد ايكون لنا شعور به ولذلك
نجد افسح الحاسفين الذي تشهيزه نفوس العالمين تكون فيه خاصية محمودة
لو وزنت باليافوت لوزنتها بما خنط بمن هو قوقد في الخال المحمود
ولعل بتلط الخاصية يستوجب من الله تعالى المنزلة العلية ويعتبع له بسببها
كل حالة رديئة. ولما سمعت لهذا الكلام كله لنصاحبي فليط ساكتا
ونفسه هاء ندا ماء اكرت لذلك الحال مع قوله من خير جاء الرهنا ولتعلم من الدر

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

أني في سوق المعاني ورنق بعضها ببعض ما نع. وكل طريق يفيد الجامع
ونفي بعزما قدمناه ذكره من أن كل أجر عن نفسه جزء بأجر أو لعلك ترى
قولي إذا ذكرت لك حالي مع فلان فحدث نفسك بأنه كانت بيني وبينه
حالات ومرات كلا لم يكن شيء من ذلك وإنما الرجل جاءني هنا ونفي يومين
أو ثلاثة ولم أتبعه ولم يتبعني أما عدم التفاهم فهي فهو الوجه لأنه
فاهم والفاهم له حق في أن يحاسب وأما عدم التفاهم معه فلا أعلم لي سببا
معتبرا إذا الزيادة والوقوف مع حظ النفس وأي شيء ما الذي يجر البنا ذلك
بي والله تعالى يتجاوز عني برحمته. وقولكم وفقكم الله شفتم عوار المفرطين
في هذه الأزمنة صحيح عندي أن عوار ما ذكرت لك وأكثر لم يوافقني
على ذلك أحد ولم يجز لي أن أوافق عليه فلان ولم أجد أن أتعرض أن يوافق عليه
جلا أبالي بعدموا فقته من خالفني فيها والثلاثة الأتي في علمها بستين وضع
الفرد والحاجة في الربع والخامس أن المقصود فحصل. وأما
ما ذكرتم من كاسلكم عن الدعاء بسبب خطركم الى القضاء والقدر وأن الدعاء
لا يرد ولا ينفع بفوت مقصود منكم وجعل الدعاء من جملة الأسباب التي
أجرى الله تعالى سنته بترتب المسببات عليها من غير أن يكون لشيء منها
بعمل أو جعل من أكل الخبز شبع ومن شرب الماء روي ومن جلس في المسير
من الغلام الى الغلام. أو زرع في الغاصب في الزراعي والخصام. وربما يفصل
في بيره ما يكون فيه قوام أموره. وكل الأمر دعاء في شيء انتخبه له وهذه
كلها أمور دعاء بية متساوية في السببية وقد قال بعض العلماء في قوام قال

هذا مع قولك حب
كيف يكون دعاء
قوي صياء على ما

ما يدل

مؤسسة الملك محمد الخامس - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

أجل ما أكل الرجل من كسب يده وإن كسب يده هو رفعها إلى الله تعالى بالدعاء
عند الحاجة فإذا كان هذا كله أسلوبا واحدا أي شيء يفعلون
البغضاء وذلك البغض وسوء الكلم وربما تقابلوا عند الدعاء لكونه الحمار
للعبوء به فلا أدري أي شيء تفتخرون به وجه كون الدعاء الحمار للعبوء به
فإن كنت تفتخر به أن تكون في حال دعائك مبوءا متوكلا الأرب الكل في استجلاب
شيء على وفق دعائك فإنه لا يكون الفقر بعينه وإنما هو في الدعاء أنه عبادة هي
بنفسه بذل الاعتفاء غير مستنكف أن يبدو من الرغوى ما لا يبدو وإن اعتفرت هي
وجهة الرأي تكون في حال دعائك حالبا منه شيء أرأيت أن الرغوة مضمحة
من غير أن ترعى استغنى عن الرغوة باستعاوة نفسه ومن غير أن ترعى دعائك
سببا موجبا لحصول الرغوة الشيء المطلوب وذلك الحكم الأولي فهو اعتفاء
مستنكف سالم من الرغوى وتكون في دعائك هذا الذي صحبه حلبة المحارب
والحاجات مظهرا للعبوء به السبيل الكل في الحمار هو سوى هذا الذي
يفرد أنك لم تستغن عن مؤلك بحال أن الله تعالى لما ركبك تركيبا يفوح إلى
لقمة تأكلها وشيء بدت شرهة وبزغوث تضرب عنك أعداءه وقار تدفع
عنك ضرره وعزوا افتضى منك عند وجوده هذا كله أن تنفر عنه
وتنصرع إليه وتلح في مسئلته ليصرف عنك ما أهمك من ذلك الذي خلقه
وأقلك أن تكون ملكا في داخرة تقول للشيء كن فيكون وتكون من الفرب
منه والزلفى بحال يصبه الوامقون وما يعني عنه المعبرون ولم يكن لك إلى التوصل
إلى ذلك والتشاغل بما شأنه جليلة وأفوته ذلك افتضى منك أن تشتغل إلى

وترغب إليه فيه ليعينك على كفه نفعها وفعله حسنة بتركها وتكون في دعائك
في هذين الأمرين أعني الزنا والخمر أولا وآخرا والحاصل ومبالغتك فيه مطيعا
لله تعالى ومتعبدا له بتركه وموافقا لمراده ومطهرا للعبودية وقائما بحقوق
الربوبية وآيبا في تركه أن يكون مفوضا متوكلا راضيا كما آيبا في تركه التسبب
والتكسب ومحالا أن يكون العبد في حال تسببه وتكسبه محبا له وأميل إلى
الشيء الذي يطلبه ويستحليه وأكره لعبده بتركه ذلك إذا تغير قلبه واضطرب
وتشوش عند عدم أسبابه إلى مطلوبه بعدوه الذي يظهر أنه كان مفلسا من
تلك المقامات العلية وأما إذا كان لا يتغير قلبه ولا يضطرب ولا يتشوش عند
عدم ما ذكرناه فهو جائز لتلك المقامات العلية ولو أخذ الزنا في مرة
تكسبا وطلبا بالكلية وكذلك لو أخذ في الدعاء والسؤال وطلب الحاجات
والنوال وعرفان النبي صلى الله عليه وسلم بي بغض عباده أسلم إلى الرضا
بغير القضاء أو كما قال صلى الله عليه وسلم فمقتضى هذا أن الرضا غير القضاء هو
الحال المطلوب وأما فعل وقوع القضاء فالمرجع منه أيضا أنه من مقتضى الجبلة
التي فطر وقوع البلوى والرضا به ليس بواجب أنه حرية بغير ومجرد عفوى

فإن قيل إذا كان العبد مجبولا بما يحصل له بتكسبه وتسببه
وعاداته وطلبه واشتهى أنه إذا لم يحصل له ما يغلبه حبه بغضا أن
محبة وجود الشيء مقتضية للبغض لعدمه فكيف يستقيم لك هذا

قلنا قول
الرضا صحيح ولكن الذي أول ما يجاهد بمقتضى الطبع والجبلة الذي يذهب
ويزول بما يكره عليه من جنوده إيمانه ويقينه ومعرفته فيهزم الله وهو منهزم له

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

منزلة الكتاب الذي ينهزم بالتذكير في قوله تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم
طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ولم يقل إذا مسهم ذكر أو إذا صبهم
كيف والبشرية للإنسان أمر ذاتي لا ينفارق وهو من شأنها التألم والتأثر قال الله عز
وجل وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد
وتزجون من الله ما لا يرجون قل لهم تعم التألم عند نزول البلاء ولكن حكم
لهم بكونه ألما مغمورا بقوة الرجاء ولم يكلف الله تعالى عباده أن يكونوا
في أجسادهم مثل الحجر لا يتأثرون ولا يتغيرون كيف وقد أبنا عليهم السلام وأولياء
لم يخرجوا عن حكم بشريتهم في آلامهم وأوجاعهم بل أصابتهم آلام القوية وضروب
الإبلاءات البرزية وتغيروا بها وتأثروا وناهيك بما أصيب به سيدهم وخيرهم يوم أحد
بل ما جرى له من سببها أهل الكتاب حين عرض نفسه عليهم ثم انصرف عنهم آيسا
من إجابتهم من الاستعانة والاستصغار والرجم بالأحجار حتى قال حين أوى إلى الغار
الحائط اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس
إلى آخر الدعاء. وروي أنه لما أصيب به يوم أحد أنشد هذا البيت
أحسن من قول طرفة بن العبد

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

ولكن لما كان ألمه مغمورا ومقهورا ومغلوبا بما كانوا فيه من المشاهدات السنية
والمقامات العلية لم يضر بهم ذلك حسا من ألمه وما وجود التأثر به حسنة وآخرة لذا
أن كراهيتهم لذلك فرارا رفعت بما ذكرناه بل زادهم ذلك في حال البلوى قوة
ومقام الفقر قوة ورسوخا ولست أوجب أن لا يتفكروا من وجود ذلك فيهم في كل

حال بل قد يكون ذلك في بعض الأحوال لأبناء فرز وإن كانوا من لخم وجذام. ويكون هذا من جملة الكرامات التي يكرم بها كما يصيبه أهل الفجار والوجر فقد يبلغ بعضهم من قوة الوجر أن يضرب بالسيف في وجهه وهو لا يعمل فيه. وقد حكى مثل هذا الجبير عن الشيخ رضي الله عنهما واستكره ثم بان له صحته. وكما جرى للحسين ابن منصور فإنه ذكر أنه كان تقطع أطرافه ولم تتغير منه شعرة وقد يضرب الله تعالى هذا وما عن بعض الناس بلطيفة خلقها لهم فقد حكى الشيخ محيي الدين العربي في بعض كتبه قال رأيت فاطمة بنت النجاح بمكة وقد أخذها أبو مدين بوعيها أن لا تطرا تتمها فيه بضرها عصيا كثيرة وهي ملقى عن ما خبر بشيء من ذلك فقالت إنه لما ربطني والدي وأخرج بني أخشبت بشيء رمى به نفسه علي وعانقني فكانت العصا تنزل في لحم فخذي الذي يليه فيسيل وانفتح وفتح الحصا وأحمر بشيء منها في لحم فخذي فكنت أصدق تحدثا من ذلك وأكثر هذه الأحوال ولن جلت. والمواجير وإن عظمت وقلت. فلا تقتضي إضلتها للحال المألوفة المعتادة التي ذكرناها بعد أما لحضر في كيفية الدعاء لإظهار العبودية. والقيام بحقوق الربوبية. فمن أعلى كلام أن يقطا. بعض عنوة الحق الذي ليس عليه غطا. وليس مستبعدا أن يخالف بعض ما قلته من التعبير المتعارف من أهل هذه الطريق. ولا ينكر منهم وجود ما عن أن أنهم لم يبرزوا ذلك سوادا في بياض من غير أن يغيروا الدعوى. أو يعتقدوا الدعاء ضلالا ومبنى. وأما غيرهم من أهل الظاهر فيغيروا فوز عليه. ولا يصلون بقدح ذا عن أن الله و فوقكم وهذا خفت منه أن يكون لحذف إلى عن الباب. لكتابة

الحجاب بلست بحرة ترك الزعامة محمودة أو لا محجوبا ولا كن لجهل بهذه المعاني
ربما يكون سببا في الرياء اعرفها دان يقرقع لك الباب وترفع عنك الحجاب
باغ خل وتفرج .. ولا تنصرف عنه ولا تفرج ولتستكثر من الزعامة والسؤال حتى
في الأمور التي ليس لها بال كما فالسلفي حتى ملح تحيط وعلب شاطر وافعل
في مطالبك كلها كما كنت تفعله حين كنت تزعم على قلاز بالحاح والتطويل
وتجعل الزبير الصحبة والمنزيل ولا كراء ابعلنة الزبير أمر بين لك فيه صلاح
ومراء .. فلتكن حينئذ مجتنبا سبي العمل ولا عتفاء .. أما سوء العمل بأن
تكون عند عدم اجابة الدنيا لما طلبته منه متشوشا مضطربا وأما
سوء الاعتفاء فهو أن ترى الزعامة ينط سبتا موجبا فإذا اسلمت في عاقبة
من هذين المحذورين فاقنع بما أحببت حتى ما تتعرى به وما تتعشى وقنعنا
بما اليد هبة فإنك لا تخاف في الزعامة كاوا لا تخمشي والله تعالى أعلم وفوق كم
أن حالي في هذا الوقت ملجئ جدا لم أتفرغ لقراءة حرف من كتاب الله ولم أزل
على الفرض شيئا مع كونه للعقوبة أقرب .. بل الحق واجب .. فحقوق كلام لا يتساوى
فيها حد .. وليس له قاعدة .. ولا ضميمة ولا عامة .. ولية شعري أي وقت ترى
حالي فيه غير ملجئ وأن الفرض الذي تأتي به أنت بسببه للعقوبة غير مستحق
لعذر إذا جاء الزمان الوقت لتبتلى فيه بطامة كبرى ولا تبكي فيه حزينة مع أخرى
وأما ما استشرتموني فيه من عرض ما عرضكم على قلاز وأن قلا قالم يوافقكم
على الزبير فاعملوا الآن شاء الله على الزبير فإنه خير بي شيء لا يوافق عليه مع أنه أعلم
بحال الزبير الرجل منكم وفرقت ذكرت لكم السبيل في عرض كل أمر على الناصر فالزموا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

والعمل عليه والله الموفق

وبعد أن كتبت هذا ورد علي منكم كتاب على وفق الخاطر من جملة
ما استبعد. وكان يبغي على الخاطر مما منعت منه من عدم حصوله من فرض
بسبب ما أنا القائد وأكابد على الراحة والشقاء. أما ما استبعد فلم تزع
به لقائل ما يقول وأما عدم حصوله على الشقاء قد بذلنا من قبل من أن نتكلم فيه
بكلام معقول منقول كما شاء الله تعالى وحكم وذلك أنه لما حكيت في جملة ما حكيت
تلك المسائل القبيحة نافلة لها عما أمثالها عليه قال عجبها بقوله ولزوما
مغاربة الرخوان في المضمار والله أعلم ما وسعني أن أكتب شيئا من ذلك وفهمنا
أن المضمار المعني أن تكون نفسه عند ما تباشي بقاعلى أي حالة تكون بلا تناضل
عنها ولا تشعى فيما فيه فاترتها ومنعتها وما تهوى فيما يلقاها من خير أو شر أو
سعادة أو شقاوة فلما كان عندك هذا هو المضمار استحللت بسببه أن تشوق
تلك الحكايات التي يجوز لك سوقها واستحللت أيضا أن تقول في كل ما ابتهل
على خطاك فيه الحمد لله الذي أقصى فرد فيه ومن أنا حتى أكون لذلك أهلا
وتقول حين حكيت قولي بعد أن كنت متشوفا الآن برء علي ما يسرني فإني الله الذي
الحمد لله الذي أطمع ما سبق من فرد وإراءة تدفيه ومن مثلي في الوجود إذا طمع
لي أني محل للجود فضلا وإراءة المعبود. **وقوله** وإذا لم أنتم منه راحة
أي شيء ينفع في الوجود. وإنما المقصود أن يغير ما سبق من القضاء. ويطفئ
ما شجر في أم الكتاب من سعادة أو شقاوة وما أشبه هذا من الكلمات فكان خالد
معي في هذا كله كما تقوله العامة من أين ما ضربته له وتربعلق له محلا. وفسر

طمي

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وفرط تحرير وقوة تحبير بين حالة الإيجاز وحالة الذي ذكرته في الكتاب الذي
تقدم لك به هذا الدرا والجواب عليه فإن كان خيرا وشكرا على تلك الحالات
المكروهات مع كراهتها لها ونفورك طبعا عنها وتمنيك أن لم تكن عليها
فيوشك أن يصبحا وأنت فيه فرحا وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حمار معروف إذا أصابه ما يكره قال الحمد لله على كل حال وإذا أصابه ما يحب
قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات أو كلاما هذا معناه والظاهر أن هذا
المعنى هو الذي قصدت وإن كان لم يقع عنه بكلامك وإن كان حمدك وشكرك
على تلك الحالات المكروهات مع عدم كراهتك لها وعدم نفورك طبعا
عنها وعدم محبتك أن تكون عليها أو تشوفك إلى أن يحصل لك عدم
الكراهة والنفور والتمني أن لا تكون عليها كما هو ظاهر كلامك فقد اختلفت
في غاية الاختصار أن التكلم على هذه الحالة يستدعي طولا كثيرا وإنا
نختصر في تحريره بأقصى ما يمكننا أن يكون مع تحرير واختصار مفهوما
فقرب المرام ممن أصغى إليه بقلبه ولبه وتأمل كل حرف منه وإياك جزافا ولا
يعتذر أن به لغوا وحشوا فإن هذا النمر مرشاني في كل ما أقصد به من
بيان والله تعالى المستعان ونبدأ أولا بالغرض المطلوب واحتمالاته ثم
نرجع ثانيا إلى بيان خطأه في أقسامه واحتمالاته بعون الله تعالى وقوته

فنقول إن قلت لي هاهنا وأي شيء يقع في الوجود إذا الخطأت فيما
ذكرت وتجري على سنن المتقدم أقول لك لو تكلمت هاهنا وطولت
الكتاب وبعثت به إليك بلا زيادة عليه فأنت حينئذ بين أمور ثلاثة

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

أما أن ترضى بسكوتي هاهنا وبما ينبسط عليه من الخطأ وشطط المسلك
الذي سلكت به شطط الكلمات وأما أن تتشوف الى مزيد كلام وترضى بخطأي
وأما أن تتشوف الى مزيد كلام على ما ذكرت وأنا رضى بخطأي بهذه الثلاثة
أوجه لا أزال أنكر عليها فأعلمها فأما الحال الأول فلم أر أحدا توافق عليها مع أنها
موافقة لمذهب عمر بن الخطاب هذا العرفان وليس رضاك بدخول جهنم بأفرد من
رضاك بسكوتي عن الزيادة على التكلم واستمرارك على الخطأ المتفاحش
فتبين بهذا أن حالك في أنك غالط بي رضاك بغلطك إذا لو كنت به مصيبا
لجرى الباب مجرى واحدا فإن قلت أرضى بهذا الحال وأجري به على منزعي
واستمر على مذهبي فإذا قلت لي هذا القول لا يسعني إلا أن أقول لك ابن بالعافية
أنت حيز رضيت بغلطك وسكوتي عن بيان غلطك لم يبق وراءه كتاب ولا سؤال
ولا جواب واستحثيت وانبسطت ومعلوم أنك لا ترضى بهذا ولو
خربت بالخطوط المبينة فظهر أنه لا بد لك هاهنا من التوبة من ذلك المذهب
ثم أنك لا بد لك من أن تنتقل الى الحالة الثانية أو الثالثة أما الانتقال الى الحالة
الثانية فلا وجه له وفيما من التناقض ما لا يخفى ويجري الكلام عليها مجرى
الكلام على الأولى وأي فرق بين رضاك بالخطأ وبين رضاك بأن لا يقع مني له
كلام أنت إنما رضيت بالخطأ من حيث هو قضاء من الله تعالى وقدر وكنت أنت
أهلا له ومحلا وكذلك يلزم في الحالة الثالثة لم ترضها فإن التزمت هذا جرى ما هنا
الكلام كله الذي دفع منا على الحالة الأولى ولم تلتزم هذا وتعتذر عبارتك
في هذه النبذة ونص عليها وتطالبني بالكلام الذي ارتقبته مني فإني أقول لك

مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

يا أخي إذا طلبت مني شيئا يتعين بالفاء تشبيرها هي عنه فاء أني
إنما أريد بكلامي كله أن أضبط عن الخطأ وأنتم بعض أن أضبط
عما أنتم به راضون فإن أنعمت كما هنا وراينا هذا أن مالك لحوز حمام لزمك
أن تتوب أيضا من هذا المذهب فيتعين عليك حينئذ انتقال إلى الحالة الثالثة وهي
أن ترضى بخطأك وأسكوتي وهذه الحال سمي الجاهلة منك وإكنا فرضنا
ما ذكرناه من انتقال الركن أولا ركنا على ما اقتضاه كلامك الذي أخبرنا
منه مذهبك فظهر من هذا أن كلامك كله هو الذي تعبر به عن حالة ثابتة
راسخة فيك وأن سائر أقوالك التي ذكرناها عنك حين قلت الحمد لله على
كذا الحمد لله على كذا الآخر جائز في حال لا يحصل له مقتضى بحال وأنك
متوغل وراسخ في الحالة الثالثة ولم تنتفع بذكرك منك وهي الحالة
التي لا يعلوا عنها عاقل لا يصطلم بالوجود ولم يغيب في الشهود فإذا اعترف
بهذا الزمني أن أبين لك كيف تكون في الضار مع كونك عليها أغنى على هذه
الحالة الثالثة ولنعرض الذي مسئلة مخصوصة لئلا يتشعب الكلام
وهي ما وقع منك من أنك لا تسمع بذرة للمساكين مما عندك بقولك الرخصة
أن تعترف بأن هذه علة فيك أنك تعلم أنها غير مرضية في الشرع فإذا اعترفت
فلا يذل من معاناة زوالها عنك فإن سمحت بفسك بمعاناتها وتحقيق ذل فلا
كلام وإن لم تسمح ولم تنتفع فلا يذل من أن تتكرب لذل أنا أو غيرك أنك بإزاء
مقام أنك تحب وتبغض وكرهك هذا إنما هو لكونك على تلك العلة ثم إن كرهك على
تلك العلة إما أن تعتبر بالنظر الماضي أو النظر المستقبل فإن اعتبرته بالنظر

مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

إلى الماضي وتقول يا ويلي انقطع علي زماني وأنا بتلك العلة مبتلي فيقال لها
مضى مات فالكذب لأجله ما وجد له والحب والبغض المتعلقان بالماضي
كذلك فلما قال الكذب والحب والبغض في هذا الوجه ينبغي للعنين أن يبعد عن نفسه
ما استطاع فإذا ابتلاه عن نفسه ابتلي به فيقول لعل خاله الكذب زال عني
والحب والبغض ليسا عنين ولكن يلزمهما التشوف إليه والتمني له لأن هذا هو المناسب
لحال العنين ومعلوم أنه إذا ابتلاه عن نفسه فانتهى بكونه في محاولة ما ينبغي به
وجود الرغوى عنه مكلفا بحيث كابده عليه وجهد ولا تحمله عليه فرحمه
وحن فإذا أثار قلبه استأنس بشكوى كرب يكون على ما مضى لابد لهذا على أنه
محال ولابد للبرائة من الرغوى أن تتوارى القلب على خلاف مقتضى البراءة كما
قلناه وهو حال الزبد أكثر شكا وبطء التي تقرمت لزبد في كتبه كلما التي إن كانت
متعلقة بالماضي وكنت فيما غير جاري المضمار مرجعة كونها ذكرية على شيء
مضى وفات ولم نقرر بأنه انتهى عنه الكرب بل زال ما ابتلاه من الشكوى
على نفي الرغوى أنما خرجت من صميم القلب وكان حقها إذا لها أن تكون من وجوه
بزوغ شيء من هذا الذي ينخرط في سلك **فإن قلت** أن الكلام حكمة بحسب
انتهاء الكرب من أمور كانت في الماضي والخلقة ولم تغير كما قيل وإمام
الغزالي فإنه ذكر حال العنين الشاب الباكي على فوت السالفة ومثله بالزبد
يحتاج الرجوع ما ذكر عليه جنح فيفهم هذا الرجل الى تخريب هذا الجنس
فيخبره ثم يجعله المثال الرجوع إلى النساء فيجوز بغير اللتيا والتي فإذا جاوز
وقع على ما كابده من الشرائد والمشقات فجي جواز أفضل يكفي على تخريبه لغير الزبد

الجنس

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الجنس وقد أشار هنا وأمام الغزالي ما معناه إن لم يكن أمامه جنس آخر يخاف
أن تزعوه نفسه الى تخريبه فلا وجه لتشاغله بالبكاء على أمر فرقات بلا فائدة
وإن كان أمامه جنس آخر فإنه يستحسن منه ذلك ليبقى الحزن والخوف ملازمين له
فيكون ذلك مانعا من أن تزعوه نفسه لتخريب جنس آخر فيلقى من العناء والتعب
ما هو أعظم مما كان يلقيه قبل فتكون هذه فائدة بكائه وإن كان هذا البكاء على أمر قد
مضى وانقضى فهذا المعنى تشير المسئلة المعروضة عنه فلم فيه نسيان الذنوب
وتذكرها وآخر هذا الذي ذكرته هنا هو معنى ما ذكره الغزالي وليس بين
وبين هو إلا الحالة الذي لم تمكني معاودة النظر فيه إذ لم يحضرني الكتاب الذي ذكره
فيه **قول** ولا وجه لهذه التفرقة وهي غير المزعوم أنه جعل مغتنم
أمره في بكائه أن يصاحبه الحزن والخوف فيمنعه ذلك من تخريب الجنس الذي أمامه
وهذه دعوى لأنه شاهد بعمل نفسه في نسبته الى أن تخريب الجنس مرة أخرى وقد
جعل مغتنم أمره اللجأ والافتقار الى الله تعالى والفناء باليد ضعفا وعجزا فإذا
كان مغتنم أمره هذا كان ذلك آخر بحسب التبع لعين رؤية فعل نفسه فلا يتم في
بكائه كل المبالغة لأن ما يقع له من هذا الجنس إنما ينبغي أن يكون قصر به أن ينبعث
عن نفسه دعوى وافتقار واضطرار فلا يكون له حينئذ اجتهاد وابتهال كما
ذكرناه وإنما الفضل الذي في هذه الدعوى هو ما ذكرناه إنما يكون مع التعذر وعدم
استحثاث الركب في المسير وأما إذا كان الوقت ضيقا وخشي فوات القافلة قبل
وجه لتشاغله بالبكاء طلبا فليبلغ الدرك ليأخذ من زوده على عنفه وليمضي
يعرج على شيء وهذا هو الذي حملني على عدم تغيير كلامه كما فيه الغزالي

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وحمد الله تعالى **فإن قلت** فالكرب على ما مضى لو لم يكن مستحسنا
مطلوبا لم يكن ذما نبيا وذما أوليا وذما لعلماء ابكوا وصاحوا وناحوا على وجه
لم يقصروه بقي الزعوى عنهم كما ذكرناه **فأقول** يتعين علينا أن نجيب عن هذا
السؤال بما ذكره الامام الغزالي رحمه الله ونقول في تقرير على ما كان حاصل في هذي
منه ذما نبيا وذما وليا أقيموا مقام ذما مذموما فتراه من شأن ذما فوتيا أن يسيم وا
بسيم الصغار فلو لم يجز على نحو هؤلاء الكرب كانوا راضين عاونين كثيرين من
حيث لا يفطنهم خوف ذما فوتيا لرأي ذما أتباعهم منهم فلم يحملوه على وجهه ولم
يحيطوا علما بكنهه فيضعوا البكاء في غير محله فيهلكوا وفي مثل هذا
بالعزم الحاذر والماهر بأخذ الحية وتناولها الذي يعرفها ويعرف منها وإنما
يعرفها الغر لتلا يراه ولذا يأخذها فيأخذها هو فتهلكه وهذا الوجه الذي
ذكرناه الغزالي حسن محتمل أن يكون وهو فرد أن يستنبط وجها غير هذا
وإياه فهذا كله كلام على الوجه الأول وهو كرب على كونه على تلك العلة
المذكورة في الزمان الماضي **وأما** الوجه الثاني وهو كرب على كونه على تلك
العلة في الزمان المستقبل فهو كرب صحيح مطلوب كون العبد عليه أن يديم
ذا الكرب نشاطا وحسن عون على معاناة تلك العلة وكلما اشتد الكرب عظمت
الفائدة بذا الكرب وهو حاصل عن مقام الخوف الذي هو ممدوح في الدين والشرع وهو
الذي يثاب عليه العبد بالجنتين اللتين ذكرهما الله تعالى في كتابه الكريم ثم فزعنا
هذا الكرب بأمرين وهو حسن ظنه بالله سبحانه أن يرفعه وتلك العلة بل يرجوا
منه أن يعينه ويقويه على عمل يكون منه في معاناة تلك العلة حتى يرى أمنا

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وأما عمله فهو بحره فلا يعتمره ولا يلتبث البته وإذا لم يعتمره ولم يلتبث البته لا
يحل له في نفسه ثقلا بل يتوهمه هيئة تنهال من هذا الوجه يحدث الكرب عليه بغض الخبث
وتكون هذه الخبثة محمودة ما مضت عليه بما أضلا وأما إذا خبث الكرب وانتبعت
بالكلية فلا خير في هذا الرجل لما منه على ذا استحقار للطاعة والتهاون بالمعصية
ثم يتولد هذا الخال للعبد الخال ذا بالحمد والترخص والاعتفاء اتباعا التكليف
بنوع تأويل فاسد وهذا خروج من البر والعياذ بالله بل إذا عنت أو سبب اتباعا
هذا الكرب عنه أما هو شعور التوحيد وأنه نوع نضال عن النفس وحرص على
استخلاص الخطوظ لها فرغوا هذه بالجملة ومشاهدة ملابسة لما فرضناه
مركونة لم تنقطع عن الحب والبغض وذا قلبي يشم مشاهدة التوحيد ولم تشاهل
عن النفس ولم تحرص على طلب استخلاص الحظوظ لها في أفعاله وحبته إذا اختبت
إليها ومعلوم أن عدم ما حقق بل إذا لم يكن ذا الحظ فليكن لحظ أيضا ما شاهدت
به في جانب البر ويكون المعبر لها على هذا التشاهد نوعا من الغرور باد عا المشاهدة
التي تأثرت بالمغرفة بر عجب ويعبط عليه أيضا ضعف الإيمان بالوعد والوعيد
والحشر والنشر وهذه حالة مزرية ولذا نافضة للشريعة والحقيقة جميعا أما
منافضتها للشريعة والحقيقة فبين وأما منافضتها للحقيقة فإنا رأيت
هذا الرأي واستحسنته واستصوبته واعتمدت عليه وهل هلك من هلك إلا
بمثل هذا كيف وراحته من هذا تباين الحقيقة المباينة التامة فإن الحقيقة عبارة عن
معنى يقتضي أن يكون للعبد وعلوم ومعلوم وجميع صفاته وجوده وأبواب
هذا المعنى ذا الشرائع التي جاءت بها أنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

كلام صحيح وإن ناقص غير

مؤسسة الملك محمد العزيز الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

لأنهم جاءوا بأشياء تقتضي العقول البتة وأشياء لا تقتضي العقول إليها وهي جملة
واحدة تعبر بها العباد وجزء منها هي التي أبطلت بالآراء والتعقلات بأمرها
لأن الشيء المتعقل والشيء الغير متعقل إذا عرضناهما شيئا واحدا كان لذلك الشيء
لا متعقلا ولا غير متعقل وكان شيئا خارجا عنهما وإذا كان شيئا خارجا عنهما
لم يكن للعقل إذا إلى علومه وهمومه وجوه البتة فيكون أشبه شيء بالأعمى
الذي يفاوض ويساوم لا معنى للحنيفية ذا هو الشريعة هي الحنيفة والحنيفة هي الشريعة
فمن خالف الشريعة خالف الحنيفة ومن خالف الحنيفة خالف الشريعة ولذا ما رحم الله العباد في
بعثة الأنبياء والرسل ليعرفوهم الزلفى الحنيفة بما يبينوا لهم من الشريعة لتاهوا في الظلمات
الآراء كما ونعلم لم يفترض أبدا نبيا قال الله تعالى فيه معنى الشريعة والحنيفة
والله أعلم بما نزل إلى الأرض بعد نبينا إنما يا يهود الله وقال تعالى من يطع الرسول
فقد أطاع الله وما أحسن ما قاله في هذا المعنى الجعفي جعفر بن محمد الصادق
رضي الله عنه علم الله عز وجل خلقه عن طاعته بعد بعثه الرسل لكي يعلموا أنهم
لا ينالون الصفو من خدمته فأقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم في
الصورة البشرة من نعته الرأفة والرحمة وأخرجه إلى الخلق سفيرا صادقا
وجعل طاعته لطاعته ومواقفته مواقفته فقال من يطع الرسول فقد أطاع
الله وقال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وقد سئل عبد الله بن عمر رضي
الله عنهما فقيل له يا أبا عبد الرحمن إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في
القرآن ولا نجد صلاة السفر فقال يا ابن أخي إن الله بعث إلينا محمدا ولا نعلم شيئا
فإنما نفعل كما رأيناه يفعل الرعيم هذا ما ذكره والتشاغل بما تشاغل بما هو

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

معلوم فالواجب على العبد أن يكون أعمى أصم كما يرى دائما ما أراه الشرع ولا يسمع دائما سمعه الشرع وهي معناهما القلب واللسان وسائر الجوارح وهذا كان ويكون حاله كحال الذي قيل له أتشهد أن محمدا رسول الله فقال نعم فقيل له أتشهد أن مسيلمة رسول الله فقال نعم السمع والعجب من هؤلاء النامي الزين فرقوا الدين وجزوه عضين محمولة فهما وتصورا وخاطرا وبالجملة بعيدة وحقيقة فأوجب هذا التجزي والتبعيض أفراد صور النظر أن يتشاغل كل واحد منهم ببعضه وزين البعض ذاهب متبعا في ذلك هواه وما رآه فإذا أمعن الرأي استحلاه فالبين ثم هوى ما أنا عليه وبالجملة كل ملعون ومعلوم أن الطباع مختلفة والغرائز متباينة بياخذ كل واحد بهوى وتحرم بسبب توغله فيه واستحلاله لذة النصفة فيثور هاهنا من الجهل أو ذاك اختلاف ما لم يرد عليه وأنتم مزينة على هذا الغرور الذي عم الخاصة والجمهور وهل ثم ذاهب واحد تعد الخلوبة ربه واحد تغير أو احد أبي قلوبهم وأبصارهم وهو منعم الأبرار ومضايل الأعراض مختلفة المراتب والفضائل كذلك فاتضح الزين بسبب هذا وخل النامي فيه كل على فوره ثم كانت فيه كثرة وشكاسة ومرارة وزعارة بسبب نفسه التي تعلقت من عنقه ولم تزعه يمينا بعيشه طرفة عين كان فضاله أن يتمسك بالأعراض القليلة والبرنية وبعض الفضائل المتعلقة بهما والكل بعد أن لوح له بشيء يغطاه مما يستحسنه ويستلذه بحيث الغرور الذي تستمال به قلوب الصبيان وضعفة النسوان ومن كان منهم فيه خربة لحنف وكرم سجية وكمال انقياد وتمام قابلية تمسك بالأعراض

مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

كلها وأضاف إليها الفضائل من غير أن يحتاج في ذلك الى تلويح بشيء يوجب له
مسامحة بالقاعة ليس ثم شيء سوى هذا أو ما يشبهه أو ما يلحقه وما عداه
حتى الزرع لا كراء فيه ولا يتبع **فإن قلت** هذه شهادة على نفي
وهي غير مقبولة عند الفقهاء **قلت** شهادة النفي مقبولة في بعض
الأشياء وهذا منها بهذا هو الذي ينبغي لأن تأخره مني وتحمله عني وكل ما
جاء عني مما يخالف هذا فتأوله عليه بالتأويل المرضي والمختار ولا يأثم به
في البحر الزخار فإني لا أحل لأحد أن يتجاوز الحدود وبيني وبين ما وراءها المعبود
من غير حياء ولا احتشام ثم يرعى في غير المرعى أخذه مني ونقله عني **فإن قيل**
رسمي **أقول** نعم ولا شبهة عندي في أني مخصص أثقال الحطب كثيرة الأوزار
وعموم التقييد والتصييح أنا الليل وأحراد النهار وأنا محتاج الى التنصل
من هذه الأمور اعتذار والتوبة منها استغفار لكن ما مضى من هذه الأمور ينبغي لي
أن لا أتكلم له فإني جاهرت نفسي في هذا بما يزول عني به الإثم الكريه أو يخفف وما
استقبل من هذه الأمور فهو للعمل بما يجب علي منه لا العزم بيد الكريه والاعتمام
أن هذه الأمور في حقي بمنزلة صيام العام فإني أخبؤه للمرء نفسي في بعض أوقات
تحنث الرجاء بمحض المساكين والضعفاء وأما أن أدعي أني راض به بالعذاب
والعقاب أو أن يغفر فرية الله تعالى بي من جملة المحاب فحاشى وكلا وكل أحد
يعرف عظمه على الصغير ولو كراهية التغيير لاجتماع الغير على عيوبها
لذكرت لك منها ما لا تراه ثابتا معه في أني على الوعد الذي عرفته لك والله على ما نقول
وكيل **فإن قلت** كيف يستقيم لك هذا الكلام مع قولك وأي شيء

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

يفع في الوجود فإذا جعل ابن عباد في النار فإنه الروح إلى آخره وإن الظاهر من هذا
أنه بعزم الكرب لما يعلمه من الذنب هو ماض أو مستقبل **فأقول** نعم
لظاهر هذا المروي لكن لا أعرف له ذنبا أنه لما وقع مني الذنب ينبغي لي أن لا أذكر له
بالنظر إلى ما مضى وإني لو مت باثر هذا الذنب غير أن تلافيته لا ينبغي لي أن لا أذكر به بل يجب
جهنم علي لأن الكرب في هذا المروي منتف وأما ما استقبل فلم أتعرض له البتة
فإذا فهمت هذا كله فلنرجع إلى المسألة التي خرجت بها عن المضار وأبين لك
كيف ينبغي أن تكون عليها فإذا **فأقول** أما موافقة المضار
عند ربك المساكين والمحتاجين وأن تنعم لهم بصرف أن ما مضى من حالك هذا
ترضى به ولا تذكر به بسبب أنه شيء قد مضى ومات ولا تأسف على مفقود المرة الظاهر راض
ولا فرح وما تستقبل تذكر من أجله لتتوصل بذلك المرة الكرب إلى أن تكون على حال
تنعم فيه بفضل بالمواساة لا كمن تجد عند هذا الكرب بما تزجره من قول لك
من التزفيق والهداية لذا المرة وأما أن تتشوف إلى أن تكون بحال لا تنافي عز بفضل
وأنعم على خلاصها فإن المرة منطلق سوء أدب وأما إن إذا عينت ذا المرة فقد انضاف
إلى سوء ذا أدب إثم الكرب. وكثير من المسائل التي حكيتموها عن قبلان
مما فيه ذكر الغير بالتنقص والعيب فإذا تقرر عندك أن ذا المرة محظور ينبغي
لك أن لا تواجه على حكايتها فإن علمت شيئا ونظرت وكتبت به وبارفع الكتاب
فيكون ذا خولف في المضار أن لا تذكر به لذا المرة أنه أمر مضى ومات وأما الذي ينبغي
فأنت حينئذ مأمور بمحوه وإبطاله بأن لم تذكر به لغرا فقد رضيت بالمعصية وأنت
متمكن من تلافيها وهذا فيه ما فيه وإن ذكرت به لذا المرة وأبيت محوه وإبطاله لما نعلم

مؤسسة
الملك محمد العزيز الدار البيضاء
Fondation
du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

من أبي لهب أن أعلم مثل هذا الرجل ليصرف هذا الكرب عن أن تقول يا ثبر ولتبر
مقاربة الرجوز في المضارع ما معنى أن الكتب لم يبق من هذا الكرب ولكان هذا وجب
أن تجعل بدل من هذا الكرب استغفار وطلب التوبة من العرب الغفار فهذا هو المضارع
الذي ينبغي أن تكون عليه عند إرادة هذه الحكايات ولم تسمح نفسك بحذفها
وإبطالها وإما أن لم يتقرر عندك أنها محذوفة بنظم آخر وكذب الكرب فلت
الحمد لله الذي أحضر ما سبق من مزري وأراد تنبيهي ومن مثلي في الوجود إذا الحمد لي
أين محل البيوض فضاء هذا المعبود لما قلت لم يقدر أن كنت متشوقا إلى الإرجاع
على ما يبقى في ذات الله الكرب وخبث خولة في المضارع به أن تقول فقد عزم على
أن يجاهد فيه ما يسوءك ولكن يقدر أن يقدر الكرب وأجرى على به أساءة قط
نرجو من الله تعالى أن أرضى بما سبق من حكمه بذلك الكرب ومن مثلي في الوجود إذا
أعطيت هذا الكرب أرضى بحكم هذا المعبود وكذب الكرب فلت وإن لم أتم زاعمة
أي شيء يقع في الوجود وإنما المقصود أن يقع ما سبق من القضاء ويظهر ما سبق
في أم الكتاب من سعادة أو شقاوة وخبث خولة في المضارع به أن تقول عزم على
ما تعنيه به مني ولكن من ساعة إلى ساعة فرج وقد غلب على الكرب بهذا الكلام
منذ أيام وقد ولكن نرجو الله تعالى في زوال هذا الكرب عني وأن يوفقني
إلى الكنز على ما أنت إليه تشير وتومي وذلك بأن هذه العبارة منذ هاهنا جاءت
ثقيلة الروح متهمة غاية الرعونة التي هي أعظم البلوى وكذب الكرب فلت
ومن مثلي لا أن في الوجود إذا جعل مع محبوبه في اليوم الموعود هو عيده
ومفرحاته ثم أقول بلسان الحال والمقال منى لم تكن حقا الرجاء

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وجب عليه في المضارع بيد أن تقول باثر وأما تحذف أنه كلام مليح واستعمل
الدهر هذا أنه حال غلب علي في الوقت حتى تمنيت ما لست بأهل أن أتمناه وكذلك
في قولكم بل أقول أيضا هذا من الباب فبان لي هذا اغتباط وكذا استبشار والتشوف
وطول الانتظار والكون في حبائل الهوى والشيطان ليتمرغ في شيء من هذا
مدخل وخبث الدخول في المضارع بيد أن تحذف وأما قوله أنه مضى في معرض
الرعوي وكذا اعتذر عن التغفر والمسامحة لما في الضلال الذي هي عليه وكذلك
في قولكم تبين لي خطأي والحمد لله وهو أني في قبضة الرحمن وشاني الحنان عنه
في كل ما برء علي من شأن وخبث الدخول في المضارع أن تحذف قولك أني في قبضة
الرحمن أن تعود في هذا المعرض لا ينبغي أنه مضى في معرض اعتذار واحتجاب
الغيبة من علو المقدار يحيث لا يشق لهم غبار وهذا ما لخصته لي في الوقت
أن نتكلم عليه من المواضع في كتابك وأنبه على وجه المضارع بيده

وأما ما ضمنته في مقاربة دخول في المضارع من كونك لم تتماد على نفسك
ولم تسع فيما فيه خلاصها اعتماد امنك على ما قلته باثر بعد صحيح أني
أردته ولكن مذهبي في هذا فرق منه لك وهو أن الإنسان يحرص على أن لا
يفعل ما يلام عليه فإذا وقع الملام بتكرر بسبب ما وقع وفات الأمر بعده
تضاعف التفجع والحيرة فيما فيه خلاصها مع فوات ذلك أهم ولزم بقية الأمر بل كان
حالا أو مستقبلا فلا بد لك هاهنا من انتصال عن النفس وطلب الفرار من هذا
الذنب فتكرر الحالة فإذا جعل معتمد أمره النجاء إلى الله تعالى وذكا فتفاريه أن
يوفقه ويعينه على ذلك فخف عنه الأمر الكرب وكانت مناضلته عن نفسه على

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

على وجهها وأما أي أقول أن مقارنة الرخول في المضارع هو الذي يجعل الفعل ما
يلام عليه ثم لا يتعين في خلاصه من الذم وإنما ذهل عن نفسه بل أقول بل يبلغ
الشاهر الغائب وإنما أخلفت الذم الكلام لأني كنت جعلت منذ التوغل في الغرب
وآخر ثم أنك لما انتقلت إلى هذا الفرع قلت لم قارنت الرخول في المضارع ولم تدخل
بغير وإنما تدخل فيه بالتوسط وهو بالنصب خبر وأمور وهذا هو التصريح
بالمضارع الذي قلت لم أنك قارنت الرخول فيه من غير إشارة ولا تلويح وما ذكر
شيء مما يفهم في وجهه فيا محمد واعمل عليه تر شد إن شاء الله تعالى وإنما الطلت
النعمة في هذا ومرعت الباع فيه أني أصابني من حالة كرب شديد ورأيت
أنك كالمحتاج إلى الإسلام جريمة وإنما من البلايا النازلة بي والمستعان
بها يسببي علم يسعني في التحرير عن الساعة وأبدأ الخوف الذي كل منصب
به يعرف وعليه يساعد وبالله التوفيق **وأما** المسئلة التي عرضها
فلان فإن كان يعرضها كالمرء فيها واضح لا يخفى على أحد وهو أن الذي
مكث عشرين يوما لم يأكل ثم فتح عليه بفوته ثم رأى من هو أحوج منه فآثره
اليد أفضل من الذي يكتسب ويصبر حاجته ويتصدق بما فضل عن حاجته
وإنما قلت انه أفضل منه لوجهين أحدهما أن حال الأول حال أهل التحرير بخلاف
الآخر وحال أهل التحرير على الجملة أفضل من حال المكتسبين المتعففين والثاني
كونه مؤثرا على نفسه بالقوت والأول ليس معه أنه تصدق بالفاضل فقط ولم
يتجاوزه إلى غيره وما اعتاد به من فضل حال المكتسب والمتصدق بالفاضل
يكون لم يختر لنفسه والآخر اختار لنفسه ليس بشيء أن كلا واحد منهما لم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

لعة لنفسه وذا خر اختار لنفسه ليس بشئ وإنما فضل الركعة الثواب الذي يحصل
لمن وقعت صرفته بغير هو في عناية ذا حتياج والفاقة فيكون بذل الرجل مختارا
لنفسه وإنما فضل بذل الرجل سترخلة من هو أشر خلة من صاحبه بعده ومثال هذا
إذا خل بنفسه مرجمة الله اختار وإنما يتصور الرجل بنفسه وإن لم يكن مختارا
لأجل نفسه إذا كان هذا الرجل في مقام الزهد أي من هو في مقام الزهد أي من
هو في مقام الزهد وأراد تخفيف بخروج الشئ من يده فإنه ينبغي له أن يختار من
يضع فيه كما قال بعضهم الزهد أن تخلو الدنيا كما هي وأنت تقول إني بها
وإنما سمي راهبا قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الزهد إذا تعالى
من أكل الدنيا من مؤمن أو كافر يعني هذا المقام يكون التخيير مرجوحا مغلوبا
ثم إن ما ذكره من عزم التخيير في الرجل المكتسب المتصرف والعامل لم أفهمه
لأني أقول العلة تخيير من تصرف عليه .. وقوله اللهم مرمات في هذه الليلة
جوعا أو عريانا فلا تؤاخذني به إنما رفع منه هذا الدعاء احتمال إن لم يكن
بالغ في تطلبه من هو أحوج بالصرفة من آخر وكون هذا الدعاء في هذا الحال أولى
بمقام أويس رضي الله عنه إذ يبعد أن يتوهم فيه أن يتصرف بالعامل على
كل من تقوى في الجائز أن يكون هنالك شخص فر استرق على الكمال جوعا
وعريا بالرطلبه لوجه ثم يزعم أبو الدرداء أن دعاء امتثاله بذل الدر لا يكون ذا
تخيير الخير بالكلية إذ يحتمل أن يكون بقية منه بقية واستحباب من استحب
للانسان إذا خرج بصرفته أن يردهما أو أمر بالفي ليس بلازم أن يكون ذا الدر
مراعاة لعدم التخيير إذ لعله يكون من قبيل ما يخاف عليه من تغير نيته

مؤسسة الملك محمد العزيز الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdelaziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

إذا علم بحكمها كان له أن يفتي بذلك وإن لم يفعل فهذه هي الرجل الذي يرى وهو بين مغتسله
أن يتصرف بثوبه لما أمر حينئذ من يتصرف به عنه قبل أن يخرج من مغتسله مخافة
أن يتغير خارجه وقد قالوا السنة إجابة الخارج إذا رأى وهذا مما يمكن أن يقال
في هذه المسئلة إن وقعت على حسب ما قررتموها فإن عندي فيها بعض ريبة
والله تعالى أعلم وكون الحالة التي حكمنا بحصولها حالة أو ليس كما هو المعلوم
والحالة الأخرى حالة الخارج على حسب ما ذكرتم عز وجل لا يرى الرجل أن الخارج
أفضل من أو ليس أن أفضلية الخارج بحال أفضلية الشخص فلا يلزم من أحدهما
الآخر والله تعالى أعلم ثم أن حالنا الحمد لله تعالى ليس كما وأجد منهما نحن أكبر
منهما مقاما وأكثر بأوامره ونواهيه فيما نحن فيه نواسي وأخوه وإذا رأينا
من يتفطح بالجوع من أهل التجمل والفتوح لا نتحرك منا داعية إلى إحياء رمقه
والإصلاح فيه ومعاذ الله نتكلم في الزنابير ونغوص على البعوض ونميز للناس
واضح الحمر أن يبعوض بالذهن فإن الحياء فإنه زاجر كل واحد عيا وأما المسئلة
التي جرت بين فلان وفلان فهي من المسائل التي جرى الفريقان فيها وفرضها وهي
من جنس ما قررناه من تعريض الرجل أو جنبه الجمل بالجمل الواضح البين كما ذكرناه
فمن الحق أن يعرض عنها وأن يوخر فيها وأن يلتفت إليها وبما تقدم لنا فيما هذا
إشارة الوجه الحق فيها والخامل أن التصوف هو مقتضى الكتاب والسنة
فمن تصوف فقد أقام الكتاب والسنة ومن عمل بالكتاب والسنة فقد تصوف
ومن لم يتصوف لم يقم بالكتاب والسنة ومن لم يعمل بالكتاب والسنة لم يتصوف
إذ الحق إذ ذاك نقيضان ليس بينهما الرشد ولا التباس عند العقلاء الكياس

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فمن أعجبه هذا الكلام فلا عتاب عليه ولا ملام ومن لم يعجبه سريل ناخ ي
به وناءى فليتخل بيننا لذ أزهة حيطان وليضرب برأسه من حاد الحائط
حتى يتناثر ما عقد بين اللاجور والكراز وقولنا الرجل المتصوبة
يجوز الجوز النامر صحيح مليح وغيرنا الرمنهم فاسر فيح أن
الحكمة لا يسمح بها للانتاز والمفاخرة كما أن الدر والجوهر ليس بلائق
أن يعلقا في أعناق الخنازير فأخبرنا بهذا كله مرسالكم عنه وكل شاهج
رسمي أنا برئ منه وأما ما أخبرتموني به من حالكم في الولد المبارك فقد
حاز فلان أخبرني به في كتاب كتب بيده لي وحضر لي من خاطر كلام لكم فيه
أنه لم يحمل على عمله على حسب عادة النامر ذا كلام النامر لكم
وتحريضهم إياكم عليه ونسبتهم لكم في تزوجه بغلة الرأس شنيع فلما
توهمت هذا الكلام لديه في الكتاب الذي بعثت به اليه على حسب هذا التوهم
فلما بينت لي الحال وأنه رجعة اليه من تلقاء نفسه لما أنه أمنت فيه من المنكر
المعتاد أخذ الله من على ما وقع مني من ذكر الكلام وثبت من التكلم بمثله وما
يرز من العيب فيما يعلمونه من هذا الحمار ولم يكن في ذكر الدراهم التي
انتالت عليه من كل جهة ومكان وفرح فلان منكم بذكر العمار والشان لكان في
عدم الكتابة وغنية فيه بما انضاف الى ذلك من الفوائد الزوائد وهي كنوز الفوائد
فاعلم الزيادات وكثرة الانشراح التنوير بالجزاء والمسرات وتلألؤ الوجه بالمكتب
بامرأة البيزان وتراءي الوجوه الملاح المحسنة الصباح من الصبيان وأما
أنا فأمرأتي الحبيبة والنعمات المستلذة المستحبة وتسام الرجال

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وولع النساء واحتياط ملاحقهن بتلك الملابس الباهرة والنساء قبل
تسلل إذا برعن الرجل كلما كان ساكنا حركن وكانا ماديا يغضبن وكانا
ماكن كان الرجل قبل اليوم إذا النائم نائم والقوم قوم وأما اليوم قبل
أسمعتهم الموسيقا وألحنت لهم أشعار ابن السقا وتجلوت عليهم أجمل الصور
المعطرة بالمسك والعنبر والمزينة بالياقوت والجوهر لم يتحرك لهم عضو
ولم يصبهم من نور ان الشهوة مقهورة والقوة ولقالوا لك غنام حريفة
المثلى ولحنك المستلذ المستحلى وأسمعناه موت المقلى ولو لم تكن فيها
إلا أشاكيم الحوت التي يستغزرها الساعات والستوت فإن النظر إذا
شبع ولو بالتبن والهمة إذا ازتفع ولو بالشيء المتين يستفيم منا بسبب
ذلك ما تريد أن تسمعه من نغمة أو تحرك لنا من همة فإني العاجز لا تحرم دنا
باللقمة واخطر يا أخي أني قصرت التكبة عليك بهذا الكلام وإني لم أزل
بما جعلته في ذلك المقام بأني كما فرضت لك من الرزق الواسع وإني محتاج إلى
التوبة عما أنا لك فاعل وصانع واكتسام الملح التي جرت بها مني لك العادة
ومن المزاح الذي يستكره على رداءة النساء والساعة والغارق بأساليب الكلام
الذي هو فيها فارس وإمام من جرى كل كلام يأتي به صوابا وصرفا ولم هزل
ومزح ما يقول إلا حقا واستغفر الله تعالى من هذا الهزل وأسأله أن يصلي
على خير البشر وأن يدخلني في شفاعته التي لا تضيع عند الله ولا تعرى واستكه
أنا وأخي يحيى وإن يرد أن يميتنا وإحيانا افترأ من الرداء غرابي الذي
علم حنفه وسما خلقه بجاه محمد الكريم توسلت وبأبيه تمسكت

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

والمرضي المغرب. وأما على الحقيقة. الراجح أن يفعل شيئا بعلة. وإذا أمله
ولو مثل ابن عباد بلغة أمله. وقد كنت في اليوم الذي كتبت فيه هذا وجدت
بعض راحتي من مرض أصابني والحمد لله ومشيت إلى الجامع الأعظم بفاس سماع
الكتاب فسمعت فيه من الحلية عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي المعروف
بالباقر رضي الله عنهم أجمعين ما يزيد على صحة ما قلته لكم في مسئلة الزعفران
المتقدمة فرحت بذلك الزعفران الروح لأجل موافقته الذي كنت فيه
لمسئلة ومثل الذي يسعى أن يفرح لأجل الرجل من سلالة النبوة بالكلام
الذي يقع منه في مثل هذا في غاية المتانة والقوة. وهو أن قال ما معناه أو هو
لحنه أو بعض منه ليلحنه وبغض منه معناه نزعوا الله بما يحب عما
يقع ما ذكره أحببت ما أحب بما يكره وكتب هو نصه في الحلية في مناقب
هذا الرجل والكتب بنصه بغير قولي أنه حدثت نفسي ومن ذكر عمرو وقبل قولي
فإذا كان الخبر محبا فيما يخص له بتشبيه وتشبيه بعمر أقرب موضح
له وسمعت فيه أيضا ما يوافق قولي فيما هذا خير فلت وجدت بعض راحة
من مرض أصابني والحمد لله بعض موافقة وهو أنه أعني محمدا على المذكور
صلة له بعلة فقال ابن زيدها الله على أحمد الله لحمامه برضاها فلم يلبث أن
ركدت عليه بنهجها ولجامها بلجامها واستوى عليها وهوى عليه ثيابه
قال الحمد لله لم يزد على هذا فعقبه الذي قال لي لما قلته الحمد لله جعلت
حمد كله لله فإذا لحمد هذا كله وعجبني من الكتاب المذكور وقد أعجبني ذكر الرد
وأردت أن أعجبكم به أيضا أعني بكلام هذا الرجل نفعنا الله به وبأمثاله

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ورزقناه ... أنفاسهم العالية ... وا ... هر النشء ... بمنه وكرمه وليكن هذا
آخر الكتاب ... والله تعالى الهادي إلى الصواب ...

وبعد أن كتبت هذا ورد علي منكم كتاب وفد تعرفت منه أمورا
منها أنكم ذكرتم أن ولانا المأمور عليكم بعثهم أن عندي وأنا لم نرهم عندكم
وأنكم عبثتموه بذا الزور الذي عنكم استجلاب الدنانير في مسئلة الوراثة
المباركة التي استبدتموها في النوم **و** لعلم يا أخي أن الخير كله في
وفي أي شيء هي وهل أنا وأنت وهو وجميع العالم وما عندي من معارف
بالنسبة إلى الفوز الرباني ... كما يمثل اللعب الصبيانية التي يخرجها المنعوه
فيضحكها ويسرفضها فيضحك الطفل الصبياني ... ويتبرح بها الجهلة والمنعوه
والمنعوه في حالة لا همة له في شيء من أحوال النهار له وكذلك هو حالنا
فأعرض عن هذا كله واعلم أنك باعتبار لبس بيدك شيء وباعتبار بيدك كل
شيء فاضرب الزبر بالغلة ... وانو مجرد ابتغاء الله ... هذا كله حال
الباطن وأما الظاهر فتعرفون كيف يكون حاله مما تقدم في هذه
الأوراق **و** أما المسائل التي سألتم عنها فلا أدري وسألتم عنها من يدري
موسى عليه السلام واستحيا. رسول الله صلى الله عليه وسلم الوارد في الطب
كله في حزبة ... لا أستطيع أن أعرف ما أقول في الطب وفضيلة ... وما وقع
بينهما من الكلام لا يعلم حقيقته جميع الطب إلا صاحبها الذي لقيها صلى الله
عليه وسلم وأما غيره فهو مصروف عن الطب بحقيقته شيء منه
بمنزلة البصر الذي يشاهد فرض المتمصر وأرباب الباطن بمنزلة الباطن بزيد

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

في الصخور بلا سحاب ولا ضباب وكلما نظروا اليه تشلوش أعينهم بالأشعة
التي تنسلخ علينا فإذا أسبلوا عن حاسة النظر الفرصة لعنهم فوايا البحر عن إدراك
حقيقته وأهل القاهرة بمنزلة الناظرين له من وراء السحاب والضباب فإذا نظروا اليه
وبرقوا أعينهم فيه وداموا على ذلك لم يرد أعينهم شعاع ولعتقدوا فيه
كمال الذهاب وسبلوا عمار أو الوعوا نهر أو حقيقة فهم الشمس بلا
شك في الذي يراها التي قبل لهم انكم لم تروا حقيقته وأنتم محجوبون عنها
يقولون للذي يقول لهم الذي قبل أنتا هو المحجوب وتذكر الذي كان ذا سر ايا الناظرين هي
شانه أما أهل الظاهر فتفهموا فيه وزادوا ونقصوا كأنهم رأوه كالعيان
أو نزل عليهم من الله كلمة البيان وأما أهل الباطن فاعلموا بالعجز والقصور
وعلموا أنهم فيه الذي يعلم حقائق الأمور وليس هذا مما بغضبة ذا سراء
بل هو علام في كل شيء غيب علمه عن الخلق وله يجعل له سبيل الوصول على
حقيقته بحال ادعى فيه أنه عرف حقيقته فيه فإنه لم يعرف كما عرفني بكاء موسى واستحيا
محمد صلى الله عليه وسلم فإن الذي كرامته في حقه ينبغي لنا أن نتابعه وكما فلنجعل
أنا وأنت وهو ما يجعله الفريق ولنعلم أن جميع خزيات الذي كان تردى وكما تحقق
وقول فلان في بكاء موسى عليه السلام نحن موسى الله ما يريح عليه أحد بل الذي
بكى فإن كان معتذر الحاضر الذي فرح حصل في رحمة وإن لم يعتذر فمحمود
فيه كلامه لأن الخبر روى له حتى يبين أن بكاءه عليه السلام على هذه الحالة
ليخصه من جملة خصوصية مقامه وذلك لم يبطل غيره من الأنبياء والرسل
ونبينا صلى الله عليه وسلم فوق جميعهم والظاهر أنه كما يمكنه بيان ذلك

كما أمكنه بيان الزرنيخ فهي كرامة في حقه ينبغي لنا أن نتبعه كما تتبع
الزرع وأما ما سألتم عنه من معنى قوله الرجل الصوفي كالأرض يخرج
عليها كل قبيح ويخرج منها كل مليح وأنتم قلتم أجاب بما كرهتم واحببتم
أنتم بنحو منه فاعلم أن الذي هو الذي مشى عليه في تفسيره ترجمة الصفوري
والعجب هو تفسيره لا تفسير له سواه ولكن الشأن في فهم قوله التفسير فقولهم في
تفسير الصوفي أي يتعين من شيء كالبحر أي يتعين بما يلقى فيه من درر أقذار والنجاسات
صحيح مليح ولكن يحتاج الوبيان قوله أقذار والنجاسات أي شيء هي والمتبادر
من قوله الرجل الصوفي كأجل ما هو عليه من موت نفسه وذلتها فإذا وجد بشيء
من ذلك فإنه والصور احتمل قوله ولم يقل ذلك خير أكما قال تعالى وإذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما فإنه لم يذكر أن الأرض إذا خرج عليها قذر أو نجاسة لم تضع
منه ولم ترفعه عن نفسها ولا يمنعها قوله من أن يخرج أنوارها وأزهارها وهذا
الشيء المتباين ليس هو كلية ما تنبت قوله اللبلاب والله تعالى أعلم وإنما الكلية
التي يتناولها قوله اللبلاب هي أن الصوفي هو الذي صفا من الكدر وأي شيء
الكدر هو أن يرى له أنية فإذا صفا من هذا لم ير لنفسه أنية فكان مثل الأرض
لا شيء أخبث منها ولا أذل ولذا قيل إذا مر من التراب فإذا ورد على الصوفي
شيء مما يقتضي إثبات أنية في الظاهر وهو المعبر عنه بالأقذار والنجاسات
أحاله إلى نفسه ولم يؤثر فيه بحلاف أنيته فيخرج عنه كل شيء مليح
من أحوال زكية وأعمال رضية كما أن الأرض إذا خرج عليها شيء من درر أقذار
والنجاسات أحالته إلى نفسها ورجع ترابا من جملة التراب وخرج عليها كل شيء

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

مليح من أنوار وأزهار ... وقولنا من أفراد والتجاسات الخ وعبارة
غير كل غير وسوى ولا تفرد بجسم ولا فرد ما ما كان غيرا فإنه من كما تحيل
الجيبة كز الخ تحيل المنط والصوفي كما تحيل ما فإنه فرد ذاته يحيل ما اسمها
ويبقى مجرد أفرد انيا وخرا نبالم يتعلق بشيء ولم يتعلق به شيء وهذه الجملة هي معنى
ما قلته لك قبل هذا اضرب الزيد بالفلة وابن مجرد ابلا علاقة ولا علة عذب قولي
واعلم انك باعتبار لينمر يرد شيء وباعتبار يرد كل شيء والزيد عبارة عما فرد انك
وهو باعتبار الظاهر لينمر يرد شيء والفلة عبارة عما لم يفرد انك وهو باعتبار
الظاهر يرد كل شيء أو تقول الزيد عبارة عما لم يفرد انك وهو باعتبار الباطن
كونك لينمر يرد شيء والفلة عبارة عما فرد انك وهو باعتبار الباطن كونك
يرد كل شيء أي هذا إن أردت أن تقول دقال أن ذا اعتبار الظاهر في العالم والمناهم
هو حال العوام وذا اعتبار الباطن بيهما هو حال الخواص وفرد وابن مجرد ابلا علاقة
ولا علة أي لا تحيز يرد شيء بلا يرد وينا برد أعني لا تعرض له ينفي ولا اثبات ولا
حب ولا بغض ولا تحسين ولا تقبيح بل تكون مجردا من زي الكمار والحجاب الظاهرة والباطنة
الزينا وية وذا خرا وية وجملة هذا هي ذا فراد والتجاسات التي نعرضت أن تفسق
هذا الصوفي ليزجر أيتنة كما قال تعالى وبنلوكم بالشر والخير فتنة ولأجل ما به
من الضجا والتعفن في بطلان ذا نية لم يؤثر الذي فيه شطحية بل الحال جميع
ذا لم الرنفسيه والحفة بعالمه وحكم بزالة تبرد من البرود وتحدثه بالخرية والعتق
وهو الشيء المليح الذي خرج منه فلما جمعت هذا فرد أحكمت بجامع هذا لأم
وحصل الرنفسيه فرة العين وثلج الصدر ولم تحتج الى ما حلبته في بيتي قولك

معنى قول
اضرب الزيد الخ

مؤسسة
الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation
du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ولا نقتصر معنى واحدا بل نظهر في الدرجات معاني ونذكرها على الترتيب على
ما على بالنا عند ذكرها من المكاره والمحاب وترتيبها في الجلاء والخفاء والقوة والضعف
وأن ذكر حالة تشتمل على جميع ما لم نعلمه أن نشتمل ذكر حالة على الجلي والقوي
من المحاب والمكاره هو أول ما يبتدأ به اليد الصوفي لأنه أشرف نعلما وأسرع افتتانا
ثم نشتمل ذكر حالة على الخفي والضعيف من المحاب والمكاره يكون بعد لأنه أصعب
في التعلق وانطباعي ذكر ابتداء بعلمنا من هذه الكيفية الترتيب وتبين لذكر الأعلى وذكر الأدنى
والله تعالى ولي التوفيق وأما ما ذكرنا من حال الذاكر حين قال الذكر ما عرفت ذكر الحالة
وما الحسنة في قوله الخطرات الآخرة وقد أحطت في هذا الكلام اشرح الخطرات
ولو كان فرض بذل الذكر صحيحا لغابت عند علمه والحق أن الصالح هو الذي يعرف
وأن غير الصالح لا ينبغي أن يعرف ولكن الشأن في الصلاح فما مرادنا بالصلاح
معنى ذكر الصلاحية للخضرة وانتضاح الخضرة فما كان حراما مردودا فانتبه كما ذكرت
لك أكثر هذا النحو الذي مراتبه فوق ما يكون فيه من الشح يكون فيه من الصلاح وبقدر ما
يكون فيه من الصلاح ينتفي المغربة والمغربة هي الخشبة فإذا حصلت نظر المعرفة
والخشبة تحصل في هذا النحو للصاحب والمحبوب ما لا يخفى جسيما أو زمانا
اليد حين تكلمت على قول الشيخ أنه تعجب من لا يتمضمض حاله وأما الصالح
الذي يعرفه الناس اليوم أو الذي تشير اليد الصوفية حين يذكر ذوو مراتب المختصين
يقولون صالحون ومقربون وصديقون وجعلهم الله منهم في أدنى المقامات
وهو أن يكون العبد قائما بوظائف الطاعات والعبادات الظاهرة فلا أعرف
أدناه الذي لا يدخل في سلك خيار أن يكون في الدرجة الرابعة التي اصطلحوا عليه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فلا سوء ان يدّعي صلاحات وذلك لو كان الذي صحيحا أعني سبب اسم
الصلاح باذن المقامات لم ينل مقام الصلاح خواص الانبياء والرسل فقد
نال ذلك ابراهيم ويوسف وداود وسليمان على جميعهم الصلاة والسلام
وحكم الله تعالى بتوليه لهم فلا خطأ اذا بلغوا هذا المقام على غيره وليحذر الذي
ما عرفنا به عند والصالح الذي يغرّه الناس ويطلقون عليه اسم الصلاح لتلطخ صحبته
والمغاربة أن فيها غاية الضرر للصاحب والمصحوب وذلك أن كلّ واحد منهما
يرى في الآخر ويحسن مواقع نظره منه فيحاب أن يتصف منزلته عنده سواء
كانا متماثلين في الصلاح أو متباينين أن الصاحب راغب في صحبة مصحوبه
وهو حريص على أن يبذل منه ما يكون الذي والمصحوب لما رغب الصاحب في صحبته
أحبته صحبته فهو حريص على مثل ذلك أيضا وهذا المعنى هو الذي اشار اليه الذي
الرجل الذي قال أخاف أن آتي لك وتتزين لي وأتصنع له ويتصنع لي ويستغر
كلّ واحد منهما على التمادي عمرا ما دام أحدهما يتشوف الى الاطلاع على عورة الآخر كلّ
واحد منهما ما يحب أن يقف صاحبه بمنقبة من المناقب واستنبط له هذا
الرجل بتقلب عيوبه وان كانا متباينين في الصلاح فمن هو أفضل الخامل ذكره
يلحقه من قبيل الصغار والمزلة والاعتقاد مما دامت صحبتهما ومن هو أكثر مالا
يلحقه الكبرياء والعزة والاعتقاد مما دامت صحبتهما واذا كانت صحبة الصالح
متصنعة وقع غاية الضرر لكل واحد منهما اذ هي متعلقة بأمر البر أعني الضار
ذهبت منزلة الصحبة الفاجرة والمبتدعة لأن الفاجرة والمبتدعة ان كانت متعلقة بأمر
الدنيا فلا تعدل شيئا من مضار البر وان كانت متعلقة بأمر البر تزهيما مضرته

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

لأن وجوده بعد يقين بوجود الضرر والفرار من الضرر هو عين المنفعة
فصار عدم محبته هذا الصلاح سببا لوجود غاية المنفعة كما أن في محبته
غاية الضرر فجاء اتفق هذا فجلا أن وفقه الله تعالى حين قال له أعرض عما تعلم ثم بعد له
هجره لبعض ذلك الى الصلاح له أن تقول له ما الذي تعني بالصلاح الذي عنيت به المعروف
عند الناس بعدم محبتك لي مما اغتممته سوآء كنت بريء الى الصلاح قواما او مزيوفا
يزول الالتباس الذي ذكرناه ولئن عنيت الصلاح الذي هو الصلاح الحقيقي
فلا نسلم لك اني منه بمعزل بل عندي من مباديه ما ارى أني به في الوقت في العلم
ذا حلس نعمة من الله وفضلا جاز قال له هاها ان أعرض عما تقول وانما سلبت
عنك الصلاح أنك ابتدعته وتركت سلوك طريقة العلماء وتصوفة واتبعت
الجهال وذا عيابا وذا طاء الذي كله الى التهاون بالدين والتسمح ورضيت بتمنا ونظا
واستحسنته واستصوبته حتى اني لو نصحتك لم تقبل نصيحتي ولو
وعظتك لم تتسع بموعظتي فأي شيء أفعل بصحبة من هذا حاله فعند ذلك قال
له هذا فقراء اذكرك الله الى الغلبة والانجماع وأملكك أن تأخذه أخذ الكرام انه
رجاء في أمر أحثه صانعا عنه وتقول له في حديث أحسب انك تنفع منه كل الغناية
في البحث عنه وتطلب التشبع منه فغير هذا يصح له أن تقول له ادع عنك هذه
التصنيعات والتهاويل بل أنا صالح بزوجي سراويل وع غوا طي لي عدم الصلاح
من جملة ذا أيا لحيل **فان قلت** هذه غوى من **فاقول** لك
ليست هذه غوى انك تشاهد فيها نفسك والا عتمرت فيها خطرك وحرمك
بل الغيبت الى ربك السلم وتعرضت بماله عليك من النعم وعند ذلك لو جاءك ذا أمار

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الا ب ... عاصمة وط ... وجاء الوط ... لغلبتهم ... والحمتهم بتوفيق الله تعالى ومعونته
فإذا قلت له هذا الكلام وتنازل الرأي تعرف معط ... بي هذا الأمر ويقبل عليه بكليته
حتى يأخذ ما عرط ... أخذ ... يظهر منه أنه يود أن تصيب أنت وتحكي هو
فهذا نصف والانصاف بيد بركة وخير كثير ونرجو من الله تعالى أن يتبين له الحق
ويستقيم على صحبته ومعه قط من غير تردد ولا أمر ... ولم تنازل الرأي تعرف
معط ... بي هذا الأمر فدعه وما اختار لنفسه وباعد وبا نصرافك ... وأرى معه الكاتبة
فإذا وليته فزر الرب ... ولم تقصر في النهي هنا ... وبالرفق ... كبه عليه أربعا ... والتعرض له بعرف الله
بشروط بالترحم والدعاء ... هذا هو النظر المستقيم الذي يقبله كل العقل سليم ...
وأما الكلام الذي تكلمت به والكلام الذي جاوبك به فهو بعيد الفارق عن قانون
الانصاف ... مشتمل على محض العصبية والانحراف ... فقوله إلى أردت أن تعرفني
قبل أن تعرفني بالصلاح مستشنع الظاهر ... وقوله هو بعيد الله تعالى يتوب
علينا قبل أن يعرفه مذهب بي الصلاح أي شيء هو ليس له معنى يعقل بالخاطر
والصواب ما قررناه والله تعالى أعلم ... وكلام فلان حين أشكل على فلان بين
الجمع بين الظاهر الحديث وبين مذهب المتصوفة صحيح وحال البقاء هو حال الكمال
والشعور بالاغيار فيه غير مؤثر في نقص ولا اختلال ... وقد تمنع النبي صلى الله عليه وسلم
بكاء الصبي وسمعت أمه بكاءه وقد شعر أمه بالاغيار لأن كان يشعور صلى الله
عليه وسلم بالاغيار في مقام البقاء فلذلك رفع عنه عدم شعوره بقاء في صلاته الى
الخمس وشعور أمه بالأغيار في حال وجود النهي فلذلك رخاف عليها عدم
شعورها بها في صلاتها أن تعتني وأبلغ من هذا الحديث في الشعور بالاغيار

مؤسسة الملك محمد العزيز الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdel-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الحديث الذي . وهذا حمله صلى الله عليه وسلم أمامة ابنة ابنته زينب وانه
كان اذا سجد وضعها واذا قام حملها الى غير ذلك على ظاهره أنه انما حمله على
هذا شدة حبه لقاء والشعور مع شدة الحب أبلغ من الشعور بلا حب لكن كان هذا
كله في مقام البقاء وامثاله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في ظاهره كالناس
يحب ويبغض ويرضى ويغضب ويشتهي ويجاع ويعطش ويألم وغير ذلك من
لوازم البشرية لكن من يعلم أن حاله في هذه الأشياء على خلاف حال غيره أو ان حال
غيره مثل حاله فقد ارتكب أمرا فظيعا واعتقد معتقدا شنيعا . ولم يجعل الله
أعطاه الله تعالى من العلم والمعرفة الا ليفيض بمقامه الرفيع الذي هو غاية الغايات
ونهاية النهايات . اثر ما من افعاله التي يفعلها . وأحواله التي يتصف بها . فاذا
رأينا النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر تشاغل بالأغيار في صلاته وحكمنا
بأن هذا هو حال الكمال ورأينا غيره تشاغل في صلاته بالأغيار لم يلزمنا ان نحكم
على تلك الحال بالكمال بل يجوز أن يكون حال ذلك الشخص الذي علم بشيء بالاستواء
الساذج والشخص الذي لم يعرف من عن يمينه وشماله أكمل وأتم حتى يتضح حاله
ومقامه كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم انى لأنسى كهيئتكم وهذا الكلام وان كان
ذكره في مسئلة الزوال وهو عام في جميع الأحوال ولا بد من استثناء ينوب عن بعض
من حاله وحال غيره وان لم يخطر لنا نحن فرقان البتة وقادرة عدم هذا الخطور
والله تعالى أعلم أن يستنبط لنا حصول ذلك فنراه بعد إذا لزم خطر لنا فرق فاعلم يتم لنا
تحرير ولنوهنا نحوا مما توهمه ذلك الرجل الذي قال ما معناه لسنا مثل رسول الله
الله يعمل الرسول ما شاء حتى شق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم وغضب

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وقال ما بال أقوام يشترطون شيئا ليس في كتاب الله والله إني لأشترط الشرط وأوثق فقال صلى الله عليه وسلم وهذا من جملة الرحمة التي بعثت من أجلها وهو أن يخلي بين آخرة الأمة وبين كل من عمل وسعد إذا هو بعث إلى ذلك أخرج وذلك أمنوه ليس كغيره من الرسل وقول القائل هذا ما رأيته ولا عرفته لهم حين أخبره بأن أوان الكمال عندهم هو مقام البقاء لا يلزم لأن من علم حجة على من لم يعلم والبعثة التي هم أهل التخفيف في العقد لا يعني في حقهم أن يحملوا مسائل من التصوف كما أن أهل التصوف الذين هم أهل التخفيف فيه فلا يحملون مسائل من العقد بل لو قيل للفقيه مثلا ما معنى حضرة الفرس لم يدر ما معنى حضرة الفرس ولو قيل للمتصوف مثلا أي شيء مسئلة الحمار والفرس لقال لا أدري ما مسئلة الحمار والفرس وهي في زعم ذلك الرجل من جهل شيئا عاداه وبعد هذا حصل لنا من الكلام على مسائلكم

وقد بلغنا كتابكم تعرفون فيه تشددا وتعنتا منه

أمورا منها مسئلة قلتم وأنا ما كتم عرفتموني به علم لا يصح والحمد لله وقولكم في مساق الكلام عنه وما زلت فيه استغفروا الله وقلتم كذا وكذا صحيح غير الرد وانكار وقد أصبتم فيه وأصحاب الرأي الغالب لا بد لهم أن يقعوا ويبتلوا بما لا يرجع إليه رأيهم فيها أكثر مما جنعوه إلى الهوى الرتعوي بما أضل كل بلوى وقولكم وأريد أن تبين لي كيف يكون مزخرفا مما أنا أخبر به من الرواية ليت شعري كيف يخفى عنكم غير الله وكل ما يعلمه الإنسان اليوم بشعره وهو الذي مزخرف وفي اليوم أشتري به إلى الوقت الذي أعوز فيه وجود أنوار البيقين الذي تكلم عما القباء ليس به غير مزخرف ولا مغلوب وقد قال أمير المؤمنين علي

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ابن أبي حـ رضي الله عنه حين سمع الغلام يقول لا حكم حـ الله يحكم حق أريد
بها باطل كثر المراغما الناس أقوالنا اليوم كلها أما فواحش وأما بعل حق ولكنه
يفرح إذا أخطأ في الميل واعتبر هذا كله في أبعاله وأقوال الرعية مثلا فإنك لزيد
وعمرو كثيب تلقاه وبما تلقاه فإنك إذا فتشت عن الرجل فإنك لم تجد التخلي به
لم تكن على بغير من وجود سلامته كحسبما لخصوه في الرواية وما شبهها وأما
نص الكتاب المخصوص فهو قوله بغير أنت المظلومة والمراد منكم أن تقيموا بما استغفر
عليه أمركم من حال الناس الذين يموتون جوعا وعريا من غير مبالاة أجر بهم
قبلا أخرى أو جزيرة الدار رخصة أم أخرى في قلوبهم وأبدانهم من سوء حال من
ذكرناه حصة أم سكنوا عن الدار كما هو المألوف والمعهود وخلوا الكعبة
تنهج الغموض وهذا هو الظاهر فإن كان هذا هو الواقع فإن نفسي تشمئز من
سكونهم عن الدار كثيرا لما تضمنه سكونهم من فساد الناس وعدم مغرفتهم بحكم هذه
النازلة التي هم محتاجون إليها إذا احتياج التام ويخاف أن يجر الرما هو أعظم
وهو أن تحرث لهم جنة جالية تفسد فيها أيدي الناس واعتداءاتهم في رجعهم
وما يوجد من تعرض أن يقال الله الشبه الجالية وينفع السكوت عنها كما وقع في هذه
وهذه النازلة من منزمات الدار ومن إذا الدار على هذا أن يطلب الله تعالى وأشك
أن هذه النازلة لم يقع أمثلها فيما تقدم فيسئل الناس فيها مسئلة المتفرس من يقتدى
بهم في الخروج عن الدار لعتقد أنهم على الخطأ فينفع منهم داعتراف بذلك
كيف وهذه نازلة فرشت وبلية غلبت سائر البلايا وبذت إذ فيها ما يجاري
الناس ومرواتهم وأخلاقهم أما فساد أديانهم قبل هلاكهم الساكين وغلبتهم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

يا هم حتى يموتوا جوعا وعريا وهم فروجبت عليهم مواساتهم وقد كانوا
قبل اليوم يكثرون بهم بعض الكثرات وأما اليوم فلا فرق عندهم بينهم وبين
الفطوس والكلاب وفربما يصح بعضهم في أزقة الموتى وقد أكل الكلاب بعضه
وجزروه ويمرون عليه بمنزلة جيفة من الجيف ثم إن بادر الورع في الغرام قد
انسد عليهم بالكلية ولا يبالون بشيء من هذه الأشياء من سرقة ولا من خيانة ولا من
خديعة ومن له فقر وعلة لم يفرض في شيء من الغصب والظلم ولقد كانت هذه
الأشياء موجودة قبل هذه النازلة ولكن خرجوا عن الستار في هذه الأزمنة
وقالوا بالسنة حالهم لا فتهار المتنا علين بتهجير أحكام الشريعة اشتغلوا بما
انتم وخيركم حتى يطعمها منكم أهل الحشى وأما نحن فلا حاجة لنا بها فإذا نعق
الوغد الخوبي بساء الزمان وأمسا بساء مرواتهم وكل من يرى شيء يمسط به وشد
يده عليه ولم يستحي من ربه سأله مواساته من بيت اليد بغير ابتداء ومن غير فتوى ولم يستحي
السائل أيضا أن يبتز وجهه بالسؤال والكدية ومنهم من هو وفاء على نسب يقيم به حاله
وقد يتسلف بعضهم حتى لزكان يرى مفرغ وأمكنه أن يضرب به لضرب وأما بساء
أخلافهم من قبل فقد زاد الشيخة وذاك متعاقب وهذا هو الذي أعضل فترى أحدهم
يتعرض له المسكين السائح القوي الذي يتوهمه ذا الرسوم فلا يعيره بصره وإذا
سأله اكسبعني وجهه وكاه عمره وأخره في أي وقت تعوه لهم الشيخة ذا
إذا نهض هذا الجيل بأسره كأنه على نقير أن يتيقظ لهم وقت رخاء وزمان خصب لينسر
لهم في الأرض مجتمع كأن المساكين أخذ الديكرون أحسن حالا منهم عليه وقد
يقيم بعضهم على حاله وعلى كل حال فشيخة الناس عليهم نكرة ومعرة بالكلية

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

أنهم إذا لعلوهم والبلايا بهم متتابعة والعين عليهم متوالية فأخرى أن يعدموها
في حال يكون فيها بعض استراحة فلا ترى إذا أحرار المساكين يشبعون الحرة وكما
يا خزلة بين ثم من انفلت منهم من هذا الوقت المسكين فلا تسل عما يكون فيه من إقبال
على الدنيا والحرص عليها وعلى جمعها ومنعها لأنه غالب أن يدرك زمان يكون فيه
مثل هذا زمان النار أو أشر وعلى الجملة فقد وقع في الناس الفساد الذي لا يزال حتى
زوال الدنيا يوم القيامة ثم إنه لا يكون ذلك في إذ ياي ذلك إن رحم الله تعالى أن ذلك إيمان
التوحيد لم يبق في إذ بنا منه ذلك إنهم والذين المحمود لم يستمع عندنا منه ذلك الزمن
وعلوه من ذلك أمر وفوتهما بما تتلفى البلايا الكبار الزايدة على المقدار وتستغني
بسببهما الوزايا التي تمر العيش ويفوز بهما ذلك مختار فإلى ماذا يلجأ الناس وبما
عن ايتمسكون وأي أرض تأويهم وفي أي طريق يسلكون وبنا الدين في تراجع
وضيف ذلك إيمان قد تهيأ للرحيل وقد للوداع **ومما** يكاد أن يخرج
هذا القلب ويتبعه له اللب عدم تعرض الخطيب والوعاظ لتنبيه الناس على
هذا الأمر أبدا الدهر فترى الخوض في أكثر البلدان يدور في على خمسة أذرع
أو ستة أو سبعة من عيدان ويقف على رؤوس الناس في كل جمعة عشرون رجلا
ينبع احدا بعد بما كان أولى الله المنبر أن يرمى به على فمه قبل أن يصعد
أو يقال كما حين يريد خرمة المسجد اخراجه ويتبعه ولو بعد الله كان وعظه
بدا أنبع من وعظ هذا الخطيب المسكين وكم جرت على لسانه صورة ذلك وعظه
أنه فعل له وموخر الرحيل قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله أي يقيم
ما هم فيه وقد قال عمر رضي الله عنه لما سيق اليه الهرمزان واستعفى ما قال

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

اجتمعوا لعيد الخميس والسبت وما معناه هو وليته شيء أي فاير الحشر وعيد
البكور يوم الجمعة والزور والنصات اذا كان ما يمنع منه اليوم يمنع منه في سائر
الاوقات وقد قال الامام أبو حامد رضي الله عنه في بعض كلامه مشيم الرمضان
من مقاصره ولقد سلمت المنابر اليوم الى قوم فلم الله حياهم وما أدري ما قال بعضهم
وانا أقول ولقد سلمت المنابر اليوم للخميس ومن ليس له من العجمة لصالح النامي في عيشهم
وعيالهم قليل ولا كثير واعظهم مزهار ولا واشر واذا هي وامر المجبور بارايهم
واذهانهم والعرجون باحزانهم أصحاب الكراسي ولا صالحين الذين يشتهون
في اقتفال النامي اوامرهم ونواهيهم بالسلاحين فتراهم مشتغلين بمسائل
وباذليز حمهم فيها وربما يحتاجون منها الى مسئلة واحدة من رمادة مسئلة وتسعة
وتسعون مسئلة لا حاجة بهم اليها واذا لم يحتاجوا اليها من بعدهم لاخرى اذا يحتاج
اليها لحكم الزمان العامر بالقرن انهم اهملوا هذه النازلة الغضلة والقضية المشكلة
التي عم ضررها الخاص والعام وبقي الفرد بها على اقدام السلام فلم يرسموا فيها بابا
ولا وضعوا فيها مسوا ولا جوابا حتى يكون النامي على جلية من أمرهم اما من كاعتهم
واما من وزرهم ولو وقعت نازلة لذي أمر منا رجع الى شهوته فرجحه مثلا وتنازل
الى السؤال لهم عن ذلك ويقول فرسبوا لساني بكلام لا أدري هل يفوتني به غرض
من الجارية الفلانية التي اذا أحبها اذا الرابية فيها من البناوي وما وضاع والنصوص
وذا فيمنه ما امر من يريد عليه مع أن الجارية في اصلها غصبا فعل له حبسها ولا ربما
فصلا عن مضاجعتها وميلها معها وعقد بعقل عوضا من ذلك الكلام الذي تكلم به
تسبيحا أو تقريبا وهذا هو شأنهم في أكثر أمورهم فانهم يقولون انما نتعلم العلم

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ونعلمه من ... هو وإما تمرته وفاكهته فليس لهم نصيب لذلك ... وأما ما مدح به بعض
عمر الخير وبينما قبري أحفر فمن مجلسه بسباع ضارية وكلاب عاوية أعظم مقاصدهم
في حضوره المجلس أن يتعلموا كيف تحفر أسنانهم وأظفارهم النابر باب في ثياب
يحفر للنابر على حوافرهم النوءة والتمت الخفر فإذا تمكنوا من رياسة ورئاسة
نبزوا خلف أحفرهم ما تعلموه منه من السنن ويكفي أن يكون في المجلس من هذه البهيم
واحد على الرواية أو من المغاير بعضهم حتى يخض مجلسه في بعض
الأيام ... وما الخير في هذا الوقت للمرء المسكين ذا أن يفعل ما يعلمه أبو سفيان
ابن حرب في الليلة الظلماء لما خشي أن يراجل جنده فيها أحد فمر ذا عمر من يتعسس
خبره ... وينفي ضرره ... فقال لينظر امرؤ ومن جليسه لأكل اللبأ فذهو كأحد الذين كلما مناهم
فيهم وفي بيوتهم فيتفلون مقدما فعله حذيفة بن اليمان في ذي الرمادين فجاءه
جاء زر وأخر بيمر من على يمينه وقال الدمر أنت وأخر بيمر من على شماله وقال الدمر أنت
وحينئذ يضيع حزم صاحب الرئاسة ... ولعمر قال رجل للأعمش متشبثا عليه
ومضيقا الله بتعليم النابر العلم المحامس البيد لقد أحيا الله بك العلم لكثرة ذا خير عندك
أو كما قال فقال الله أعلم ما هم على ذا الله أفساد ... فمنهم من يموتون من قبل ذا يدرك
فيذهب علمهم ومنهم من يضعون الملوك فيذهب علمهم ... ومنهم أحمد
قال ينبغي ما علموا فيذهب علمهم أشار بهذا الرأي وما كان فيه من تعليم العلم لم يغرم
فيه ضررا ... أو أن تجد في ذا الرمشي هزرا ... وفي جوى القلم عالم أكثر فصرت الوذكره
فليرجع ولنقل هذا العريف من النابر هما القرار يلزم مما ذا خير في هذا أم أما البقعاء
فيما بالله وانارة برهانه ... وأما الخطباء فيما شاء عنه واعلانه ... أكثم لم يفعلوا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

والله تعالى يوفقنا وإياهم لما يحبه ويرضاه وفرغ من كتابه الذي

قبل هذا شيئا من هذا المعنى وذلك أن هذا أوعب وأكمل والله تعالى يحيط الجميع ببصره

وقد رأيت أن أذكركم ها هنا أبياتا أربعة يتضمنها مربع واحد كركم معها أبياتا يستخرج

منها كيف يستخرج منه والمعنى الذي يتضمنه ورأيت هذا مما ينبغي أن أتحفكم به أيده

صعب المرام على مر الزمان مثلي فصير اتباع في النظام والمعنى الذي يتضمنه معمى

شريف يتعين له اهتمام وقد تمم به الخواطر الذي ليس يعاطى فحواه إلا

ذكي وأروه عيني فقد رأيت المحللين مثلي يعلقون ما مع المحللين مثلي

فيقولون وقد أجزت لفلان كذا وكذا وجميع ما في من نظم أو نثر وقد جعلت أنا

لغط مثلهم في هذا المربع وما تعلق به وهو هذا

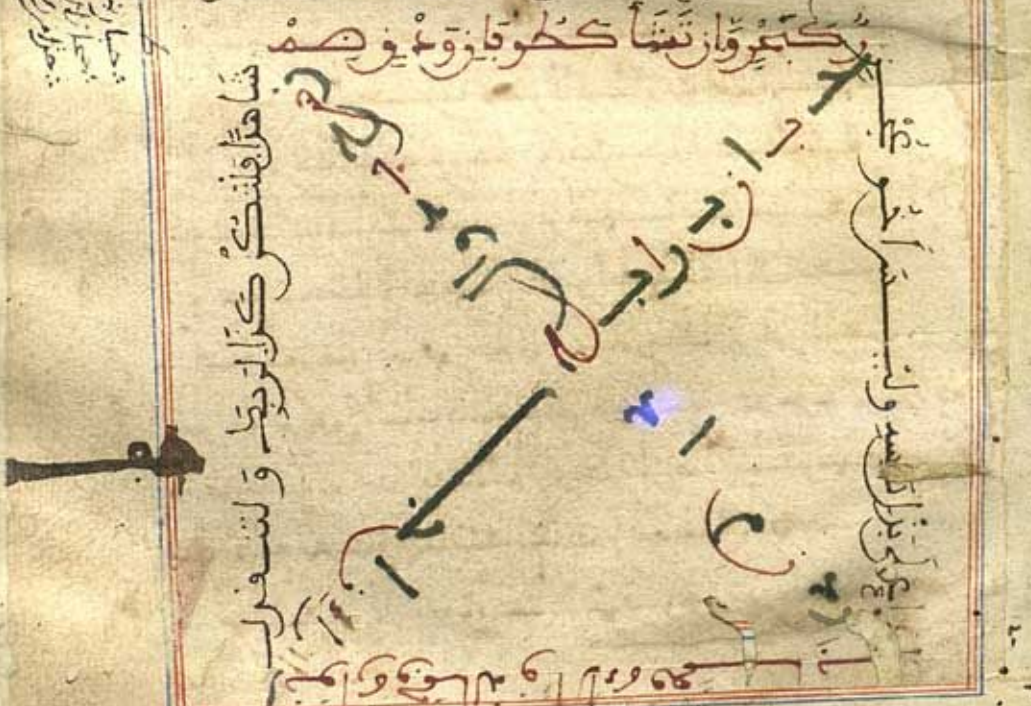

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وهذه أبيات هي المجمرة له:

اخصم بعناء هنا يربط بد: أبيانا اضمحت كالسلم بالزرر
واعرف براياتها وضعاً وغايتها: ووجهاً حفها من جوزة النظر
تجرهما أبراجاً بأوسطه: وعكس أخر بينهما بالخبر
فاسق بحابد بأبمنتخ: واذهب بميتاً وصل ما فوق بالأثر
ثم اضمم على اسلوب الترى: في برد هاختمها بلتغز بالقمر
اذ ما فز اتعرف عن وجهها وبرا: بها امتراح جميل الرمز معتذر
ثم الرعا الى استعلام رضى: من أجل حسن سنى زاد للفكر
فانفع لقابله واعمل لحاصله: نفع بها له صفواً بلا كدر
فرتبا برء ما لا يعبر نطق وعصر: ذكر لمن ذكر
وان شرهت له فسل مضمد رنا بيلكه: في لحظة البصر
ثم ارتمر مثلا ترعى له رجلا: واقفز وجلا ان نابت أو قدر
وعرف الكرما لم أبق عجبا: ان ترفن سببا منها لمعتبر
واستم لتاحلا واغنم لنازلا: وأبلغ أملا لكل معتذر
هذه شيم ما لازمها فيم: تعلو اسما يمم كأنجم الزهر
هذا هو المربع وذا أبياته فاعلم بها قبل مررت على استخراج غاية الكرة فاعلم
اكبط مؤونة استخراجها وأذكر لك نصر أربعة أبيات بر مزها فاذا عرضتها
على المربع تعرجت فيما كتبت لها بعده وهي هذه

حبار بنا نجم كتجم وان تشأ كهو فاز وذق هم نحتبذ ونجم

حلاوة حتى هذا فلتكن كذا الرجل ولتشكر الوداع فاجع ناجح

جمالا أرى أنوارها وجمالها وأثارها بعمارة مساجح

حرام من هذا هذا على نزاقيه ولينصر أخو عمر جبار بن ابي

وإنما قلت في ظلم آيات المسيح ثم ارسم مثالا لأني كنت قصرت نزالي شخصا

كان يكتب الي في هذه الأيام أبياتا من نظمه فأردت أن أنبذه بالنبذ ثم تفاقلت

عن الرد وقصرت تبعتي في هذه الليالي اذ كان في بعضها غير قوي حتى

أدركني منذر غمه وقلت في نفسي أي شيء يمنع من أن تنزل ابتداء زمن

ويرجع أعلاه السفلى فحضرني هذه الأبيات وذكرت اني بغير الله أضل من

كان منها فتلا فأردت ذلك عني

أيا قوم إني مخبر بقضيتي اوافق فيها الحق والصدق أبلج

أمامي ربي ثم واقتداري وعزمي فما يأمرني به من قضيته مخرج

وليس بوافيه هلاكا فمجملا سوى فضله اذ ما عداه الى الجلج

وليس له نفع بي وجاهة على غفلة اذ ذاك الشيء يفرج

وليس له منجاة ما لجاله من النيب في الدنيا وما يوم نخرج

فجزوا الى الله الذي ذاك أمره بهذا صراط الحق مستقيم ومنهج

وهذا اعتقاد الفاسقين بربهم فيالله ما هذا وهذي ما تعوج

فهذا ما أردت أن أذكركم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وهذا هو نقل

ذلك الكتاب الذي اسميته حرقا لمن رد المواضع بيسيرة مذ قليل نبذتها على المعنى

الذي كانت عليه وقد أحسنتم في بعثة الي الكتاب المحبوب الذي استعنت به ولولاه الله

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ما تشتبه به الذم المرتبع لصعوبته أو كتبت فيه ضرورة تبرأ حتما أن فوزي بخير
أغلب أمره إنما يقال في الرؤساء وفي الأمور العظيمة بعبرة بالغ الجرم العظم بقف
والثاني فوزي ناجح لم أره في اللغة مستعملا على هذه الصيغة من الثلاثي وإنما
استعمل على صيغة منجح من الرباعي لكن تلك الصيغة التي ذكرت مالوفة في العادة
والذي يعلم أن كل خطيب يخطب فهو خارج عن المضار وما من استثنيه سواء
خطبة في كل جمعة يخطبها واحدة لا يزيد عليها شيئا أو زاد عليها ولكن في بعض
الجمع دون بعض أو زاد عليها في كل جمعة ولكن يراعي في خطبته حال الزمن وقت
أو زاد على حال الزمن وقتي ولكن يحسن مسايفة الزمن كما ينبغي أو استوفى ذلك كله
ولكنه لم يتق الله تعالى ولم يراقبه في حال فيولج خطرات التصنع والرياء بقصد
خمسة من الخطباء خارجون عن المضار ونفي شرورهم عن المضار اعلم اشتركوا
في أنهم لا حظ لهم من ثواب ولا أجر وهم متفاوتون في الإثم والوزر بحسب
من هان ولا أعظمهم وزرا أنه توعر في ذلك الأغراض ولم يبرع أحد أغير ينسج
الناس فأبرز تشبيها والثاني فوزي والثالث فوزي والثالث
والخامس فوزي والرابع والذي هو أجل في المضار الخطيب الناصح الغارف
بالمقاصد والمصالح الذي يعلم وجه مشروعية الخطبة في كل جمعة ويذكر للناس
فيها من وجوه النصيحة ما أمكنه ووسعه ويحرص على أن يعلمهم ولا أعلم الذي
يحتاجون إليه في الوقت الأعلم والعمل به ويبلغهم الزمن على أخصر وجه وأقربه بحيث
يراعي الزمن في نعاته وفي ترتيب كلماته ويختلف الزمن باختلاف المطلب الذي
هو أحق به وقد يخص موضع بقضيه الحال خصه وقد

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

في موضع يليق به رفعه ولا يستعمل الرجل على سنن واحد بل يضع كل شيء في موضعه
وفي الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش
يقول صبحكم ومساكم الحديث ثم يقبض الرجل يده اليسرى على الزر الذي في آخره بعد
هو الزر الداخل في الضمار السالم في تعاطي الرجل ما يزري بالمروءة وزار الكاتب في عمله المتغير
زائر وعن من لم يكن مخلصا في زيارته لم تحل عنه لم يقم مقامه في
سلوك تلك المسالك وهو غير نفيس شفيع لها وعن عز اهل الشخصين
شافع عن عز درجة لاعتبار لينصر داعي دار ولعلم أن العامة والغوغاء
لا سبيل لهم الى انتزاع على أيدي الجماعة المتصيرين الى الفراء والتدبير أن شاء
هؤلاء بث الى أحكام الشرعية وذكر ما لين يتعرض لهم أو يتسلط عليهم والعامة
لا فرقة لهم فيحملهم على سؤالهم عن ذلك لما هم فيه من الجهل والغفلة فيحتاجون
في تلك الزمن يعاني قلوبهم أو ألبابهم من عقدة والتزكية والتغريب والتحزين
ثم يتدرج في أثناء ذلك الى ذكر الأوامر والنواهي والشيء والإيجاب والحرية فيتهم
في ذلك الأوسع من حريقة الجماعة وأقرب ما أخذ وبهذا ينفع لهم الاتباع ثم
فرأيتم من يقوم بهذا وكل أي شيء يجمعهم معه حتى يقع منه ذلك الزلل ولينظر
له سبيل الزوال بأمر الزجاج بناء على الناس أما الحضر والمجلس فلا زلة يرى
أن يعظكم ويذكركم ويعلمكم ما تجهلونه فإنهم يقولون لنا حاجة لنا به هذا
إن حسن العبارة وإذا قالوا شيئا آخر فلا جرم تلحق لهم في توصله الزلل
بمشروعية الاجتماعات العامة كالجمعة والجماعات والأعياد والمواسم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

غير يجوز اليها على ما اجروا وكرهوا بيعهم من دار الحرب ما يغلب لهم تماثله
وتلطخ لهم فتح فلم يأمروا مثل البكور والتزين من ذا مام والجناب ذا نجاسات. والتوقف
عليه ببطلان الصلاة حتى ورد النهي عن الجمعة يوم الجمعة وذا مام يخطب
أو ذا حتبا بحيث لو نزع يمنعه من ذا استماع للخطبة وقام العلماء على ذا الكل
ذا استماع وأمروه بالجلوس مستوفزا أو نوزهذا كله شرع لكي يتمكنوا منه
ما هو معروف لهم أو غيره لم ثم أن ذا زمنة التي كان الغير فيها منعيضا أو غالبا
على الشر الغلبة الكثيرة لم يحتج معهم الى شيء سوى تذكيرهم بالقرآن وانما هم
اياه كما قال تعالى بتذكر بالقرآن من يخاف وعيد وكان لهذا في الصلوات الخمس
والخطب في الجمعات وذا اعياد وذا استسقاءات وفي بعض مواطن الحج سبيل
الى ذا لم وكان يتلى عليهم القرآن ويستمعونه وهم لما خصوا به من الفضل المرتب
بنور اليقين وذا يمان يعمرون مضمنه فاكتفوا بذا لم ولم يحتاجوا معه الى كلام بسيط
ولم تكن اذ ذاك عامة والغوغاء قليلة انما نقص الخير وأظلمت القلوب بعض القلة
حدثت العامة والغوغاء فاحتاجوا انما لحالة الى مزيد كلام يقرب من مفهم أوامر
القرآن ونواهيه وزواجره وزواجره وعبره وغيرها فانتدب الخطباء والوعاظ والقصاص
للقيام بوظيفة لحب هذه القلوب التي أصابتها هذه العلل وذا غوائلها
في ذا لم رضا عامتهم العجيبة كل على حسب ما لحضر له في وقته الغائلة والمعالجة
للأمراض الخاصة بتلك الوقت فانتفع بهم عالم كثير ثم هم في هذا زمن مختلطون
فمنهم من ترى من مرضه وحصل من الغاية على غرضه ومنهم من وقف عند علته
عن التزايد حتى انقرض الصلاح فوزن من الرباط الواعظة والمذكرين ومنهم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

أهل التصنع والرياء. فحينئذ أفضل الدواء عدم البكاء. وإن هؤلاء على حال
ما هم عليه من العمى لم يعلموا أيضا من إذا انتبه بعض غافل كثير فلما انفرد هاد وداء
أيضا لم يوجد من يقوم مقامهم وأن يحسن ما يحسنون ويغني الخطباء على حالهم
منهم من يحسن بعض الحسان ويراعي في خطبه الوقائع والنوازل ويذكر للناس
ما يليق بزمانهم فينتفع لهم بهذه الدار المخلس بعض انتفاع ومنهم من لم يعرف شيئا
من هذه الدار واعتقد أن الخطبة إنما شرعت لتكون الدار تقرأ في كل جمعة
ويسرد على الناس خطبة أعدت من صيار الكتاب يحفظونها كما يحفظون
السور ومنهم من يبدل بشيء من خطب الناس وأكثر ذلك خارج عن المضمار
وأما الوعاظ والقصاص فيعدموا أزكاء ويفقدون أرباب الطريقة صعبة
المرام يحتاج إلى من يرشد لينتبه هذه الأمة من يقوم بها. فلما صعبت الطريقة
الوعظ والتذكير لحتاج أرباب ذلك الناطرون في مصالح الناس إلى أن يعلموا
لهم من يفتح الناس كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء
المنقبين رضي الله عنهم أجمعين في المساجد الجامعة. ويقرأ على من يحسن
سياقة ذلك على وجهه دون أن يزاد فيه أو ينقص كما يجري على الدفاتر والمدرسين
ليقع لمن بعض ما بقي من انتباه فحينئذ خلو الحزب بالقراءة والعيش ولو أخذ
البعض عن الناس سماع القرآن ولم يفتح من أجل ذلك في قيام رمضان. وأما الصلوات
الجهرية فلا يقرأ فيها ذلك بسرد مملوءة فليلة الحدود والكلمات ولو وجد ذلك
ما هو أقل من ذلك لم يقبل. وحبذا أيضا قراءة الكتب التي فيها ذكر الدين
ونعوت الصالحين وكيفية التعبد لرب العالمين وكان قراءتها على الناس

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

كالنابيز ونحوها التي سلفوا جهم متعلوزا بالسنتهم. وإن كانوا في أزمنة
بعيدة من أزمنتهم. ولهذا لا تحصل بها كما كان يحصل بالسماع من الأفواه العين كما
يتبع في أكثر النوازل أن نوخذ أحكامها من نصوص الكتب المدونة حتى
يتبعه بها وينظر بسببها في أمور كثيرة وأكثر فيها خير كثير بكثار الجملة إن هذا وما
نالوا بواكر دنيا وية من قبل تشاغلهم بذلك من غير مشقة وتعب في وقت عطلة
تسببوا بو فاحتهم وصلاتهم إلى أن يحصل لهم مثل ما حصل لأولئك على ما هم
عليه من الجهل والغباوة أو يزيلوه من أيديهم فاستتب لهم ذلك من قبل بساط الوضع
فلما تعاطى هذا الرجل الحسنة ولم يفز بالسبب الذي به أجله كان ذلك له صار أحدهم
يجيء فيقف على النائم فيساء نيته. وجهله بوجه من وجوهه. يكون إجراء
ذلك عليهم أيسار عن هم غيره وأيسر. أن يجيء يوما أو يومين ويبقى عشرة
وهم من لا يجيء ولا يقف. ومرتد جار عليه. يتوصل بتبشيره وسهولته إليه
فحينئذ ضاع النائم وماتت همته وهلكت أغراضهم ولم يجدوا معينا ولا ناصحا
من قلوبهم ويقوا منهم كثير في عنائهم. عرفني في شقوائهم وهوانهم. وذلك الرجل هو
مقصدهم ومناهم. وإذا أنت بقيت منهم بقايا يغرون شيئا ما من الخير وهم الذين
يرون بعناء دون المساجد ويلازمون مجالس العلم وحلق الذكر فأكثر أكثرهم
ينعلق لهم رياء وسمعة ويدعون أيضا الزهد والعبر وقصور عزم آخذ في
الدنيا ومزاحمة أهلها عليها ولو قدر على ذلك لم يرهنا لك. ومن العصمة
أن تقدروا أفعالهم ينعلق الحسبة وقربة ثم أنهم على غير أكثرهم مغتم
رضي بحاله واستحسنه وقال النفس في الوجود هذا الحال وأفعاله فلم يبغ محالة

مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ورد أن ما هو يجر به محل من ملة أشغاله . وهذا هو اليوم الذي
يشار اليه بالعقل واللب . إذ ثم من المعلوم أن الرأي الأفضل واستعلم
في التأمر فإنه يحتاج الى من يقوم به حقيقة لحبيبه وغالبا يدور أيليو بزالرأي
والاشط أن غالب الرأي يقوم تركيبه تركيب ساعة ذهبية يحتاج في غالب من
الأشياء والمعاني شيء كثير وربما لحتيج الى أن يضاف اليها أشياء مميزة كالرزانة
المعلومة . ولهوم ذا قاعي والحناش المسمومة . ومعلوم انه ليس كل لحبيب
يقدر على هذا وإن تعالجه فقليل فلابد من حبيب ماهر . النبوالحس
عندي في العلم بمنزلة الأعواد . وهذا من الفوز في الغاية وكثير ما نحن فيه فالتأمر
اليوم كالمجاذيم وفرعاحي على اجهم أشر ثم جزاما وكيد يتبعون على
يريده . أو تفلح وجوههم بعويلهم عليه لعجم إن لم يقوم كما رأيتم لحبيبنا
كما لما من الجزام . يقرف مقادير من أمراض وأشذام . ومصاب راعذ وأرا كام .
ماهر ايدي ذا من الطب . يضع المتاموا ضع النقب . فإنهم رأيروز في أخو البهم
فرة عيز وإن اعتمر وا يدي الرأي بأبا زكريا الرزي أو حنين وافهم الرمز يا حنين
وأكن حيز لم يدعلوا أن الرأي هو خير لهم وشر لهم خير له أنه سلم من تبعات جرائمهم
وشر لهم أنهم بقوا بعكيم بلا يمين وما مثله معهم ذا مثل لحبيب أراد أن يطب
جماعة من المرضى احتاج في معالجتهم الى أن يركب لهم أدوية يستخرجها من أجسام
تضر بروائحها كل من شمها وربما قبض وعز لم وقيل له أنا من أن يفعل بك وتصعد الحيات
من الأرض لتستنشقها وإن اعين أطب داء على التحرز منها فربما خرج ذا من
عز واختيار وما ينبغي في ابتغاء بغلمانه من بعسل وأنه لحة مجمع والزعفة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

يتار وفر في معنى عزحب أهل الحارة وزار نفت في آخر بعط المستقسة
المختارة قرع الخلو وماء دعوا اليه عمراء الخو منهم ما هم عليه وهذا ما
كحمر لي أن يقال في هذه المسئلة بعد أن كنت فلعت الكلام فيها وآخر هل
يعوه لنا كلام آخر أم لا كني رابته زاد كاديا في يتار كوز أكثر الخطباء
والمذكرين وفر الكتب عاشر لحالين من حيث لا يشعرون وقد كانوا مني على راحة
وكل في هذا أيضا نوع اشم لحة فكاثرت راحتي على راحتهم حسبما اقتضاه
الزمان والله المستعان وكم رابت فيه من شخص في رفيقه يوزن نسبها أو تفاضل
عنها وفر على قفاه ثم جلة كالبت حيث برنم مشحوح عليه فيه بزلة الزين
فاقتضاه وصين عليه فلو كان الغريم غنيا ملينا وذاخر فقيرا وكل مزيد
وحرج تلجئه في مقيله ويقرر مزلة الزين في كليه وخلله وان كان الغريم
فقيرا وصاحب الزين غنيا فقوة عارضة وعلو كلمته تجعله تحت حكمه وان
كان زيما استحقه عليه بفقره ومغلجه وكل الزين يحل الظلم ويزين الغنم
ويبرئ من الذمم ويصوب حكم من به حكم فوز الزين علم بالقلم لا يحب الله
الجهر بالسوء من القول الا من ظلم فتبارك الله أحسن الخالقين و قد تقدم لنا أيضا
كلام كثير في العفة والقلة ونعم ما به حوامين وسجلات لن علم ما نفعهما
الزين اكتب فيهما من علم لكان من المحتمل أن لا يضعهما كل يا سري يعني أنا جي
أمشي ماء منك حيا أن شاء تطلب كتمانهما لا اشهر بهما واعلانهما فلن فيرر
حوتي فيلم بعد ربي أحتسب عنائي وشقائي فيهما لأني في زمن الرأي كوز لمن
من سأل عن مسئلة فلم يجب أن عابد عوة ولم تستجب وان فيرر حوتك فيلم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فسيكون بينهما من بزخام وشدة الكلام وانعاب دابة وذاز ما لو علمت
له لم وأنت بي البرزخ لعضضت على أناملك وأكلت يديك غيظا وغيظا
ونوما أن لم تكن قرع ذا لم تفعل وأنت عالم الدنيا بأكل البرز ومفسوخ
والرز وسنجاف حاكم مذكور ما مانع لما أفهم وما عطى لما منع

كلام على قول اللقاني لمن تعذر له ويلومه على التفريط وترك العمل بما مال اليه ما وقفت له ولم ير وهل هذا القول خطأ أو صواب وعلى ما تحمل به من معان أخر

اعلم أن هذا القول في حال يكون خطأ وفي حال يكون صوابا فأما الحال
التي يكون به خطأ فهو إذا قاله صاحبه منتصرا لنفسه مزعزعا لظهور
تقاعسه وغلبة الكسل عليه لأن العبد من حيث هو عبد ينبغي أن ينتصر لنفسه
ويحتج لها وإن كان في كلامه ما لم يقع بالحكمة. ويتكلم بمحض الخير وهذا من
أعظم الجنايات التي انتعاش له منها عن سيره ولم يعذر الله تعالى الكفار حين
قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وما أشبه
هذا وهو كلام صحيح يجب على كل أحد اعتقاده مضمنه كما يجب علينا أن نعتقد
أن الله تعالى واحد ثابت بيده الكل لكن كان كذلك لا مهم لم يرد بهم ذلك انتصار
وإنما احتجاج لنفوسهم وشأن الغير مباين لهذا كله. وقولكم وكذلك لم يقوله
من أصلي وإنما بنيتم من جنايتي إنما يقوله على الوجه المذموم ولذلك ذممت منهم
هذا القول. وأما الحال التي يكون به صوابا فهو إذا قاله قائله غير

وتحتها

صحيح لبعضه وصحيح لما وإنما قاله احتجاجا منه عن قدر الله تعالى بيده ويعود
تقريره عليه: مع شدة افتقاره وعدم انكساره وخبر هذا المعنى من قول النبي
صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى اي غلبه بالحجة والحديث صحيح مشهور
إن شئت أن تقف على كل أحد بنعم ط به: وفوائدكم وتعرف النفس الخبيثة ما
تحب ذا الثناء والحمد ذا ينبغي الثناء والحمد ذا الله تعالى تعرف فوائد وغيرها
إن عرفوا ما إنا عليه بمقتني وبغضني وهو يعذره في ذا ليل على أن ما كنت
فلنة لكم يدخل كلكم من الخوف ويخرج من الخوف تأخر الكبير اعذر ط في ذلك كما هو
الثابت في الصحيحين أظلم نهارك آخر الليل عقل وأنهم ومن خالطته من غير
العقلاء والبعداء تراهم في الغلو أكثر من أن يحيطوا بحقيقة هجرة الخير من الباحل
الذي زعموه من الله تعالى في الكتاب الذي قبل هذا الوسائط الى أقصى الصين
وعجمت ما عجم نوح من السنين لم تصل الى علم وعذر ما شيء من الرعوي التي هي
أعظم البلوى أن تعتقد في نفسك أنها خبيثة وأن كل من يمقتك ويبغضك
هو بعذره فيك ليته يشعر من أين حصل له هذا الاعتقاد وهذا العلم وان لم
أبي في هذا الكلام أنكر عليك وجود هذا الاعتقاد كيف وهو معلوم
بداهة كل العباد لكن انكر عليك أن تبنيه على اساس غير مستقيم والاساس
الذي هو غير مستقيم أن تشاهد ما أنت عليه من الذنوب وتغفل عما لله
عليك من النعم وانت في كل وقت على هذه الحال لا يفلح أبدا لأن الغفلة عن النعم
نوع من الكفر انما وكفرانها نوع الى سلبها ولست أعني بالنعم الدينار
والدرهم والمأكول والمشروب فقط وانما يغني من الرأس وقطعا أن تقول

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ولا الدار الله يوما ما من الدهر وأن تستعيذ من نومة بعد نومة وصلاة
بعد صلاة حين تسمع الأذان الأول فتقوم إلى الوضوء لتتوضأ منها وأن تقوم إلى الصلاة
فتغفرها نعم الربح جهزوه وما أشبههما هي النعم التي أعنيها وأما أولادكم هم ما
تنصبه بهما من زوج أو صلاح أو إقبال على خير أو يجتنب لشم بل الغني لهذا كله
والحائط بواحرة من تلك النعم التي تقر بأن الله تعالى أنعم عليك بها بلا شك وأنت
تستغفرها وتستعيذ بها فإذا أقررت بها بقي عليك أن تقر في فورها ومقر فيه
فورها هو أن تعرف أنها آتيلوبك من حيث أنت فإذا عرفت أنها آتيلوبك من
حيث أنت استولى عليك من الفرح بها ما يمنعك من التطلع إلى سواها وذلك هو
هو حقيقة الشكر الذي تستوجب به المزيد ومن مقتضى ذلك أن يزحمك مولاك
فيسخط لك عن مساويك وعيوبك التي أنت منصف بها وهي في رتبتك بمنزلة
صيام العام وكاسبل لك الراما لحة شيء منها غط بقوة وكاجيلة أنظم لك تشرب
الزخ الربقوة أو جيلة كان ذلك من أعظم المساوي والعيوب التي تزحاحيها إلى
جملة حتى إنك ترى هذا الأمر يوما فريدا وما أشغله لمن أهل الدنيا وما ابعده من المهالك
والمعاطب التي تعرض لها من لم يوفق لذلك وترى أيضا من سيادة هذا الكلام هل أثنيه
على الله تعالى وتحكمك النفس في استعلاء ليتز أو أثنيت على النفس والغيبة
الثناء على رب العالمين كلا والله بل أنت ومن أشبهك بما تر ومرتبة عكستم الأمر
فأثنيتم على النفس بكمال العلم والقدرة والقوة إذ شأنكم أن تلوموها على التقصير
والكسل اللوم المفرط من غير وخيمة ولؤما عتقاد أن لها عنكم فرة أو قوة
ما لهم هذا اللوم والغيبة الثناء على الله تعالى بعطلتكم عن النعم التي أنعم بها عليكم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

من غير اسم ... وقلتم هذا أغلى ثمنا ما هو أكثر من الدراهم وأي شيء أنتم حتى
ينعم عليكم والوفد من أقرانكم وأشباهكم فرطرطوا واتبعوا ما هذا الجهل
والغبن أرأيت لو أن عبدين مشبهين مكرمين ملطخين بأنواع من الأقذار
وأدناس فجاء أشرهما من الهدية التي هي عندكم سوء الحرم والغبن من غير حاجة
منه إليها ثم عمد بها الى منزله فنظفها من الأقذار والنجاسات وكسوها
فيصير يساوي ثلاثة دراهم معروفة ثم إن آخرهما رمى بها من جيبه دراهم
وفاضل العبيد والدجاج شيئا كثيرا فقال الرجل الكيس جدة من هذا الجيب وبطنة
من هذه الفاضل فإن المعاملة التي غاملتني والغبن الذي البستني ليتر لشيء
من غبن العبد ونتن وسكنة آخر فلم يفاضل شيئا بل لم يعد فاضل الرشي من الرطل
علما منه بأنه لم يستحق من الرطل التنظيف الذي نظفته والغبن الذي البسته
فضلا عما يجوز من الرطل مع علمه بأنه فاعل أن تنزع عنه البسة وأن يرمي وتزيحه
الى غير الغبطة من غير مبالاة بما ينطبق الرأي العين بغير ما ترى عينك
وأقرب الى الغرض مرضاتك وأولى باستغراق النعم السابغة منك عليه اهـ
العبد الشاكر: أخذا من العبد الكافر. وما شأن الغبن المكلفين في هذه
الحياة الدنيا بهذه المثابة فمن عبد أنعم الله عليه بنعمة أي نعمة كانت بما
من شرف الحياة من الله تعالى من كونه ذكرا بتلك النعمة على خساسة فرد. وبقاء
خطر. فاستغرق في الشكر عليها وغفل عن قلبه ما سواها و من غير
أنعم الله عليه بنعم كثيرة وهو يرى أنه فاته من النعم ما استغرقها أنعم الله عليه
في جنبها فلم يستغرق له ما تطلع الى غيره مما أخر هذا بأن يتسلب

مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

عنه النعم دمها لها لما لهم وما لهم وأول الذي منع للذي النعمة التي ينعم
بها عليه هو إما بأن يعيض عليه من النعم مالم يخطر له فقد بنا بعض الشخص
الذي يرى نعمة مع ما في حقوق الله تعالى فما بالك من جملة النعم التي أنعم بها عليه
إن كان يعتقد أن ليعصيه في الرمز خلا بيسير ذا عتقاد الذي وإما لم يعتقده بل
اعتقد أن الله تعالى حرمه فما عنده ما يفعل قبل أي شيء يظهر أن ما حرمه يكفر بالنعمة
الموجودة وإنما الرمابد أكرمه بين هل بشكر هنا عن قلب النعمة المفقودة ما
هذا ذا من عمى البصيرة نعوذ بالله من الذي يلي عمى البصيرة هو الذي أوجب
لكم كونكم ابتغتم من الله تعالى نبقوسكم فتروز من أجل التكليف الذي كلفكم أنه معوض
إليكم أمثالهما وأضعافها فإذا أقررتم وقوع ذا مثلاح لها منكم وحتم لنا لكم
في هذه الرمز المتبعة التي تتوهمونها تكون لكم في الزار ذا خرة ذا فامة العبودية
لله عز وجل وإذا أقررتم وقوع ذا فساد لها منكم حزنتم لنا لكم في تم لم من الضرة
التي تتوهمونها تقع بكم في الزار ذا خرة ذا لما تركتموه من أجل الله بين يدي
الرب المجيب وكل ذا الرعيد الخارجين بالله تعالى المطلعين على حقيقة الحق
جملة وتحيلا تا لا يشبه منها في خطرهم التخفيف شيء بل النظر المحقق
يوجب لهم أن يزيدوا نفوسهم وقلوبهم بيد الله تعالى ليتم لهم فرة مستغلة
على شيء من الخير يجلبونه إليهم وأيضا على شيء من الشر يزعونه عنهم فلما تفقوا
بهذه المعرفة كان معتمد أمرهم التجاء إلى الله تعالى وذا فتقار إليه في أن يوصل إليهم
الخيرات ويزيح عنهم المضرات فإن كل حركة تحرج عليهم في مواجهة أو مخالفة
ملغاة في نظرهم بما يعتقدون لها من سببية في حصول منفعة أو مضرة وإن يزون

مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

في تولي سبيل ذلك إلا إرادة الله تعالى ومشيئته به ... بعد قولهم بل الله
والحمد لله هنالك ... فلما الحمد لله قولهم إن الله تعالى شفعهم حتى تبوؤهم
من حيث لا يشعرون وصارت الهيبة طاهرة لو لم يكن لهم ما جاورتهما الخيانة ولو أنهما
بلغتا من العبادة والزهادة كل مبلغ بنفس أكبر العباد ... وبفس فرعون ذا النون
مشتركتان في الخيانة وفلة النجابة ذا من رحمه الله تعالى بهذا أعلم العزيز الذي ابرم
اليد بسببه والحيلة بل لا يفهم أكثر من بشار النبي هذا ذا من أن نواجع المسطر
ذا توجد في بيوت الكتابين والسر أيسر ونعني بهم كل من له بفس معلنة من عنيفة
كأنا وأمثالي نتحمل منها على رياسنا حمالة ثقيلة ... مع أنها ليست بحسنة ولا
جميلة ... لو فوضت إلى الكلب لتولها أو لحرصه الذي ليتهما لما هي عليه من ذنوب
وعصيان ... بل لما هي عليه من تكبر وطغيان ... ولا أعني بالتكبر والطغيان أن يرتج
صاحبها مشغورة على الخلق أو يظلمهم ويبخسهم شيئا من الحق وإنما نعني بذلك
أن يكون عنده شيء من الزعوق التي هي أعظم البلوى ولو كان صاحبها محاميا
للحق ذا وقر من ظاهر التقوى ... وعلامات وجوه الزعوق في الصبر أذكرها
لينال نفع من له في أمر تنكرونه علي من غير حاجة بذلك إلى والله تعالى يعلم
المصلح من المفسد وهذه الله كلام جرى به القلم وتعثرت به هذه الكواغد من
غير حتى منا أن يتسع لأهنا فصرت به أن أجرهم إلى الكريم المستعين الذي حكم
عنه بما حكم لي من ذلك الكلام الذي تكلم به قيل صاحبه فيه الغرض فالحمد لله
ونسأل الله تعالى أن يهدينا وإياكم إلى سبيل الرشاد من غير أن يكون لكلامي في
ذا الشيء من الشائبة وإن لم نصاب فيه الغرض فاجعلوه من جملة المفارع التي

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

شان نفسكم الخبيثة بزعمكم أن ممدوح بمثلها الذي فصرت أن أصبر بما تجلة يزيد
في الخامل وافبلوا عذري وسامحوني بما تروون فيه من خشونة أو جفاء حملني
على ذلك الرد الله عز وجل على الخال التي ذممتم أنكم عليها من التيه والتعظم والعمى بقدرما وقع
في اليكم التنبيه المتكرر مرات والله تعالى الهادي والموفق بارئ بغيره وما معبود
سواه

وقد كان بلغنا منكم

كتاب صحبة فلا يزعم بنت منه ما كتبتم به ونعم بنت من كتاب فلان أنكم بي عناية
الكرب وبنهاية الضر بما أنا أذكركم ما تستحيون به على الصبر عليه والرضى عن الله
تعالى فيه والله ولي التوفيق لنا ولكم واعلموا أن العبد لو كان لا يلقى الله تعالى إلا
بعمله بالطاعات والعبادات الظاهرة لما كان له بد من أن لم متبوع ولكانت صحائف
حسناته خالية خاوية كأن فيها عبادات العبد مشروطة باخلاصه فيها وبقيه
الآيات عنها وكيف يسلم أمثالنا من الذنوب مع حبنا للدنيا وإيثارنا لها على التقوى
فمن نعمته علينا ورحمته بنا أن ابتلانا بالمصائب والنوائب والهموم والغموم ليحصل
لنا بالصبر في العاجل رفعة وارتفاعا بالقلب وعلوا وابتهالا باللسان ورفعا لنا من أعظم
العبادات وأفضل القربات وتحصل بها في الآجل تكفير السيئات
وترفيع الدرجات من غير أن نخشى عليها عاقبة بعدوا عنا بذلك
وليكن لكم أسوة حسنة بالأنبياء وخواص الأولياء فإنهم أعظم الناس بلاء
وأتمهم أعظم عند الله تعالى ثوابا وجزاء ولنذكر في هذا المعنى الآية قوله تعالى
إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله عز من قائل وبشر الصابرين
الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون وأولئك عليهم صلوات

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

من يقسم رحمته وأولاكم المقسوم لكفاءة الرب بيا فالله تعالى يرزقنا وإياكم
الصبر على ما ابتلانا به والعافية مما لم يبتلنا به وإذا لم نكن من رجال البلا فينبغي
لنا أن نسأل الله تعالى العافية في البر والزنيا والآخرة فهذا مما يجب ودفع المصائب
عليكم وعليها لكم ومما يجب بها أيضا على العبد توقع نزول الموت في كل نفس
وفي بعض الآثار أكثروا ذكر هادم اللذات فإنكم إن كنتم في ضيق عيش وسعه عليكم
برضيتم به فأجرتم وإن كنتم في سعة نغصها عليكم فزهدتم فيها فأثبتم ومثال
هذا مثال رجل حبسه السلطان في محبسه على نية أن يخرجه للقتل والصلب
في أي وقت أراد فإنه في حال كونه هناك لا يجد لذة شهوة ولا متعة ولا يجد الما
لضربة ولا خرشة لأنه يتوقع نزول الأمر العظيم به وتعريفه بين روحه
وجسده ولا شك أن الإنسان في هذه الدار مسحور مجبور ومغرور فتنبه في
كل نفس أن ينزل الله ملك الموت فينزع روحه من جسده ويصير حبيبه من البعيد
وأي فرق بين هذين الأمرين لمن كان عاقلا بإذا أشعر الإنسان بخاطر ذكر الموت
بذكره والزم تذكاره فلم لم يتصور منه وجود غم ولا حزن لشيء من مصائب
الدنيا كائنة ما كانت ومما يجب بها أيضا على العبد أن يعتقد أن في مقدور الله تعالى
ما هو أعظم مما ابتلاه به وقد صرف الله تعالى الكرب عنه وابتلى به عبيدا كثيرين
كثرة وعافاه منه وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم يعتادون في كل وقت
حضور دار المرضى والزمنى ويتعتبرون مواضع إقامة الحدود والعقوبات
على الجنايات وأرباب الجرائم من قطع أو ضرب أو قتل كل ذلك ليستذكروا نعم الله
تعالى عليهم فيخلصهم ربهم على الشكر لربهم عز وجل على عافاهم مما ابتلى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ه غيرهم مما ذكر فاه ويقوم على حزم بين يديه وصرو المقاتلة لركه
وفي حديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اظهروا الرمز هو اسبل
منكم واظهروا الرمز هو فكم فانه احرى ان تزعروا نعمة الله عليكم او كما قال
صلى الله عليه وسلم وانتم اذا نظرتم في هذا الشأن بعين البصيرة وجدتم من ذلك اشياء منكم
انكم مأمورون بالتصرف في امور الدين وامور الدنيا وانكم تقومون بهما محالة بنعمة بينة
ودنيا وية وايمكنكم اظهارها امام النعم الدنيا وية فظاهرة ولزم ليكن من خواص الا
صحة بدنكم وخيفة خطركم من تبعات الاهل والعيال واما النعم الدينية فبعضكم
يعلم الله منها شيئا كثيرا وغالب الرمز مشاهد منكم لمذهب اهل السنة ومحاسنكم الارباب
الضلال والبدعة وسلامة جوارحكم من الاثم والعدوان وذلك انما هو بمتابعة
الشيطان وما رزقكم الله من محبة الخير واهله ونعمة النفس وسوء الظن بها
والخوف من الذنوب والحزن عليها وابتلاء الله تعالى لكم بالبغي والعداوة اللذين هما
من شعار الصالحين وملازمة الذلة وذلك انكسار اللذين هما من اخلاق المؤمنين الراغبين
واما الرمز النعم التي ايمكنكم انكارها ولا جحودها ويكفيكم من الرمز ما تقوم لكم من مواساة
سيدي سليمان رحمه الله تعالى ونبعنا به وخدمتكم له الى ان زار الدنيا وفارقتم
الاغواط تشتغلون بالسبع والغربة تحبسكم حتى بلغتم من الرمز غاية الامل
والمرغوب والرجل المذكور من اولياء الله تعالى المتحققين بالتمام وقد انعم الله عليكم
بجميع انواع الرمز غير خوامنكم وافوة وكثير من الناس من حرموا منهم هذه الصفات والاحوال
فعرفوا بالخيار التيه والضلال بهذه كلها اغوبة بتقدمة لمادة الفضل التي جرت
عنكم كلما استعملتم ما حرم عليكم فانتهيتم الى ما شاء الله تعالى والله تعالى يعصمكم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ويصل ما أصابكم تكفيرا لذنوبكم وترفيعا لدرجاتكم ؛

وقف بلغني كتابكم وقرأته وكنت بعثت إليكم جواب كتاب بعمومه إني مختصر أو تعرفنا منه حالكم السيئ ولست أغني بحالكم السيئ ما حكيته عن نفسي مما يرجع إلى قلة الدين وقلة الدنيا وإنما يغني به مجرد همك لأمرك وعملك عليه وكونه بين عينيك وسواسا خناسا حتى أهلكت نفسك وحملت من ذلك أثقل من الجبال الرواسي والجمل يحمل بالناس أكثر مما حملك كما قال الشاعر ؛

لا يبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه ؛

ويا أخي كيف ساغ لك أن تقول في كتابك المرة بعد المرة إني عن باب مزاي مطرود وعن كل خير أريد أزاحل به ممنوع ممنوح ؛ وقولك وما أنا إلا ممن حقت عليه كلمة العذاب إما أنت فتقذف في النار وقولك وبناء على أني شقي محروم مطرود مذموم أنذرك أي مصيبة وقعت فيها بعد الكلام وبالحال التي حملك عليه يعني أنك رأيت نفسك وحسبت أنها شيء معتبر وأنذرك أخوال المحموم فرهينة بما هي لها وجعل بيها تمام فاعلية لنيلها والوصول إليها ثم صرفها عن المرام استولى عليها من الغفلات ؛ وما هي مبتلاة به من الشهوات ؛ وترى أن في فرعنا أو أصلنا أو أرضنا أو سمائنا عن الخيرات التي هي مهيأة لها لا تنهال تفعل ولا تستفاض بل لك وهذا فيه شيء من الزعوى أن رؤيتك التقصير وتوهمك أن منها فعلا أو جعلا أو استحقاقا لم تبتذ من المراتب أو حال من أخوال الشريفة شيء عظيم ثم فيه مع الزعوى المذكورة منازعة دار احة والذرة أنك تعلم أنك لا تكون في ملكه دار ما يريد وأن ذرة الله تعلو على غالبة على ذرة العبد ثم مع هذا تجزع وتضجر

359

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وفقط وتشوش خاطرك ولم يكن سبب ذلك الا نظرك اين فرد الله تعالى غالبة لك
وإرادته نافذة فيك ثم انظر كيف هانت عليك وأحببت أن يتغير علم الله تعالى وقدرته
وإرادته وحكمه فيك لما أنت له محب ولديه مؤثر وامعنى للمنازعة هذا امر
بمنزلة من أخذه ملك قاهر وقيده بقيوده وغلله بأغلاله وطرحه في سجن
يحزن لما يفعله معه الملك ويقول في نفسه هلا أكرمني وخلع علي وجعلني
في بستان أو قصر بدلا مما فعله في بما أحبني في أن يكون يفعل به ذلك
وتغير ما قضى به علي بغير وزان ما انت عليه أنظم تتكره ولم تتغير ولم
تجزع ولم تضجر بل دام أمور أو نفعها بظن فرضت وبرغ منها **فاقول**
إنما الوجه الذي أريد منك في هذا الحال ولا يكون لك منه انفكاك ولا زوال
فاقول لك انظر ما تدري ما يكون ولعلك بما تستقبل تستحقر قوة ونهضة الى
الاعمال الصالحة والحالات الجميلة والسعي بافي ولأي شيء تجد الغيرة
وكم رأيت ممن كان قبلك ثم أمر أو عاصيا ثم أطاع أو مغوجا ثم استقام بعد
مصيبة وبرصة وقعت فيها وأنت لا تشعر بها ولو شعرت بها لتمنيت أن القلم
الذي كتبت به ذلك الكلام تكسر وأن الكاغد الذي كتبت فيه تمزق وأن البيد التي
تصرف بها تلك الاصابع تحرر وارتعاش حتى لا تخرج تلك الصورة المستقبحة
للوجود هذا كله لو كنت راض بفسطك في جميع ما ترى وحسبت أنها شيء معتبر
وأما إذا لم ترض بفسطك في ما ترى بل رأيتها أمورا في قبضة القدرة كالبرد والحر
فقد رفعت بذلك الكلام عني كلمة أخرى وهو سوء الخلق بربك وأي شيء
أمر لك ومن أين علمت أنك مطرود ومقبور ثم مغفور وأنك ممن حقت عليه

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء Fondation
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

كلمة العذاب أبعث البيط بن المرسوم أن ان علي ضنا با كذبر سدت بربط الفر
وحكمت بأن سوء فرد فريفر بيط الكرباتجميز والحرز وكلا أحسنت خنف
بربط وقلت أنا محل النعوت فرد وقضايه وهرق ليهام أحكامه وكل ما
يحكم به علي من هداية أو إضلال أو سعادة أو شقاوة أو ربح أو خسارة أو طاعة
أو معصية كل ذلك السوء بالنسبة الى عقله من انجاز كما حكم علي بالضلال
في الماضي حكم لي بالهداية في المستقبل وكما حكم لي بالشقاوة حكم لي بالسعادة
وكما حكم لي بشيء حكم لي بضده بل الرجاء وخنفر الفر ينبغي أن يكون الغالب
على أمرين أحدهما أنه تحت المشيئة والثاني خنفر المعاملة التي عاملك بها
في ربط وبياط أما محبته للربط بفعل أمر معلوم بنصوص الشرع
وكما يقتضي ما ورد من هذا المعنى وأما خنفر المعاملة التي عاملك بها في ربط
وبياط فإنك إذا صرت تنظر اليها وتصحبها وتتشهاها لم تجز عاما
واحدة بغير الجد معاملة خالية من الحسان والذهب البتة بل الغرة الرجل وقرر
أنك بغير من الربط بغير من الزنا فالبغي الحقيقي من الربط لا يتصور ذلك بوجود الكفر
والبغي الحقيقي من الزنا لا يتصور ذلك بأن تسلب عنه جميع النعم الداخلة فيه
والخارجة عنه فيسلب عنه مثل ماله وصحته وجماله ويكون مجذوما أو مبروصا
مزفوعا بالأبواب مضروبا للناس بسوط الدناءة والخجالة فهذا هو أنهى
ما يقدر الكافر عليه وهذا الشخص بحاله في سلب النعم الدينية والدنيوية
عند كان معرفته بحاله نعمة عظيمة جليلة جميع النعم بحيث أنه لو انفتح
بصيرته وخير بين أن يسلب هذه المعرفة ويعطى جميع النعم أو تبقى عليه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

هذه المعرفة وسلبت جميع النعم لا اختار أن يبقى عليه ويسلب جميع النعم
دار أو افتحت بصيرته لشاهد أن معرفته بحاله هي النعمة التي تستغرق
جميع النعم وأن فاقد الروح أخو بينه وجعل في الرفيق وسادا على ليس دار
في حمار وبلاء فإذا عرفت هذا كان عيشك وانبعثت رغبتك وشاهدت
لك الفضل على تسعمائة وتسعة وتسعين شخصا من ألف شخص مشاهدة
خالية من ذكاء وعلل وينقى واحد من ألف أما أن يكون له الفضل عليك أو
تتساوى معه وإنما كانت خالية من ذكاء وعلل أنك لم تشاهدهما من حيث
أنت ولم تطلع بها حظا من حظوظ نفسك البتة هذا كله بتقدير أن تكون
مسلوبا جميع النعم كيف وقد هداك ربك أن تقول لا إله إلا الله وتبقى
ثلاثة أيام أو أربعة وتأخذ لقمة مائة أحرى فيها عليك وتجعلها في فمك
وتجرعها في حلقك وتشاهد في بعض ذلك خيرا وله بك فلانا وفلانا
هداهما الله تعالى بفعل أو بلعاب وبصحكاك وكذا وفلانة وأنت في هذا كله
ساكن الجأش مهزوز الرزعة فهذا أقل ما يمكن أن تعرف به ولو شئت أن
أشرح لك من هذا وأترفى بك قليلا قليلا لأريك من نعم ربك عليك في الدين
والدنيا ما لا تسعه عبارة ولا تلحقه إشارة وتعرف بجميع ذلك أنك أعظم ادعا مع
ما أنت عليه من القبائح وأنواع الفضائح لم تقلع ولم ترجع لبعلك وذاكر
التنبيه والإيقاظ في هذا الموضع أبلغ من الإفصاح والتصريح فكم أبيت
أنظر في حكم الله تعالى مطرودا ممقوتا ومن حقت عليك كلمة العذاب
باعتبار ما أنت عليه من الصفات الخسيسة وذات الأعمال الدنيئة فلم أتجوز

362
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

تجويزا غالبا أن تكون عنده حقيقة مغربا عجوبا فرسبوله من الله الحسنى
باعتبار ما هو عليه من الجود والكرم والبضل بل هذا أولى أن تركت اعتبار
نفسك وما هي عليه من الصفات اللائقة بها ونظرت الى ربك وما هو عليه
من الصفات الحميدة والنعوت المجيدة مع أن عندك من أفعاله مقطعا ومعاملة
لم تر أو ذرا لا أو مما تقيس عليه غيره وليس عندك مما تقيس عليه في الجانب
الآخر شيء فلا يستقيم إذا البتة أن يقول الحلم أحسنت بربك الكرم واتكلت
على فضله وكرمه وألغيت أمر نفسك ولم تعتبره ولم تبال به ويستقيم كل
ذلك استقامة أن يقول الحلم ربك أسأت لحظي بي واعتبرت نفسك ووقفت
مع ملاحظها وما فاتك أما شاهدت المعاملة التي عاملك والتربية التي
ربيتك من ذلك ما بان لك وجه مناسبته لك وموافقته بحيث لم تملك
نفسك أن استحسنته واستروضته وهو أكثر ما يكون ومنها ما احجبت
عنك بحالة بحكمة انجرت بعلمها لو أحضرت ذلك لك لكانت بلية من جملة
البلايا مع كونك بها قرير عين ولعل من هذه النعم التي احجبتها عنك وربتك
نفسك بالعين التي رأيتها به مركونها مطرودة ممقوتة ولو أشعرك
بأن هذه نعمة عليك من قبل أن تسلبك عز نفسك وأخرجك منها خروج
الشعرة من العجين لكان ذلك الرمز الضر عليك والبساء الغائر البك مارا
مريرا عليك وعند الرزايا تاحت عليك النوائح وبكت على مصيبتك النوائح
لكان ذلك الرمز قليلا في جنب ما بليت به ولو أنك لعبت لربك فيضت لك
عبرات من عيونه وجعلت له ولكلامه موقعا من قلبك بعد الرنفسك التي

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

بني معتبرة عندك وزأبنة منها عظيمة كل ما تأتي وتذر بجعلها بين رجليك
تضرم عليها وتزوسها بعلك الغدر وقتح لي بصر أتري ... نعمي عليك ما بقي منها
وما لحقر وجعل الرز الرسيبك الرالوقوف ببابي ودراوا الرجنابي
لطرء تنط وأبعر تنط حرداً وبغراً استعر بهملفي كما بعلنه باكثر مزتري
عيناك ممن تضبح معه وتمسي من الجنابرة المسنفين ودراً غنيا المترفين بل
كما بقلت بكثير ممن ترى عيناك من اضحاب التلاليس والحلاليس الذين هم في
صور دراء ميين والكنهم في عراء دراً باليين ... وغ الرأني البستهم لباهر
دلاعتبار وأحكمت في قلوبهم رؤيته دراً غيار تعمو ابن الرعن التعريف
وحادوا عن سواء القرين ... أما سمعت ما نقل الرعني مما أوحيت معنا الى
بني يعقوب لوزالعبي لي وعنا بني بك بجعلت نفسي عندك أنقل الباخلين
ولكن لعنا بني بك جعلت نفسي عندك أرحم الراحمين فإذا رأيتني عاملتك
بهذه المعاملة الحسنة ... التي تعجز في وصفها دراقلام ودراليسنة فبأي شيء
تسيئ ظنك بي فتراني أني كرهت بك وأبغضتك ومقتك وجعلتك ممن حقت
عليه كلمة العذاب رؤية كدرت عليك عيشك ونغصت عليك نفسك
ومنغصك راحتك واستك ... أأنت لي في الرأو حرضتك عليه أو نزيتك
اليه ... أم بحكمي تخرص أم في ملكي تزيد وتنقص ولغرك زالي في مكابدة
أمر معاشك وتصوير اللقمة لي ولعيالي ما يكبدك حصول العذاب به إلى
تشاهد بيد لقبي وعقبي وكيف وفراضت اليد الكريه التي أما بك من التخريص
في فرتي والتجريح علي في ملكي وسوء القول بي أعرضت بذلي عن بابي ...

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وتصامت عن حكايتي واشتغلت بمقارنة فريتي ومراجعة حسابي
بهذا كله كلام مستقيم لا يفر أن يرد منه حرف واحد فها نار مصيبتان
وها منيتان نار لنار ربط وبما كان حال الذي أنت عليه من الغم والكرب سيئا لا يرضى
به عاقل ولا يضر ويتصور دائما من غبي جاهل وهو الذي فصرت أن أتكلم له
عليه وأبكي وأعيد وأبدي وأنت إذا تأملت هذا الكلام كله من أوله إلى آخره وصغته
اليد بقلبك وعرفت له سر ربط بعقد النفع البين من هذا الغرض المرموز وعرفت
أنت إمام دهماء وإما نرياقا وإما معجونا وإما الكيمياء أي شيء أحببت أن تسميه به
وهو الذي كتبته لك لترجع به عن حرصك وتخبيطك وحولك وقوتك واجتهادك
وتعرف أن نفسك حسبما جبلتك مني وأما الحال الذي هو عزك شيء وهو
الذي سنقتضي من الكلام كله من أجله حتى أخرت بسببه أوعيتك وهو
متشعبة وهو كونك مكبلا بالشهوات عاجزا عن التعلي يفعل بفعل خسيس
قبيح البعال إذا رأيته حزنت أو شهوة تحرك نفسك عليها فالتعلي وإتباعي
في التوصل إلى ما حل أو حرم وأنت كالأنعام بل أنت أضل إلى آخر ما قلت
فهذا المعنى بعد اشتغلت كتب معقد وداوك وأحرزك الكتاب الأخير منها
المعاني التي ذكرناها لك في مرارة علة الجهل الذي أصابك حتى تعرف بذل
جلالة قدر ربنا وحقارة نفسك ويصير لك ذلك ملكة وحالة ثابتة راسخة
ورجونا الله تعالى أن يلطف لك في هذا الذي ابتليناك به وهذا ما خص به من الكلام
الذي حليتموني على الحال السيئة التي تعجبني منك وواظبتني على تذكاري
وتكراري ماء البلوى أطراف النهار لتكون معاينته ملازمة لقلبك لترتع بها

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

لما يحيط من الخواطر الرديئة وذلك بقدر المشيئة والله تعالى الموفق للرشد
والمعين عليه كما ربنا غفره

وفروعها

كتابكم وتعرفنا منه حالكم وحال أولادكم
وأنتم تتقلبون في النعم ظاهرا وباطنا فالحمد لله على ذلك وفرشكم رغد كثيرا
وأما ما سألتم عنه من تلك المشاهدة وأنها هل يتوصل إليها بسبب أم لا وما
الكلمة في كونها نصيبا للإنسان ملكا أما دوام أو زوالا والسبب الذي منه في الغالب
الكون سببا لتغير تعيين العبد والسببية التي يتعاطاها فاصرا بها خالق
المطلب بالحملة الجردي لها أنها من هذه الحيثية أعني من حيث كونها واردة العبد
وفضله متوجهة إليه أم بالحول والمشاهدة التي أشرتم إليها أمر حق وشيء
من الباطل لا يمكن أن يتوصل به إلى الحق وذلك كما قلتم بل تكلف المشاهدة
مرة واستعمالكم لفظ التكلف في هذا أمر حقا محضا ولو أمكن أن يتوصل
إليها بسبب يعتمده الإنسان ويفعله لم تكن عزيزة في الوجود ولكانت من جملة
المألوف والمعهود وإنما السبب في ذلك ما هيئة الله تعالى للعبد من غير
أن يشعر بشيء من مواجيد أو لواحق فإذا وجد العبد لربه وأفضى
به إلى المقصد الذي كان متكلفا إليه شعر به إذ ذاك وليس هذا خاصا
بهذا المطلب بل هو جار في كل مطلب من المطالب شريفا كان أو غير شريف وكم
من مرة يروم العبد أمرا ويجتهد ويأخذ فيه بكليته ثم لا يصل إليه وكم مرة يصل إليه
ما لم يتشاغل به ولم يعول عليه وفرق عظيم بين العبد أشبابه وهو في غفلة لا
يشعر وفرق بين الحالة التي له بابة من غير أن يحتسب أو يفكر وهذه الحالات

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

كلها هي أعلى حالات الهبر وأما سبب الذي يخرج عمره ... ما أتم ما يجيء
وعمره ... وكابنيله بفتيته وكافضه ... وإن تقول أن تجي تعلى وفي الغرض المعذر
والغرض المعذر ... فإن التعب في تعاطيه تلك الأسباب عتيق ... وذنب صاحبه مزايل
سوء أدبه من الغفران بعيد ... ومار بط بكلام للعبيد بمقاهرة العبد
ذا أسباب هكذا تحصل الدلالة من الدعوى ... وإن شئت أحد الياءات التي وجوهها
في نحو البساتين وعنب الجنان من أعظم المحرو والبلوى ... وهذه الخلة يتحقق
بها مقام التوحيد والجمع وتجرد الراحة بمعارفة عالم الغرو الذي هو سبب
كل هجر وقطع ... وهو أيضا محل التعب ... ومحنة وبحوح الكدر والنصب ...
حسما جرولة في المعاملات والمضاربات مع نفسك التي تقتضيها كلا أطهرها
من أوله إلى آخره فاخرج يا دلان عن هذا كله لا بنفسك تكون رجلا وذلك بأن
تكون نفسك عندك هرقا مسلوبا عنها كل وغل وحقد مع اجتهادك
في القيام بوظائف الشرع من غير تقصير ولا تقصير مخل وهذا إذا أمران بقطع
هما اللذان يجبان عليك ... ويوجبان لك أن تنعم والمنافع والفوائد الدنيا أمر
ذا أول حقيقة توجب لك بها الجنة الراحة من التعب وذا أمر الثاني شريعة
نوع يك منازلتهما الغرائب الأرب ... فإذا أنت وقيت هذين الأمرين حقهما فاشكر
الله تعالى على توفيقه لك لذلك وإن لم تقم بحقهما وأصابك من أجل ذلك مرض
وكرب ... ولم يزل بحج العقل واللب فهو معدود لك في جملة الغرباء موضوع
في كفة الحسنات فلا شيء تقلبك إذا بعدا عنه ... وتروم التبصر منه ... ثم من بعد
هذا البال بكل ما أمرك عليك بربك بنفسك أعانك الله أو كالحة أو موعنة

367

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

أو كافرة أو متشبثة بالإلهية والربوبية أو ناقصة فيهما أو أنها بصدد العقوبة أو المثوبة جاز له كل ذلك وأوهام وسواس لا يقيد بها شيئا سوى الحرمان وإن رآه على أحد نقص في آخر أمره أو دخول النار ستار على الوجه الذي خلد عليه الشبلي وإلا فكم من وجوه كل واحد منها بصدد أو فعل هو بعد مبلى فبهذا تحصل لك من هذا الكلام كله الجواب عن سؤال داود وهو هل يتوصل الرجل المشاهدة بسبب أو مع ما الجواب أن الكلام من أمور غير داخلة وأما السؤال الثاني وهو سؤالكم عن العلامة على صيرورة تلك المشاهدة للعبد ملكة فاعلم أن صاحب الملكة يحتاج إلى علامة كما قيل

من هو منغمس في المال الزوري ... كيف لا يعرف حر المال من زيفه

وإلا من أذنبني علامة أن يحس عن باطنه آثار تلك الوساوس والخيالات ويجد رجعة منها في جميع أوقاته وحالاته ويكون كما قال سيد عبد الغافر

أضحى لا أملاك إلا أمنية ... أن جوى لا موجوعة أترقب

لا كمن مع توبة ذاهب حقه وإيثاره خلال الله تعالى مستحقه وهذه هي المناظر العجاب والموارد العذاب والعطايا الفاخرة والمزايا التي حظي بها أربابها في الدنيا قبل الآخرة اجعل الله حظنا منها الوفر الذي منا ألف ونظمنا في سلك من أخذ منها بحظ وافر بمنه وفضله وهذا ما خص به من الكلام على السؤالين المذكورين وهو مع ما لم نتعرض لكيفية التخلص من تلك الوساوس التي ذكرنا كلما يتيسر فيما بعد إن شاء الله تعالى وبالله تعالى نستعين وعنه نستوفق ونحوله ديننا ودنيانا ومعادنا ومعاشنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وقد بلغنا منكم كل الذي كنا نتمناه وتعرفنا منهما حالكم في الابتداء
وما آل اليه في الانتهاء من تعزز وعزكم وتكون خاتمة حالكم بالنسبة الى ما كان
أصابكم من الضيق والكرب فنسأل الله تعالى أن يجزيه أفضل الجزاء وأكمل من سعى
في مسئلتنا بلسان أو قلم أو قدم وأن يعطيه أفضل ما يرجوه من ربه وبما مله
من رضاه وقربه بمنه وكرمه وخبركم هذا الذي كرهتموه من جملة ذا أخبار التي
تذكر في الفرج بعد الشدة وكم لله من خبء من مثل هذا في خزائن الجبار وغير
وهذه ذا أخبار أعوز شيء على زيادة ذا ميان والبغي أن يرجوه فما يحصل
للعبد خالص الشكر لرب العالمين وهي من أبلغ ما تستجلب به القلوب الضعيفة
لملازمة ذا أدب والكون بين يدي الله تعالى كما يجب وقد حصل في بسكنا
هذا الذي كرهتموه فيه خير كثير وذا مما الذي كرهتم أيضا غربه ونفي هو
فلان الذي كنت عمرته هذا الخير كان فلان رحمة الله عليه وهو رجل من أهل
الخير وأحسن حالا منهما بحالكم من الزلف وكثرة العيال وقد أبعدتما هذا
والغرب للغريب نسيب وذا أمر في سكنى تلك البلاد كما كنت فكنت لكم في الأمكنة
التي رسمتها في آخر ذا الكتاب وقد كرهتم أنكم انتبعتم بها ذا الذي هذا الموضع
من النعمات الكبار التي جاءت في الضمار في شتاء البلد وبياض النهار أما
في الليل فحين تسمع نغمات السمار في ذا السوار ونغمة الصفاع في ذا السحار
على شوا لحي ذا نمار وأما في النهار فحين تقف بباب الدرسة وتشاهد بابا الملا
وعزته ومنعته وترى الرجوه حوله عاير بن زاغين زاهين منهم
من يخلع عليه أمشى الخلع ومنهم من يذهب به الى باب السبع وانت تعلم ما الذي

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

يصنع به هنا لك. وأما إذا صعرت منار الجامع في الليالي المقمرة وانت قد
على ما هنا لك من البساتين المثمرة وغير المثمرة. والحيطان المنيعة والمباني
الرفيعة وتخفف ما فيها من اللذات. وأنواع الشهوات وما تضمنته
من الوجوه المليحة التي لنفس عليها بما تفعله بجناح. ونزلت هذه الجملة
بمنزلة الخرزات التي تستوي بخيطها وجمالها على القلوب والنفوس
لم تنشط ولم ترتب في أرخصها فراستعزبوا عزابها. لما منحتهم اقترابها
وحلالها فرضوا بقليلها. لما تمسكوا بحبلها. وعزت هاوراء الذي
جاء وهاهنا جاء زيد ليدل تنزع من أين عمر صاغر. وعزت أيضا لزيد الذي
يجيء من جهة زيد أن لفرس أن محبوبة مفاخيم كبار زيد نفس. وأما أنت
جاء الرجل الباء سببية والذي يحصل الكمال من بينهم لغة تبلغانها. بي
مساجد تقطعانها. وزيد إن ظباء أمرت من يقول حتى على الفلاح
الصلاة خير من النوم يقولون له بلسان حالهم كذا لزيد هو عندك. جاء أكثر
من لزيد الرجل الباء سببية تكثيرية. وأخواتها يقولون له صل أنت وحدك. أنهم
عرفوني بما عليهم استولى من شأنهم المستغل. وحالهم المستغلي. وأنتما
وهم وإن تباينت أخوالكم في التراب تجمعوا كلكم. ورأيت في هذا كله
درك من فاعل. وحكمة من حليم فاحل. فإذا أردت كذا هاهنا الحال والوجه
ورفضت على مناسبة هذه النعمات الروحانية. وأزهار المعنوية. التي
ليس بينها وبينها مشابهة. وإن لم يكن لزيد منها نصيب. وكم مستكثر
لذا كل عار وليس. وعن لزيد تنجلي عنه كل غمة وكربة. ويغلو هذا الحال

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وقد ما كان يعلمه سماع نغمة ابن يعقوب وكان أبي حريصا على أن يعلمه موافقة
المحال التي ذكرتم لي عن أنفسكم حين قلتم وتكتب لي بما ينبغي لكم أن يلي بيد صنعة
فليبني في هذه الأيام في كرب شديد وغيض كثير فإذا رأيتم كتابكم لعل أن يخبر
فيه ما يسليني عن ما أذابه بتنسل بهذه الجملة واحمد الله تعالى على أن منحك
كرمه وفضله وما زال يتسلل بهذا الجنس بتسلل شيء غيره والله تعالى يفرج عنكم
الكرب ويوفقنا للكون على حال تسعد بها في الحال والمنقلب بمنه وكرمه
والسلام عليكم والرحمة والبركة

وقد بلغني كتابكم وذكرتم فيه حالكم من قلة الرواتب وعدم انصافكم
وأنكم رجعتم تخيطون في دار الصنعة ثياب أولاد الناس ولن تتشاغل اليوم
بشيء أفضل من نغم البطر وحبس الشغل وبأي ما فيه ذا أسباب
عليكم وبلغ من ضيعها أن رجعتم تتشاغلون بأمر حذر منه أهل الورع والزهد
وجعلوا مفاتيحه في عراء الظلم مع تمكنكم من غيره بأن تأخذ ما تقبضه
من البلد البالي حيث الرعية العامة وتتشاغل به في موضعه فيلي العامل
عملكم كما سمعت فترحلوا في التجارات والصناعات بما أنتم عالمون به ما
كنتم ذكرتم لي من الظلم الذي نصيب من يمسي ويصبح على وجوه أولاد
الظلم حتى حملتم على إعانة الظلمة في أمورهم بنياتهم وفد جاء رجل
الزاهد المبارك فقال لأبي خياط ما صنعت شيئا لبغض وكلاء السلطان
فما ترى أكون من أعوان الظلمة فقال لست من أعوان الظلمة بل أنت من الظلمة
إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيوط وغير هذا مما هو معروف

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

عنهم وقد كان لهم في التراقب الذي تأخر هنالك وفي قبل بعايدة الذي لم كله
تبركة فيه وكيف يبارك في ذات شيأ الخبيثة وقد لم كله أمر مجرب وما أشبه
ذلك الحرام الذي احتصل في جوف ذات نسان ذات الجهنم لو ألقي فيها ما عسى أن يلقى فيه
ذات وتقول هل من مزيد اكن كنت واقفتكم على ذلك التراقب أجل الضرر الذي كان
أصابكم من كونكم تبقون ذات أيام والليالي التي تقدرون فيها لحفاظ ما كان لكم
عندي أفهم عز وجل ارتفع حالكم بغض ترفيح بل كنتم حيز نتنا ولم تكن لكم
تجرون مرارة لم تحبوا أن تستكثروا منه وتجعلوه في مداواة علة
فلتكم بمنزلة الصبي الشغطير واكنكم وجدتم حلاوة التي هي مضاءة
لحلاوة ذات يمين والضرار يجتمعان فرهبت احدى الحلاوتين بالأخرى وهلبتم
ذات استكثار من ذلك الشيء الحلو ولم يفرح لكم هذا في خاطر ولم ينفعكم بسبب
قلبه وقد هذا ذاك من الطعمة التي كنتم تكرثها كم واكن مع هذا كله فلا
تأخذ علي قلبي فيه فضولي ولعل صبي حالم بلغ بطالي أن يجوز لكم مثل هذا
وانا أعلم والشاهد يرى ما لا يرى الغائب وإنما فصرت بهذا تنبيها
لقلة تبصيط الزهو وذات استغراق حتى لا تغرق ما وراءك وما أمامك فقد
مع أني أعلم علم يقين أن مزقوط شيالله عوضه الله تعالى خيرا منه وما
يلزم من هذا العوض أن يكون من جنس ما تركه واكن لعله يكون رضى وضنا
وقناعة وزهدا وما أشبه هذا مما يعمره بالقلب كل عاقل لبيب وينتهي به
المحال الى أن يقول ما قاله لم الرجل الذي نفى سبعة أيام لم يزوجها واما
فسر بذلك وقال يا رب إن لم تحمني تلك الأيام أخرى أصلي لك البدر كعندي واكن

فقلت له في تلك النعمة التي هيأت له بعماتها وأنت له بر عماتها انظر إذا
أعرت من يقوم على الفلاح يقال له كذا له هو عندك ولو أنا ما فرقت من ذا عند ذا حين
قلت له الشاهد يرى ما لا يرى الغائب لم آمن أن تقول في مثل هذا المقال لما أنكر
أن يكون استولى عليك من الظلمة التي لا يكاد عنها في الوقت انفصال أو كان زوال
وذا أشياء كلها نسبية فالكتاب إذا رأى الخاطب يستحقره ويستذله ويعتقد
أنه مغبون الرأي في اختياره ما اختاره والخاطب إذا رأى الكاتب كذلك رأى من جهل
شيئا عاداه فلما قررنا أن تقول له لم تسلمت لي في حالي وخليت بصوابك
ومحالي وقلت كما قال العبد الصالح نوح عليه السلام وما ينفعكم نصحي إن أردت
أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ورأيت هذا من أكبر النجحات التي تهيأت
لي في هذه الأزمنة التي نحن من بعد ومما يجب أن يرفض فيها ويكره
ذا كان خير تذكر بخير وإن كان أطوى بذكره الركب فلم أحفل عليها بما هو
كما ذكرت لكم وأما ما ذكرتم من الجود الذي أصابكم من ألم الموت فجوابه أن
يعتبر ذا الإنسان من مقتضى مزاجه وجبلته أنه أنس بهذا الضوء وألفه
وقضى به وطره وعهده يكون ملكا أو صعلوكا وفقيرا والمولود أم صعب
هذا الوكان الموت دون ألم وما يصيب صاحبه كرب وغم وكيف إذا
انضاف البدن المرهق الذي يذكرونه بحيث إن ذكرها ذكروه عن أنفسكم
من أنكم إذا تذكرتم ألم الموت يسلب عنكم لذة النوم ومنعكم ذا استراح و
إن استراحة بعد أن وخيم اجتمعا عليكم أو خيما لكم كراهية الموت وحب
الحياة وما هو والله إلا إيمان بما جاءت به هذه الأخبار وهذه الآثار من أن الموت من

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

من أجل النعم التي يتحف بها المؤمن ولقد كان السلف الصالحون يعرضون
للحتوف وملاقاة السيوف ولا يفرون إلا على ما جرى على إخوتهم من افتتاح
البلدان وغلبتهم جميع أهل الأديان وقد كان خليفة الأمس الذي تنبأ
بغروبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعزله غاب وراجع دار السلام
قال له بعض أصحابه خير انصرف عند أشياعه وأتباعه ويعجب من حوله أترى
لم ير أن أصحاب كل واحد منهم يحب أن يموت قبله صاحبه وعروقهم تحب
كل واحد منهم أن يموت قبل صاحبه وقد صرح بما قال أن من حالع في خالع
بقاسة شيء لم يتمالك أن يتمالك في حلبه والوصول إليه ومنهم فراح لهم جمال الآخرة
فاستحالوا أمرة أقامتهم في الدنيا واستعجلوا الغرور عليهم وتسببوا للذل
ببذل المهج في مواطن الحرب ومعارك القعقعة والضرب وبقول أحدهم لما أصابه
جرح صغير واستبطأ أن يفضي به إلى الموت إنما لصغير وإن الله ليبارك في الصغير
وكم لله كان بارك الله فيه حتى مات منه جعلنا الله وهذا كله أمر معلوم مقرر
وأما الوجه الثاني وهو توقع دائم الذي يذكر في الموت فيضر فيه نظر أما أولا
فلأن ما يذكر من مبلغ ألم الموت لم يذكروا عليه فالحكاية واحدة قوية فما ولى
بالإنسان أن يضرب عن قول صفحا ويستشعر فيه من الخشية ما ورد عن النبي صلى الله
عليه وسلم في شأن الشهداء أن الموت عندهم عن لذة قرصة النملة أو كما قال صلى الله
عليه وسلم وإذا كانت الشهادة مما تغير حال الموت وتنقله من الثقل إلى الخفة
ومن الألم الكثير إلى الدائم اليسير علمنا منه أن ذلك في الموت ليست طبيعية
حتى لا يمكن انفكاكها عنه وقد كنت كتبت بعض الفلاين وحلبت منه أن يعرض

مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdel-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

على من يمكنه ممن يشار إليه بعلم أو فهم أن خطر هل يوافق عليه أو يخالفه فيه
وفي كتابي هذا ما ظاهره أني قلت ما وافق عليه فما وجه هذا الكلام فيه
أعظم تفويه لما ذكرناه أن خطر عن سريد وأما ثانيا فلأن الفوز مما يأبى
منه وتوقعه ما يزعج صاحبه النهاوكر شا قبل مجيء وقد كما قال سقراط استهينوا
بالموت فإن مرارته في خوفه ومثل هذا لا ينبغي لعاقل أن يتشاغل به أو يعبأ بما فيه
به فإذا وقع فموت الخاطر به ينبغي له أن يرتفعه عنه إلى ما يسمع نغماته
أو استعمال أمور طيبات من المعرجات وغيرها وبكور غير بغير استعراض
الخلط السوداوي الزيغ غلب سارة الخلط بالمزوج وغيره مما هو مشهور
عند الأطباء والغالب في هذا الكلام الزعابة والمزاح: لتستجيب به نوع
انشراح: ليتوافق اللفظ والمعنى في حصول الافراح: وإما فإن من التجأ الخاطر
ثيابا الخلمة: الوحيشة فلو يهم المظلمة: ليضلع ترلر وقد: ويرفع به بمنه
كيف بحر سعة استعمال الشراب المفرح الذي هو مشتمل على نحو الخمسة عشر
جزءا أغلاها المسك والعنبر وأدناها لسان الثور والورد الأحمر: وكذلك
كيف بحر سعة استعمال الدواء المشتمل للمرة السوداء: وهو أيضا يشتمل على
أجزاء كثيرة جدا: وليحط بحر من ذا يتساع: ما يمكنك أن تشتري معه من الزبد
نصف صاع: والكرفس والتحد كل واحد منها السبع وزادا استماع: ولعلك تقول
هذه وفاحة منك من حيث أنك جعلت ثمرة الكرفس والتحد: فأقول نعم هي
وفاحة: ولكن بهما ملاحة: ولا تقبل أيضا عتابي في هذا الميزان من الكزبر والبهمان
أن من هو في حضرة الملوك: وليس بمتفشخ ولا مخلوق: يتعذر أن يكون

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

محتاجا الى زيارته وهو يشاهد طول نهاره الكيام المزوقة بالاطعمة الجميلة
الموتفة تتخالى عليه وتهب نسيم روائح أجانبها اليه ومحال أن يكون
في ذاك الكليز والمتاولين الزلزالية وقتوة وأشي من المروة بحيث لا يبتسم
على غربته من الربشخية لحيبة حزيد هذا شيء لا يتصور في مجرى
العادة أيها الصبي لا بالشرقي ولا بالغربي لأنهم من اللئام الكبار الذين لا
يرضون بالعار وأما اذا وجد فضلة رخيصة من نظر الوان قلا تخليد نفسه
حتى يشتريها ولو لم يتولد الثمان فكيف يلتفت مع هذا الى ما يريده التي
تحرق مصارينه وبطنه لما فيها من الخرارة الزائدة التي ينفر فيها المريد التغذي
بها فانه وهذه الخراجات مما تفسح به في الوقت فليبي وبدي لحصول الغرض
الذي به فرائض وهو اتباعا تسليط وتغنم مسرط مع أني أعلم أنه
يسير فيه فارة في ازمان البرح والله كما تقوله العامة هز على فيح وانما
الدوا المحفي الذي ينبع من خلل أعضاء ولا يكون في صحة تركيبه وابضاده
الى الراحة والشبع مزوع ولا مفال ملازمة التقوى ونفي النفس عن الفضول
على طريقة أيمتنا وساداتنا رضي الله عنهم وعنا في الدنيا من الشرور والآفات
الشريعة الوحيدة ما يحصل لمريد كل زمان منيه ولا يبقى عليك من الكرب الدنيا وتبه
والنعسانية بغيته وتقول حينئذ ما قاله ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه لو علم
الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف فلمثل هذا فليعمل العاملون
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وبهذا ما اراه أذكركم مما يمكن أن يستدعوا
به عنكم ما عرض لكم من الكرب بسبب توقع الموت وبسبب ما أصابكم من ضيق

فعلى الى وا
الموت

انظر مقولة
ابراهيم بن أدهم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الوقت وجعلناه مشتملا على بعض هزل ولغط عن يسلم جزل كلامه
لنستخرج منك الوخز الكامن وتقول بلسان حالك ومقالك يا ابن عباد ما اغرك
بمن اراه على الباطن فلما سمعت هذا منك أخذ كني روح واستبشار
بمزحك إياي ومناطك علي من بين فهما ذا مضار الذي ليس واجبا المضار لكنهم
في فهم الرسم يبشر لهم عبارة وتاعاض لهم تبيانا كما يعتريه العيا والزمان
ويطرو بانحراف هذا الزمان وتاينفي لهم من هذا الزمان ما وافق اغمال المتقين
وابزارنا أن يبقى في غالب مقصدا انت بعد في الزمان ذاخرة والله واكتبي اقول
لك كما قاله الخير في رحمه الله

فكل ما حلى خير نوشي به وتاسل الشعر عن تجليد

واستغفر الله وتا قوة وتا بالله وأما ما طلبتم من النصيحة والوصية
فلذكم تستجيبونها مما تقدم من الكلام وهنا الله تعلى وتا بارك سدد
الكثير وكيف تتبع الوصية والنصيحة ممن لم ينصح نفسه ولم يوجهها
بما ينفعها

ابرا ينفعك فانهما عن غيهما فاذا انتهت عنه فانت حكيم

فهناك ينبغي ما تقول ويقتدى بالقول منك وينفع التعليم

انه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

والله تعلى يلهمنا رشد انفسنا ويوفقنا للخير قبل حلول أجلنا بمنه وكرمه
وأما المستفتى التي سأل عنها فلا زم الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم عقب قراءة الحزب جماعة بلفظ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فقد كانوا يفعلونه الدهر هنا ثم تركوه لما رأوا ما يستعملون الصلاة
التامة الوافية حتى يجيء عشر مرات غرة وعشر مرات عشية وكان يوم الجمعة
وليلتها يقولون ثمانية عشر ثمانية عشر وأي شيء ما الذي كان دعاهم الى هذا الكلام وفي
هذه المسئلة كالكلام في مسئلة المولد التي كنت كتبت لكم بدا الوجد عند
أن لا ينكر ولا يعترض شيء من هذا الجنس وأن يعتقد فيه وفي امثاله ذا باعث والتوسعة
ولا يقال فيه انه حرام ولا بدعة فلو لم يصادم له سنة ثابتة ولم يرد استعماله المنكر
ولا محذور بل ينبغي أن يكون له مندوبا ومطلوبا لقوله تعالى وافعلوا الخير وهذا
خير وقد كنت رأيت قبل هذا بأيام في نحو الكراس قبل هذا اللفظ ابن البغال وأظنه أبي
ابن البغال هو في هذه النازلة بعينها حكم فيها بالجواز والله أعلم واحتج على
ذلك الرجل و الذي يفهم أن الرجل إذا ذهب وذا يمان إذا أسلب وتمسك الناس
بشيء مما يفهم انه من آثار كما مثال هذه المسايل لم ينبغ أحد أن ينكرها فينبغي
للناس بلا خير ولا بحث خير ولا ينبغي لمن شانه العلم أن يناقش في امثال هذا ومثل
هذا جواب كل من يشغب ويقول لو كان هذا جايزا أو مطلوبا لبعله السلف الماضون
لأن أصول الدين كانت عندهم راسخة قوية وقد وجدوها كما تلقوها عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم غضة طرية ولم يحتاجوا الى استعمال شيء من هذه المراسم
كما لم يحتاجوا الى ترتيب النظر في نوادر المسائل الفقهية وأوضح التواليف
والكتابة فيها قيل وقد رضناه لم يزعه مزموم بهذا أيضا مثلها قبلا شيء لم
ينكر هذا وأنكر أمثال هذا ويجب مجرى ما قلناه من الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم جماعة وافامة المولد على الوجد المعتاد اذا سلم من المنكر الذي

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الدعاء بآخر الصلاة على حسب ما اللهم الناس وكذلك القراءة الخرب بالدراهم
وكذلك اتخاذ الضيافة الكثيرة في المساجد في رمضان لأنهم إنما قصدوا بذلك
تعظيمه كما كان إطعام الطعام المذكور كما قلناه في المولد وغير هذا مما لم يعهد في
زمانه ويقبح بهذا الرجل بأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حرام أمر
شنيع ولعل نصر بعد هذا الكلام أقرب إلى أن يكون حراما مما حكم هو عليه
بالتحريم لوجوه منها بشناعة هذا اللفظ وقوله في جماعة لا يزيل شناعته
ولا بشناعته وأين قوله من جماعة يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم على لسان
واحد من اسلين وبين أن يجمع جماعة يصلي عليه كل واحد واحد ومنها ما تقرر
له بسبب غلبة مزاحمة الناس له كالذي وقع للإمام الجنيد ألهمنا من بركاته
آمين وإن فاته أداء عامة الناس إذا به عظيمة بسبب ما منعوه من ذلك
وأما قراءة القرآن بالدراهم بدعة وشنعوا عليه أن يقول أن قراءة العوام
بدعة ولم يتخلص منهم وينقلب من أيديهم دائما بعد النيابة والتي ومنها وهو
أعظمها الحكم بالتحريم على شيء من غير دليل قاطع والله تعالى فرحنا من غوائل
بقوله ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام الآية
وقوله قل الله أذن لكم أم على الله تفترون وما احتج به لذلك من كونه لم
يكن في السلف احتجاج ضعيف وليس كل ما لم يفعله السلف يحكم بتحريمه
ولعل قراءة الخرب بالدراهم أقرب إلى أن يكون هذا أنكر هذا الجنيد من هذا
لما اعتبر في هذا من تصحيح الحروف واختطاف الكلمات والقرآن إنما
أنزل على وجه مخصوص وليس في الصلاة التي ذكر ما مانع والله تعالى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

أعلم وأما قيام المرء نيز بالليل للدعاء فغير نص عليه إلا أن الحرص على أحكام
القرآن له وعكوفه عليه خلقا وأدبا أغنى عن ذكره وأحسنه عن بعض وفهما
عصره وكفانا مؤنة النظر في ذلك ولو كان في الكتاب بيان لتعلقنا لكم
كلامه في هذه المسئلة وينبغي أن ينكر من الحلي على المرء نيز الذي يلحنون
في آيات القرآن يقرؤونها على غير ما أنزل الله وقد يكون ذلك من اللحن الفاحش الذي
يغير المعنى وقد يتأتى بسماع أصوات بعضهم بعض من جاورهم
يلبسهم في ذلك

وقد كان يلقني كتابكم جوابا لما كنت كتبت به إليكم وذكرتم
فيه أمورا من جملتها أنه عرض لكم فتوح لا تعرفونه من نفسكم فجاء ذكركم أنكم
تعرفون أمثالنا ممن تتوسمون فيه الصلاح يجعل فيكم بعض الكرب وأنكم
ترونهم في الوجهين وسألتم هل في ذلك علة أم لا والذي أراه أن العلة في
الوجهين ثابتة لا محيص لكم عنها أما لكم إلا ما تعرفونه من نفسكم حتى
يوجب لكم ذلك الفتوح بالعلة فيه لظاهره أن موجب ذلك وجود العلة
منكم عن النظر إلى فضل الله تعالى وكرمه وما أسداه إليكم من الفضائل ونعمه
مع أنكم مصروفون في فيضة القدرة لا تملكون أنفسكم من الهداية والرشد
منفاذة بالفتوح لا وجد له وهو جهل محض وهو من كبائر الذنوب التي
عدها العلماء وغاية لا أم أن يغلب عليكم حال الخوف وذلك لوجد محمود
موجب لصاحبه العوز وذلك أمان وبلوغ الرضوان لأنه يلزمه حال الرجاء ومقام
محض الثقة بالله لزوما ضروريا والله تعالى عند حسن ظن عبده كما ورد به الخبر

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وبهم المعنى بسبق الجنة في هذا الوجد والجود لها وخوف النار على طريق
الخواص المتصفين بالتوحيد والإخلاص وتفريغ القلب لما يليق بالوقت وأما
الوجد الآخر وهو ترك كل معرفة الصالحين لتتبعوا بهم وانتفاع بهم
يعرفون ذلك أو وجد أما في الرياضات والسماع والدعاء وأما في الآخرة وفي قيامه
مقام الشفعاء وهذا الوجد مما يغتر به كثير من الناس والعلة في ذلك الموجودة
أنكم إذا نظرتم بعين البصيرة النفس الآخرة وهم أشباحا وأجسادا يأكلون
بأنفسهم فضلا عن غيرهم إما داء أو الضرا وتعبا والضرا فإن شعر
أحدهم الرشح من غير بقوة مجرور بسلسلة في عنقه يستطيع لها نزعا
والفزعة التي تعرفه بماء بعدا وارتجاعا وإن لم يشعر لم يقوى على أصله
من الهجر وعدم الحيلة ومن كان بهذه المثابة ينبغي أن يعتمد عليه
ولا يتوكل إليه بل يكون اعتماده على الواحد القهار العزيز الجبار الذي كل من
سواه بالنسبة إلى جلاله في غاية الاحتقار والضعة والصغار والذلة
والهوان فإن فتح لك بابا إليه وأراح لك نورا يهرب وبرك عليه أما بتوفيقه
إياك إلى معاملته معاملتهم بها لله عز وجل ومحبته فزهدك في فلان لهم فقد
حصلت على الكبرياء الأعظم ووصلت إلى الملك الأكبر وانجلت عنك الوساوس
وهرب منك الشيطان وإما بالفرق وكان الرأس لا جيرانه بني عليه وحصنا
حصينا فلجأ إليه أنك شاهدت فعله بك ومعاملته معك فإذا وجدت
مذاق هذا العسل والعنبر وتكون من هذا المشروب الذي يشبه جيد خمر
وابنين فلت لنيل في الدنيا صالح ولا عارف ذا محمن عباد ولا تاجر ولا جاهل

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

إنما هو له فضائل ومعاد. فإذا صحت من سلك. وتبينت حقيقة أمر ما
راع له أن ابن عباد رسم من الرسوم لا محصول عنه ولا معلوم. وأن ما أتاك
من قبله. فالله سبحانه هو المتولي لتبصيله وجعله من غير حول منك ولا منه
ولا قوة. فحينئذ تقبل على مولاك وتفرغ عنه وليس لغراضك عنده بالذي يوجب
له من قبله انقطاع منعقد بل الله يمنعك إياها ويوكدها أن قلبك بيده من اعتمد
عليه. وافتقرت إليه. كان كفيلا بالمطلوب. ومراعاة حق السبب
عملا على مقتضى ما الشرع منطلب. فإذا حصل لك بفهم هذا المعنى
في التعليم الذي هو أحد وجوه اتباع المذكور يمتد أيضا في الوجهين
الباقيين فاضربت عن كل أحد. ولم تتعلق منك إلا بالواحد الأحد. وكنت في
معاملتك للصانع مراعيا حق الله قائما بأمر الله منفردا بجميع أمر الله تعالى
ومتوكلا على قادر صحيح الاختيار فيما فإن اتفق أن يتغير على الخير
منهم قلبك قبل القلب الذي تقلبا من الأمر. وإذا استجمعت غلبانا حسبما ورد
به الخبر سلموا منك وسلمت منهم أما سلامتهم منك فلعدم التبعات عليهم
من قبل أنك لم تعاملهم وإنما عاملت ربك فيهم فلما لبتك منهم سافط عنهم
وأما سلامتك منهم فلبقاء ما حصل لك من الثواب على مراعاة حقهم لله
عز وجل سالما موفورا لم يغتر حبطه. ولم يفرض له بطلان. وإن لم يتفق لك
عليه تغير بل كان حشر لحبطك فيما فعلت عمدا تالله من الله تعالى من المزيد الذي
ليس له حصر. وأما تحرير ويتزايد أمر الله أضعافا مضاعفة بحسب ما يتزايد من حسن
الظن وجميل الاعتماد. فأنت في كل أمر لغيري في تغير قلبك عليه وعدم

تغير قلبه لسلام عليكم ورحمة الله وبركاته نعلمكم بالله واوليائه ... رضي الله عنهم حبيب
رزقنا الله وإياكم الطهارة وأولياءه ومنه وكرمه وهذا المعنى الذي عزمت
لكم ذكره به تفوز في صحتك عرى هذه الخصال التي تسلم من اغتلال باذا ينبغي أن
يغسل من البغض جميع ما تريد حتى يتوثق منها بموثق عليك وبين خالها بميزان
صحيح أن البغض أسرع شيء الذي المرء وأخرجها عليه فإذا أعمى مدع الله
مغتم على الله وفاصر همته عليه ومخلص في معاملته لدغ خاطئ بنظره الرديء
فلا تصح له هذه الدعوى حتى يجرب نفسه مع كل من يعتوره ويلتمس منه الريد
والمنفعة في معاملته له فإن لم يتغير قلبه عليه بالجملة عنه على ما يوجبه الحال
فحاله صحيح كما أنه لا يفطح بعجلته وعصيته بل يعلم أنه مغفور في فضيلة الفرد
وكذلك إن تغير قلبه عليه كما كان يعتوره الدخلان في معاملته معه بل جرى حاله
معه في الوجهين معرى واحدا أن ما كان لله كما يكدر شيء وكذلك إن دخل
لم يقع منه بسبب ذلك ما يحبط سالف عمله معه وينقله من وقوع نار مذنب
أو فضرباته إلى أن ما كان لله كما يسعد ذلك عجلته وصونه من زلات والعاهات
ليجري في صحيفته يوم لا ينفعه ذلك إلا أعمال الصالحات فإن وقع منه
شيء من هذا فهو كذلك في عنوانه أن مغرقته لله وهو مخبر لما هذه حاله
معاملته معه مدخولة مغلولة مزورة تحبط التغيير والقوى وما هو صفته
كما يقع له فيه في ذاخره وكما جاء ... وعساه يكون نابعا له في ذياه الجانية
الباقية وهذا ما أردت أن أعرفكم في بيان ما أشكل عليكم وترعرع فيه وعند الله
أمر بين فإن أشكل عليكم شيء منه فخبروا فيه مع فلان حفظه الله بما فرحصل

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

لذا نشر بكلامي وخبر على مقصدي ومرامي والله تعالى الموفق لخير فما كان غير
وكافوه لنا ايها الاباء وما ذكرتم من العشاوة التي اعتذرتم بها فلا أعلم لها سببا ذا بال عند
أهل العقول الحصيفة للدنيا المتكالبين عليها وعدم اعتنائكم بحضور مجالس الذكر
ومجالسة الذاكرين لله عز وجل المذكر بزلة لسان كالهجر ومقالهم بهذا هو
الذي أوجب ما ذكرتموه من القساوة والحرمان ومزاولة الدنيا فخضع اسبابه مع توكلكم
على الله ووفوكم يتابه

وقد بلغني كتابكم وتعرفتم منه أنكم اجتمعتم مع بعض الناس وتحدثتم
في الحجاز فذكروا لكم أنه ما يحمل الناس اليوم دراهم القوري وطلبتم منا بيه ان أشرح
لكم القوري والعلة التي تكون على المسابر والذي أقول لكم أن القوري لذ سلطنة
عظيمة على الناس اسيما في هذه الأزمنة التي صار الناس فيها أمثال البهائم أعني
مرجحة اقلاسهم من معرفة تحقيق البر ومن أشرهم قبل ما شاع في الرعية
عن بعقد وبعقر ولعل الذي قال انه ما يحمل الناس اليوم دراهم القوري لم يحمله على
هذا الكلام دراهم القوري واجعله يكون مزكاز وطلبني في هذا الكلام أيضا لم يحملني
عليه دراهم القوري بل فعلته لما شئت أو رجوته وقد كنت كتبت لأخي محمد بن أبي بكر
رحمه الله كلاما في النسبي الى الحجاز وما يحتمه منه وما يلزم بالنسبة الى المقاصير
ذكرت فيه المرجبة وذكرت أيضا فيه شيئا مما طلبتم منا بيانه من أمر القوري
وعلل السبع وهو زمان منسوخ غير أني نحني السراج فإن شئتم أن يطلعكم عليه
أطلعكم فإنا اطلعكم عليه فانفعوا به فإني الوقت لم يتسع لتحرير ما هو أكثر من ذلك
لأني كتبته في الوقت الذي ورد علي كتابكم فيه وأعجلني حامله وأما ما سألتم

384
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

عنه من التصنيع بالكواغد المكتوبة فيها وأما المحكمة فكان يستعين
الحاج بتجنب مزاج الرق وهو الغرو في الورع والتعفف وكان أن يعيب
من ذلك أدب كاتبا فيما كان من ذلك بعيد فرآن أو حديث من كلام النبوة وكان من
جملة كتوز المسجد يضرب عليها أو يمحوها بالغراء أو ينكسها كما ذكرنا وكان مثل هذا
كان ينبغي أن يتسامح به إذا حمل عليه غرض صحيح وذهب بما فعله عثمان بن عفان
رضي الله عنه من تخريق المصاحف أو تخريقها وأما يكون من الرق بعيدا من ذلك ب
من جملة كتوز المسجد بجعل ذلك الرق من جملة الوقايد والصوف للكتاب الذي يسمع
وإذا كانوا لم يجعلوا من ذلك ب أن يسندوا القصعة بالخبز ويضعوا على الخبز
من ذلك إذا لم يأكل بد لكتوز الخبز محتى ما كان ذلك أولى أن لا يجعلوا من ذلك ب يكون
الكواغد المكتوبة فيها ذكر أسماء المحكمة وفايدة وصونا لخبز هذا أن اجتناب
اتخاذ أسماء أكثر من اجتناب الخبز فيما يحظر وإن كان الكل محتما ويستحب
من الفضائل التي ذكروا في رفع الكواغد المكتوبة المطروحة في الطرقات
وقصة بشر بن الحارث الحافي رضي الله عنه في ذلك معروفة فعلى هذا ينبغي
لذا ب أن يجعل ما اعتاد الناس من جعل رق مكتوب فيه ذكر أسماء وغالبه وكذا
يجمع فيه كراريس مخيطة أو غير مخيطة وكذا يغير الكتاب من الكتب فيجعل
وعاء للدراهم أو يكتب ذلك في موضع فيجعل عليه شيء من متاع البيت
وقس على هذا ما أشبهه مما يكون الكتاب فيه الذي وسيلة فهذا هو الذي
عندي في ذلك والله أعلم أني لست بعينه ولا عالم ولا كبير لما سألتني عن ذلك أجبتك
بهذا والله الموفق لا رب غيره و ما ذكرتم من ضيق حالكم بسبب تقصير كم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ي لحاجة الله عز وجل فاعلم أن الغافرين من أهل المعاصلات
الباطنة فرسلوا من هذه الجماعات وذلك أنهم عملوا على تصحيح التوحيد
أوامروه بأن الترموه عذراتهم ابتهلوا الى ربهم بالمستهم وقلوبهم في تخفيف
لهم جاهدا وحرصوا على أن يستصحبوه في أحوالهم جهد استطاعتهم فلما
علم الرب منهم ذلك بأن جعلهم كابرون أنفسهم حوزا وافوة فيما يأتون
أو يذرون وتولى حفظهم وكلاءتهم وتكفل بمصالحهم وكفايتهم أنهم عبيده
الصالحون لخرمته وقد قال الله تعالى البحر الله يكافي عبده وقال تعالى إن وليي
الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين وقال تعالى فيما يأثر عنه أنا عند
ظن عبدي بي فيسهل عنهم الصعب ويسر عليهم العسير وأزال عنهم وقتهم
التعيس الحقير وألحلهم في نعيم وملك كبير ولا يتم كونهم كابرين لهذه
وزوالها عليه وكابرين لعون همتهم إياه اليه لحسن ظنهم به سبحانه
وهي الخاصية التي سبقت بها هذه الأمة سائر الأمم وفي بعض ما جاء في
النبوية أن الله تعالى أوحى الى عيسى عليه السلام إني باعث بعدك أمة إن
أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا
وصبروا ولا حلم ولا علم فقال عيسى عليه السلام يا رب وكيف يكون لهم الحلم
ولا علم ولا حلم فقال الله عز وجل أعطيهم من علمي وحلمي وهذه الخاصية
أيضا اتصفت هذه الملة المحمدية بالسماحة والسهولة وهي وإن كانت سهلة
المتناول قريبة المرام فلا ينكر أيضا ما فيها من التكاليف الشاقة والتعميل
العام كما يكون في هذه المشاهرة التي ذكرناها قال الله عز وجل وما جعل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا
وملة إنما هي دار السلام والتوحيد وقال نبينا صلى الله عليه وسلم
بعثت بالحنيفية السمحة وهي ملة إبراهيم عليه السلام وقال بعض
العارفين في معنى قوله صلى الله عليه وسلم بسيروا وا تعبيروا معناه دلوهم
على الله ولا تدلوهم على غيره فكل من دل على الدنيا فقد غشه ومن دل على
الأعمال فقد تعبه ومن دل على الله فقد نصحه والمقصود من هذا
أن تعلموا أن هذه الطائفة المذكورة يغلط فيهم من هذا الوجه الذي ذكرناه
لغيبتهم عن شهود أنفسهم ورؤية حولهم وقوتهم ولو أن المرء لم يكن لهم
حال ولا مقام فإذا وقع المرء منهم فإنه ترى كلوا بالجيف والكلابة فيشتغل
في مقاماتهم ووقفوا على مراكزهم عناية من الله تعالى بهم وأما أهل الكذب
والدعوى والكلام معهم فقد غلقتم بحمد الله أبوابهم ورفعتم الغلاف على هذه الله
وبماذا أعلم من تعلم وماذا أطارحكم بهذه المحالة العظيمة التي اختص بها عباد الله
وبها صاروا أولياء الله فإذا علمتم مرفعهما من الدين وأنهما الوسيلة إلى القرب
من رب العالمين وتشوفتم إلى أن تترقوا إلى هذا المقام الكريم وتتنعموا بهذه سلكم
من أنار الله هذا العلم العظيم فستعلمون ما فرزناه لكم سبيل الكم إليها
دلوا عليها والوسيلة لكم إليها دلوا بها كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا
ربي ما عرفت ربي وحكي أنه سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل له
أعرفت الله يا محمد أم عرفت محمدا بالله فقال لو عرفت الله يا محمد ما عبدته ولكان
محمد أولى بي من الله ولكن الله عرفني نفسه بنعته فإذا عرفتم لكم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

غاية المتوسل به والمتوسل اليه على وجه لا يفهم كيفيته العقول ولم تزل
في هذه المرتبة وهذا التغاير أفقر لخبر ثم بحالة هي غاية الكمال في الهيئة ونهاية رغبة
الراغبين إذ لا يمكن التوسل إلا بموجود حاضر قريب. فإذا كان المطلوب
موجودا عندكم وحاضرا معكم وقريبا منكم فماذا تطلبون من غيره وبماذا
تتوسلون به سواه وما مثلكم في هذه الدار كمثل رجل بيده جوهرة خطيرة هو
لا يعرف لها قدرا بل يحسبها في عداد الحجارة التي يغرمها بل لا شعور له بها
وهو يشكو الفقر والضر ويتكفف الناس فبينما هو كذلك إذ انكشف له
حقيقة أمرها وأنه متمكن من أن يبتاع بها درجة الملك فلا تسل عما هو فيه
من الغبطة والسرور والنعمة والحبور. وليس العجب من السهارة حيث
حلبوا الماء وجزروا بوسه وإنما العجب من مذنب حلب الغدر وجز الدنة
فإن الله تعالى ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا
رحيما وقد فرغت لكم العبارة عن هذا الأمر لعلكم بمعونة ودا بغير العبد
من أن تضبطه عبارة أو تحمله اشارة ولكل شيء سبب فقد الله تعالى سببية
من غير حول من الغير ولا قوة بغير تكوين مغربتكم لي واعتقادكم أني أحسن
الإساءة إلى ما حلتموه وكتبكم التي بما كتبتم بيد وجوابي لكم على هذا الأمر أسبابا
في حصول مطلوبكم من غير حول مني ومنكم ولا قوة وستزول بهذا النظر أخو الكم
كلها جارية هذا الجري إلى الله أن يبرز وعده المؤمن إذا من حيث لا يعلم فيريح العناء
والتعب. والكد والكلب. وعلى الفرح والتناسب. والنزاهة والتلهف
عوز الله تريدون فما ظنكم برب العالمين أما علمتم أن بيد الله عوضا من كل فائت

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وحلفا من لا ذاهب كل من وجد الله لم يفقد شيئا ومن فقد به لم يجد سببا
فهذه القاعدة التي بني عليها أمور دين العارفين المحققين وكل ما يعتريكم
من الوساوس والأفكار وما يحجبكم عن نيل المراد وقضاء الأوطار فإنما
هو الران الحاجب عنكم من هذا التحقيق فإذا فتح الله عليكم في فهم ما ذكرناه وأخذتم
به أنفسكم أن تكونوا على بينة في موارده ومصادركم كما كانت عند كم عيانا
مشاهدة وقرابة مؤيدة بالتخلي فتورثكم التأمل من غير تعب منكم والنصب
وهذه هي الغنيمة الباردة والتجارة الرابحة والعز بالذل أو حبه الشكر
الذي أنعم به عليكم من ربكم ذكرا شيئا بالله ومن الله فطوبى لكم إذا وجدتم
مآبا وصاحب المشاهدة المذكورة تحمله على أن يتجرد للطلب والسبب
يتحيم منه فليزم على التيقظ في هذا فقد وصل الى مقام ينتظم له كل مقام
وحصل على مرام يستغرقه في حبه كل مرام فبلغوا يا أخي ما قلناه لكم
بحسن القبول وقدموه على كل مقول ومسموع واعلموا أن العقل ما يدرك
والنقل ما يصح به بل هو من العلوم اللدنية التي أودعها الله في عباده القلوب
وقد روي أن في بعض الكتب المنزلة على بعض أنبياء بني إسرائيل لا تقولوا
العلم في السماء من ينزل به علينا ولا في الأرض من يصعد به إلينا ولا في البحار من يجيء به العلم
مخطوط في صدوركم موضوع في قلوبكم فتأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين
وتخلقوا بأخلاق السميع الربانيين لحفظ العلم من قلوبكم على السنتكم حتى يعلم
ويعلم بكم هذا ما أردنا أن نذكركم به من التكلم على أحوالكم لتكونوا على بصيرة ثابتا
بين يدي الله وأما سائر ما يبنى عليه والسلام

انتهت الرسالة والحمد لله
والصلاة والسلام على محمد

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك محمد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdel-Aziz - Casablanca